المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الملك خالد

عمادة الدراسات العليا

كلية التربية للبنات

قسم الدراسات الإسلامية



طريقة القرآن الكريم في تثبيت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد الطالبة

شاهرة بنت حسين محمد القحطانـــــي

إشراف فضيلة الدكتور

عبداللطيف بن عبدالقادر الحفظي

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الملك خالد

العام الجامعي 1430/1429هـــ -

2008-2009م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ شكر وتقدير ﴾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

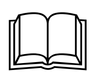
أما بعد ....

فإني أشكر الله العظيم وحده كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، الذي يسر لي ووفقني من غير حول مني ولا قوة إلى طلب العلم الشرعي في قسم العقيدة، الذي يحتاجه الناس دائماً وأبدا في شتى مجالات الحياة ، وأعانني على إكمال هذه الرسالة، فله الحمد وله الشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى.

ثم إيماناً مني بحديث المصطفى ﷺ الذي قال فيه : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[1].

فإني أتقدم بخالص دعواتي، وعظيم شكري وتقديري إلى الشيخ الدكتور/ عبداللطيف بن عبدالقادر الحفظي، المشرف على هذه الرسالة ، على ما بذله معي من جهود ، وما قابلني به من رحابة صدر ، وما تمثل به من صادق النصح والحرص ، مع تقبله لقلة زادي وقصر باعي، فله مني جزيل الشكر والدعاء بأن يبارك الله في علمه وعمله ، وأن يجعل ما قدم لي وللأمة في ميزان حسناته خالصاً يوم يلقى ربه.

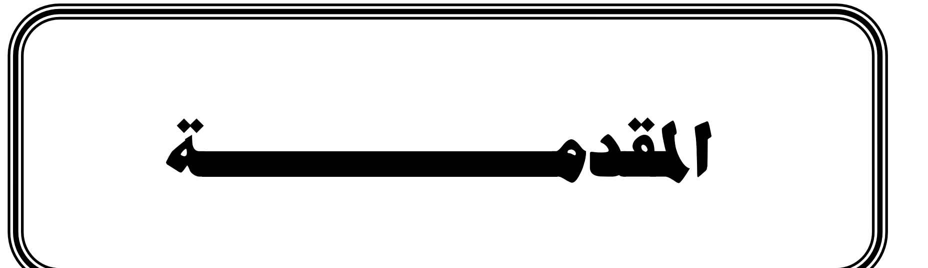
(١) مسند أحمد بن حنبل ، لأحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، دار النشر : مؤسسة قرطبة، ج 2/ص492، قال الذهبي عنه «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ، و لم يخرجاه للخلاف الذي بين أصحاب الأعمش فيه». المستدرك على الصحيحين ، جـــ2/ص73.



كما أشكر الأستاذ الدكتور/ علي بن حسين، الذي كان له اللبنة الأولى في تشجيعي وزميلاتي على إكمال هذا المشوار على الرغم من العقبات والعوائق التي صادفتنا ، فكان أباً حنوناً وأخاً ناصحاً ، وأستاذاً مخلصاً ، فجزاه الله عنا كل خير .

كما أشكر جميع من وقف بجانبي من قريب أو بعيد ، وجميع من ساندني وقدم لي العون والمساعدة ، وأخص بالشكر والداي حفظهما الله اللذين طالما كانت دعواهما تحيطني في كل مكان ، وتضيء لي مسيرتي على كل حال ، ولا أنسى كل من زوجي وأبنائي على ما تكبدوه من عناء ، وما تحملوه من تقصير في حقوقهم فلهم مني كل الشكر والتقدير ، وجزى الله الجميع عني خير الجزاء.




المقدمـــــــة



المقدمــــــــــــــــة

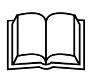
الحمد لله الذي هدانا إليه صراطاً مستقيماً ، وجعلنا من أهل طاعته، وأكرمنا بالإسلام، وهدانا للإيمان ، وأصلي على خاتم رسله وأنبيائه ، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين من ربه ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله الأخيار ، وأصحابه الأبرار ، وبعد ...

إن المتأمل في حال الأمة الإسلامية سابقاً ، وحالها في العصور المتأخرة ، وخاصة في المسائل العقدية ، يجد أن صحابة الرسول ﷺ ، كانوا يفهمون العقيدة من الآيـــــات القرآنية، ومما يحدثهم به الرسول ﷺ ، فهماً عميقاً وما ذلك إلا لصفاء سرائرهم ، وجزالة لغتهم التي نزل بها القرآن الكريم.

أما العصور المتأخرة فقد كثر فيها الجدل والكلام على الصغائر قبل الكبائر ، وأصبح كل يدلو بدلوه.

ومن المسائل التي كثر فيها الجدال : مسألة القضاء والقدر . فقد كانت من المسائل التي كذب بها المشركون من قبل ، وأثاروا الشبه فيها والشكوك، وتصدى لهم القرآن الكريم، فرد عليهم ، وأبطل حججهم ودعواهم.

كما أنه في هذا الزمان فرط كثير من الناس في الرضا بالقضاء والقدر ، ولم يعد هذا الركن العظيم ، كما كان عليه صحابة الرسول ﷺ ، والتابعون لهم ، مما أدى إلى عدم الرضا بالله تعالى ، والرضا بما قضاه ، في شتى مجالات الحياة، فضعف إيمان الناس ، وكثر التســـخط، وقل الرضا ، وسب الدهر ، وتسخط الناس ، واتبعت الشهوات والشبهات ، وتأثر المسلمون بالطرق الشيطانية ، الصارفة عن الإيمان بقضاء الله ، فعزمت على الكتابة في هذا الموضوع مكتفية ببعض عناصره ، ولو تناولت كل ما يتعلق بالقضاء والقدر من مسائل لطال بنا المقام.



لذا فرد هذه العقيدة إلى القرآن الكريم وربطها به ، وبيان طريقته في تثبيت هذه العقيدة التي تعد الركن السادس من أركان الإيمان، من أهم الضروريات التي من خلالها تُصَحَحُ الأفهام، وتُزال الشكوك، وتُدفع الشبهات، فلحاجتي الملحة أولاً ثم حاجة الأمة، ومحاولة بسيطة للرجوع بالأمة إلى المنهج الصحيح وهو الاستقاء من القرآن الكريم في جميع الظروف والأحوال، اجتهدت في إبراز شهادة القرآن الكريم في إثبات هذا الركن العظيم من أركان الإيمان ، فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية ، وأدواء الدنيا والآخرة[١].

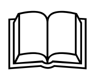
وقد جعلت عنوان هذه الرسالة : **[طريقة القرآن الكريم في تثبيت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر]** ، وكان تحديده بالقرآن الكريم لأنها أصل كل الطرق الصحيحة، ولتنوع هذه الطريقة والأساليب التي يعرض بها القرآن الكريم أدلته ، وهذا التنوع له فائدة كبيرة في تقرير الحقيقة وتأكيدها وإقناع المدعوين بها؛ لأن بعض الناس قد يؤثر فيه أسلوب أكثر من أسلوب آخر غيره .. يقول الدكتور/محمد عبدالله دراز ، متحدثاً عن اختلاف وسائل الإقناع عند الناس : « ولا جرم أنه من أجل هذا الإختلاف في وسائل الإقناع عند الناس تنوعت في القرآن وسائل الدعوة إلى الله وصرفت فيه الآيات تصريفاً بليغاً...» [٢].

ولأن القرآن الكريم خاطب الناس بما يوافق عقولهم، وفطرهم ، ولم يتقصر في خطابه لأمة دون أمة ولا لشخص دون آخر ، إنما خاطب البشرية جمعاء ، وقرر العقيدة في أنفسهم بالدليل الواضح البين الذي يصل إلى القلوب ، فتعرفه ولا تنكره وتفهمه بل وتقره، وإن

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، تحقيق : د.عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط 1424هـ - 2003م، ج2/ص422.

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، د. محمد أحمد ملكاوي ، ط1، 1405هـ - 1985م، ص 348.



كابر الشخص أو إدعى غير ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل : 14].

كما أني أردت إضافة ما سأقدمه في هذا البحث إلى ما سبق من بحوث تناولت موضوع القضاء والقدر ، فيكون لبحثي أثر في المكتبة الإسلامية سائلة المولى جل وعلا أن يبارك في الجهود وأن يغفر الزلل والتقصير ورغم محاولتي الاجتهاد إلا أني اعتمدت النقل الكثير لقصر باعي ، وقلة علمي ، وخوفي من أن أقع في كلمة لا أحسب لها حساباً فأضر نفسي ولا أنفعها والعياذ بالله.

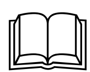
هذا وقد آثرت الإيجاز ، مع الحرص على الوفاء بالموضوع بقدر ما استطعت ، ليسهل على القارىء والمطلع الإفادة ، وأسال الله أن يسدد أعمالنا ، ويغفر زلالتنا وتقصيرنا.

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

تأتي أهمية الموضوع وأسباب اختياري له من وجوه :

١ - أن قضية القضاء والقدر من القضايا التي اختلف فيها الناس عموماً وأهل القبلة خصوصاً بشكل واسع، وتمسك كل من المختلفين فيها برأيه ، فكان من المناسب الوقوف بالجميع على طريقة القرآن ومنهجه في تقرير هذه العقيدة؛ لعل ذلك يكون سبباً في الاجتماع أو الاقتراب من القول الحق .

٢ - بما أن القضاء والقدر هو حكم الله الكوني في سائر الخلق؛ فإن معرفة معالمه وكيفية الإيمان به من القرآن الكريم هو الأنسب للخلق والأصلح لهم؛ لأنه بيان ممن خلق الناس وهو أعلم بما يصلحهم كما قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : 14] .



٣ - أنه يرتبط بعقيدة القضاء والقدر قضايا هامة وخطيرة تتعلق بحال العباد ومآلهم. فهي عقيدة تتعلق وترتبط بها أرزاق الناس ، وأعمالهم ، وأجالهم ، ويتعلق بها هداهم وضلالهم ..إلخ . ومن هنا فإنه يتعين على الناس الوقوف على معالم القضاء والقدر ومعرفة مدى أثرها على كل هذه الأمور من خلال بيان ربهم سبحانه وتعالى في كتابه الكريم .

٤ - أن عرض القرآن الكريم لقضية القضاء والقدر شمل المواطن التي هي مناط وسبب اختلاف الناس في هذه القضية ، ودل على هذه الأسباب ودل على علاجها، و لم يبق على المؤمن إلا إتباع هذا العرض في كتاب الله الكريم .

٥ - بين القرآن الكريم قوة الصلة بين القضاء والقدر، وبين صفات الكمال التي اتصف بها الرحمن، وخاصة صفة الإرادة وصفة القدرة وصفة العلم.
وهذا يدعو إلى معرفة هذه الصفات، ومدى أثرها في أقدار الرب وقضائه من خلال بيان القرآن الكريم لذلك.

ثانياً: الهدف من البحث :

تبرز أهم أهداف البحث في هذا الموضوع فيما يلي :

أولاً : من المعلوم أن القرآن الكريم هو دستورنا وهو الذي قال عنه الرسول ﷺ : « لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[1] . ولذا فالبحث من منظور القرآن الكريم لهذا الموضوع يبرز أقوى وأعمق شهادة قرآنية صحيحة للمعتقد الصحيح في القضاء والقدر.

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بإسناد حسن نقلاً من كتاب : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف لعبد العظيم المنذري أبو محمد المتوفى سنة 656، دار النشر : دار الكتب العلمية ، جـــ1/ص47.



ثانياً : موضوع القضاء والقدر من المواضيع الشائكة التي تخبط فيها الكثيرون ، فكنت أهدف إلى الرجوع فيها إلى مصدر أساسي موثوق ألا وهو كتاب الله .

والخلاصة أن هدف البحث هو إحياء الطريقة المعصومة لإثبات العقائد وتقريرها ، ولتثبيت القلوب عليها وهي طريقة القرآن الكريم ، خاصة في هذا الركن العظيم وهو الإيمان بالقدر.

ثالثاً : منهجي في كتابة البحث :

١ - جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.

٢ - الوقوف على تفسير هذه الآيات من مظانها في كتب التفسير المشهورة.

٣ - بعد جمع الآيات أحاول جاهدة أن أختار الآيات التي تتضمن النقطة التي أريدهـــا، ثم أورد تفسيرها من أبرز كتب التفسير .

٤ - استكمال الدراسة من كتب العقيدة التي تناولت المباحث المذكورة ، وإبراز مدى شهادة القرآن الكريم وإثباته لهذه العقيدة.

٥ - إنهاء كل مبحث بما استخلصته من فوائد عقدية، ثم أختمه ببيان طريقة القرآن الكريم في تثبيت الإيمان بالقدر من خلال هذه الآيات.

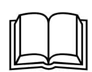
٦ - عزو الآيات إلى سورها ، مع رقم الآية.

٧ - تخريج الأحاديث من مظانها في كتب السنة فما كان منها في الصحيحين فسأكتفي بالعزو إليهما ، وإلا توسعت في التخريج قدر الحاجة مكتفية بحكم أحد المتقدمين ، أو المتأخرين من علماء الحديث.

٨ - ترجمت للأعلام غير المشهورين ، وتركت المشهورين.

رابعاً : الدراسات السابقة للموضوع :

بالنسبة للدراسات حول موضوع «القضاء والقدر» فالمؤلفات فيه كثيرة ولكن ما يتعلق بالرسائل العلمية فقد وقفت على رسالتين وهما :



1- **القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه ، للدكتور: عبدالرحمن بن صالح المحمود** . فهذا البحث وإن كان موضوعه قريباً من نفس الموضوع الذي بحثته إلا أنه يختلف اختلافاً كبيراً عنه، حيث أن رسالة الدكتور المحمود أسهبت كثيراً في النـــزاع الذي دار في القضاء والقدر، و لم يتطرق إلى ما تطرقت إليه من بيان طريقة القرآن في إثبات الإيمان بالقدر وتثبيته في النفوس ، كما أنه ذكر النصوص من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالقدر ، وكونه ركناً من أركان الإيمان . وبعد ذلك ذكر الأدلة التفصيلية لكل مرتبة من مراتب القدر ، وهذا أقرب الأبواب إلى بحثي ولكنه لم يتجاوز ذكر الأدلة على مراتب القدر الأربعة من الكتاب والسنة ، وكذلك أثر الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد والمجتمع. وهو ما يقترب من الفصل الثالث (بيان القرآن الكريم لثمرات الإيمان بالقضاء والقدر) إلا أني في كل ذلك اعتنيت ببيان طريقة القرآن في تناول هذه القضايا .

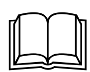
2- **كتاب«القضاء والقدر في الإسلام ، للدكتور/ فاروق أحمد الدسوقي» ، وهو في ثلاثة أجزاء:**

الأول : في القرآن الكريم والسنة.

الثاني : بين السلف والمتكلمين.

الثالث : عند المتفلسفة في الحضارة الإسلامية.

وهي جميعاً تختلف عن بحثي، ومن أقربها إليه الجزء الأول في القـــرآن الكريم والسنـــة، فقد تطرق فيه لقواعد ست ينهجها الباحث عن الحقيقة في القرآن والسنة وغيرها من الفصول التي لا تتعلق بموضوع بحثي كالأسس الإعتقاديـــــة للحرية الإنسانية ، والعدل الإلهي والكمال الإنساني ، وغيــــره . إلا أن الفصـــل الرابـــع منه - الجبر والاختيار - ، والفصل السابع - القضاء والقدر - تطرق فيها لبعض فقرات بحثي مما لا يمنع زيادة البحث فيها وطريقة إثباتها في القرآن الكريم لاستكمال البحث ورجاء نفعه . و لم أقف حتى الآن على غير هذين البحثين.



خامساً : خطة البحث :

اشتمل هذا البحث بعد هذه المقدمة على ما يلي :

التمهيد : ويشتمل على ثلاثة أمور :

الأول : التعريف بالقضاء والقدر ، وبيان منـــزلته.

الثاني : نبذة موجزة عن النـــزاع في القضاء والقدر .

الثالث : العقيدة الصحيحة في القضاء والقدر بأدلتها .

الفصل الأول : بيان القرآن الكريم للقضاء والقدر . وتحته سبعة مباحث :

المبحث الأول : دلالة القرآن الكريم على مراتب الإيمان بالقضاء والقدر «العلم، والكتابة ، والمشيئة ، والخلق».

المبحث الثاني : بيان القرآن الكريم لما يرتبط بقضاء الله وقدره مما يجري في الكون مما لا دخل للمخلوق فيه (الموت ، الحياة ، الرزق ، تنوع الخلق).

المبحث الثالث : بيان القرآن الكريم لما يرتبط بقضائه وقدره وللإنسان دخل فيه من الأعمال (الطاعة ، المعصية).

المبحث الرابع : بيان القرآن الكريم لنوعي الإرادة الثابتة لله تعالى .

المبحث الخامس : ثناء الله تعالى على المؤمنين بقضائه وقدره.

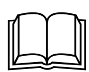
المبحث السادس : العبادات وأثرها في تثبيت القضاء والقدر.

المبحث السابع : بيان القرآن الكريم لأنواع القضاء والقدر.

الفصل الثاني : طريقة القرآن الكريم في تصحيح المفاهيم الخاطئة في الإيمان بالقضاء والقدر. وتحته خمسة مباحث :

المبحث الأول : توضيح القرآن الكريم للعلاقة بين مشيئة العباد ومشيئته سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني : دعوة نصوص القرآن الكريم إلى اتخاذ الأسباب الصحيحة.



المبحث الثالث : تحذير نصوص القرآن الكريم من الاعتماد على الأسباب وحدها، وإيجابية الجمع بين اتخاذ السبب والتوكل على الله .

المبحث الرابع : رد القرآن الكريم لعقيدة الجبر وبيان فسادها .

المبحث الخامس : الألفاظ الخاطئة التي تنافي الإيمان بالقضاء والقدر .

الفصل الثالث : (**بيان القرآن الكريم لثمرات الإيمان بالقضاء والقدر**) ، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : الصبر عند نزول المصائب . وعدم الأسى على ما مضى .

المبحث الثاني : الرضاء بما قسم الله .

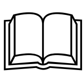
المبحث الثالث : الدفع إلى العمل والإنتاج.

المبحث الرابع : قوة النفس وسكينتها .

الخاتمة (النتائج والتوصيات).

الفهارس العلمية الهامة.

وقد كان بحثي في هذه المواضيع في ضوء نصوص كتاب الله ، وقد استشهد بما يوافق ذلك من سنة رسوله ﷺ معتمدة على الكتب العقدية الواضحة ، مع الحرص على بساطة العبارة ووضوحها .



التمهيد

ويشتمل على ثلاثة أمور :

الأول : التعريف بالقضاء والقدر ، وبيان منـــزلته.

الثاني : نبذة موجزة عن النـــزاع في القضاء والقدر.

الثالث : العقيدة الصحيحة في القضاء والقدر بأدلتها .

الأول   التعريف بالقضاء والقدر، وبيان منـزلته

أولاً: تعريف القضاء والقدر :

القضاء في اللغة : القضاء – ممدود- مصدر معرف ، والقَضاء الحُكْم وأصله : قَضَايُ ، لأنه من قضيت ، إلاّ أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت[١].

وفعله : قضى يقضي ، ومصدره : قضاء وقضية، والفاعل: قاضٍ ، والقاضي: القاطع للأمور المحكم لها [٢].

والقضاء يأتي بعدة معان، منها :

1- **الفصل في الحكـــــــم** ، يقال : قضى يقضي قضاءً إذا حكم وفصل ، قال تعالى :
﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:19]، أي : لفصل وحكم بينهم[٣] .

2- **ويأتي بمعنى الإتقان ، والفراغ منه** : فيـــــكون على هذا بمعنى الخلق ، قال الله تعالى :
﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[فصلت : 12] ، أي : ففرغ من خلقهن [٤] ، وتقول قضيت حاجتي ، وقضى عليه عهداً : أوصاه وأنفذه[٥].

---

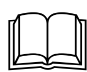
(١) انظر : لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط1، 186/15.

(٢) انظر : لسان العرب 186/1.

(٣) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ،[224-310هـ]ت ، أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط 1، 1420هـ. (129/24)، ولسان العرب ، 186/15.

(٤) انظر : المرجع السابق ، 99/24.

(٥) انظر : مسألة القضاء والقدر نشاها لدى الفلاسفة المتكلمين بحثها على مقتضى منهج السلف ، لعبد الحميد قنبس، وخالد العك، دمشق ، القاهرة ، ط1 ، 2005م، ص61.



3- **بمعنى أداء الشيء وتمامه** ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ﴾، [البقرة:200] ، أديتم وفرغتم(1).

4- **ويأتي بمعنى** : إمضاء القدر ، كما في قوله – سبحانه – ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ [سبأ : 14] ، أي : أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت (2) ، ويكون بمعنى الحتم والأمر مثل قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[الإسراء : 23] ، وهي بمعنى الوصية والأمر بعبادته (3) ، وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ﴾ [الأنعام : 2]، فالمعنى حتم بذلك.

5- **التمام والإكمال والوفاء** : فأما التمام فكما في قوله الله تعالى : ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام : 8] ، فمعنى (لقضي الأمر) : لتم إهلاكهم(4)، وأما الإكمال والوفاء فمنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ [القصص:29] ، أي : فلما وفى ، وأكمل صاحبه الأجل(5).

6- **الصنع والتقدير والعمل** : يدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ [طه:72] ، أي : اصنع وافعل واعمل ما أنت صانع أو فاعل أو عامل(6).

---

(1) انظر : تفسير القرطبي 431/2.

(2) تفسير الطبري 7373/22.

(3) انظر: تفسير الطبري 62/15–63، وتفسير القرآن العظيم ، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700–774هـ] ، المحقق : سامي بن محمد سلامة ، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ، 1420هـ – 1999م، 34/3، ومسألة القضاء والقدر لقنبس والعك ص61 .

(4) انظر : تفسير القرطبي 393/6.

(5) انظر تفسير ابن كثير ، 387/3.

(6) انظر : تفسير الطبري 189/16، وتفسير ابن كثير 159/3، ومسألة القضاء والقدر لقنبس والعك ص61.



7- **الإعلام** : ومنه قول الله – عز وجل - : ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء : 4] ، أي : أعلمناهم إعلاماً مقطوعاً به(١) .

8- **إنهاء العمر أو الحياة** : من ذلك ما ورد في قصة موسى عليه السلام - من قول الله – تعالى-: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص : 15] ، أي : قتله وأنهى حياته بالوكز(٢).

9- **الأمر**(٣) : قال السفاريني : « قال في النهاية(٤) ، .. القدر وهو عبارة عما قضاه الله وحكم به من الأمور . وقال في القضاء إنه الفصل والحكم. وذلك أن أصل القضاء هو : «القطع والفصل يقال قضى يقضي قضاء فهو قاض إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه فيكون بمعنى الخلق ...» (٥) .

فهذه أبرز المعاني التي ذكرها العلماء لكلمة القضاء .

أما القدر في اللغة :

فالقدر : « مصدر قَدِر يَقْدِرُ قَدَرًا وقد تسكن دالُه(٦).

قال ابن فارس : « قدر : (القاف والدال والراء) أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر مبلغ كل شيء . يقال : قَدَرُهُ كذا أي مبلغه ، وكذلك القَدر ،

____

(١) انظر : تفسير الطبري 20/15، وتفسير ابن كثير 25/3.

(٢) انظر: لسان العرب 187/15.

(٣) انظر: لسان العرب 186/15، وتاج العروس 296/10.

(٤) يقصد نهاية المبتدئين للشيخ البدر العييني ، والله أعلم أستقيت ذلك من مقدمة السفاريني ج1 ، ص3.

(٥) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية، تأليف العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي ، المكتب الإسلامي ، دار الخاني ، ط 1411هـ – 1991م، ج1، ص357.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ، المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، الناشر : المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ – 1979م، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، 22/4.



وقَدرت الشيء أُقدِرُهُ وأقدره من التقدير»[١].

والقدر : بفتح القاف والدال : اسم يطلق على الحكم والقضاء ، أو القضا[٢].

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ [القمر : 49] أي : إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدرناه وقضيناه[٣] .

وقال – سبحانه وتعالى – : ﴿فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴾ [القمر : 12] ، أي: على أمر قد قدره الله ، وقضاه أي : قضاه في اللوح المحفوظ[٤].

وقال – سبحانه – : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ [القدر : 1] ، وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق ، وتقضى[٥].

ويأتي بمعنى : التضيق[٦] .

﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾ [الرعد : 26] أي : ويقتر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه ، فيضيقه عليه ؛ لأنه لا يصلحه إلاَّ الإقتار [٧]، والقدر بفتح القاف والدال أيضاً: الطاقة والوسع[٨] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، المحقق : عبدالسلام محمد هارون ، الناشر : دار الفكر، الطبعة : 1399هـ -1979م، 62/5.

(٢) انظر: لسان العرب 74/5.

(٣) انظر: تفسير الطبري 110/27.

(٤) انظر : تفسير الطبري 92/27، 93.

(٥) انظر : لسان العرب 74/5.

(٦) انظر : تفسير الطبري 182/30، ولسان العرب 78/5.

(٧) انظر: تفسير الطبري 144/13.

(٨) انظر: لسان العرب ، 77/5.



كما يدل على ذلك قول الله – عز وجل – : ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة : 236] .

وقَدَّر الشيء – بالتشديد – : قضاه ، ويجوز التخفيف والقَدْر : بفتح القاف وإسكان الدال : الوسع والطاقة ، أيضاً ، وبمعنى المقدار ، فقدر كل شيء مقداره أي : مقياسه، يقال : قدره به قدراً إذا قاسه ، والقدر من الرحال والسروج : الوسط[١].

وقدرت الشيء أقدره من التقدير ، ومنه قوله ﷺ في الحديث : (فإن غم عليكم فاقدروا له) [٢] ، أي : قدروا له عدد الشهر ثلاثين يوماً ، وقيل : قدروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أن الشهر تسعة وعشرون يوماً، أم ثلاثون يوماً[٣].

والقَدْر : والتقدير : تبيين كمية الشيء ، يقال : قَدَرته وقدّرْته وقدره بالتشديد، أعطاه القدرة يقال : قدَّرَني الله على كذا وقواني عليه ، فتقدير الله الأشياء على وجهين :

أحدهما : إعطاء القدرة.

والثاني : بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة[٤]، كما في قول الله – تعالى – : ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[الطلاق : 3]، إذ المراد أن الله علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ، ثُمَّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد ، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته ، فهو قضاؤه ، فهو العالم سبحانه ازلا

---

(١) انظر : لسان العرب 76/5.

(٢) أخرجه البخاري في مواضع منها : كتاب الصيام ، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان .. حديث 1899، ومسلم في كتاب الصيام ، باب : وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال 759/2-760، حديث 1080.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ، المؤلف : ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، (41/4)، وانظر: لسان العرب 78/5.

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن ، المؤلف : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، الناشر: دار القلم ، دمشق ، ص395/1.



بما قدر وقضى علمه لا حد له ولا يشبهه في ذلك أحد سبحانه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : 49] . وقال سبحانه : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: 38] ، وقال – عز وجل - : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[البقرة: 117].

ومعنى قول : (القدر سر الله في خلقه) : أن الله قد أخفى علمه عن خلقه، فلا يطلع عليه أحد لا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، فهو – سبحانه – أوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى، وهدى وأضل ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[فاطر : 8] (١) .

وفي القول المفيد : « القدر سر الله عز وجل في خلقه ، ولا تعلمه إلا بعد وقوعه سواء كان خيراً أو شر »(٢) ، وسئل علي ﷺ عن القدر ، فقال : « سر الله فلا تكشفه»(٣).

تعريف القضاء والقدر اصطلاحاً :

« هو تقدير الله – تعالى – الأشياء في القدم ، وعلمه – سبحانه – أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة ، وكتابته – سبحانه – لذلك ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها» (٤). وفي لوامع الأنوار أن : «القدر عند السلف: ما سبق به العلم وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد ، وأنه عز وجل قدر مقادير

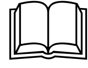
---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ، تأليف الإمام القاضي علي بن علي بن محمدين أبي العز الدمشقي، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1424–2003م ، ط2 : تحقيق : د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط ، ج1 ص 383.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح ابن عثيمين ، جـ3/ص158.

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة ص 202، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، وابن بطة في الإبانة (207/2).

(٤) القضاء والقدر ، د. المحمود ص 39.



الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل ، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها»[١].

والقضاء والقدر هو : « علم الله – تعالى – الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم، والخلائق ، والأحداث والأشياء ، وتقدير ذلك الخلق ، وكتابته في الذكر الذي هو اللوح المحفوظ ، كما هو حين يقضي بوجوده في كميته ، وكيفيته ، وصفته، وزمانه، ومكانه، وأسبابه، ومقدماته ونتائجه بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن إبانه – الإبان بتشديد الباء الموحدة التحتية : الوقت والزمن الذي يوجد فيه الشيء – ، ولا يتقدم عما حدد له من زمان ، ولا يتبدل في كميته بزيادة أو نقصان ، ولا يتغير في هيئة ولا صفة بحال من الأحوال...»[٢]. وعرف بتعريفات أخرى ، كلها تدل على نفس المعنى[٣].

الفرق بين القضاء والقدر :

انقسم العلماء في التفريق بين القضاء والقدر إلى قسمين ، ما بين قائل : أنه لا فرق واستدلوا بأنه لو أطلق أحدهما شمل الآخر ، وأنه لا دليل على التفريق بينهما في الشرع، في حين أن الفريق الثاني فرقوا بينهما وفسروا ذلك بتفسيرات لا دليل عليها من الشرع أيضاً[٤].

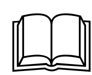
---

(١) لوامع الأنوار ج1/ص348.

(٢) عقيدة المؤمن ، تأليف أبي بكر جابر الجزائري ، المكتبة العصرية صيدا، بيروت ، ط 3 ، 1425هـ – 2005م، ص : 224، 225.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص253. وانظر: كتاب حجج القرآن : أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي ، الناشر : دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ،1982م، تحقيق : أحمد عمر المحمصاني ، (24/1).

(٤) انظر : القضاء والقدر للدكتور عبدالرحمن المحمود ، ص 40، وانظر القضاء والقدر ، د. عمر الأشقر ص 24، 25.



و «القدر أصل من أصول الإيمان كما في سؤال جبريل وما أجابه به رسول الله ﷺ حين سأله، قال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» [١].

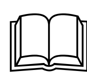
وفي الحديث الصحيح : (إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة) [٢]. أي جرى بما يكون مما يعلم الله تعالى؛ فإنه تعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ : 3] ، وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به إيجاد المقدر كقوله ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 12] ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ [سبأ:14] ويطلق ويراد به الاخبار بما سيقع مما قدر ، كقوله : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ [الإسراء : 4] ، أخبرهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين، ويطلق ويراد به الأمر والوصية كما قال : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:23] أي أمر ووصى ، ويطلق ويراد به الحكم كقوله : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الزمر:69] ، ويطلق ويراد به القدر ونحو ذلك »[٣].

---

(١) صحيح مسلم ك الإيمان، ج1، ص15، رقم1 للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، الناشر : مكتبة الرشد بالرياض، 1422هـ - 2001م، حديث رقم 1 من كتاب الإيمان ج1 ص15.

(٢) سنن أبي داود المؤلف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، الناشر : دار الفكر ، المحقق: محمد محيي الدين عبدالحميد ، حديث رقم 4700 ج 4ص 225، وصححه الألباني في تعليقه عن السنن.

(٣) بضع رسائل في التوحيد وما يتعلق بهما ، للشيخ محمد بن عبدلوهاب رحمه الله ن وبعض احفاده وغيرهم من علماء نجد ، دار نشر الكتب الإسلامية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ص 57 ، 58.



والذي يظهر لي والله تعالى أعلم: أنه لا تفريق بينهما؛ لأنه إذا قضى الله أمراً فقد قدره، وإذا قدره فهو من قضاء الله تعالى وهذا حال اللفظ بأحدهما أي منفرداً ، أما إذا اجتمعنا فقد يكون لأحدهما زيادة بيان كما هو الحال في الألفاظ اللغوية وما يرادفها، وقد قال السفاريني في ذلك : « والقضاء والقدر: أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس ؛ وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء ، وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه»[1].

(١) لوامع الأنوار ، للسفاريني ، ج1 ص 359. وانظر لسان العرب 186/15، والنهاية في غريب الحديث 78/4.



منـــزلة الإيمان بالقضاء والقدر :

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها ، كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما سأل الرسول ﷺ عن الإيمان قال : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال (أي جبريل عليه السلام): صدقت»[1].

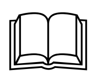
وفي حديث القدر يقول الرسول ﷺ : « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[2].

والنصوص المخبرة عن قدر الله – تعالى – كثيرة في القرآن الكريم مما يدل على تضمنها وجوب الإيمان به وأن كل شيء يجري بقدر الله – سبحانه – منها على سبيل المثال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر : 49] ، وقال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : 2] ، « أي قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما أراد وهيأه لما يصلح

---

(١) سبق تخريجه ص 21.

(٢) رواه الترمذي في القدر برقم (2231) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالله بن ميمون ، وعبدالله بن ميمون منكر الحديث . ورواه أبو داود في السنة برقم (4685، 4686). انظر: الإرشاد شرح لمعة الإعتقاد لابن قدامة ص 212.



له قال الواحدي[١] قال المفسرون : قدر كل شيء من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق ..» [٢].

والمتأمل في النصوص الدالة على علم الله تعالى وقدرته ومشيئته وخلقه؛ يجد أنها تدل على قدره تبارك وتعالى ، لأن القدر يتضمن العلم والكتابة والمشيئة والخلق هذا بالنسبة لأركان القدر، وأما جميع ما يتعلق بالقدر فلا تكاد تجد موضوعاً إلا وقد ورد في القرآن والسنة ما يثبته ، قال ابن القيم [٣] : «وقال الإمام أحمد[٤] : القدر قدرة الله . وفي ذلك قال ابن القيم :

---

(١) الواحدي : علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن الإمام المصنف المفسر النحوي أستاذ عصره، قرأ الكثير على المشايخ، وأدرك الاسناد العالي من الأستاذ والإمام أبي طاهر الزيادي وأقرانه، وأكثر عن أصحاب الأصم ثم عن مشايخ الطبقة الثانية؛ كالشيخ النصروي والمزكي وغيرهم ، توفي عن مرض طويل بنيسابور في شهر جمادى الآخرة سنة 468هـــ

انظر كتاب : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، المؤلف : تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفيني الناشر : دار الفكر للطباعة ، بيروت ، 1414هـــ ، المحقق : خالد حيدر ، ج1 ص423.

(٢) فتح القدير للشوكاني ، (88/4).

(٣) ابن القيم : الشيخ العلامة الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن القيم الجوزي الدرعي الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة 691، وسمع على الشيخ تقي الدين سليمان القاضي وأبي بكر بن عبدالدائم وشيخ الاسلام ابن تيمية والشهاب النابلسي العابر وفاطمة بنت جوهر وعيسى المطعم وجماعة ، وله من التصنيفات زاد المعاد في هدي خير العباد أربع مجلدات كتاب عظيم جداً، واعلام الموقعين عن رب العالمين ثلاث مجلدات وبدائع الفوائد مجلدان، وجلاء الأفهام مجلد، وإغاثة اللهفان مجلد ومفتاح دار السعادة مجلد ضخم، وكتاب الروح، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراد، والصواعق المنـــزلة على الجهمية والمعطلة مجلدان، وتصانيف أخرى، توفي في ذي الحجة سنة 723 ، وقيل : 751. أبجد العلوم ، المؤلف : صديق حسن القنوجي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م، المحقق : عبدالجبار زكار ، ج 3/ ص 138 إلى 143.

(٤) الإمام أحمد : الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني المروزي، ثم البغدادي خرجت أمه من مرو وهي حامل به، فولدته في بغداد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة،



فحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد لما حكاه عن الرضى الرباني

قال الامام شفا القلوب بلفظه ذات اختصار وهي ذات بيان [(١)]

ولذا فإن الذين يكذبون بالقدر لا يثبتون ما لله تعالى من قدره ، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : « جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنـــزلت : ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 48، 49] . وهذه الآية : «يستدل بها أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها ..» [(٢)].

والقدر من قدرة الله تعالى ومن أسمائه الثابتة له سبحانه (القدير) ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف : 33] ، وقد قال ابن قيم الجوزية ، في الكافية الشافية :

وهو القدير فليس يعجزه إذا ما رام شيئاً قط ذو سلطان [(٣)]

وقيل: أنه ولد بمرو وحمل إلى بغداد وهو رضيع ، وكان إمام المحدثين من أصحاب الشافعي يحفظ ألف ألف حديث، ومن = خواصه و لم يزل مصاحبه على أن ارتحل الشافعي إلى مصر، وقال في حقه: خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل ، رحل في طلب الحديث ودخل مكة والمدينة والشام واليمن والكوفة والبصرة.. توفي ضحوة نهار الجمعة اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وقيل بل لثلاث عشرة ليلة بقين منه وقيل من ربيع الآخر ببغداد

الحطة في ذكر الصحاح الستة ، المؤلف : أبو الطيب السيد صديق حسن القنوجي، الناشر: دار الكتب التعليمية ، بيروت ، 1405هـــ - 1985م، ط1، ج1/ص256.

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى (254/1).

(٢) تفسير ابن كثير (482/7).

(٣) جامع المتون ، مختارات من الكافية الشافية لابن القيم ، جمع وترتيب راشد الزهراني ، ص 364.



والإيمان بالقدر مما تعبدنا الله تعالى به، فالإيمان لا يكون كإيمان من ضل في القدر كالمجوس وغيرهم، ممن حدى بهم قولهم إلى الضلالة والعياذ بالله ، بل هو توحيد الله — عز وجل– «لأن المؤمن بالقدر على الوجه الصحيح يتحقق توحيده ، ويزيد إيمانه ، وييسر على هدى من ربه »[١] . بخلاف الذي لا يؤمن بالقدر فإنه يجزع لأتفه الأسباب ، بل لربما أدى به الجزع إلى الجنون ، والوسوسة، وتعاطي المخدرات ونحوها[٢].

والإيمان بالقضاء والقدر هو أساس ثبات المؤمن وسعادته ، وسلاح يواجه به ما يعترضه في حياته من خير أو شر ، إذ قمة الإيمان بالقضاء والقدر ما وصف به الرسول ﷺ المؤمن الحق الذي تعجب الرسول ﷺ من حاله ، فقد روى أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ أوصني، قال : «لا تتهم الله في شيء قضاه عليك »[٣] ، ونظر ﷺ إلى السماء فضحك فسئل فقال : « عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن، إن قضى له بالسراء رضى وكان خيراً له ، وإن قضى له بالضراء رضى وكان خيراً له»[٤].

لذا فمنـــزلة الإيمان بالقضاء والقدر منـــزلة عظيمة إذ الإيمان بالقدر : هو التصديق بجميع ما يجب على الإنسان التصديق به من موت وحياة ونشور وحساب وجنة ونار إلى غير ذلك مما دل عليه النقل الصحيح، « فالإيمان بالقدر هو الإيمان بجميع ما تقدم ذكره،

(١) الإيمان بالقضاء والقدر محمد إبراهيم الحمد ، ص 22.

(٢) المرجع السابق ، ص 26، بتصرف يسير .

(٣) رواه أحمد في المسند، ج318/5 برقم (22210) وقال الأرناؤوط: "حديث محتمل التحسين".

(٤) حديث نظر إلى السماء فضحك فسئل فقال : «عجبت لقضاء الله للمؤمن الحديث أخرجه مسلم من حديث صهيب دون نظره إلى السماء ج2295/4 برقم (2999) ك الزهد والرقايق، بلفظ : «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له».



وحاصله ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : 96] ، وقوله : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[القمر : 49] ، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس : «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[١][٢].

(١) سنن الترمذي ، المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر : دار إحياء التراث ، بيروت، المحقق : أحمد محمد شاكر وإخوانه ، حديث رقم 2516، ج4 ص667، وقال الترمذي : حسن صحيح.

(٢) الكبائر ، للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي ، الناشر : المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 2007م، 1428هـ، ص132.



الثاني : نبذة موجزة عن النـــزاع في القضاء والقدر :

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ، ومن نهج منهجهم من السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان ، لا يستقون منهجهم إلا من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة ، كما أنهم لم يكونوا يخوضون في شيء من المسائل، ولا يكثرون السؤال فيها، وخاصة المسائل العقدية كسؤالهم عن أمور العبادة من صلاة وصيام ونحوه، فعلى الرغم من حرصهم على العبادة الصحيحة، إلا أنهم لا يخوضون كما ذكرنا في صفات الله تعالى مثلا ولا يسألون عن الكيفية فيها، بل تقبلوا جميع ما جاءهم به الرسول ﷺ عن ربه تعالى، وهذا شأن المؤمنين حقاً.

أما صاحب الهوى فقد يحتج ويسأل أسئلة لا يريد من ورائها الفائدة، وإنما للتشكيك في الدين والإعراض عنه، وللفتنة يبغي ، ومن هذه المسائل التي خاص فيها الناس منذ عهد المصطفى ﷺ مسألة القضاء والقدر ، إذ كان النـــزاع فيها سابقاً كما حكى الله سبحانه وتعالى عن المشركين في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾[الأنعام : 148] ، وقد وصفهم الله تعالى بمرض وزيغ القلوب فقال : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: 7] ، وقد كان هناك اعتراضات أخرى وتشكيك يثيرها المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان ، «ومهما يكن في أمر هذه المسائل التي تثار ، فأقوى مسألة كانت هي مسألة القدر ، وقد نهى النبي ﷺ عن الخوض فيه مع وجوب الإيمان به ..» [1]، وبعد وفاة الرسول ﷺ كثر المسلمون وانتشروا في الأرض واختلطوا بغيرهم ممن تأثر بالديانات الأخرى.

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، محمد أبو زهرة ، القاهرة: دار الفكر العربي ، 1996م، ص 98.



وبدأ الجدال في القدر بين مثبت ونافي، ومشكك فيه، حتى أنه روي في عهد علي رضي الله عنه[1] أنه « قام شيخ إلى علي رضي الله عنه فقال : أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره، فقال الإمام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا ولا هبطنا وادياً إلا بقضاء الله وقدره. فقال الشيخ : فعند الله أحتسب عناي ، ما أرى لي من الأجر شيئا. فقال الإمـــام – يقصد علياً – : مه أيها الشيخ ، لقد عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ، و لم تكونوا في شيء من أحوالكم مكرهين ولا مضطرين، فقال الشيخ : وكيف والقضاء والقدر ساقانا ؟ فقال الإمام ويحك! لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً ، ولو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعد والوعيد والأمر والنهي، و لم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن ، و لم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن ، تلك مقالة عباد الأوثان وجنود الشيطان ، وشهود الزور، أهل العمى عن الصواب ، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها ، إن الله أمر تخييراً ونهى تحذيراً، وكلف تيسيراً ، و لم يعص مغلوباً ، و لم يطع كارهاً ، و لم يرسل إلى خلقه عبثاً، و لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار، فقال الشيخ : فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما ؟ فقال الإمام : «هو الأمر من الله

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاسمي أبو الحسن، أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربى في حجر النبي ﷺ و لم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك فقال له بسبب تأخيره له بالمدينة: ألا ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى» وزوجته بنته فاطمه، .. وكان قتل علي في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجـــرة، ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر. الإصابة ج564/4.



تعالى – والحكم» ثم تلا قوله سبحانه : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ [الإسراء :23] فنهض الشيخ مسروراً» [١].

لذا فقد ضل في باب القدر فرق شتى ، ومنشأ ضلالهم إنما هو سوء فهمهم لنصوص القدر، ونظرهم إلى النصوص بعين عوراء ، فيأخذون ما وافق أهواءهم ويعمون أو يتعامون عن غيره [٢]، وهؤلاء هم شر الخلق الذين يحتجون بالقدر لصالح أهوائهم، كما قال ابن تيمية[٣] رحمه الله تعالى : « فشر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا يراه حجة لغيره ، يستند إليه في الذنوب والمعائب ، ولا يطمئن إليه في المصائب ، كما قال بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدري وعند المعصية جبري ، أي مذهب وافق هؤلاء تمذهبت به ، ... [٤]». وعلى هذا الكلام فقد انقسم الناس في القدر إلى أقسام هي :

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ، وقال عن هذه الرواية : « هذا ما نقله ابن أبي الحديد» والشريف الرضي «عن علي ﷺ ، ولئن صحت الرواية لتكونن دليلاً على شيوع القالة في القدر في عصر علي ﷺ شيوعاً حاول به الإمام أن يمنع الخوض فيه بطريقة إعادة الأمر فيها إلى النصوص الظاهرة » ص 100.

(٢) انظر : الإيمان بالقضاء والقدر محمد بن إبراهيم الحمد ص 165.

(٣) ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، الشيخ تقي الدين أبو العباس، الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه، قرأ القرآن وبرع فيه، والعربية والأصول، ومهر في علمي التفسير والحديث ، ولد في حران سنة 661هـ ، وتوفي سنة 728هـ ، انظر : الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية، المؤلف : مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، الناشر : دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404هـ ، تحقيق : نجم عبدالرحمن خلف ، (48/1).

(٤) اللؤلؤ الوقاد في فتاوى الاعتقاد لابن تيمية ، الناشر : المكتبة العصرية نصيدات ، بيروت ، ط 1 ، 2008م، 1428هـ ، جمع وتخريج محمد بن رياض الأحمد ، ص 489.



أولاً : القدرية : وهم أتباع معبد الجهني [١] ، وغيلان الدمشقي [٢] ممن يسمون بالقدرية الأولى» ممن نفوا صفة العلم لله تعالى ، وكانوا يقولون إن الله أمر العباد ونهاهم وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك، فعلمه بعدما فعلوه، ولهذا قالوا بأن الأمر أنف ، وهؤلاء تصدى لهم أصحاب رسول الله ﷺ ووقفوا في وجوههم فلم ينتشر قولهم ، ثم جاء أتباع واصل بن عطاء[٣] وأتباعه من المعتزلة[٤] ، ومن وافقهم ، وكانوا سبباً في انتشار قول من سبقهم فأثبتوا أن الله عليم بلا علم ونفوا القدر[٥].

---

(١) معبد الجهني قيل هو ولد عبدالله بن عكيم، وقيل: بن خالد، أرسل عن عمر وعثمان، وروى عن معاوية ويزيد بن عميرة وعنه قتادة وعوف وعدة، قال أبو حاتم : صدوق أول من تكلم في القدر بالبصرة وضعفه أبو زرعة عذبه الحجاج وقتله وقيل قتله عبدالملك سنة ثمانين بدمشق. انظر الكاشف ، المؤلف : حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي ، الناشر : دار القبلة للثقافة ، جدة ، 1413هـ ، 1992م، ط1 ، المحقق: محمد عوامة، ج2/ص279.

(٢) غيلان بن مسلم الدمشقي القبطي ، اختلف في اسم أبيه ، درس على الحسن بن محمد بن الحنفية في المدينة، قال الذهبي : (ضال مسكين) ناظره الأوزاعي ، وأفتى بقتله ، فقتل بعد (105هـ).

(٣) واصل بن عطاء البصري الغزالي المتكلم البليغ المتشدق ..، سمع من الحسن البصري وغيره، قال أبو الفتح الأزدي رجل سوء كافر قلت كان من أجلاء المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة .. وله من التصانيف: كتاب أصناف المرجئة، وكتاب التوبة، وكتاب معاني القرآن، وكان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها فلو شهد عندي علي وعائشة وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة انتهى. وقال المسعوي: هو قديم المعتزلة وشيخها وأول من أظهر القول بالمنـزلة بين المنـزلتين. انظر: لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : مؤسسة الأعلمي ، بيروت، 1406هـ - 1986م ، ط3 ، المحقق : دائرة المعارف النظامية ، الهند ، ج6/ص214.

(٤) المعتزلة هي الفرقة التي ظهرت في أوائل القرن الثاني على يد واصل بن عطاء، وسلكت منهجاً عقلياً صرفاً في بحث العقائد . انظر : كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء ، والبدع، لأبي الحسن الملطي ، تحقيق: جمال الميادين، الناشر: رمادي للنشر ، الدمام ، ط1 ، 1414هـ /1994م، ص 50.

(٥) انظر الإيمان بالقضاء والقدر لمحمد بن إبراهيم الحمد ، ص 165، القضاء والقدر للمحمود ، ص 162، وما بعدها فقد ذكر كلاماً مفصلاً في ذلك ، وانظر لوامع الأنوار للسفاريني ج1 ص 300.



من هذا يتبين أن القدرية فرقتان هما :

القدرية الأولى : غلاة القدرية ، وهم المسمون بالقدرية الأولى ، وقد انقرضوا والحمد لله، « وقد تبرأ منهم من سمع بهم من الصحابة ، كعبدالله بن عمر ، وأبي هريرة ، وابن عباس، وأنس بن مالك ، وعبدالله بن أبي أوفى [١] ، وعقبة بن عامر الجهني [٢] ، وواثلة بن الأسقع[٣]، وغيرهم»[٤].

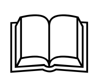
---

(١) عبدالله بن أبي أوفى : عبدالله بن أبي أوفى مات سنة ست وثمانين، وهو آخر من مات من أصحاب النبي ﷺ بالكوفة، وكان قد عمي واسم أبي أوفى علقمة، انظر: معرفة الثقات ، المؤلف : أبي الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي الكوفي ، نزيل طرابلس الغرب ، الناشر : مكتبة الدار ، المدينة المنورة ،1405هـ - 1985م، ط1: المحقق : عبدالعليم عبد العظيم البستوي ، ج2 ، ص 21.

(٢) عقبة بن عامر الجهني، صحابي مشهور، اختلف في كنيته على سبعة أقوال أشهرها أنه أبو حماد، ولي إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين ، وكان فقيهاً فاضلاً مات في قرب الستين ، انظر: تقريب التهذيب المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الرشيد ، سوريا ، 1406هـ - 1986م، ط1، المحقق: محمد عوامة ، ج1/ص 395.

(٣) واثلة بن الأسقع : واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر من بني ليث بن عبد مناة ويقال بن الأسقع بن عبدالله بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، بن سعد بن ليث ، .. كان ينسب إلى جده ويقال: الأسقع لقب واسمه عبدالله قال الواقدي: أسلم قبل تبوك وشهدها، وروى عن النبي ﷺ وعن أبي مرثد وأبي هريرة وأم سلمة..، وقال أبو مسهر وغيره: مات سنة خمس وثمانين ..، وهو آخر من مات بدمشق من الصحابة ، الإصابة ج6/ص591.

(٤) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس ، د. عبدالرحمن بن صالح المحمود ، الناشر : دار الوطن، الرياض، ط2 ، 1418هـ /1997م، ص 166.



وكفرهم الإمام مالك[١] والإمام الشافعي[٢] والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة رضي الله عنهم[٣].

القدرية الثانية : وهم دون القدرية الغلاة ، جاء في فتح الباري : « القدرية اليوم مطبقون على أن الله عالم بأفعال العباد قبل وقوعها وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال وهو مع كونه مذهباً باطلاً أخف من المذهب الأول ، قال : والمتأخرون منهم أنكروا تعلق الإرادة بأفعال العباد فراراً من تعلق القديم بالمحدث »[٤].

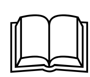
---

(١) الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري أبو عبدالله المدني، شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة ..، وقال ابن المديني: له نحو ألف حديث ، .. وقال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر ، مات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة وهو ابن تسعين سنة وحمل به ثلاث سنين، انظر: طبقات الحفاظ ، المؤلف : عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ، ط1 ، ج1، ص 96.

(٢) والإمام الشافعي : محمد بن إدريس الشافعي ﷺ ، يكنى أبا عبدالله ، .. قال الشافعي : ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين ، وقال لم يكن لي مال فكنت أطلب العلم في الحداثة أذهب إلى الديوان أستوهب الظهور أكتب فيها .. ، كان يختم كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة، .. ولد في سنة خمسين ومائة، ومات في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين عاش أربعاً وخمسين، انظر: صفة الصفوة المؤلف / عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، الناشر : دار المعرفة ، يروت ،1399-1979م، ط2 ، المحقق : محمود فاخوري ، د. محمد رواس قلعة جي . ج2 ، ص 25.

(٣) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية، تاليف العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي ، بتعليقات الشيخ عبدالرحمن أبا باطين ، والشيخ/ سليمان بن سحمان ، المكتب الإسلامي، دار الخاني ، الطبعة الثالثة ، 1411هـ - 1991م، ج1 ، ص 301.

(٤) فتح الباري ، شرح صحيح البخاري ، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، الشافعي، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، 1379هـ، تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي 119/1.



ومن أقوالهم في القدر : أن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة ، وليس لمشيئة الله – تعالى– وقدرته في ذلك أثر ، « وقالوا : إن الله ليس له قدرة عليه بل العاصي يعصي الله، ولو شاء الله أن يرده ما قدر على أن يرده إذا أراد العبد أن يفعل معصية، وأراد الله أن لا يفعلها غلبت قدرة العبد على قدرة الله ، وإذا أراد الله أن تُفعل طاعة من العبد ، والعبد أراد أن لا يفعلها غلبت قدرة العبد على قدرة الله ، فهذا في زعمهم »[١].

وهؤلاء القدرية فرطوا غاية التفريط، بحيث أنهم نفوا أن يكون الله تعالى خالقاً لأفعال عباده فأثبتوا خالقاً غيره مستقلاً بالخلق والأمر دونه تعالى الله عن ذلك[٢].

وبهذا فقد سموا مجوس الأمة لمشابهتهم المجوس في مذهبهم، وجعلوا مع الله تعالى من يخلق، لأن المجوس جعلوا الكون صادراً عن خالقين : النور والظلمة ، وأما المعتزلة فجعلوا العباد كلهم يخلقون ، الطائع يخلق طاعته ، والعاصي يخلق معصيته[٣].

وقد روي أنه جاء رجل إلى ابن عباس فقال : يا أبا عباس ، أخبرني من القدرية ، فإن الناس قد اختلفوا بالمشرق!!.

فقال ابن عباس : القدرية قوم يكونون في آخر الزمان ، دينهم الكلام ، يقولون: إن الله لم يقدر المعاصي على خلقه . وهم معذبهم على ما قدر عليهم ، فأولئك هم القدرية، مجوس الأمة، وأولئك ملعونون على لسان النبيين أجمعين فلا تقاولوهم فيفتنوكم ولا تجالسوهم، ولا تعودوا مرضاهم ، ولا تشهدوا جنائزهم ، أولئك أتباع الدجال، لخروج

---

(١) الإرشاد شرح لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، للإمام ابن قدامة المقدسي ، شرح فضيلة الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، ص 227.

(٢) لوامع الأنوار ، ص 302.

(٣) انظر : الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي شرحه الجبرين ص 227، وقد فصل القول في ذلك تفصيلاً واضحاً سهلاً فجزاه الله خيراً .



الدجال أشهى إليهم من الماء البارد. فقال الرجل : يا ابن عباس ، لا تجد علي فإني سائل مبتلى بهم . قال : قل . قال : كيف صار في هذه الأمة مجوس وهذه الأمة مرحومة؟

قال : أخبرك لعل الله ينفعك. قال: افعل . قال : إن المجوس زعمت أن الله لم يخلق شيئاً من الهوام والقذر، و لم يخلق شيئاً يضر وإنما يخلق المنافع وكل شيء حسن ، وإنما القدر هو الشر، والشر كله خلق إبليس وفعله.

وقالت القدرية : إن الله أراد من العباد أمراً لم يكن وأخرجوه عن ملكه ، وقدرته وأراد إبليس من العباد أمراً وكان إبليس عند القدرية أقوى وأعز. فهؤلاء القدرية وكذبوا أعداء الله . إن الله يبتلي ويعذب على ما ابتلى وهو غير ظالم لا يسأل عما يفعل ويمن ويثيب على منه إياهم ، وهو فعال لما يريد ، ولكنهم أعداء الله ، ظنوا ظناً فحققوا ظنهم عند أنفسهم وقالوا : نحن العاملون والمثابون والمعذبون بأعمالنا ليس لأحد علينا منة، وذهب عليهم أن المن من الله وأصابهم الخذل . فقال الرجل : الحمد لله الذي من بك علي يا أبا العباس ، وفقك الله ، نصرك الله ، أعزك الله . أما والله لقد كنت من أشدهم قولاً ، أدين الله به، وقد استبان لي قول الضياء فأنا أشهد الله وأشهدكم أني تائب إلى الله وراجع مما كنت أقوله، وقد ايقنت أن الخير من الله ، وان المعاصي من الله ، يبتلى بها من يشاء من عباده، ولا مقدر إلا الله ، ولا هادي ولا مضل غيره »[1].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم – للإمام العلامة الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، الناشر : دار الحديث ، القاهرة، 1425هـ/2004م، ج4 ، من الجزء الأول ، ص 450، بتصرف يسير .



ثانياً : الجبرية :

الجَبْرِ الذي هو ضد الكسر.. ، وعامّة العرب يقولون أجْبَرَهُ والجَبْرُ تثبيت وقوع القضاء والقدر .. ، والجَبْرِيَّةُ الذين يقولون أجْبَرَ اللهُ العبادَ على الذنوب أي أكرههم ومعاذ الله أن يُكره أحداً على معصيته ولكنه علم ما العبادُ .. والجَبْرُ خلافُ القَدَرِ والجبرية بالتحريك خلاف القَدَرِيَّة[١].

والجَبْرُ ضد القدر .. والجبرية بفتح الباء ضد القدرية ويقال أيضاً فيه جَبْرِيَّةٌ[٢]، والمجبر في اللغة هو الذي يقع منه الفعل بخلاف اختياره وقصده [٣]. وروي في كتاب السنة أنه سئل بعض السلف[٤] عن الجبر ، فقال أحدهما: أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ولكن يقضي ويقدر ويخلق ويجبل عبده على ما أحبه ، وقال الثاني: ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ولا السنة فأهاب أن أقول ذلك ولكن القضاء والقـــدر والخلـــق والجبـــل. فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله[٥].

---

(١) لسان العرب ، المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر ، بيروت ، ط 1، 113/4.

(٢) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت، طبعة جديدة، 1415هـــ - 1995م، تحقيق : محمود خاطر 119/1.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تأليف الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري، وضع حواشيه ، أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية 1420هـــ - 1999م، ج2 ص 56.

(٤) وهما الزبيدي والأوزاعي .

(٥) السنة ، المؤلف / أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر ، الناشر : دار الراية ، الرياض، 1410هـــ، ط1 ، المحقق د. عطية الزهراني (555/3) .



وقد قيل في شرح قصيدة ابن القيم : « اعلم أن أئمة السلف رحمة الله عليهم أنكروا الجبر ثم ساق رواية الخلال مما يدل على أنه لا أصل للجبر في الكتاب والسنة[١].

أما الجبر في الاصطلاح فمعناه : أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله ، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز ، وقد عرفه الدكتور المحمود بقوله : « نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الرب ، أي : أن الله يجبر العباد على أعمالهم ، والعباد مجبورون على أفعالهم ، ليس لهم أي دور فيها ، إذ هم كورقة الشجر تحركها الرياح ، وإنما تضاف الأعمال إلى العباد على جهة المجاز فقط »[٢].

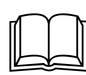
وقد تبنى مذهب الجبرية الجهم بن صفوان[٣] ودعا إليه، وقد سبقه غيره بالقول بالجبر وذلك كما ذكر تعالى على ألسنة المشركين في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام:148]. وهم بهذا يقولون بأن العبد مسلوب الإرادة والقدرة على الفعل . و «هم طائفة غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته وإرادته ، وقالوا : ليس للعبد أية اختيار ، بل العبد مجبور على فعله مقسور عليه ، ليس لديه أي نظر ولا همة ولا إرادة وهم يقولون : إن الله هو الذي

---

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، المؤلف : أحمد بن إبراهيم بن عيسى الناشر : المكتب الإسلامي، بيروت ، ط3، 1406هـ ، تحقيق : زهير الشاويش (135/2) ، وانظر : القضاء والقدر للمحمود ص 200.

(٢) القضاء والقدر في ضوء القرآن والسنة . د. المحمود ص 200، وانظر الإيمان بالقضاء والقدر لمحمد بن إبراهيم الحمد ص166 في تعريف الجبرية ، والملل والنحل للشهرستاني ج 1ص 95.

(٣) هو : الجهم بن صفوان خراساني من موالي بني راسب ، وهو ضال مبتدع ، كان ينكر الصفات ، ويقول بخلق القرآن ، وأن الله في الأمكنة كلها ، وأن الإيمان مجرد المعرفة القلبية . انظر : ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبدالله محمد الذهبي ، ت : علي البجاوي ، 1 ج/ص 426، دار المعرفة ، لبنان.



أوقع العبد في المعصية وخلقها فيه ، وقدرها عليه ، وألزمه بها ، ومع ذلك يقول له : لا تعص، لا تقرب المعصية ، لا تفعلها ، فهو كمن كُتفت يداه، وألقي في البحر ، وقيل له: لا تبل ثيابك بالماء ، هذا غير ممكن ، وذكروا أن يهودياً لعله قدري، أو من هؤلاء الجبرية جاء إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، ورفع إليه أبياتاً يقول في أولها :

أيا علماء الدين ذمي دينكم	تحير دلّوه بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم	و لم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني وسدّ الباب دوني فهل إلى	دخولي سببيل بيّنوا لي قضيتي

فيقول : هو بمنـــزلة من دعاني وسد الباب دوني ولا مني على ذلك. فأجاب شيخ الإسلام نظماً وارتجالاً وجعل يكتب وهو جالس ، ويعتقدون أنه يكتب نثراً وإذا هو يكتب نظماً في المنظومة التائية الموجودة في المجلد الثامن من مجموع الفتاوى والتي أولها :

سؤالك يا هذا سؤال معاندٍ	مخاصم رب العرش باري البرية
ويدعى خصوم الله يوم معادهم	إلى النار طُرا معشر القدرية
سواءٌ نفوه أو سعوا ليخاصموا	به الله أو ماروا به في الخليقة [(١)]

وقد زادت المنظومة على مائة وثلاثين بيتاً ، أو نحوها ، وبين له : إنك مخصوم، وإنك تقر على نفسك بأنك مخصوم ، وإن الذين يحتجون بالقدر متناقضون ، فهم يقولون هذه المقالات حتى يحتجوا على فعل المعاصي بوجودها [(٢)] ، قال أبو بكر الجزائري : «ومما

(١) مجموع الفتاوى ج8 ص 245.

(٢) الإرشاد شرح لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، شرح فضيلة الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن الجيرين ، أعده وخرج أحاديثه محمد بن حمد المنيع. دار الأفهام للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة1424هـــ – 2003م، ص 227، بتصرف يسير، وسيتم الرد عليهم في المبحث الرابع من الفصل الثاني بإذن الله تعالى .



تجدر الإشارة إليه أن مذهب القدر كمذهب الجبر كليهما من صنع اليهود، لإفساد عقيدة المسلمين..» [1].

الفرقة الثالثة : أهل السنة والجماعة ، وسأبين اعتقادهم في المبحث التالي بإذن الله تعالى. وهذه في الحقيقة هم أبرز الفرق التي ضلت في القدر – أعني الأولى والثانية – وما عداهم فهم متشعبون عنهم.

(١) عقيدة المؤمن لأبي بكر جابر الجزائري ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، الطبعة الثالثة 1425هـ - 2005م، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ص 228.



الثالث : العقيدة الصحيحة في القضاء والقدر وأدلتها :

إذا تحدثنا عن العقيدة الصحيحة (عقيدة أهل السنة والجماعة) في القضاء والقدر لأن أهل السنة والجماعة هم «الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الذين أخبر ﷺ عنهم بأنهم يسيرون على طريقته وأصحابه الكرام دون انحراف ؛ فهم أهل الإسلام المتبعون للكتاب والسنة ، المجانبون لطرق أهل الضلال . كما قال ﷺ : « إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحد ة» فقيل له : ما الواحدة ؟ قال : «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[1].

وقد سموا أهل السنة : « لاستسماكم وإتباعهم لسنة النبي ﷺ . وسموا بالجماعة؛ لقوله ﷺ في إحدى روايات الحديث السابق هم : «الجماعة» . ولأنهم جماعة الإسلام الذين اجتمعوا على الحق و لم يتفرقوا في الدين ، وتابعوا منهج أئمة الحق و لم يخرجوا عليه في أي أمر من أمور العقيدة . وهم أهل الأثر أو أهل الحديث أو الطائفة المنصورة أو الفرقة الناجية»[2].

فأهل السنة والجماعة هم الذين توسطوا في القول في القدر فلم يفرطوا تفريط القدرية النفاة، ولا الجبرية المحتجين بالقدر على معاصي الله ، فأثبتوا قدرة الله تعالى ومشيئته وأثبتوا للعبد قدرته ومشيئته التي لا تخرج عن قدرة الله ومشيئته ، وأن جميع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد وما يحب الإنسان وما يكره، واقعة بقضاء الله وقدره، ولا خالق إلا الله تعالى ، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى خيرها وشرها ، والعبد غير مجبور على أفعاله بل

---

(١) المستدرك على الصحيحين ج 1/ص217، وقال : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه وله شواهد ، وفي المعجم الأوسط ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، الناشر : دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبدالمحسن الحسيني ج8/ص22، 7840.

(٢) الموسوعة الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، المؤلف : الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة : د. مانع بن حماد الجهني ، الناشر : دار الندوة العالمية ، (1/14).



هو قادر على الفعل وعلى الترك ، وهو فاعل لفعله حقيقة وليس مجازاً كما يدعون ، ولا ينكرون تأثير الأسباب بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل من أن الله خلق الأسباب ومسبباتها ، فإيمانهم بالقدر هو أن الله تعالى قدر الأقدار وكتبها في اللوح المحفوظ وما من شيء خلق إلا بقدر قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر : 49] ، ويؤمنون أن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن أقدار الله تعالى تجري على كل مخلوق خلقه الله ، ولا يؤمن العبد على الحقيقة إلا إذا آمن بالقضاء والقدر ، وأن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما ذلك إلا استناداً لما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فقد سأل جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان فقال : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»(١). وروى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك، قضى القضاء وجفت الأقلام وطويت الصحف»(٢)(٣).

ولذلك فالإيمان بالقضاء والقدر يكون بالإيمان بأن الله تعالى علم ما كان وما يكون قبل أن يكون وكتب ذلك في اللوح المحفوظ ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ،

---

(١) سبق تخريجه ص 21.

(٢) سبق تخريجه ص 27.

(٣) انظر كنـــز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، المحقق: بكري حياني ، صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ن الطبعة الخامسة ،1401هــ/1981م، بتصرف يسير (133/1)، وانظر الوسطية في القرآن الكريم ، د. علي محمد الصلابي ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، ط1، 1427هــ - 2006م، ص 274.



فلا يكون إلا ما شاء الله ، والله تعالى على كل شيء قدير وهو خالق كل شيء ، فعال لما يريد، وهذا ثابت في القرآن والسنة وقد قرر أهل السنة أن الإيمان بالقدر، يتضمن الإيمان بأربعة مراتب هي:

الأولى : الإيمان بعلم الله المطلق للأشياء قبل وجودها .

قال تعالى : ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[البقرة: 77] .

وقال تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : 59] .

الثانية : الإيمان بأن الله تعالى قد كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[الحج : 70] . وقال تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[التوبة : 51] .

وقال تعالى : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[المجادلة:21]. مما يدل على أن الله تعالى كتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وقد قال الرسول ﷺ : «إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، قال : يا رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة..الحديث»(1).

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه برقم 20664 ج 10ص204. (سنن البيهقي الكبرى ، المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، الناشر : مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ، 1414هـ – 1994م، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا). وصححه الألباني في تعليقه على سنن أبي داود ج 225/4، وفي جامع الحديث للسيوطي قال : «أخرجه أبو داود 225/4 ، رقم = 4700)، والبيهقي (204/10، رقم 20664) ،



« وجماع ذلك أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل ما يصيب الخلق في أرزاقهم ومعاشهم من الفقر والغنى، وفي أنفسهم من الأمراض والأسقام والمصائب، وأن عليهم أن يؤمنوا بأن ذلك من عند الله . وفي هذا قال رسول الله ﷺ : (لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه) [(١)][(٢)].

الثالثة : الإيمان بمشيئة الله تعالى التامة النافذة :

وأنه لا يحدث في الكون شيء إلا بمقتضى مشيئته تعالى – لا يخرج عنها شيء فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن . قال تعالى : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[الأعراف : 188] . وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[يونس : 25] ، وفي اختلاف الناس قال تعالى : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾[هود : 118] ، وفي الرزق قال : ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾[الرعد : 26] ، وأما ما للعبد من مشيئة وقدرة على الفعل فسأبين ذلك إن شاء الله تعالى عند تفصيل الكلام عن هذه العقيدة في المبحث الأول من الفصل الأول إن شاء الله تعالى.

والضياء (274/8، رقم 336) وأخرجه أيضاً : الطبراني في الشاميين (58/1، رقم 59) . (440/8). وانظر ص21.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم (110/1) ، رقم (247)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة 566/5، مكتبة المعارف، الرياض. وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للبرهان فوري (132/1)، برقم 626.

(٢) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، السنة الثانية عشرة ، العدد الثامن والأربعون 1421هـ، بعنوان: عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ، ص (218).



الرابعة : الإيمان بأن الله تعالى هو الخالق وحده لا شريك له في ذلك:

وفي ذلك فالعقيدة الصحيحة في الخلق هو ما سبق من أن الله تعالى هو الخالق وما سواه فمخلوق ، وأن الخلق صفة ثابتة لله تعالى وحده دون سواه ، فقد قال تعالى في ذلك : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة : 29].

وقال عز من قائل : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام : 1] . وقال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[الأنعام : 2] . وهذا الخلق بمقتضى حكمته وقدرته سبحانه فقد قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾[الأنعام: 73] ، فلم يخلق شيئاً عبثاً، و لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً سبحانه، خلق الخلق بحركاتهم وسكناتهم وجميع ما صدر منهم، وخلق الأسباب ومسبباتها، كما خلق للعباد القدرة على الفعل والقدرة على الترك سبحانه ، لذا " فإنه أذا آمن العبد بذلك كله – أي المراتب الأربع – صدق عليه أنه آمن بالقدر»[1].

وخلاصة القول أن الإيمان بالقدر هو الإيمان بأن : «من صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد ، لا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، ول يس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا عن تدبيره . ولا محيد لأحد عن القدر المقدور ، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور ، أراد ما العالم فاعلوه ، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن

(١)الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لابن قدامة المقدسي ، شرح فضيلة الشيخ/ عبدالله الجبـــرين ، ص222.



يطيعوه جميعاً لأطاعوه ، خلق الخلق وأفعالهم ، وقدر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء بحكمته»[١].

وفي كتاب الكبائر قال المؤلف : «أجمع سبعون رجلاً من التابعين، وأئمة المسلمين والسلف، وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها : الرضا بقضاء الله وقدره ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، .. إلى أن قال: «والإيمان بالقدر خيره وشره...» [٢].

---

(١) المرجع السابق ، ص 210.

(٢) الكبائر للذهبي ، ص 132.



الفصل الأول

بيان القرآن الكريم للقضاء والقدر

المبحث الأول : دلالة القرآن الكريم على مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

الفصل الأول

بيان القرآن الكريم للقضاء والقدر

مدخل

لقد اعتنى القرآن الكريم بتثبيت العقائد التي أمر الله تعالى باعتقادها من الناس، وانتهج في تثبيت العقائد منهجاً ربانياً لا يعادله منهجٌ آخر. وقد تميز هذا المنهج بميزات ظهرت في طرائق القرآن الكريم وتميزت عن غيرها من الطرق والأساليب الأخرى الموجودة في كلام البشر، بميزات عديدة. من أبرزها:

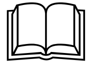
أولاً : أنها طريقة تورث اليقين ، وتقطع الشكوك والشبه. قال ابن القيم رحمه الله: «إن من تأمل القرآن وتدبره ، إطلع فيه من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة ، ... على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه»[١].

ثانياً: أن طريقة القرآن الكريم تتميز بالبساطة والوضوح ، والبعد عن التعمق والغموض وتعقيد الألفاظ . وقد وصف العلماء أدلة القرآن وطرائقه بأنها : «بينة، سهلة الألفاظ ، موجزة المقاصد»[٢].

---

(١) بدائع الفوائد ، المؤلف : ابن القيم ، مكتبة القاهرة ، ط2، 1392-1972م، ج3، ص176.

(٢) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، تأليف : القاضي أبو الفضل عياض ، تحقيق : محمد أمين وآخرون ، مكتبة الفارباي ومؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، ج1 ، ص 536.



ثالثاً : أن أدلة القرآن الكريم وطريقته تدلان على المعنى المراد بأبلغ عبارة وأوجزها، وليس فيها إطناب ممل ولا إيجاز مخل[1].

وهذه الميزات هي التي تحمل الباحث على الالتصاق بكتاب الله تعالى؛ للإفادة من أسلوبه وطريقته في تقرير العقائد والأحكام.

وأرجو أن تظهر هذه الميزات فيما أعرضه من المباحث الآتية .

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم ، الناشر : دار العاصمة ، الرياض، 1408هـ/ ط3، 1418هـ -1988م، تحقيق : د. علي بن محمد الدخيل الله ج2، ص 466، إلى ص 467.



المبحث الأول   دلالة القرآن الكريم على مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

لقد دلت نصوص القرآن الكريم على مراتب القدر التي لا يكتمل الإيمان بالقدر إلا باستكمالها في مئات الآيات، التي تنوعت دلالاتها على كل مرتبة من مراتب القدر الأربعة وهي:

الأول : الإيمان بعلم الله الشامل المحيط .

الثانية : الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

الثالثة : الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الرابعة : خلقه تبارك وتعالى لكل موجود ، لا شريك لله في خلقه[١].

وسوف أعرض لبعض هذه النصوص خشية الإطالة والتكرار، مكتفية بما يتحقق معه الغرض إن شاء الله .

أولاً : دلالة النصوص القرآنية على مرتبة العلم :

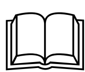
العلم : هو علم الله تعالى بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك[٢] .

فعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون . وهو عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومن منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار قبل أن يخلقهم ، وقبل أن يخلق السموات والأرض، وكل ذلك مقتضى اتصافه تبارك وتعالى بالعلم.

---

(١) انظر الإيمان بالقضاء والقدر ، المؤلف : محمد بن إبراهيم الحمد، تقديم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الناشر : دار ابن خزيمة ، ط1419هـ، 1998م، ص59 وما بعدها .

(٢) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة – نخبة من العلماء – ط1، 1421هـ، 353/1.



ومقتضى كونه – تبارك وتعالى – هو العليم الخبير السميع البصير[١] ، وقد دل على ذلك آيات كثيرة، وقفت على ما يقارب المائة والثمانين آية في مجملها الدلالة الأكيدة، وشهادة القرآن العظيم الحقة على أن علم الله محيط بكل شيء ، كما قال تعالى : ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَۢا﴾[الطلاق: 12] ، يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وذلك أن الله سبحانه وتعالى يعلم الأمور على ما هي عليه ، وهو قد جعل للأشياء أسباباً تكون بها ، فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب »[٢]، وجميع الآيات دالة على علمه تعالى بطريقة أو بأخرى، ولكني اكتفيت ببعض الآيات خشية الإطالة والتكرار، وهي كالتالي :

1- قوله تعالى : ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ **[البقرة:32]**.

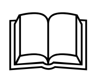
قال الرازي[٣] في تفسيره لهذه الآية في كتابه مفاتيح الغيب : « ... المسألة الثانية:

---

(١) انظر القضاء والقدر ، أ.د. عمر سليمان الأشقر ، الناشر : دار النفائس ، الأردن، ط 1425هـ - 2005م، ص 26-27. والتكليف في ضوء القضاء والقدر، تأليف د. أحمد بن علي عبدالعال ، دار هجر للنشر والتوزيع، ط 1، 1418هـ، 1997م، ص 70.

(٢) القضاء والقدر ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1426هـ - 2005م، تحقيق: د. أحمد عبدالرحيم السايح ، د. السيد الجميلي ص 82-83.

(٣) الرازي : محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، العلامة فخر الدين أبو عبدالله القرشي البكري التيمي الطبرستاني الأصل. المفسر المتكلم صاحب التصانيف ، ولد في سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، اشتغل على والده الإمام ضياء الدين عمر، كان من تلامذة محي السنة أبي محمد البغوي، صنف التفسير الكبير في اثني عشر مجلداً سماه فتوح الغيب أو مفاتيح الغيب وغيرها .. وقد كانت وفاته في يوم الفطر بهراة في سنة ست وستمائة. طبقات المفسرين : المؤلف : أحمد بن محمد الأدنروي الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط 1، 1997م، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي (214/1).



احتج أهل الإسلام بهذه الآية على أنه لا سبيل إلى معرفة المغيبات إلا بتعليم الله تعالى، وأنه لا يمكن التوصل إليها بعلم النجوم والكهانة والعرافة، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام : 59] وقوله : ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن : 26، 27] .

وللمنجم أن يقول للمعتزلي: إذا فسرت التعليم بوضع الدلائل فعندي حركات النجوم دلائل خلقها الله تعالى على أحوال هذا العالم، فإذا استدللت بها على هذه كان ذلك أيضاً بتعليم الله تعالى ، ويمكن أن يقال أيضاً: إن الملائكة لما عجزوا عن معرفة الغيب فلأن يعجز عنه أحدنا كان أولى.

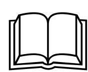
المسألة الثالثة : العليم من صفات المبالغة التامة في العلم ، والمبالغة التامة لا تتحقق إلا عند الإحاطة بكل المعلومات ، وما ذاك إلا هو سبحانه وتعالى ، فلا جرم ليس العليم المطلق إلا هو، فلذلك قال : ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ على سبيل الحصر(١) .

وفي تفسير ابن كثير (٢) قال : « [وقوله] : ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾هذا تقديس وتنـــزيه من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء ، وأن يعلموا شيئاً إلا ما علمهم الله تعالى ، ولهذا قالوا : ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي : العليم بكل شيء ، الحكيم في خلقك وأمرك

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب ، للرازي (490/1).

(٢) ابن كثير : هو الإمام عماد الدين ، أبو الفداء : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير ، القرشي، الدمشقي، الشافعي، ولد عام 700هـــ ، حفظ القرآن ، وقرأ بالقراءات ، وسمع الحديث من كثير من الأئمة ، توفي سنة 774هــ. انظر: معجم المؤلفين – عمر كحالة – ج2 ص283، دار إحياء التراث العربي، بيروت.



وفي تعليمك من تشاء ومنعك من تشاء ، لك الحكمة في ذلك ، والعدل التام »[١]. وقريب من هذا التفسير فسر الآية غيره من المفسرين[٢].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ : هذه الجملة مؤكدة بــ «إن»، وضمير الفصل ﴿أنت﴾ لاثبات العلم الشامل لكل شيء لله وحده لا شريك له.

2- قوله تعالى : **﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾** [البقرة : 197] .

قال ابن كثير في تفسيره **﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾** لما نهاهم عن إتيان القبيح قولاً وفعْلاً حثهم على فعل الجميل ، وأخبرهم أنه عالم به ، وسيجزيهم عليه أوفرَ الجزاء يوم القيامة»[٣].

3- قوله تعالى : **﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾** [البقرة : 220].

قال ابن كثير : « أي يعلم من قصده ونيته الإفساد أو الإصلاح»[٤].

4- قوله تعالى : **﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾** [البقرة : 33] .

قال ابن كثير : « يقول: أعلم السر كما أعلم العلانية ، يعني ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار»[٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج1ص350.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ، ج 1 ص 528، 529، معالم التنــزيل للبغوي ج 1ص34، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ، ص 49.

(٣) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج 2/ص246.

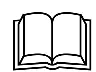
(٤) المرجع السابق ، ج2ص295.

(٥) المرجع السابق ، ج1ص351.



5- قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة : 255].
دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وقد أخبر تبارك وتعالى عباده أن الله يعلم السرائر والضمائر والظواهر ، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية، فعلمه محيط بهم في سائر الأحوال والأزمان والأيام واللحظات وجميع الأوقات ، وبجميع ما في السموات والأرض، لا يغيب عنه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال، وذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : 29] [1] .
ومما سبق يتبين لنا أنه لو علم الإنسان بهذه المعاني وأيقن بها تمام اليقين بتمام علم الله تعالى لما يحدث في السموات والأرض، وما يبدي الإنسان وما يكتم، فإنه يدرك أن الله تعالى لم يقدر شيئاً من غير علم، و لم يوجد شيئاً إلا بحكمة، فكما أنه العليم سبحانه بما سيفعل الإنسان من خير وشر، فهو الحكيم سبحانه الذي قدر عليه ذلك ويسر له أسباب هذا العمل، كما تبين لنا من تأكيد هذه الصفة في قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة : 32] ، لو علم هذا فإنه يختار طريق الحق، ويسلم أمره لله، ويعلم أن كل ما حصل وسيحصل فهو بقضاء الله وقدرته سبحانه.
وقد سئل بشر المريسي [2] عن علمه تعالى : فقال : «أقول لا يجهل، فجعل السائل يكرر السؤال عن صفة العلم تقريراً له ، وبشر يقول : لا يجهل ، ولا يعترف له أنه عالم

(١) انظر: المرجع السابق ، ج3ص45.
(٢) بشر الممريسي : بشر بن غياث بن أبي كريمة ، أبو عبدالرحمن المريسي العدوي ، كان من أعيان اصحاب الرأي. أخذ عن أبي يوسف ، وبرع في الفقه ، ونظر في الكلام والفلسفة . وجرد القول بخلق القرآن وناظر عليه، ودعا إليه . وكان رأس الجهمية ، .. وقد رماه بالكفر غير واحد من الأئمة ، .. مات في ذي الحجة سنة ثمان عشرة ومائتين . =



بعلم ، فقال السائل [1]: نفي الجهل لا يكون صفة مدح ، فإن قولي : هذه الأسطوانة لا تجهل ليس هو إثبات العلم لها ، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة بالعلم ، لا بنفي الجهل ، فمن أثبت العلم ، فقد نفى الجهل ، ومن نفى الجهل ، لم يثبت العلم ، وعلى الخلق أن يثبتوا ما أبثته الله تعالى لنفسه ، وينفوا ما نفاه ، ويمسكوا عما أمسك عنه.

والدليل العقلي على علمه تعالى : « أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل، ولأن إيجاده الأشياء بإرادته ، والإرادة تستلزم تصور المراد ، وتصور المراد : هو العلم بالمراد ، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة ، والإرادة مستلزمة للعلم ، ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها ، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم، ولأن من المخلوقات من هو عالم، والعلم صفة كمال ، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً، وهذا له طريقان :

أحدهما : أن يقال نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق ، وأن الواجب أكمل من الممكن ، ونعلم ضرورة أنا لو فرضنا شيئين ، أحدهما : عالم والآخر غير عالم ، كان العالم أكمل منه ، فلو لم يكن الخالق عالماً ، لزم أن يكون الممكن أعلم منه، وهو ممتنع.

الثاني : أن يقال كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه ، بل هو أحق به ، والله تعالى له المثل الأعلى ، لا يستوي هو والمخلوقات ، لا في قياس تمثيل ، ولا في قياس شمول ، بل كل ما ثبت للمخلوق من

بتصرف من: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
الناشر: دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت 1407هـــ -1987م، ط1، تحقيق : د. عمر عبدالسلام تدمري . (86/15).

(١) هو الإمام عبدالعزيز المكي صاحب الإمام الشافعي رحمه الله وجليسه . انظر : شرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الدمشقي ، ج1 ص 213.



كمال، فالخالق به أحق ، وكل نقص تنــزه عنه مخلوق ما ، فتنــزيه الخالق عنه أولى »[1].

فعلمه سبحانه محيط بكل شيء لا يغفل عنه شيء، ولا ينسى شيئاً .

وأساس القدر هو علم الله تعالى وقدرته، إذ أن جانباً من القدر يرجع إلى صفة علمه تعالى السابق، والجانب الآخر يرجع إلى صفة قدرته التامة على الإيجاد ، كما ورد عن بعض السلف أنه قال : (القدر قدرة الله عز وجل، فمن كذب بالقدر فقد جحد قدرة الله عز وجل»[2].

6- قوله تعالى : **﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: 59] .**

قال ابن كثير : « فقوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ أي : يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات ، بريها وبحريها ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ...،

وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي : ويعلم الحركات حتى من الجمادات ، فما ظنك بالحيوانات ، ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر : 19] [3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، لأبي العز الدمشقي ، ج1 ص 213، ص 214.

(٢) انظر التكليف في ضوء القضاء والقدر ، تأليف د. أحمد بن علي عبدالعال ، ص 75.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج5 ص 52-53.



وقال الطبري [(١)] : « القول في تأويل قوله : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ .

قال : يقول : « وعند الله مفاتح الغيب . و«المفاتح» : جمع «مِفْتَح»، يقال فيه : «مِفْتح» و«مِفْتَاح» . فمن قال : «مِفْتَح» ، جمعه «مفاتح» ، ومن قال : «مفتاح » ، جمعه «مفاتيح». ويعني بقوله : «وعنده مفاتح الغيب »، خزائن الغيب .. إلى أن قال : فتأويل الكلام إذاً : والله أعلم بالظالمين من خلقه ، وما هم مستحقُوه وما هو بهم صانع، فإنَّ عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه و لم يدركوه ، ولن يعلموه ولن يدركوه (ويعلم ما في البر والبحر) ، يقول : وعنده علم ما لم يغب أيضاً عنكم، لأن ما في البر والبحر مما هو ظاهر للعين ، يعلمه العباد . فكأن معنى الكلام : وعند الله ما غابَ عنكم، أيها الناس ، مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ، ويعلم أيضاً مع ذلك جميع ما يعلمه جمُيعكم ، لا يخفى عليه شيء ، لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم. فأخبر الله تعالى ذكره أن عنده علم كل شيء كان يكون ، وما هو كائن مما لم يكن بعد ، وذلك هو الغيب»[(٢)].

وفي تفسير الرازي قال : «وقوله : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ قضية عقلية محضة مجردة فالإنسان الذي يقوي عقله على الاحاطة بمعنى هذه القضية نادر جداً. والقرآن إنما أنزل لينتفع به جميع الخلق . فههنا طريق آخر وهو أن من ذكر القضية العقلية المحضة المجردة ، فإذا أراد إيصالها إلى عقل كل أحد ذكر لها مثالاً من الأمور المحسوسة

---

(١) الطبري : هو العالم المجتهد.. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري ثم الآملي، ولد سنة 224، وقيل 225، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ،وصلى بالناس وهو ابن ثمان ، وكتب الحديث وهو ابن تسع، صاحب تفسير جامع البيان الذي قال عنه ابن تيمية : أنه أصح كتب التفسير ، وقد أثنى عليه العلماء، توفي 310. انظر: الأعلام، خير الدين الزوكلي، ج6 ص69، دار العلم للملايين، بيروت، ط5 1980م.

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، للطبري (402/11).



الداخلة تحت القضية العقلية الكلية ليصير ذلك المعقول بمعاونة هذا المثال المحسوس مفهوماً لكل أحد ، والأمر في هذه الآية ورد على هذا القانون ، لأنه قال أولاً : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ ثم أكد هذا المعقول الكلي المجرد بجزئي محسوس فقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾وذلك لأن أحد أقسام معلومات الله هو جميع دواب البر ، والبحر ، والحس، والخيال قد وقف على عظمة أحوال البر والبحر ، فذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظمة ذلك المعقول ...» [1].

والمعنى : « أن عنده سبحانه خاصة مخازن الغيب أو المفاتح التي يتوصل بها إلى المخازن ، وقوله : ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر الله بعلمها، ويندرج تحت هذه الآية علم ما يستعجله الكفار من العذاب كما يرشد إليه السياق اندراجاً أولياً . وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم، ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخذولة ... ، قوله : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ خصهما بالذكر لأنهما من أعظم مخلوقات الله : أي يعلم ما فيهما من حيوان وجماد علماً مفصلاً لا يخفى عليه منه شيء، أو خصهما لكونهما أكثـــــر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيهما ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ أي من ورق الشجر، وهو تخصيص بعد التعميم: أي يعلمها ويعلم زمان سقوطها ومكانه، وقيل : المراد بالورقة ما يكتب فيه الآجال والأرزاق .. ﴿وَلَا حَبَّةٍ﴾ كائنة ﴿ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ ﴾ أي في الأمكنة المظلمة وقيل في بطن الأرض : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ بالخفض عطفاً على حبة : وهي معطوفة على روقة..

---

(١) تفسير الرازي (309/6).



وقد شمل وصف الرطوبة واليبوسة جميع الموجودات قوله : ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ هو اللوح المحفوظ، فتكون هذه الجملة بدل اشتمال من ﴿إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ وقيل : هو عبارة عن علمه فتكون هذه بالجملة بدل كل من تلك الجملة . إلى أن قال روي : « .. عن ابن عباس في قوله : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ قال : هن خمس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى قوله : ﴿عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ .. ، وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله؛ لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله)[١].

وروي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ قال: «ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وبها ملك يكتب ما يسقط من ورقها ، .. وروي عن محمد بن جحادة[٢] في قوله : ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ قال : لله تبارك وتعالى شجرة تحت العرش ليس مخلوق إلا له فيها ورقة فإذا سقطت ورقته خرجت روحه من جـــــسده فذلك

(١) صحيح البخاري، ك التفسير، رقم الحديث : باب قوله تعالى: «الله يعلم ما تحمل كل أنثى » 4420 ج4/ص1733.

(٢) محمد بن جحادة الكوفي الأيامي ويقال الأودي، أخرج البخاري في الجهاد والطلاق والإجارة عن شعبة وهمام عن أبي حازم الأشجعي وأبي حصين قال محمد بن جحادة من الثقات، وقال ابن معين: هو ثقة، وقال أبو حـــاتم الرازي: هو ثقة صدوق محله محل الصدق. انظر: التعديل والتجريح ، المؤلف : سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي، الناشر : دار اللواء للنشر ، الرياض ، 1406هـــ - 1986م ، ط1 ، المحقق : د. أبو لبابة حسين، ج2/ص625.



قوله: ﴿ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا ﴾... وروي عن ابن عباس أنه تلا هذه الآية : ﴿ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ ﴾ فقال : الرطب واليابس من كل شيء»[١].

وقريب من هذا التفسير فسر الآية غيره من المفسرين[٢] .

7- ومن الآيات الدالة كذلك قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾[الرعد: 8-10] .

يقول الرازي في تفسيره : « في الآية مسائل :

المسألة الأولى : في وجه النظم وجوه ، الأول : أنه تعالى لما حكى عنهم أهم طلبوا آيات أخرى غير ما أتى به الرسول ﷺ ؛ بين أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، فيعلم من حالهم أهم هل طلبوا الآية الأخرى للاسترشاد وطلب البيان أو لأجل التعنت والعناد ، وهل ينتفعون بظهور تلك الآيات ، أو يزداد إصرارهم واستكبارهم ، فلو علم تعالى أهم طلبوا ذلك لأجل الاسترشاد وطلب البيان ومزيد الفائدة ، لأظهره الله تعالى وما منعهم عنه، لكنه تعالى لما علم أهم لم يقولوا ذلك إلا لأجل محض العناد لا جرم أنه تعالى منعهم عن ذلك وهو كقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ ﴾ [يونس:20] . وقوله : ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[العنكبوت: 50].

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، للشوكاني ، ج2 ص 178 بتصرف يسير .

(٢) انظر تفسير معالم التنزيل ، للبغوي ، ج3ص 105، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ج1ص259، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، لأبي بكر الجزائري ج2ص70.



والثاني : أن وجه النظم أنه تعالى لما قال : ﴿وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ﴾[الرعد:5] في إنكار البعث؛ وذلك لأنهم أنكروا البعث بسبب أن أجزاء أبدان الحيوانات عند تفرقها وتفتتها يختلط بعضها ببعض ولا يبقى الامتياز، فبين تعالى أنه إنما لا يبقى الامتياز في حق من لا يكون عالماً بجميع المعلومات ، أما في حق من كان عالماً بجميع المعلومات ، فإنه يبقي تلك الأجزاء بحيث يمتاز بعضها عن البعض ، ثم احتج على كونه تعالى عالماً بجميع المعلومات بأنه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام.

الثالث : أن هذ ا متصل بقوله : ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[الرعد:6]. والمعنى: أنه تعالى عالم بجميع المعلومات، فهو تعالى إنما ينـــزل العذاب بحسب ما يعلم كونه فيه مصلحة، والله أعلم» [1].

وقال أيضاً : « أما قوله تعالى : ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: 8] فمعناه: بقدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه، كقوله : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر : 49] وقوله في أول الفرقان : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾[الفرقان : 2] .

واعلم أن قوله : ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد: 8] يحتمل أن يكون المراد من العندية العلم ومعناه : أنه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفيته على الوجه المفصل المبين، ومتى كان الأمر كذلك امتنع وقوع التغيير في تلك المعلومات، ويحتمل أن يكون المراد من العندية أنه تعالى خصص كل حادث بوقت معين وحالة معينة بمشيئته الأزلية وإرادته السرمدية، وعند حكماء الإسلام أنه تعالى وضع أشياء كلية وأودع فيها قوى وخواص ، وحركها بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة أحوال جزئية معينة ومناسبات مخصوصة

(١) مفاتيح الغيب للرازي 149/9.



مقدرة ، ويدخل في هذه الآية أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم ، وهو من أدل الدلائل على بطلان قول المعتزلة»[1].

ويقــــــول ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾[الرعد ، 8-9]. «يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء ، وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كـــــل إناث الحيوانات ، كما قال تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾[لقمان:34].

أي : ما حملت من ذكر أو أنثى أو حسن أو قبيح ، أو شقي أو سعيد ، أو طويل العمر أو قصيره ، كما قال تعالى : ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[النجم: 32].

وقال تعالى : ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ﴾[الزمر: 6]

أي: خلقكم طوراً من بعد طور ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : 12 : 14] »[2].

وقد جاء في الحديث الصحيح ما يؤكد ذلك ومنه قول رسول الله ﷺ : (إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (150/9).

(٢) تفسير ابن كثير (435/4).



يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلماتٍ ويقال له اكتب عمله ورزقه واجله وشقي أو سعيد..»[١].

وفي قوله : ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ روي عن ابن عمر؛ أن رسول الله ﷺ قال : «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[٢].

وقوله : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ أي : « يعلم كل شيء مما يشاهده العباد ومما يغيب عنهم، ولا يخفى عليه منه شيء . ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الـــذي هو أكبر من كل شيء، ﴿ٱلْمُتَعَالِ﴾ أي : على كل شيء ، قد أحاط بكل شيء علما، وقهر كل شيء ، فخضعت له الرقاب ودان له العباد، طوعاً وكرها"، وقوله : ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ أي : « مختف في قعر بيته في ظلام الليل ، ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ أي : ظاهر ماش في بياض النهار وضيائه ، فإن كليهـــما في علم الله على الســواء ، كمـــا قال تعالى : ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[هود : 5] وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى

(١) صحيح البخاري، ك بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ج 3/ص1174 رقم الحديث 3036 ، صحيح مسلم، كتاب القدر، ج4/ص2036، رقم الحديث 2643.

(٢) سبق تخريجه ، ص58.



كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: 61] [1] . وقريب من هذا التفسير فسر الآية غيره من المفسرين[2].

وغيرها من الآيات الكثيرة وهي جميعها نص في إثبات علم الله الشامل، واحاطته سبحانه بكل شيء علماً يدل دلالة أكيدة على ثبوت صفة العلم له تعالى المتصف به أزلاً والشامل لكل شيء .

كما قال العلماء: « وعلمه سبحانه عام في جميع المعلومات وقدرته عامة في جميع المقدورات، وإرادته عامة في جميع الإرادات، علمها على ما هي عليه وأراد أن يكون ما علم أن يكون، وأراد أن لا يكون ما علم أن لا يكون، ولا يجري في مملكته ما لا يريد كونه.. » [3].

ومن الآيات التي تدل سعة علمه تعالى، قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : 38] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴾ [الحجر: 24].

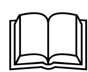
وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [النحل : 19] ، فسواء كان قول، أو عمل، أو حياة، أو ممات، أو غيرها من شتى شئون الحياة، فإن الله سبحانه هو العالم ولا أحد يشابه علمه علمه قال تعالى : ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل:74].

---

(١) تفسير ابن كثير (437/4).

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني ج 3ص 97 ، 98 ، وتفسير البغوي ج4 ص 299، تفسير الطبري ج 12 ص 358، 365، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، لأبي بكر الجزائري ج 3 ص11، 12 ، 13، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ج1 ص 414.

(٣) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، المؤلف : طاهر بن محمد الإسفراييني ، الناشر: عالم الكتب، بيروت ، ط1، 1983، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، (166/1).



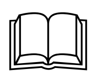
وكما أن علمه شامل كامل؛ فعلمه بغيب السموات والأرض اختصاص لـــه سبحانه، فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه الله على ما يشاء قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه : 98] ، وقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : 110] .

هو سبحانه عالم بالقول قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء : 4] ، عالم بالفعل قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل : 91] .

يعلم السر والعلانية . قال تعالى : ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[طه:7] وهو أعلم بخفايا الصدور سبحانه . قال تعـــالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[النمل : 74] أعلم بالصادق، وهو أعلم سبحانه بالكاذب قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[العنكبوت: 3] .

يعلم المؤمن من المنافق قال تعالى : ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ [العنكبوت : 11] .

يعلم ما يلج في الأرض وما يخـــرج منها، وما ينـــزل من السماء وما يعرج فيها قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ : 2] ، لا يعلم الغيب إلا هو سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحجرات : 18] ، وقال أيضاً : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:17] . وقال : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر : 22] وقال



سبحانه : ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق : 12] . وقال : ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة : 77] وقال : ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام : 3] وقال أيضاً : ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7] و ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر : 19] فأخبر الله سبحانه أنه العالم قبل كل أحد ومنه بدأ العلم . قال تعالى : ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد : 43] ، وقال : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران : 61] أي : جاءك العلم من الله وهو القرآن ، ثم أخبر بعلمه السابق في عباده سبحانه قبل أن يعلموا فقال : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية : 23] ، وقال : ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ : 3] ، وقال تعالى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة : 116] وقوله تعالى : ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ [البقرة: 235] وقال : ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: 20] ، وما أشبه هذا من كتاب الله كثير، ولو لم يكن منها في كتاب الله إلا حرف واحد لاكتفي به حجة بالغة، فكيف والكتاب كله ينطق بنصه يستغني فيه بالتنـــزيل عن التفسير، وتعرفه العامه والخاصة[1].

(١) انظر: الرد على الجهمية ، المؤلف : عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي ، الناشر : دار إبن الأثير، الكويت ، ط3، 1995م، تحقيق : بدر بن عبدالله البدر الدارمي ج 1 ص 134.



وعلم الله — كما سبق — شامل للماضي والمستقبل والحاضر، بل لما لم يكن لو كان كيف يكون. وأدلة العلم كثيرة من الكتاب والسنة — كما سبق – ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال : 75] .

وقد ذكر الإمام العلامة ابن قدامة المقدسي [١] رحمه الله في مقدمته بعد البداءة بالبسملة، والحمد لله والثناء عليه قوله : « .. الذي لا يخلو من علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن..إلى أن قال : أحاط بكل شيء علماً ، وقهر كل مخلوق عزة وحكماً ، ووسع كل شيء رحمة وعلماً .. مما يقرر سعة علمه تعالى ، يكون علمه لا يخلو منه مكان وكمال قدرته وإحاطته، حيث لا يلهيه أمر عن أمر»[٢].

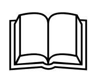
كما أن قصص القرآن الكريم لأخبار الأمم السابقة، لمن أكبر الأدلة على علم الله تعالى بالأولين والآخرين. قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴾ [إبراهيم : 9].

والقصص التي ساقها الله تعالى في كتابه الكريم عن الأمم السابقة كثيرة جداً. ذكر الله تعالى فيها من أحوالهم ما لا يعلمه إلا الله سبحانه.

---

(١) عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، موفق الدين أبو محمد ، واشتغل بتصنيف كتاب «المغني» في شرح الخرقي ، فبلغ الأمل في إتمامه ، وهو كتاب بليغ في المذهب ، عشر مجلدات ، وتعب عليه ، وأجاد فيه وجمل به المذهب. وقرأه عليه جماعة ، وانتفع بعلمه طائفة كثيرة ، وغلب عليه الاشتغال بالفقه والعلم. انظر : شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، استخرجها وحققها الدكتور إحسان عباس ، الناشر : دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1988م (186/1).

(٢) شرح لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، للإمام ابن قدامة المقدسي ، تأليف العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى ص 28، 29.



وعلم الله تعالى متفق عليه من جميع الرسل عليهم السلام ، وقد اتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة ، وقد خالفهم مجوس الأمة ، وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونه [١].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية : 23] – بعد ذكر أقوال المفسرين فيها قال : « فانتظمت الآية على هذا القول في إثبات القدر والحكمة التي لأجلها قدر عليه الضلال وذكر العلم، إذ هو الكاشف المبين لحقائق الأمور ووضع الشيء في مواضعه، وإعطاء الخير من يستحقه ومن لا يستحقه، فإن هذا لا يحصل بدون العلم ، فهو سبحانه أضله على علمه بأحواله التي تناسب ضلاله وتقتضيه وتستدعيه ....» [٢] .

وقال الإمام أبو عبدالله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي[٣] كما نقل عن ابن تيمية: « لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته، ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء... إلى أن قال : وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنه عليا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يبصر ما قد كان، ولا يسمع الأصوات ، ولا قدرة له ، ولا يتكلم ، ولا كلام كان منه، وأنه تحت الأرض ، لا على العرش ، جلَّ وعلا عن ذلك.

---

(١) انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، الناشر: دار الفكر، بيروت، 1398-1978م، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النسعاني الحلبي، ص66.

(٢) المرجع السابق ، ص 68.

(٣) الحارث بن أسد المحاسبي الزاهد المشهور أبو عبدالله البغدادي صاحب التصانيف مقبول من الحادية عشرة مات سنة ثلاث وأربعين . تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ج 1/ص 145.



فإذا عرفت ذلك واستيقنته : علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز ، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس : 90] الآيات، وقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : 31] ، وقال : قد تأول قوم: إن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار، لأنه آمن عند الغرق ، وقال : إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه وقال : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود : 98] ، وقال : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : 45] ، ولم يقل بفرعون . قـــال : وهكذا الكذب على الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النـــازعات : 25] كذلك قوله : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ [العنكبوت : 3]. فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله عز وجل عن أن يستأنف علماً بشيء ، لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه – نجده ضرورة – قال : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : 14] قـــال : وإنما قوله : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : 31] . إنما يريد حتى نراه فيكون معلوماً موجوداً ؛ لأنه لا جائزُ أن يكون يعلم الشيء معدوماً من قبل أن يكون؛ ويعلمه موجوداً كان قد كان ؛ فيعلم في وقت واحد معدوماً موجوداً وإن لم يكن، وهذا محال»(١).

(١) بتصرف من: مجموع فتاوى ابن باز (65/5).



وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة : 7] .

قال عنها ابن تيمية رحمه الله تعالى : « فقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ﴾ فأخبر بالعلم ثم أخبر أنه مع كل مناج ، ثم ختم الأية بالعلم بقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة : 7] .

فبدأ بالعلم وختم بالعلم : فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا ؛ لا يخفون عليه ، ولا يخفى عليه مناجاتهم . ولو اجتمع القوم في أسفل ، وناظر إليهم في العلْو . فقال : إني لم أزلْ أراكم، واعلم مناجاتكم لكان صادقاً – ولله المثل الأعلى أن يشبه الخلق – فإن أبوا إلا ظاهر التلاوة وقالوا : هذا منكم - يقصد بذلك بعض أهل الضلال الذين زعموا أن الله تعالى في كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش ..- دعوى خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة؛ لأن من هو مع الاثنين فأكثر ؛ هو معهم لا فيهم ، ومن كان مع شيء خلا جسمه ،وهذا خروج من قولهم. وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق : 16] لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء ، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد ...» [1] .

ومن كل ذلك نستخلص أن الإنسان يجب أن يعلم بأن الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء ، وعلم الله تعالى يتعلق بثلاثة أمور :

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج 5 ص 65.



الأول : علمه بالشيء الماضي ، وأن الله سبحانه وتعالى لم تخف عليه خافية فيما مضى، ولذلك قال فرعون لموسى : ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه : 51-52] دل على أن الله سبحانه عالم بما في الأزل.

الثاني : علم الله سبحانه وتعالى بكل ما هو واقع وحادث الآن ، وهذا الأمر يجب أن نؤمن به، فلا تخفى على الله سبحانه وتعالى خافية مما يحدث في الكون.

الثالث : علم الله بما سيكون في المستقبل ، وهو سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية، يعلم بكل شيء سبحانه وتعالى ، وقد بين : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ﴾[الأنعام : 59] دل على أنك حين تنظر إلى الشجرة حين تتساقط أوراقها ، أي : منها الذي يسقط اليوم ، وتلك غداً ، فالله يعلم متى تسقط وفي أي موضع تسقط ، مما يدل على علم الله تعالى بالجزئيات ، والكليات جميعها. وانظر نحو هذا الكلام (١).

وقد خرجت من خلال هذه النصوص الدالة على مرتبة العلم بأن طريقة القرآن الكريم في بيان هذه المرتبة قد تجلت في عدة نقاط :

1- آيات القرآن الكريم اشتملت على المؤكدات اللفظية التي تؤكد انفراد الله تعالى بالعلم المطلق كقوله : ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : 32] ، وقوله تعالى : ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : 59] وهذه المؤكدات تدفع أباطيل الكهان والمنجمين والسحرة ممن يدعون مالا يدخل تحت قدرتهم من العلوم ، وبهذا تحفظ الطريقة القرآنية إيمان الناس بهذه المرتبة العظيمة من مراتب القدر ، وتعمق الثقة بقدرة ربهم وحده على كل شيء .

(١) انظر: قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة القيرواني ، ج1، ص 67 ، 68.



2- أكدت الآيات الكريمات على أن علم الله تعالى المطلق يشمل حتى الخفايا والنوايا، وكل ما يسره الإنسان أو يظهره . وهذا يحمل الإنسان على أن يعتني بباطنه كما يعتني بظاهره، أو أكثر .

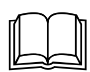
3- أدخلت الآيات في علم الله تعالى المطلق سائر الحركات والسكنات التي تكون من الخلق، وهذا يحمل الإنسان على استشعار المراقبة الدائمة، مما يولد في نفسه الرقيب الذاتي.

4- أكدت الآيات علم الله تعالى بما يتعلق بحاجة الإنسان العاجلة كالرزق والمعافاة ، والمصائب والأسقام وغيرها . وهذا يزرع في الإنسان التسليم لله والرضا بأقداره الواقعة بعلمه.

5- بينت الآيات أن مما يدخل تحت علم الله ما يتعلق بأعمال الخلق العبادية من الإهتداء والضلال ، و لم تكتف بالإشارة إلى علم الله بذلك، بل بينت كذلك أسباب إضلال الله لمن يشاء من عباده والحكمة منه . حتى لا يعتقد أحد أن علم الله بذلك يجبره على الضلالة.

6- صورت الآيات علم الله تعالى بضرب الأمثلة المحسوسة من السموات والأرض والبر والبحر ، وسقوط الورقة ..إلخ ، وفي هذا ترسيخ للإيمان بهذه المرتبة العظيمة من مراتب القدر ، فبعض الآيات انتهجت المنهج العقلي الذي يخاطب العقول على مختلف مداركها؛ لأن القرآن خطاب لكل الأمة ولا بد من أن يفهم خطابه الجميع، ومن أجل هذا ربط الدليل العقلي بالأمثلة والصور المحسوسة التي يدركها كل أحد . وهذا المنهج جلي في قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الآية .

كما أن من الأدلة التي استدل بها العلماء على اتصاف الله تعالى بالعلم عقلاً ، قوله تعالى : ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك : 14] ، لأن «الخلق يستلزم العلم ، وذلك من جهة أن الخلق يستلزم الإرادة ، فإن فعل الشيء على

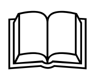


صفة مخصوصة، ومقدار مخصوص ، دون صفات أخرى ممكنة ، لا يكون ذلك إلا بإرادة تخص هذا عن ذاك ، والإرادة تستلزم العلم في كل مريد ، فلا إرادة إلا بعلم»[1].

7- دلت الآيات القرآنية على أن علم الله تعالى يشمل تفاصيل الأشياء وجزئياتها الدقيقة كآيات سورة الرعد : ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ الآية.. وهذا يقطع كل الحجج التي يحتج بها السائل؛ سواء كان سؤاله للاسترشاد والاستهداء ، أو كان تعنتاً وعناداً . هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ، فإن العلم بالتفاصيل الدقيقة التي اختص الله نفسه بها له دوره العظيم في تثبيت المؤمن على إيمانه بقدر الله تعالى عندما يسمع بالمكتشفات العلمية التي يظهرها الله لمن شاء من عباده بين الفينة والأخرى ، وذلك أن كل ما استطاع البشر معرفته مما كان غيباً، فهو بمشيئة الله تعالى وإقدارهم عليه . وهذا الأمر المكتشف لا يعدو كونه علماً بأمور عامة مجملة، وأما تفاصيله الدقيقة فهي مما استأثر الله بعلمه.

(١) التكليف في ضوء القضاء والقدر ، تأليف : د. أحمد بن علي عبدالعال، الناشر : دار هجر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، 1418هـ- 1997م، ص 72.



المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة

المرتبة الثانية : مرتبة الكتابة ، وهي أن الله سبحانه وتعالى قد كتب كل شيء عنده في اللوح المحفوظ ، وكتب كل شيء مما هو كائن إلى يوم القيامة ، سواء ما يتعلق بالمكلفين أو ما يتعلق بغير المكلفين ، وذلك لعموم قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : 70] ، فمعنى قوله : [إن ذلك في كتاب] يعني جميع ما في السموات والأرض(١) وقد دل عليه ما عند أحمد في المسند أن الوليد بن عبادة بن الصامت(٢) قال : « أوصاني أبي رحمه الله تعالى فقال : يا بُني أوصيك أن تؤمن بالقدر خيره وشره فإنك إن لم تؤمن أدخلك الله تبارك وتعالى النار ، قال: وسمعت النبي ﷺ يقول أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال فاكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»(٣).

---

(١) انظر القضاء والقدر ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، الناشر : مكتبة العبيكان، الرياض ، ط1، 1421–2000م ، تحقيق : محمد بن عبدالله العامر ، ص 62 ، والقضاء والقدر للدكتور المحمود ص60.

(٢) الوليد بن عبادة بن الصامت الأنصاري، أبو عبادة المدني ولد في حياة النبي ﷺ وروى عن أبيه وعنه ابنه عبادة وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، قال ابن سعد: توفي في خلافة عبدالملك بن مروان، وكان ثقة قليل الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، قلت: وقال هو وابن سعد ولد في آخر عهد النبي ﷺ ، وقال العجلي شامي تابعي ثقة.

تهذيب التهذيب ، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الفكر ، بيروت، 1404هـ/1984م، ط1، ج11/ص121.

(٣) رواه الإمام أحمد عن أبي العلاء الحسن بن سوار، ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي عن أبي داود الطيالسي عن عبدالواحد بن سليم وقال حديث حسن صحيح غريب . الأحاديث المختارة ج 8/ص353، وورد في مسند الطيالسي ج1/ص79، برقم 577. وانظر: ص21.



وقد أخبرنا الله عز وجل أنه قبل وجود السموات والأرض كان العرش والماء.

فجميعها سابقة لمرحلة الكتابة، فقد قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود : 7] ، قال رسول الله ﷺ : « كان الله و لم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء»[(١)].

وقرر ذلك شارح الطحاوية [(٢)] بقوله في شرح : (ونومن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم».

قال : « اللوح المذكور : هو الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه ، والقلم المذكور: هو الذي خلق الله، وكتب به في اللوح المذكور المقادير ،...»[(٣)].

والأقلام التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسوله أنواع لا يتسع المقام لذكرها ، فقد روي أن النبي ﷺ قال ليلة المعراج : (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام»[(٤)]، مما يدل على ذلك . وما دون في أم الكتاب لا يقبل المحو والتبديل أو التعديل والتغيير ، فكل ما كتب فيه واقع لا محالة ، كما قال تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : 51]، وأيضاً كما في قوله تعالى : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾[الأنفال : 68] . ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ

---

(١) رواه البخاري ط 3 في كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ ج3 ص1166 برقم 3019 .

(٢) ابن أبي العز الدمشقي .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، ج2 ص 405.

(٤) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب كيف فرضت الصلوات الخمس في الإسراء ج1ص135.



يَخْتَلِفُونَ ﴾ [يونس : 19] ، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ [هود : 110] وذلك لأن الله تعالى قد أحكم كل شيء وقدره، ما يكون وما لا يكون إلى يوم القيامة، وأن كل ما خلقه وقدره بناء على كتاب سابق منه، وقضاء محكم منه تعالى تسير عليها الحياة وتنتهي، بناء على ذلك القضاء السابق.

فلا يكون إلا كما كتب لحكمة بالغة، وقدرة نافذة منه سبحانه وتعالى، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . وقد روي أن أحد الصحابة سأل الرسول ﷺ : (يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خُلقنا الآن فيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير؟ أم فيما تستقبل؟ قال: لا بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير) (1). وهذا يدل على أن العبد إنما ييسر لما خلق له، وإن التيسير إنما هو بيد الملك ، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: 23] ، ويشبه أن يكونوا إنما تعبدوا بهذا النوع من التعبد ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم، فلا يتكلوا على ما يظهر من أعمالهم ، ورجاءهم بالظاهر البادي لهم فيرجوا به حسن أحوالهم والخوف والرجاء مدرجا العبودية فيستكملوا بذلك صفة الإيمان (2).

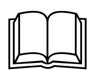
وقد قرر القرآن الكريم هذه المرتبة وأثبتها في كثير من الآيات، وجاءت السنة النبوية مؤكدة لذلك ومفسرة له أوضح تفسير، وأكثر بيان وتظهر شهادة القرآن الكريم لهذه المرتبة في عدة آيات بينات أذكر منها ما يلي :

1- قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ

---

(1) رواه مسلم ، ك القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه ، ج8 ص47، رقم 6905 .

(2) انظر: الجامع لشعب الإيمان ، تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، الناشر : مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1425هـــ ، 2004م ، تحقيق : د. عبدالعلي عبدالحميد حامد ،ج 1 ص 360.



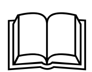
ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد : 22-24].

قال ابن كثير رحمه الله : « يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي : في الآفاق وفي نفوسكم ﴿ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ أي : من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة . إلى أن قال : «.... وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية نُفاه العلم السابق — قبحهم الله - .. كما قال الرسول ﷺ : (قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة)[1].

وقوله : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أي : أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل ؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. وقوله : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ أي : أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها ، وتقديرنا الكائنات قبل وجودها ، لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم ، وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ، فلا تأسوا على ما فاتكم ، فإنه لو قدر شيء لكان ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ ﴾ أي : جاءكم ... ، أي : لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم، فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم ، وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشراً

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم 6579، ج 2 ص 169، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم رجاله عدا ابن لهيعة ثقات رجال الشيخين . ورواه مسلم في صحيحه ك القدر، برقم 6919 ج 8 ص51، ولم يقل: (قدر) ، وإنما (كتب) . وزاد بن وهب : «وكان عرشه على الماء» . باب حجاج آدم وموسى عليهم السلام.



وبطراً ، تفخرون بها على الناس ؛ ولهذ ا قال : ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي : مختال في نفسه متكبر فخور ، أي : على غيره . وقد قيل : ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً » [1].

ولو تأمل العبد كل ما حوله من مخلوقات الله وآياته، وما تدل عليه من دقة واتقان وجمال وانتظام، وأن كل ما يحدث إنما يحدث لحكمة قد قدرها الله تعالى من غير مصادفة وإنما هي بعلم سابق وقدرة نافذة لو تأمل هذا لأدرك وجود الخالق سبحانه وقدرته النافذة وكتابته لكل شيء قبل وقوعه؛ وإدراك ذلك يبعث في النفس الطمأنينة والراحة والسكون عند استقبال الأحداث خيرها وشرها، فلا تجزع نفسه ولا تقنط ولا تفرح ولا تبطر وهذا ما ذكر في تفسير (في ظلال القرآن) من أن ما في «.. هذا الوجود من الدقة والتقدير بحيث لا يقع فيه حادث إلا وهو مقدر من قبل في تصميمه ، محسوب حسابه في كيانه .. لا مكان فيه للمصادفة . ولا شيء فيه جزاف . وقبل خلق الأرض وقبل خلق الأنفس كان في علم الله الكامل الشامل الدقيق كل حدث سيظهر للخلائق في وقته المقدور.. وفي علم الله لا شيء ماض ، ولا شيء حاضر ، ولا شيء قادم، فتلك الفواصل الزمنية إنما هي معالم لنا – نحن أبناء الفناء – نرى بها حدود الأشياء . فنحن لا ندرك الأشياء بغير حدود تميزها حدود من الزمان وحدود من المكان . نحن لا نملك إدراك المطلق إلا في ومضات تتصل فيها أرواحنا بذلك المطلق ، عن طريق غير الطريق الذي اعتدناه في إدراك الأشياء . فأما الله — سبحانه – فهو الحقيقة المطلقة التي تطلع جملة على هذا الوجود، بلا حدود ولا قيود . وهذا الكون وما يقع فيه من أحداث وأطوار منذ نشأته إلى نهايته كائن في علم الله جملة لا حدود فيه ولا فواصل من زمان أو مكان . ولكل حادث موضعه في تصميمه الكلي المكشوف لعلم الله . فكل مصيبة تقع في الأرض كلها وفي أنفس البشر.. هي في ذلك الكتاب الأزلي من

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج8 ص 26 بتصرف يسير .



قبل ظهور الأرض وظهور الأنفس في صورها التي ظهرت بها.. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾. وقيمة هذه الحقيقة التي لا يتصور العقل غيرها حين يتصور حقيقة الوجود الكبرى . قيمتها في النفس البشرية أن تسكب فيها السكون والطمأنينة عند استقبال الأحداث خيرها وشرها . فلا تجزع الجزع الذي تطير به شعاعاً وتذهب معه حسرات عند الضراء . ولا تفرح الفرح الذي تستطار به وتفقد الاتزان عند السراء : ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

فاتساع أفق النظر ، والتأمل مع الوجود الكبير ، وتصور الأزل والأبد، ورؤية الأحداث في مواضعها المقدرة في علم الله ، الثابتة في تصميم هذا الكون . كل أولئك يجعل النفس أفسح وأكبر وأكثر ثباتاً ورزانة في مواجهة الأحداث العابرة . حين تتكشف للوجود الإنساني وهي مارة به في حركة الوجود الكوني»[1].

وفي هذه الآية عدة مسائل ذكرها الرازي في تفسيره وهي :

المسألة الأولى : هذه الآية دالة على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفظ.

المسألة الثانية : استدل جمهور أهل التوحيد بهذه الآية على أنه تعالى عالم بالأشياء قبل وقوعها ، ووجه الاستدلال أنه تعالى لما كتبها في الكتاب قبل وقوعها وجاءت مطابقة لذلك الكتاب علمنا أنه تعالى عالماً بها بأسرها .

المسألة الثالثة : قوله : ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ يتناول جميع مصائب الأنفس فيدخل فيها كفرهم ومعاصيهم ، فالآية دالة على أن جميع أعمالهم بتفاصيلها مكتوبة في اللوح المحفوظ، ومثبتة في علم الله تعالى ، فكان الامتناع من تلك الأعمال محالاً ، لأن علم الله بوجودها

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (137/7، 138).



مناف لعدمها ، والجمع بين المتنافين محال ، فلما حصل العلم بوجودها ، وهذا العلم ممتنع الزوال كان الجمع بين عدمها وبين علم الله بوجودها محالاً .

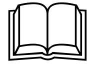
المسألة الرابعة : أنه تعالى لم يقل : إن جميع الحوادث مكتوبة في الكتاب ، لأن حركات أهل الجنة والنار غير متناهية ، فإثباتها في الكتاب محال ، وأيضاً خصص ذلك بالأرض والأنفس وما أدخل فيها أحوال السموات ، وأيضاً خصص ذلك بمصائب الأرض والأنفس لا بسعادات الأرض والأنفس ، وفي كل هذه الرموز إشارات واسرار .. [1]. وقد ذكر غيره نحو هذا الكلام[2] .

وإذا اتضح ذلك فإنه يتبين أن الله سبحانه وتعالى كتب ما هو كائن في اللوح المحفوظ بل إن كل ما نصنعه وما نعلمه فهو مكتوب عند الله سبحانه وتعالى ، بل كل ما يجري من حركات الجمادات وغيرها مكتوب في اللوح المحفوظ ، حتى الشجرة إذا سقطت منها ورقة بسبب الريح أو بسبب أي عارض آخر ، فإن سقوطها في كتاب مبين ، كما قال تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: 59] . فإذا كان ذلك كذلك فكيف بأفعال العباد وأقوالهم ، وحركاتهم ومجيئهم وذهابهم إلى غير ذلك ؟ كل ذلك مكتوب مسطر . حتى القرآن الكريم قد دونه الله تعالى في اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى : ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف : 1-4]، أم الكتاب هو اللوح المحفوظ كما قال ابن عباس ، وأم الكتاب أصل الكتاب ، وأم كل شيء

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب للرازي ، ج 15، ص 238، 239 ، 240 .

(٢) انظر : أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري ج 4 ص 212، ومعالم التنـــزيل للبغوي ج8 ص 40، تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ، ج1 ص 842.



أصله والقرآن كتبه الله في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾[البروج : 21-22]. وقد أجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب[١].

2- قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر : 53] .

قال الطبري : «يقول تعالى ذكره : ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ﴾ من الأشياء ﴿وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ يقول : مثبت في الكتاب مكتوب»[٢].

وقوله تعالى في الآية السابقة عليها : ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر: 52]، أي أولئك المشركون ﴿فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ أي في كتب الحفظة من الملائكة الكرام الكاتبين، وكل صغير وكبير من أعمالهم وأعمال غيرهم بل كل حادثةٍ في الأكوان هي مسطرة في اللوح المحفوظ كتاب المقادير»[٣].

وفي بيان علاقة هذه الآية بالقضاء والقدر قال تعالى : ﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ أي : كل ما فعلوه من خير وشر مكتوب عليهم في الكتب القدرية ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ أي : « مسطر مكتوب، وهذا حقيقة القضاء والقدر ، وأن جميع الأشياء كلها ، قد علمها الله تعالى ، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ ، فما شاء الله كان ، وما لم

---

(١) انظر : شفاء العليل لابن القيم (41/1).
(٢) تفسير الطبري ج 22 ، ص 608 ، وانظر : أيسر التفاسير للجزائري ج4/ص178، 179.
(٣) أيسر التفاسير 179/4.



يشأ لم يكن ، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وما أخطأ لم يكن ليصيبه »[١]. وقد ذكره غيره نحوه[٢].

وهذه الأدلة إنما تدل على سعة علمه وقدرته تعالى على كتابة الصغير والكبير والجليل والحقير سبحانه، وهو سبحانه لا يكتب ذلك خوفاً من النسيان، بل لحكمة بالغة سبحانه.

قال تعالى : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [سبأ : 3] .

وهذا حكم عام لكتابة كل شيء، وفي قوله أكبر فائدة عظيمة ذكرها الرازي في تفسيره فقال : « في قوله ﴿أكبر﴾ فائدة عظيمة وهي: أن من يكتب حساب إنسان فإنما يكتبه في غالب الأمر لئلا ينسى فإذا جاء بالجملة العظيمة التي يأمن نسيانها ربما يترك كتابتها ويشتغل بكتابة ما يخاف نسيانه ، فلما قال : ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ أشار إلى الأمور العظام التي يؤمن من نسيانها أنها مكتوبة أي ليست كتابتنا مثل كتابتكم التي يكون المقصود منها الأمن من النسيان ، فكذلك نقول : ههنا وفي قوله : ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف : 49] وفي جميع هذه المواضع قدم الصغيرة لأنها أليق بالتثبت عند الكتابة فيبتدىء بها حفظاً عن النسيان في عادة الخلق، فأجرى الله الذكر على عادتهم»[٣].

ودلّ عليه قول النبي ﷺ : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)[٤].

---

(١) تفسير السعدي (828/1).

(٢) انظر معالم التنـــزيل (436/7) ، وفتح القدير للشوكاني (183/5).

(٣) تفسير الرازي (43/15).

(٤) سبق تخريجه ص 76.



وقد جمعت الآيات الدالة على مرتبة الكتابة في كتاب حجج القرآن وذلك في خمسة عشر موضعاً ، وتفسيرها كالتالي : قوله : ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: 59] ، قيل : لا ماء ولا بر ، وقيل : لسان المؤمن رطب بذكر الله ولسان الكافر يابس لا يتحرك بالذكر ، وقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾[الأعراف: 37] ، أي : حظهم مما كتب لهم في اللوح المحفوظ أي ما سبق لهم من السعادة والشقاوة وما كتب عليهم من الخير والشـــــر ، قوله : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[الأنفال : 68]، قال ابن عباس : كانت الغنائم قبل النبي حراما على الأنبياء والأمم وكان قد كتب في اللوح المحفوظ أنها حلال لمحمد وأمته، فلما كان يوم بدر أخذوها أنزل الله عز وجل : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ﴾[الأنفال : 68] لنالكم وأصابكم فيما أخذتم من الغنيمة والفداء عذاب عظيم ، قوله : ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾[يونس : 61]، قرىء يعزب ويعزب أي : لا يغيب ولا يبعد من مثقال ذرة أي مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ، قرىء برفع الرائين وكسرهما أي لا مثقال أصغر ولا أكبر إلا في اللوح المحفوظ ، قوله : ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ [هود: 6] ، حيث يأوي إليه ومستودعها حيث يموت في كتاب مبين ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل أن خلقها الله ، قوله : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد : 38] ، يعني لكل أمر قضاه الله كتاب قد كتبه فهو عنده ، قوله : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ﴾ [يس : 12] ، أي علمناه وعددناه وبيناه في امام مبين وهو اللوح المحفوظ ، قوله : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾[القمر : 52] من خير أو شر في الزبر في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير منهم ومن أعمالهم مستطر مكتوب ، وقوله : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾[الحديد : 22] يعني اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) من قبل أن نخلق السموات والأرض والأنفس ، وقيل : من قبل أن نخلق



المصيبة»[1].

إذاً فمرتبة الكتابة هي كتابة المعلومات وتدوينها بالقلم في كلمات، فالله كتب ما يخص كل مخلوق في اللوح المحفوظ ؛ كتب فيه تفصيل خلقه وإيجاده وما يلزم لنشأته وحياته وهدايته وجميع ما يرتبط بتكوينه وما يتعلق به ، وهي المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر التي يجب الإيمان والإقرار بها ، وقد أثبتها الله في كتابه، وأيدت ذلك السنة الشريفة بما ورد فيها مما يوافق هذا، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الإيمان بالقدر على درجتين وكل درجة تتضمن شيئين الأولى تتضمن :

١ - علم الله القديم.

٢ - كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

والثانية تتضمن :

١ - مشيئة الله العامة وقدرته الشاملة .

٢ - إيجاد الله لكل المخلوقات وقدرته الشاملة .

وقد ذكر قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج : 70]، وقوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد:22].

ثم قال : « وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة كما كتب الله في اللوح المحفوظ ما شاء . وتفصيلاً فإذا صار الجنين مضغة وجاء الملك لنفخ الروح فيه — أمر بأربع كلمات : اكتب رزقه وأجله ، وشقي هو أم سعيد»[1].

---

(١) كتاب حجج القرآن ، المؤلف : أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المنظفر بن المختار الرازي ، الناشر : دار الرائد العربي ، بيروت ، ط2، 1982م، تحقيق : أحمد عمر المحمصاني ، ج1ص22.



فإيراده لقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج : 70]، فيه دليل على إحاطة علمه سبحانه بالعالم العلوي والسفلي (وهذه مرتبة العلم) وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ أي أن إحاطة علمه سبحانه بما في السماء والأرض وكتابته شيء يسير وسهل عليه تعالى . لذا فالآية شاهد على علم الله بالأشياء وكتابتها في اللوح المحفوظ ، وكتابة الحوادث في اللوح المحفوظ قبل وقوعها المثبت في الآية دليل على علمه بها قبل وقوعها مما يثبت مرتبتي العلم والكتابة.

ومن الآيات كذلك قوله تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[المائدة : 32].

وقوله : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة : 45].

وقوله : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة : 83].

---

(١) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، إعداد وتقديم : مصطفى العالم ، الناشر : دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط8، 1407هـ/1986م، ص 72.



وقوله : ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام : 54].

وقوله : ﴿وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف : 156].

وقوله : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة : 51].

وهذه الآيات وغيرها نص في إثبات القرآن الكريم لمرتبة الكتابة التي تعد المرتبة الثانية من مراتب القدر وقد اكتفيت بما سبق خشية الإطالة والتكرار وإلا فالقرآن الكريم مليء من هذه الآيات وأشباهها وإعجازه العلمي متجدد وغير متناهي.

وقد خرجت مما سبق بأن طريقة القرآن في بيان مرتبة الكتابة تجلت فيما يلي :

1- ربطت الآيات مرتبة الكتابة بمرتبة العلم ، فالمكتوب هو المعلوم ، وهذا يعزز الإيمان بعلم الله ويدفع عن النفس الظن السوء في جهل الله تعالى أو نسيانه ، وهذا الأمر واضح في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس : 61].

2- بعض الآيات القرآنية التي ذكرت هذه المرتبة – الكتابة – يؤكد سياقها على أن كتابة المقادير إنما هو من أجل قطعية حصول المقدور كقوله تعالى : ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[الأنفال : 68].



3- نصوص القرآن الدالة على كتابة المقادير لها أثرها القوي على إيمان العبد بالقدر خيره وشره؛ لأنها تجعل الشيء الذهني الغائب الذي هو سر الله في خلقه – أعني القدر – تجعله في صورة المحسوس وكأن الإنسان يراه مكتوباً أمام عينية. كما يرى أي مكتوب.

وقد أفدت من جملة الآيات وطريقة القرآن في هذه المسألة عدة فوائد ، منها :

١ – أن ما دون في اللوح المحفوظ لا يقبل المحو أو التبديل أو التعديل والتغيير فكل ما كتب فيه واقع لا محالة، فالله تعالى كتب مقادير كل شيء ورفعت الأقلام وجفت الصحف حتى يتم الخلق على ما قضى به الله عز وجل.

٢ – أن من أدرك أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن الله تعالى قد دون ذلك من قبل أن يخلق، حاز على مرتبة الرضا التي توصله إلى الراحة والطمأنينة وسعادة الدنيا والآخرة.

٣ – أن كتابة مقادير الخلائق مع علمه تعالى السابق لها من لوازم الحكمة والكمال لله تعالى وإلا فعلم الله تعالى وسع كل شيء وهو سبحانه لا ينسى شيئاً، وهي أيضاً لإقامة الحجة على الخلق قال تعالى : ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية : 29]، وهذا مما يتعلق بكتابة أعمال العباد.

٤ – النصوص الدالة على أنواع التقدير تشعر العبد بأنه محفوف بقدر الله تعالى وتدبيره في تفاصيل حياته ، وهذا بدوره يجذر في النفوس استشعار القدرة الإلهية عند الإنسان المؤمن بلا انقطاع.

٥ – أن من مراتب القضاء والقدر علم الله تعالى المحيط بجميع الأشياء وكتابته المحيطة بجميع الحوادث ، وهاتان المرتبتان من مراتب القدر كثيراً ما يقرن الله تعالى بينهما كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا



عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : 61] ، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج : 70].



المرتبة الثالثة : مرتبة المشيئة (مشيئة الله وإرادته الكونية)

المشيئة : بمعنى : أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله – سبحانه وتعالى – فما وجد موجود إلا بمشيئة الله ، ولا عدم معدوم إلا بمشيئة الله ، وهذا ظاهر في القرآن الكريم، وقد أثبت الله تعالى مشيئته في فعله ، ومشيئته في فعل العباد ؛ فقال الله تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: 28 ، 29]. وقال تعالى : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ [الأنعامخ : 112] ، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ ﴾ [الأنعام: 137] آية أخرى ، وقال تعـالى : ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : 253] ، فبين تعالى أن فعل الناس كائن بمشيئته ، وأما فعله تعالى فتعليقه بالمشيئة كثير ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجـدة: 13]، ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ ﴾ [هود :118] . إلى آيات كثيرة تثبت المشيئة في فعله تبارك وتعالى ، فإذاً لا يتم الإيمان بالقدر إلا أن نؤمن بأن مشيئة الله عامة وشاملة لكل موجود أو معدوم، فما من معدوم إلا وقد شاء الله عدمه ، وما من موجود إلا قد شاء الله تعالى وجوده، ولا يمكن أن يقع شيء في السموات ولا في الأرض إلا بمشيئة الله.

وشهادة القرآن الكريم لثبوت مشيئة الله [1] تعالى في كل شيء قد وردت كما ذكرنا في آيات كثيرة منها :

أولاً : قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس : 99].

---

(١) انظر : حجج القرآن للحنفي ، ج1 ، ص 30، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه، د. عبدالرحمن المحمود ، ص 68.



قال ابن كثير – رحمه الله – : يقول تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ يا محمد لأذن لأهل الأرض كلهم في الإيمان بما جئتهم به فآمنوا كلهم ، ولكن له حكمة فيما يفعله تعالى ، كقوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود : 118، 119]. وقال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [الرعد: 31]، ولهذا قال تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ ﴾ [يونس : 99] ، أي تلزمهم وتلجئهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : 99] أي : ليس ذلك عليك ولا إليك ، بل الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، قال تعالى : ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾ [فاطر: 8]، وقـــال : ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[البقرة : 272] ، وقـــــال : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : 6] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : 56] ، وقال أيضاً : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ [الرعد : 40] ، وقوله : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية ، 21 ، 22] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى هو الفعال لما يريد ، الهادي من يشاء ، المضل لمن يشاء ، لعلمه وحكمته وعدله ، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ ﴾ [يونس: 100] وهو الخبال والضلال ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : 100] ، أي : حجج الله وأدلته ، وهو العادل في كل ذلك في هداية من هدى وإضلال من ضل »[1]. وفي أيسر التفاسير جاء في تفسير هذه الآية تقرير وتأكيد لما تضمنه الكلام السابق من أن الإيمان لا يتم لأحد إلا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ج7، ص 404.



بإرادة الله وقضائـــه ، وقـــوله تعـــالى : ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: 100] « أي إلا أنه تعالى يدعو الناس إلى الإيمان مبيناً لهم ثمراته الطيبة ويحذرهم من التكذيب مبيناً لهم آثاره السيئة، فمن آمن جناه وأسعده ومن لم يؤمن جعل الرجس الذي هو العذاب محيطاً به جزاء له؛ لأنه لا يعقل إذ لو عقل لما كذب ربه وكفر به وعصاه وتمرد عليه وهو خالقه ومالك أمره.- وذكر أن من هداية الآيات – أن إرادة الله الكونية التي يكون بها الأشياء لا تتخلف أبداً، وإرادته الشرعية التكليفية جائزة التخلف»[1].

وغير ذلك من الآيات الدالة على المشيئة ففي حجج القرآن أنها وردت في عشرة مواضع من القرآن الكريم منها ما يلي :

« في يس : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس : 47] ، وفي الزخرف : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف : 20]. وفي المزمل قال تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [المزمل : 19] . وفي المدثر قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر : 37] . وفي الإنسان قال تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ ﴾[الإنسان : 29] »[2]. وقد ذكر غيره نحوه [3].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى بعد أن ساق نحواً من هذه الآيات : « وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ، ونفاة مشيئة أفعال العباد

---

(١) بتصرف من: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»، المؤلف : أبي بكر جابر الجزائري، الناشر : مكتبة أضواء المنار ، دار لينة للنشر والتوزيع ، ط1، 1419هـ، 1999م، ص 530.

(٢) حجج القرآن للحنفي ، (30/1).

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، المؤلف : حافظ بن أحمد حكمي، الناشر: دار ابن القيم، الدمام ، ط1 ، 1410-1990، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر (215/1 ، 216).



وحركاتهم وهداتهم وضلالهم وهو سبحانه يخبر تارة أن كل ما في الكون بمشيئته ، وتارة أن ما لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه، وأنه لو شاء ما عصى وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة الربوبية، وهو معنى كونه رب العالمين، وكونه القيوم القائم بتدبير أمور عباده فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره»[1].

ومن أظلم وأشد كفراً وطغياناً ممن يدعي مشيئة الله الإيمان للكافر وأن الكافر شاء الكفر فعلت مشيئة الكافر على مشيئة الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

والآيات الدالة على المشيئة تثبت بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ولا يحدث في ملكه سبحانه إلا ما شاءه تعالى مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان : 30].

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 99]، وقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام إذ قال لقومه : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود: 34] إلى غيرها من الآيات التي تقرر ما ذكرنا.

ويظهر من آيات القرآن الكريم والتأمل فيها كيف أن الأنبياء كانوا كثيراً ما يردون الأمـور إلى مشيئتـه تعـالى في كل شيء، فنوح عليه السلام ذكـر ذلك عـندما قـال له قومه: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [هود: 32، 33] .

---

(١) شفاء العليل لابن القيم ، (44/1)، وانظر : معارج القبول ج1 ص 217، 218.



وشعيب عليه السلام قال لقوله عندما أرادوا عودته في ملتهم : ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأعراف : 89].

ويوسف عليه السلام قال لأهله : ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: 99].

وموسى عليه السلام قال للخضر : ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ [الكهف: 69] .

وإدراك المؤمن ويقينه التام بأن كل ما يجري حوله بمشيئة الله تعالى وإرادته، يجعل منه المؤمن القوي الراضي بقدر الله، ويعينه على عدم الحزن والاعتراض على ما لم يتحقق له في هذه الدنيا، فالملك بمشيئة الله والعزة بمشيئة الله والرزق بمشيئته وعكس كل ذلك بمشيئته سبحانه وتعالى : قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: 26]. « أي : أنت المعطي ، وأنت المانع ، وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن»(١).

وفي كل هذا دليل على أن المسلم الحق هو من استقرت عقيدته ويقينه بمشيئة الله تعالى أسوة بالأنبياء والصالحين كما في الآيات السابقة.

وقد أفدت من هذه الآيات ونحوها ما يلي :

أولاً : أن كل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد، إلا مـــا شاء لهم ، فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (29/2).

(٢) انظر: شرح الطحاوي في العقيدة السلفية ، لابن أبي العز الحنفي (70/1).



ثانياً : أن مشيئة الله تعالى نافذة لا تتخلف وهي الإرادة الكونية، اما الإرادة الشرعية التكليفية فقد تتخلف .

ثالثاً : أن المشيئة هي المرتبة الثالثة من مراتب القدر، ومن لم يؤمن بمشيئة الله تعالى العامة لكل شيء فإنه لم يتم إيمانه بالقدر . « وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير أو شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، ولا يستغني عن الله ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل»(1).

رابعاً : المتأمل في آيات القرآن التي تتحدث عن المشيئة يدرك بأن الله تعالى يخبرنا أن كل ما في الكون إنما هو واقع بمشيئته تعالى؛ مثل قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران ، 26 ، 27] . وقوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الشورى: 12].

كما أن الله تعالى لو شاء لخلق الخلق على غير ما هم عليه، وأنه لو شاء لقدر غير هذا القدر و لم يعصه أحد ، وأنه لو شاء لجمعهم على الهدى والتقوى ، وجعلهم أمة واحدة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون مثل قوله تعالى : ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ [النساء : 133] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة : 13] ، وقوله : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ [الإنسان : 28] ، إلى غيرها من الآيات التي تدل على معناها.

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (20/1).



خامساً : أن الله تعالى قد أعطى الإنسان مشيئة يقدر بها أن يؤمن، ويقدر بها أن يكفر، فمن آمن نجى، ومن كفر فالحجة قائمة عليه لا عذر له ولا حجة تنجيه . إذ الهداية هي فعل الرب، والاهتداء هو فعل العبد ، وهو أثر فعله تعالى[١] ، وقد ضل من نسب الكفر والضلال لمن قال سبحانه : ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر : 7] ، إذ تبين ذلك فمرتبة المشيئة هي المرتبة التي وقع فيها الخلاف والضلال ما بين المبتدعة وبين أهل السنة والجماعة، ومجمل قولهم أن القدرية الذين ينفون القدر كالمعتزلة ومن شابهم كل هؤلاء ينزهون ويقولون: إن المشيئة لا تدخل في معصية العاصي ولا في كفر الكافر ، فإن كفر الكافر ومعصية العاصي هذه لم يشأ الله أن تقع وإنما شاءها العبد وهي مكروهة لله استدلالاً بقوله : ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر : 7] . والصواب أن يقال: كيف يكون في ملك الله تعالى ما لم يرده و لم يشأ أن يكون، ومن المعلوم أنه لا يمكن ذلك سواء علمنا الحكمة من ذلك أم لم نعلمها فالله تعالى شاء الكفر والضلال، ولكنه لا يرضاه لعباده ، ومكن العبد من مشيئة وإختيار يختار بها من العمل ما يريد، مع أن هذه المشيئة لا تخرج من تحت مشيئة وإرادة الله تعالى. كما أن وصفهم هذا وصف الله بالنقائص والعياذ بالله إذ كيف يحدث في ملكه ما لم يشاءه سبحانه[٢].

« ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتهم إلى ضال ومهتد وشقي وسعيد ومقرب وطريد وطائع وعاص ومؤمن وكافر ، وغير ذلك هو مقتضى حكمته وموجب ربوبيته وحكمته حكمة حق وهي صفته القائمة به كسائر الصفات ، وهي متضمن إسمه الحكيم وهي الغاية المحبوبة له ولأجلها خلق فسوى ، وقدر فهدى، وأسعد وأشقى ، ومنع وأعطى،

---

(١) انظر: التكليف في ضوء القضاء والقدر ، تأليف د.أحمد= عبدالعال ، ص 122.

(٢) انظر: القضاء والقدر ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، تحقيق : محمد بن عبدالله آل عامر ، الناشر : مكتبة العبيكان ، ط1، 1421هـــ - 2000م ص 68-69.



وخلق السموات والأرض، والآخرة والأولى ، فهو سبحانه الحكيم في خلقه وتكوينه الحكيم في قضائه وقدره الحكيم في أمره ونهيه وجميع شرعه؛ فإن أسماءه وصفاته صفات كمال وجلال، وأفعاله كلها عدل وحكمة، والفعل لغير حكمه عبث والعبث من صفات النقص والله تعالى منـــــزه بجميع أسمائه وصفاته وأفعاله عن جميع النقائص؛ فجميع ما خلقه وقضاه وقدره خير وحكمة من جهة إضافته إليه سبحانه وتعالى، وكذلك جميع ما شرعه وأمر به كله حكمة وعدل، وما كان من شر في قضائه وقدره فمن جهة إضافته إلى فعل العبد؛ لأنها معصية مذمومة مكروهة للرب غير محبوبة، وأما من جهة إضافته إلى الرب عز وجل فخير محض ولحكمة بالغة وعدل تام محمودة لا شر فيها البتة»[1].

ومن أبلغ الكلام في الرد على من احتج بالمشيئة ونسب الشرك والغواية إلى الله تعالى ممن هم أشباه إبليس الذي نسب غوايته لله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر ، آية 39] .ما في شرح العقيدة الطحاوية من أنه : « قد أجيب على هذا بأجوبة ، من أحسنها : أنه أنكر عليهم ذلك لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته ، وقالوا : لو كره ذلك وسخطه لما شاءه ، فجعلوا مشيئته دليل رضاه ، فرد الله عليهم ذلك . أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به. أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به . أو أنه أنكر عليهم معارضة شرعه وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره ، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر ، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد ، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة ، والجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر.

(١) معارج القبول للحكمي ، (225/1).



(وقد احتج سارق على عمر ﷺ بالقدر ، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره).
يشهد لذلك قوله تعالى في الآية : ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [يونس: 39] . فعلم أن مرادهم التكذيب ، فهو من قبل الفعل ، من أين له أن الله لم يقدره؟ أطلع الغيب؟! »[1].

ومرتبة المشيئة ترتبط بما قبلها من مراتب القدر إذ إن ما شاءه الله تعالى قد كتبه وقدره، وما كتب فهو في علم الله تعالى سواء شاءه المخلوق أم لم يشأه.

سادساً : إذا علمنا أن من تمام الإيمان بقضاءه وقدره الإيمان بأن كل ما يحدث وما لم يحدث هو بمشيئة الله سبحانه، فإن ذلك يوصل المؤمن إلى مرتبة الرضا والصبر والتسليم لله تعالى، ويبعده عن التسخط أو الإعتراض والعياذ بالله.

سابعاً : حري بكل مؤمن أن يتخذ الأنبياء قدوة في رد كل أفعاله ومشيئته إلى مشيئة الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: 29].

وقد تبين لي من سياق الآيات المثبتة لمرتبة المشيئة ، أن طريقة القرآن فيها قامت على ما يلي :

أولاً : علقت غالب الآيات الكريمة حوادث الكون سواء منها ما يتعلق بالعاقل أو بغير العاقل بمشيئة الله الكونية التي لا يتخلف عنها شيء كقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود : 107].

وهذه الطريقة من شأنها أن تجعل الإنسان دائم الارتباط بربه الذي لا يخرج عن مشيئته ، وهذا الارتباط يمكّن لعقيدة القدر في النفوس ، ويرسخ استشعارها في كل حين ، فيستشعرها وهو يطلب الرزق وأسبابه ، ويستشعرها وهو يتعبد ربه ، ويستشعرها في حال السعة والفرح، وفي حال الكرب والضيق فهي تخالط دمه ولحمه لتصبح جزءاً منه.

---

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، لابن أبي العز الحنفي (69/1).



ثانياً : بعض الآيات جعلت من الإيمان بمشيئة الله تعالى متنفساً للأنبياء وللصالحين وللدعاة والمصلحين حين يشعرون بالاستيئاس من دعوة الناس وهم لا يجيبونهم . كآيـــة سورة يونس: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس : 99] .

فهذه الآية توجهت بالخطاب إلى الصفوة من الخلق وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام لتذكرهم بأن مشيئة الله تعالى هي الفيصل في قضية الاهتداء والامتثال، حتى وإن بذل ما يجب من سبب الدعوة والجهاد.

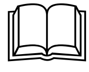
وبهذا فإن الآيات ترسم للناس طريق الاقتداء بالرسل في التعلق الدائم بمشيئة الله .

ثالثاً : اتخذت بعض الآيات طريقة ضرب الأمثلة المحسوسة الكبيرة التي يطمع فيها كل إنسان بحكم طبيعته وجبلته ، ثم ربطتها بمشيئة الله تعالى كالملك والغنى في مثل قوله تعالى : ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ [آل عمران : 26] وقوله : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[الرعد : 26] .

ولهذه الطريقة أثرها في تثبيت الإيمان بالقضاء والقضاء؛ لأن تعلق الإنسان بالمشاهد والمحسوس أقوى من تعلقه بالمغيبات التي لم يطلع الله الناس عليها .

رابعاً : ربطت بعض آيات القرآن الكريم بين مشيئة الله تعالى ومشيئة العبد لتعلن بكل وضوح حرية الإنسان في اختيار أفعاله؛ كقوله تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير : 28، 29].

ومن شأن هذه الطريقة أن تدفع عن الإنسان كل مداخل الشيطان لإيجاد الاضطراب في الإيمان بالقدر وتأكيد قيام الحجة عليه.



خاساً : بينت الآيات أنه ليس كل ما تعلقت به المشيئة والإرادة بمشروع ومرضي عنده سبحانه بناء على أن الإرادة لا تساوق الأمر والرضا على ما هو مذهب أهل السنة، إذ المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأموراً كان أو منهياً حسناً كان أو قبيحاً[1].

وهذا البيان يرفع الخلط بين ما يشاؤه الله تعالى كوناً وقدراً، وبين ما يحبه ديناً وشرعاً. فالله شاء وجود الكفر لكنه لا يرضاه كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:7].

وبهذا يتوجه المؤمن إلى تتبع كل ما يحبه ويرضاه ليعمل وينتج.

---

(١) انظر تفسير روح المعاني ، للأولسي (50/8).

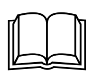


المرتبة الرابعة : مرتبة الخلق (الإيجاد)

بين القرآن الكريم بأن الله تعالى هو وحده الخالق لهذا الكون بكل ما فيه بلا شريك ولا معين له في ذلك ، فالله تعالى أوجد الكون من العدم ووضع له الأنظمة والقوانين التي يسير عليها، وخلق فيه المخلوقات المختلفة التي تعيش فيه بأنواعها وأشكالها وصفاتها المختلفة.

ولأنه تعالى المتفرد بخلقه فهو كذلك المتفرد بملكه لكل ما في الكون وليس لسواه ملك تام على أي شيء، ولا خالق لأي شيء سواه. كما أنه تعالى هو المتصرف المدبر للكون. وقد جعل الله تعالى آياته في الكون وانتظام أمره ونفاذ قدرته أدلة على وجوده وتفرده وعظيم سلطانه وقدرته ، وأنه خالق كل أحد، وهو خالق كل صانع وصنعته، ذلك أن البشر جميعاً – إلا من شذ منهم وخالف ذلك ممن زعموا أن العبد يخلق فعله من دون الله وقدرته وهم مجوس الأمة من القدرية – يقرون بأن الله تعالى هو الخالق لهذا الكون ، المالك، له والمدبر لأمره ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف : 87] . أما أفعال العباد فينسبونها للعباد ، والإيمان بالخالق سبحانه وإثبات صفة الخلق لله الواحد القهار وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً يعد المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقدر التي لا يكمل إيمان المرء إلا بالإيمان بها جميعاً. فإن من أظهر عقائد أهل الحق:

« أنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدرة كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات : 96] ، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون ، كما قال : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : 3] ، وكما قال : ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [النحل : 20] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا



يَخۡلُقُ ﴾ [النحل: 17] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور:35] وهذا في كتاب الله كثير»(١).

وفي قوله عز وجل : ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: 3] ، « قيل: ومعناه الذي صنف المبدعات، وجعل لكل صنف منها قدرا، فوجد فيه الصغير والإنسان ، والبهيمة، والدابة، والطائر، والحيوان ، والموات، ولا شك في أن الإعتراف بالإبداع يقتضي الإعتراف بالخلق، إذ أن الخلق هيئة الإبداع ، فلا يعرى أحدهما عن الآخر ، وهو في خبر الأسامي مذكور»(٢).

والخَلْقُ في كلام العرب معناه: « ابتداع الشيء على مثال لم يُسبق إليه وكل شيء خلقه الله فهو مبتدئة على غير مثال سُبق إليه (ألا له الخلق والأمر تبارك الله أحسن الخالقين) (٣). والخليقة: الخَلْقُ والخالق الصانع »(٤)، و«الخالق المُخترعُ لا عن مثال سابق»(٥). لأن الله تعالى قد أوجد الأشياء من العدم على غير مثال سابق.

ومن الأدلة على إيجاد الأشياء من العدم قولــــه تعـــالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر : 3] ، ففي قوله تعالى : ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ﴾ هذا استفهـــام على طريق التقرير كأنه

(١) الأبانة عن أصول الديانة للأشعري ، (20/1).

(٢) الأسماء والصفات ، المؤلف : أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي ، المحقق : عبدالله بن محمد الحاشدي ، الناشر: مكتبة السوادي ، جده، ط 1، (73/1).

(٣) لسان العرب ، لابن منظور (85/10).

(٤) كتاب العين ، المؤلف : أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الناشر : دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي (151/4).

(٥) لسان العرب (6/8).



قال: لا خالق غير الله .. »[١] ، فلا أحد غير الله يستطيع الخلق على غير مثـــال سابق ، ومع هذا فلا رازق لكم غيره سبحانه ولذلك قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وهي «مستنأنفة لتقرر النفي المستفاد من الاستفهام»[٢].

ومن الأدلة على ترتيب الخلق ، ومراحله المتعددة التي تدل على قدرة الخالق سبحانه، قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: 14]. قال ابن كثير : « حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال ، وشكل إلى شكل ، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السَّوِيّ الكامل الخلق، قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : 14] [٣].

وحدوث المخلوقات وخلقها مرتبط عند السلف بمراتب القدر ، فكل مخلوق مهما عظم شأنه أو دق حجمه لا بد أن يمر بهذه المراتب ، أولا علم الله تعالى وتقديره الأمور قبل تصنيعها وتكوينها بداية ، ثم بعد ذلك مرتبة الكتابة ، وهي كتابة المعلومات وتدوينها بالقلم في كلمات ، فيكتب ما يخص كل مخلوق في اللوح المحفوظ، ثم بعد ذلك المرتبة الثالثة من مراتب القدر وهي مرتبة المشيئة ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على ذلك ، ثم بعد ذلك تأتي المرتبة الرابعة من مراتب القدر وهي مرتبة

---

(١) تفسير البغوي الجزء 1، صفحة 412.

(٢) فتح القدير للشوكاني ، الجزء 4، ص 480.

(٣) تفسير ابن كثير (468/5).



خلق الأشياء وتكوينها كما قدر في اللوح المحفوظ. كما في تفسير روح المعاني: «أن الله تعالى يقدر أولا ثم يوجد على وفق التقدير ثانياً والتقدير يرسم في اللوح المحفوظ...» [١].

قال الإمام البخاري : « باب ما جاء في تخليق السماوات وا لأرض وغيرها من الخلائق وهو فعل الرب تبارك وتعالى وأمره، فالرب بصفاته وفعله وأمره هو الخالق المكون غير مخلوق . وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مكون»[٢].

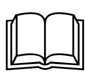
ثم إن استخدام العقل والتدبر في جميع المخلوقات أوضح طريق على وحدانية الخالق تعالى، وعظيم قدرته فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : 190] . « أي ارتفاعها واتساعها، والأرض في انخفاضها وكثافتها واتضاعها وما فيها من الآيات العظيمة المشاهدة من كواكب سيارات وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار وحيوان ومعادن ومنافع مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص واختلاف الليل والنهار أي: تعاقبهما وتعارضهما بالطول والقصر، لآيات أي: لأدلة واضحة على الصانع وعظم قدرته وباهر حكمته وعلى وحدانيته»[٣]. وصفة الخلق دليل على قدرة الله تعالى ، كما أنها دليل على علمه جل وعلا ولذلك لّما قال الله عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ قـال بعـدها : ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق : 12] .

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج 14 ص 41.

(٢) صحيح البخاري (2712/6).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، المؤلف : بدر الدين العيني الحنفي (60/27).

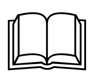


أما ذكر الخلق في القرآن فهو في مواطن كثيرة. منها: في الأنعام قال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : 101] ، وفي الأعراف قال : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ [الأعراف : 179] ، وفي الرعد قال تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعـــد : 16] ، وفي الفرقان قوله : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : 2] . وفي لقمان قال : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾[لقمان : 11] وفي فاطر قال تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [فاطر: 3]، وفي الصافات قال : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : 96] ، وفي الزمر : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر : 62] وفي غافر قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾[غافر : 62] وفي الملك قال تعالى : ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: 13-14] [1] .

وأما في أفعال العباد وخلقها، فقد ذكر ابن تيمية كلاماً دقيقاً في خلق أفعال العباد فقال : « .. وهؤلاء العلماء الأئمة أنكروا على من قال : كلام الآدميين ولفظهم غير مخلوق، لما نبغت القدرية المبتدعة ، وزعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة لله؛ لا أقوالهم ولا سائر أعمالهم؛ لا خيرها ولا شرها ، بل يقولون : هي محدثة ، أحدثها العبد ، وليست مخلوقة لأحد ، أو يقولون : العبد خلقها ، كما أنه أحدثها ؛ فإنهم قد يتنازعون في إثباب خلق لغير الله ، ومع هذا فلم يكن بين الأمة نزاع في أنها محدثة كائنة بعد أن لم تكن، و لم يقل أحد : إنها قديمة ، ولكن القدرية من المعتزلة وغيرهم اعتقدوا أن الأفعال الاختيارية وما يتولد عنها من أفعال الملائكة والجن والإنس — الطاعات والمعاصي — لم يخلقها الله ، قالوا: لأنه لو خلقها للزم أن يكون العبد مجبوراً ، وأن يرتفع التكليف والوعد والوعيد والثواب

---

(١) انظر: كتاب حجج القرآن ، أبي الفضائل أحمد بن محمد الرازي الحنفي ، بتصرف يسير ، (23/1).



والعقاب؛ ولأن العبد يعلم أنه هو الذي يحدث أفعاله علماً ضرورياً ، وعللوا ذلك بأدلة نظرية ، فلما ابتدعوا هذه المقالة أنكرها أئمة السنة ، كما أنكر الصحابة – رضوان الله عليهم- أول هذه البدعة لما نبغت القدرية في أواخر عصر الصحابة ، فرد عليهم ابن عمر، وابن عباس ، وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة.

وبين الأئمة أن من جعل شيئاً من المحدثات – كأفعال العباد وغيرها – ليس مخلوقاً لله، فهو مثل من أنكر خلق الله لغير ذلك من المحدثات كالسماء والأرض؛ فإن الله رب العالمين، ومالك الملك ، وخالق كل شيء ، فليس شيء من العالمين خارجاً عن ربوبيته، ولا شيء من الملـــك خارجاً عن ملكه ، ولا شيء من المحدثات خارجاً عن خلقه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: آية 62 ، 63]، وقال تعالى : ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد : 16] ، وقال تعالى : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام : 101–103] ، وقال تعالى : ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾[غافر : 62] ، وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان : 2] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر : 49] ، وقـــال تعالى : ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النحل: 17–21].



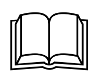
ولهذا كان أهل السنة والجماعة والحديث هم المتبعين لكتاب الله ، المعتقدين لموجب هذه النصوص ، حيث جعلوا كل محدث من الأعيان والصفات والأفعال المباشرة والمتولدة وكل حركة طبيعية أو إرادية أو قسرية ، فإن الله خالق كل ذلك جميعه وربه ومالكه ومليكه ووكيل عليه، وأنه – سبحانه – على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ، فآمنوا بعلمه المحيط ، وقدرته الكاملة ، ومشيئته الشاملة ، وربوبيته التامة؛ ولهذا قال ابن عباس: الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده ، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده.

وأما صفة الله – تعالى – فهي داخلة في مسمى أسمائه الظاهرة والمضمرة فإذا قلت: عبدت الله ، ودعوت الله و ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة : 5] ، فهذا الاسم لا يخرج عنه شيء من صفاته من علمه ورحمته وكلامه وسائر صفاته؛ ولهذا قال النبي ﷺ : (من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) (١). وقال : (من حلف بغير الله فقد أشرك) (٢)، وقد ثبت عنه الحلف بعزة الله ، والحلف بقوله : (لعمر الله) ، فعلم أن ذلك ليس حلفاً بغير الله، فأعطوا هذه الآيات المنصوصة حقها في اتباع عمومها الذي قد صرحت به، في أن الله خالق كل شيء، إذ قد علم أن الله ليس هو داخلاً في المخلوق ، وعلم أن صفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه.

---

(١) صحيح البخاري ك الشهادات، الجزء 2 صفحة 951، برقم 2533، باب كيف يستحلف ، ورواه مسلم في ك الإيمان، الجزء3 صفحة 1266، برقم 1646.

(٢) سنن أبي داود الجزء 2 صفحة 242، برقم 3251، (سنن أبي داود ، المؤلف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، الناشر : دار الفكر ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، مع الكتاب : تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيلة باحكام الألباني عليها ، ورواه الترمذي في سننه ، الجزء 4 صفحة 110، برقم 1535، قال أبو عيسى هذا حديث حسن.



وأما المعتزلة ، الذين جمعوا التجهم والقدر فأخرجوا عنها ما يتناوله الاسم يقيناً من أفعال الملائكة والجن والإنس والبهائم ، طاعاتها وغير طاعاتها ، وذلك قسط كبير من ملك الله وآياته ، بل هي من محاسن ملكه وأعظم آياته ومخلوقاته ، وأدخلوا في ذلك كلامه لكونه يسمى [شيئاً] في مثل قوله : ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام : 91] ، ولم ينظروا في أن ذلك مثل تسمية علمه [شيئاً] في قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة : 255] وتسمية نفسه [شيئاً] في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: 19] ، وأن قوله : ﴿أَيُّ شَيْءٍ﴾ يعم بحسب ما اتصل به من الكلام . فإن الاسم تتنوع دلالته بحسب قيوده. ففي قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : 29] ، دخل في ذلك نفسه لأنها تصلح أن تعلم، وفي قوله : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : 120] دخل في ذلك ما يصلح أن يكون مقدوراً، وذلك يتناول كل ما كانت ذاته ممكنة الوجود ، وقد يقال : دخل في ذلك كل ما يسمي شيئاً بمعنى [مشيئاً] ، فإن [الشيء] في الأصل مقدر وهو بمعنى المشيء، فكل ما يصلح أن يشاء فهو عليه قدير ، وإن شئت قلت : قدير على كل ما يصلح أن يقدر عليه ، والممتنع لذاته ليس شيئاً باتفاق العقلاء . وفي قوله : ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: 16]، قد علم أن الخالق ليس هو المخلوق ، وأنه لا يتناوله الاسم، وإنما دخل فيه كل شيء مخلوق؛ وهي الحادثات جميعها.

هذا مع أن أهل السنة يقولون : إن العبد له مشيئة وقدرة وإرادة ، وهو فاعل لفعله حقيقة ، وينهون عن إطلاق [الجبر]؛ فإن لفظ [الجبر] يشعر أن الله أجبر العبد على خلاف مراد العبد ، كما تجبر المرأة على النكاح ؛ وليس كذلك ، بل العبد مختار يفعل باختياره ومشيئته ورضاه ومحبته ، ليس مجبوراً عديم الإرادة، والله خالق هذا كله؛ فإن هذه الأمور من المحدثات الممكنات ، فالدلالة على أن الله خالقها كالدلالة على أنه خالق



غيرها من المحدثات، وليس هذا موضع الكلام على هذا ، فإن ذلك له موضع آخر.

وإنما الغرض هنا أن الأئمة ردوا على من جعل أقوال العباد وأفعالهم خارجة عن خلق الله، وجعلوا ذلك بمنـــزلة من جعل السماء والأرض ليس مخلوقة لله، هذا مع أن أولئك المبتدعين كانوا يقولون : إنها محدثة ليست قديمة ، فكيف إذا قيل : إنها قديمة؟! فإن ذلك يصير ضلالين بل ثلاث ضلالات :

أحدها : جعل المحدث المصنوع صفة لله قديمة ، مضاهاة للنصارى ونحوهم.

والثاني : إخراج مخلوق الله ومقدوره عن خلقه وقدرته ، كما قالته القدرية ، مضاهاة للمجوس ونحوهم .

والثالث : إخراج فعل العبد ومقدوره ، وكسبه عن أن يكون مقدوراً له وكسباً وفعلاً، مضاهاة للجبرية القدرية المشركية ، فهذا كان وجه كلام أولئك الأئمة في هذا .

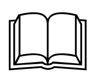
ومما يدل على بطلان قول من يقول : إن فعل العبد أو صفاته المتعلقة بصفات الله غير مخلوقة ما دل على أن أفعال العباد وصفاتهم مخلوقة، فروي البخاري عن يحيى بن سعيد القطان[1] قال : ما زلت أسمع أصحابنا يقولون : أفعال العباد مخلوقة»[2].

ومن الآيات أيضاً ما يلي :

---

(١) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي ، أبو سعيد البصري الأحول الحافظ ، يقال : مولى بني تميم، ويقال: ليس لأحد عليه ولاء. أهـــ. ميلاده 120هـــ ، وفاته : 198هـــ، قال أحمد بن حنبل : حدثني يحيى القطان وما رأت عيناي مثله.. قال بن يحيى إن أباه يختم القرآن في كل يوم قال علي فتفقدته وأنا معه في البستان فختمه بين المغرب والعشاء .. قال محمد بن سعد : كان ثقة مأموناً رفيعاً حجة. قال النسائي : ثقة ثبت مرضى.. انظر: تهذيب الكمال ج 31، ص 29.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية في التفسير (ج 1/من 279 إلى 284) بتصرف يسير.



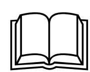
1- قال تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : 100-101] .

« يخبر تعالى : أنه مع إحسانه لعباده وتعرفه إليهم ، بآياته البينات، وحججه الواضحات، أن المشركين به ، من قريش وغيرهم ، جعلوا له شركاء ، يدعونهم، ويعبدونهم من الجن والملائكة ، الذين هم خلق من خلق الله ، ليس فيهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر ، وهو المنعم بسائر أصناف النعم، الدافع لجميع النقم ، وكذلك «خرق المشركون» أي : ائتفكوا، وافتروا من تلقاء انفسهم لله، بنين وبنات بغير علم منهم ، ومن أظلم ممن قال على الله بلا علم ، وافترى عليه أشنع النقص ، الذي يجب تنـــزيه الله عنه؟!!.

ولهذا نزه نفسه عما افتراه عليه المشركون فقال : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام : 100] فإنه تعالى ، الموصوف بكل كمال ، المنـــزه عن كل نقص، وآفة وعيب.

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة : 117] أي : خالقهما ، ومتقن صنعتهما، على غير مثال سبق ، بأحسن خلق، ونظام وبهاء ، لا تقترح عقول أولي الألباب مثله، وليس له في خلقهما مشارك .

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام : 101] أي : كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد الصمد ، الذي لا صاحبة له أي : لا زوجة له ، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه ، مضطرة في جميع أحوالها إليه ، والوالد لا بد أن يكون من جنس والده؛ والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابهاً لله بوجه من الوجوه.



ولما ذكر عموم خلقه للأشياء ذكر إحاطة علمه بها فقال : ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام : 101] ، وفي ذكر العلم بعد الخلق ، إشارة إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات ، وما اشتملت عليه من النظام التام ، والخلق الباهر، فإن في ذلك دلالة على سعة علم الخالق ، وكمال حكمته ، كما قال تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك : 14] وكما قال تعالى : ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[يس : 81]، ذلكم الذي خلق ما خلق ، وقدر ما قدر»(١). وقد ذكر غيره قريباً منه(٢).

وقد أفدت من النصوص الدالة على مرتبة الخلق أو الإيجاد ما يلي :

أولاً : أن المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان بالقضاء والقدر هي مرتبة الخلق وتأتي تباعاً: (العلم، الكتاب، المشيئة، الخلق).

ثانياً: « أن من لم يؤمن بأن الله تعالى هو خالق أفعال العباد وأنها تحدث بمشيئته وقدرته وإرادته فهو مشرك في الربوبية، ومنه شرك القدرية الذين قالوا بأن الحيوان هو الذي يخلق فعل نفسه، وأن هذه الأفعال تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته»(٣).

ثالثاً : ممن أنكر وجود الخالق سبحانه وتعالى الذين قالوا بأن العالم قديم وهم بذلك ينكرون الخالق تعالى بقولتهم وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله تعالى ذلك بقوله : «والمشهور عن القائلين بقدم العالم أنه لا صانع له ، فينكرون الصانع جل جلاله»(٤).

---

(١) تفسير السعدي (267/1 ، 268).

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج3 ص 308، وجامع البيان في تأويل القرأن للطبري ج11ص12.

(٣) نواقض الإيمان القولية والعملية . د. عبدالعزيز العبد اللطيف ، ج1ص 100، الناشر : دار الوطن للنشر، 1415هـ/ص2.

(٤) مجموع الفتاوى ، ج5 ص 539.



رابعاً : يجب أن نؤمن بأن الله تعالى خالق كل شيء، فما من موجود في السموات والأرض إلا الله خلقه ، حتى الموت يخلقه الله تبارك وتعالى ، وإن كان هو عدم الحياة ، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : 2] ، فكل شيء في السموات أو في الأرض فإن الله تعالى خالقه ، ولا خالق إلا الله ، وكلنا يعلم أن ما يقع من فعله تعالى فإنه مخلوق له ، فالسموات والأرض والجبال والأنهار والشمس والقمر والنجوم والرياح كلها نعرف أنها مخلوقة من مخلوقات الله ، وكذلك ما يحدث لهذه المخلوقات من صفات وتقلبات أحوال كلها مخلوقة لله عز وجل(1).

خامساً: لما ثبت أن الله تعالى خالق كل صانع وصنعته وهو الذي أوجد الأشياء من العدم سبحانه؛ يتبين أنه مع كون لكل عبد قدرة على فعله واختياره فهو بهذا لا يكون خالقاً لفعل نفسه؛ لأن فعله واختياره وإرادته وقدرته التي استطاع بها أن يعمل العمل إنما خلقها الله تعالى، فهو خالق السبب والمسبب ، لولا الإرادة لم يفعل، ولولا القدرة لم يفعل؛ ولولا السبب لم يحدث المسبب ، لأنه إذا أراد وهو عاجز لم يفعل، وإذا كان قادراً و لم يرد لم يحصل الفعل . قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات : 96] .

سادساً : أكدت الآيات الكريمة ذلك بصيغة الإستفهام الاستنكاري ، فقال تعالى : ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [فاطر : 3] ، وقال تعالى مبيناً بطلان آلهة الكفار : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : 17]. فالله تعالى وحده هو الخالق ، خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وخلْقُهُ يشمل ما يقع من مفعولاته،

---

(1) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ/ عرفان بن سليم العشا حسونه الدمشقي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، 1427هـ/2006م، ص 338.



وما يقع من مفعولات خلقه أيضاً كما ذكرنا ، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله تعالى خالقاً لأفعال العباد ووجه ذلك أن فعل العبد من صفاته ، والعبد مخلوق لله، وخالق الشيء خالق لصفاته ، وهو خالق لإرادته كما تقدم، فالآيات تقرر توحيد الربوبية الذي هو : (إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعاله ، ومن أفعاله الخلق ، والملك ، والتدبير).

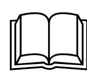
سابعاً : أن في حديث الرسول ﷺ في المصورين أنه يقال لهم : (أحيوا ما خلقتم) [١]. دليل على أنه ولو أطلق لفظ الخالق على غير الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون : 14] ، أن خلق البشر وصنعهم غير خلق الله تعالى وصنعه؛ فالله قد أوجد كل شيء من العدم، أما غيره ممن هو مخلوق بذاته فلا يمكنه ذلك من إيجاد معدوم، ولا إحياء ميت ، وإنما خلق غير الله تعالى يكون بالتغيير وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى وهو في الأصل مخلوق لله عز وجل كتحويل الطين مثلاً إلى صورة حيوان أو ما أشبه ذلك. كما ذكر ابن القيم في قدرة العبد أن : « غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى ويراه وتغييرها من حال إلى حال على وجه مخصوص لا تتعداه قدرته»[٢].

ثامناً : أكدت الآيات القرآنية الدليل العقلي القاطع الذي يدل على إفراد الله تعالى بالخلق قال تعالى : ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور : 35] .

---

(١) جزء من حديث : (أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة وأن من صنع الصورة يعذب يوم القيامة يقول أحيوا ما خلقتم) ، رواه البخاري، ك بدء الخلق، الجزء 3 صفحة 1178، برقم 3052، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه.

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، الناشر : دار الفكر – بيروت 1398-1978م، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي ، ج 1، ص132.



يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق ، ولا هم خلقوا أنفسهم ؛ وبهذا لا بد أن يكون خالقهم هو الله؛ فالمخلوق لا بد له من خالق ، والأثر لا بد له من مؤثر ، والمُحدث لا بد له من محدث، والمصنوع لا بد له من صانع، والمفعول لا بد له من فاعل. والقائلين بأن الطبيعة هي التي خلقت وأوجدت من الملحدين الذين ينسبون الخلق للطبيعة فقد رد عليهم الغربيون أنفسهم عوضاً عن المسلمين، ومن هذه الردود ما ذكره «كلودم هاثاواي» المصمم للعقل الإلكتروني في مقال له بعنوان المبدع العظيم قال: (إن فلسفتي تسمح بوجود غير المادي؛ لأنه بحكم تعريفه لا يمكن إدراكه بالحواس الطبيعية، فمن الحماقة إذن أن أنكر وجوده بسبب عجز العلوم عن الوصول إليه ، وفوق ذلك فإن الفيزياء الحديثة قد علمتني أن الطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها أو تسيطر على نفسها»[1].

تاسعاً : وهذه المراتب الأربع (العلم ، والكتابة، والمشيئة ، والخلق) شاملة لكل ما يكون من الله ومن العباد ، فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال فهي معلومة لله تعالى مكتوبة عنده، والله تعالى قد شاءها وخلقها ، قال تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير : 28-29] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة : 253] ، وقال : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام : 137] ، وقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[الصافات : 96] فإذا أقر بها العبد وأيقن بذ لك تمام اليقين فقد آمن بالقضاء والقدر الذي يعد الركن السادس من أركان الإيمان الستة.

(١) كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص 90، نقلاً من عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، محمد أحمد ملكاوي، ص146.



ومن سياق آيات الخلق التي ذكرتها ، وما أفادته؛ فقد تبين لي أن طريق القرآن الكريم في تناول مرتبة الخلق قامت على ما يلي :

أولاً : اتخذت الآيات القرآنية طريقة العموم المطلق في إثبات مرتبة الخلق كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد : 16] . وهذه الطريقة تغرس في القلوب عقيدة أن كل ما سوى الله فهو مخلوق لله تعالى . كما أن هذه الطريقة تهيء النفوس بعد ذلك للإيمان بمفردات خلق الله تعالى .

ثانياً : خاطبت الآيات القرآنية المثبتة لمرتبة الخلق العقول السليمة بطريقة الاستفهام الذي يحملها على التفكر فيمن يستحق أن يكون خالقاً لهـــذا الكون وكل ما فيه كقوله تعالى : ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾[الطور : 35] .

وهذا مدعم آخر من مدعمات الإيمان بالقدر ؛ فإنه إذا اجتمع في الإنسان الفطرة السليمة على أن الله خالق وما سواه مخلوق ، ثم حركة العقل السليم الذي يدل على ما فطر عليه الإنسان، فإن إيمانه بخلق الله لكل شيء يصبح إيماناً قاطعاً لا تؤثر فيه الشبهات الفاسدة.

ثالثاً : قطعت الآيات القرآنية على الإنسان أي ظن أو تفكير يجعله ينسب شيئاً من المخلوقات في خلقه إلى غير الله تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات : 96] . وبهذا يندفع ظن من يظن أن أعمال الناس عموماً ، والطاعات والمعاصي خصوصاً . هي من خلق الإنسان ، فهي وإن كانت فعلاً وعملاً له ، لكنها مخلوقة لله المتفرد بالخلق.



المبحث الثاني بيان القرآن الكريم لما يرتبط بقضائه وقدره مما يجري في الكون مما لا دخل للمخلوق فيه (الموت والحياة ، الرزق، تنوع الخلق)

« الموت : ليس بعدم محض ، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته ، وحيلولة بينهما ، وتبدل حال ، وانتقال من دار إلى دار»[١].

والحياة : تعلق الروح بالبدن واتصاله به، وقيل: هي ما يصح بوجوده الإحساس، وقيل: ما يوجد كون الشيء حياً[٢].

والمتأمل في النصوص القرآنية التي ذكرت الموت والحياة والرزق وغيرها مما قدره الله تعالى علينا في هذا الكون ولا يستطيع البشر أن يغيروا فيه ، يدرك مدى إثبات القرآن الكريم لهذه الأمور التي تجعل الإنسان يسلم أمره للخالق تعالى ويرضى بما قدر له خيراً كان أو شراً ، فالحياة والموت لا بد للإنسان منها ؛ فهو إما حي وإما ميت ولا وسط بين الحالين، إلا ما يكون عند الاحتضار كما في قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: 83]، أي : وصلت الروح إلى هذا الموضع بحيث فارقت و لم تفارق فهي برزخ بين الموت والحياة. كما أنها إذا فارقت صارت في برزخ بين الدنيا والآخرة »[٣]. كما أن الغنى والفقر شيء قد كتبه الله تعالى على عباده وهذا لا ينافي طلب الرزق، فالموت والحياة شيء قد كتبه الله أيضاً على عباده وهذا لا ينافي طلب الحياة والبقاء والبعد عن ما يوقف مسيرة الحياة ويسبب انتهاءها.

---

(١) أصول الدين الإسلامي ، المؤلف : د. قحطان الدوري ، د. رشدي عليان ، الناشر : دار الفكر ، ط 2 ، 1422هـ، 2002م، ص 375.

(٢) فتح القدير للشوكاني ج5 ، ص 360.

(٣) التبيان في أقسام القرآن ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله الناشر : دار الفكر، (147/1).



الموت والحياة :

قدر الله تعالـــى الموت على كل أحد، وجعل له أجلاً مقدراً ، كما قال سبحانه : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون : 10-11] . وإذا حان الأجل فإنه لا يتأخر ولا يتقدم : ﴿ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[يونس : 49] .

و«الأجل هو : عبارة عن الوقت الذي يحل فيه الدين ، والمقتول والميت أجلهما عند خروج روحهما..» [(١)].

والإيمان بملك الموت الموكل بقبض الأرواح هو عقيدة أهل السنة والجماعة ومن وافقهم وذلك كما ورد في شرح العقيدة الطحاوية قوله : (ونؤمن بملك الموت، الموكل بقبض أرواح العالمين).

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجده: 11] ، ولا تعارض هذه الآية قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : 61] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: 42] . لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها ، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب ، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره ، وحكمه وأمره، فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه[(٢)].

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، لمعالي الشيخ د. صالح بن فوزان ، ص 205.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، ابن أبي العز الدمشقي ، ج2ص595.



كما قال عز وجل : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2]
وهذا يدل على أن الموت موجود مخلوق .

وكذلك ما جاء في السنة من أحاديث كثيرة ، فيها أن الموت يؤتى به يوم القيامة على هيئة كبش فيذبح كما قال ﷺ : (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه. ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح . ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم : 39])[1] .
فهذا يدل على أن الموت موجود وله صفة الوجود.

وقد قرر القرآن الكريم أن الموت والحياة بيد الله تعالى ، وليس للمخلوق أياً كان أن يهبهما أو يمنعهما إلا بما أقدره الله من أسباب ، وأن المحيي والمميت هو الله وحده لا يمكن أن يوصف بها غيره .

قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : 258]، ففيه إختيار إبراهيم عليه السلام لصفة الإحياء والإماتة لأن هذا مما يقره العقل ويدركه. فقال إبراهيم: (ربي الذي يحيي ويميت) أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم

(١) أخرجه البخاري، ك التفسير، ج4 ، ص1760، برقم 4453، باب (وأنذرهم يوم الحسرة) . ورواه مسلم ج4 ص2188، كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها برقم 2849.



تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي دعوا إلى عبادته وحده لا شريك له »[1]، وإن ادعى النمرود[2] صفة الإحياء والإماتة فدعواه ظاهرة البطلان.

وأخبر سبحانه في عدة آيات أن من تمام الإيمان بالقضاء والقدر، الإيمان بالموت الذي قدره الله تعالى على الخلائق بلا استثناء ، وأنه لا يمكن لأحد أن ينجو من الموت ولو بذل ما بذل من الأسباب الوقائية التي يعتقد أنها ستحول بينه وبين أجله، ومن هذه الآيات:

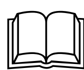
1- قوله تعـــــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : 243] .

ورد عن ابن كثير في تفسير هذه الآية عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة : 243] قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون قالوا : نأتي أرضا ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال الله لهم : موتوا فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [البقرة : 243] الآية . وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم، وأصابهم بها وباء شديد، فخرجوا فراراً من الموت إلى البرية، فنـــزلوا وادياً أفيح ، فملأوا ما بين عدوتيه فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه، فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد.

---

(١) تفسير ابن كثير ج 1 ص 419.

(٢) النمرود : هذا الذي حاج إبراهيم في ربه، وهو ملك بابل، نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ويقال نمرود بن فالخ بن عبار بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح والأول قول مجاهد وغيره ». (تفسير ابن كثير ج1ص419).



فحيزوا إلى حظائر، وبني عليهم جدران وقبور وفنوا وتمزقوا وتفرقوا ، فلما كان بعد دهر مرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل ، فسأل الله أن يحييهم على يديه، فأجابه إلى ذلك وأمره أن يقول : أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض ، ثم أمره فنادى : أيتها العظام إن الله يأمرك بأن تكتسي لحماً وعصباً وجلداً. فكان ذلك ، وهو يشاهده ثم أمره فنادى : أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره . فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة ، وهم يقولون : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت.

ثم أورد ابن كثير بعدها قوله تعالى : ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة : 244] وفسرها بأن الحذر لا يغني من القدر ، كذلك الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلاً ولا يباعده ، بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه، كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران : 168] وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران : 168] وقال تعالى : ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ﴾[النساء : 77، 78] [١] .

وذكر السعدي نحو هذا الكلام في تفسيره، ثم قال : « ففي هذه الآيات دليل على أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر ، وخصوصاً الأسباب التي تترك بها أوامر الله»[٢] .

(١) انظر: تفسير ابن كثير ، ج (1) ، ص 661 – 662.

(٢) تفسير السعدي (106/1).



والموت هو القيامة الصغرى لمن مات ، وقيام الساعة هو القيامة الكبرى لجميع الخلق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وهو سبحانه وتعالى في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى والصغرى؛ كما في سورة الواقعة؛ فإنه ذكر في أولها القيامة الكبرى، وأن الناس يكونون أزواجاً ثلاثة؛ كما قال تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة : 1-7] ، ثم إنه في آخرها ذكر القيامة الصغرى بالموت، وأنهم يكونون ثلاثة أصناف بعد الموت، فقال : ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة : 83-94] »(١) . وروي عن سعيد بن جبير (٢) أنه قال

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (8/6) ، بتصرف يسير .

(٢) سعيد بن جبير ويكنى أبا عبدالله مولى لبني والبة بن الحارث من بني أسد بن خزيمة، وكان سعيد بن جبير فيمن خرج من القراء على الحجاج بن يوسف وشهد دير الجماجم.. وقيل: إنه أتى بسعيد بن جبير وله ضفران فكلمه ساعة ثم قال يا حرسي انطلق به فاضرب عنقه فانطلق به فقال دعني أصلي دعني أصلي ركعتين وتوجه نحو القبلة فقال الحجاج ما يقول لك قال قال دعني أصلي ركعتين قال لا إلا إلى المشرق فقال سعيد أينما تولوا فثم وجه الله ثم مد عنقه فضربها .. وقيل كان قتل سعيد بن جبير سنة أربع وتسعين وكان يومئذ ابن تسع وأربعين سنة. انظر : الطبقات الكبرى ، المؤلف : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، الناشر: دار صادر ، بيروت ، ج6 ، ص 256-266.



عن ميت : « أما هذا فقد قامت قيامته أي : صار إلى الجنة أو النار، وإن كان بعد هذا تعاد الروح إلى البدن ويقعد بقبره»[١].

وعند الموت تقبض روح الإنسان من جسده بأمر الله تعالى ، وقد أسند الله قبض الأنفس إليه سبحانه في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: 42]، وأسنده إلى الملائكـــــة في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[الأنعام: 61] وفي قوله : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الأنفال: 50] ، وأسنده إلى ملك الموت في قوله : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجده : 11] .

2- قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : 185] .

بعد أن أمر المؤمنين بالهجرة من بلد الشرك حتى يتمكنوا من عبادة الله قال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ أي وعليه فهاجروا في سبيل مرضاتي ولا تخشوا موتاً ولا فقراً؛ فإن كل نفس ذائقة الموت هاجر صاحبها أم لم يهاجر[٢].

جاء في تفسير هذه الآية عند ابن كثير : « يخبر الله إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : 26] فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون ، وكذلك الملائكة وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء ، فيكون آخراً كما كان أولاً . وهذه الأية فيها تعزية لجميع الناس ، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى

---

(١) النبوات ، المؤلف : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، الناشر : المطبعة السلفية ، القاهرة، 1386هـ (184/1).

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، المؤلف : جابر بن موسى بن عبدالقادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنور ، المملكة العربية السعودية ، ط5 ، 1424هـ - 2003م (148/4).



يموت، فإذا انقضت المدة وفرغت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها ، كثيرها وقليلها، كبيرها وصغيرها، فلا يظلم أحداً مثقال ذرة ؛ ولهذا قال : ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران : 185] .

وقيل في : « قوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: 185] يقول تعالى ذكره: كل نفس منفوسة من خلقه، معالجة غصص الموت ومتجرعة كأسها»[1].

وإن في هذه الآيات وما في معناها لعبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن تذكر، فلا يغني حذر من قدر ولن تتأخر لحظة الأجل ولو لساعة واحدة، ومن يؤمن بهذا يزداد يقينه بالله وتتوقد همته نحو الطاعة ، كما أن إخفاء علم هذه الساعة من حكمة المولى جل وعلا وحتى يبذل الإنسان كل ما في وسعه من عمل الصالحات؛ فهو يترقب الموت في كل لحظة فيستعد

(١) تفسير الطبري (439/18).



ويشمر حتى لا يباغته الأجل على غير طاعة نسأل الله أن يحسن خاتمتنا آمين ، ولا حجة حينئذ لأن الله تعالى قد آذن ابن آدم بالموت، ووجهه لجعل الدنيا طريقاً للأخرى(١).

ومن الآيات التي تدل على أنه لا ينجي حذر من قدر، قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب : 16]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: 42] ، ولولا الإطالة لتطرقت إلى تفسيرها وما فيها من كلام أهل العقيدة، ولكن سأكتفي ببعضها .

فمن تلك الآيات :

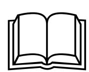
قوله تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: 78].

« أي : أنتم صائرون إلى الموت لا محالة ، ولا ينجو منه أحد منكم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن 26، 27] ، وقال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران : 185]. وقال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾[الأنبياء : 34] والمقصود : أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء ، وسواء عليه جاهد أو لم يجاهد ، فإن له أجلا محتوماً ، وأمداً مقسوماً، كما قال خالد بن الوليد (٢)حين جاء الموت على فراشه : لقد شهدت كذا وكذا موقفاً ، وما من

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج12 ص164.

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي سيف الله أبو سليمان، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، أسلم في سنة سبع بعد خيبر، وقيل: قبلها؛ عن ابن أبي أوفى رفعه لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيونف الله صبه الله على الكفار ، .. قال : (لقد شغلني الجهاد عن تعلم كثير من القرآن) مات بالمدينة . انظر : الإصابة في تميز الصحابة الجزء 2 صفحة 251 إلى 255.



عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية ، وها أنا أموت على فراشي ، فلا نامت أعين الجبناء»[١].

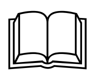
وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: 2] .

« يمجد تعالى نفسه الكريمة ، ويخبر أنه بيده الملك ، أي : هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله. ولهذا قال : ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ①﴾ [الملك : 1] ثم قال : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: 2] واستدل بهذه الآية من قال : إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق. ومعنى الآية: أنه أوجد الخلائق من العدم ، ليبلوهم ويختبرهم أيهم أحسن عملاً ؟ كما قال : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة : 28] فسمى الحال – وهو العدم- موتاً، وسمى هذه النشأة حياة ، ولهذا قال : ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:28]»[٢].

ثم إن الله تعالى في الآيات القرآنية بين أن الحياة الدنيا هي طريق ، أو معبر للحياة الحقيقية وهي الآخـــــــرة التي سمـــاها الله تعالى (بالحيوان) ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64] ، وفي هذا إرشاد إلى أنه وإن كان الموت والحياة لا حيلة لكم فيها؛ فلا تضيعوا الحياة الحقيقية التي لا موت فيها أصلاً بسبب شهوات ما سماها الله تعالى بالدنيا. قال ابن القيم : « يحتمل قوله تعالى وإن الدار الآخرة لهي الحيوان معنيين؛ إحداهما: أن الحياة الآخرة هي الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها ؛ أي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه

(١) تفسير ابن كثير (360/2).

(٢) تفسير ابن كثير (176/8) وانظر تفسير الطبري (505/23)، وانظر فتح القدير للشوكاني (360/5).



الدار ، والمعنى الثاني : أن يكون المعنى أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت»[1].

والآيات القرآنية الكريمة بينت أنه وإن كان الموت شيئاً غير محبوب للعباد؛ فإنه طريق لحياة أبدية لا يوجد فيها أدنى ألم أو ما لا يسر ، وهذا بالنسبة للمؤمن كما في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : 185] ، فالموت هو الطريق للوصول إما إلى جنة وإما إلى نار ، لأن الله يجازي المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره وعصيانه، لأنه الحكيم الرحيم الخبير بعباده.

ومن مسألة الموت والحياة وحتميتها ومدى ارتباطهما بالقضاء والقدر خرجت بما يلي :

أولاً : إنه سبحانه وتعالى خلق الحياة كما خلق الموت ، وكل منهما سر من أسراره ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : 2] ، فكل مخلوقات تستمد منه سبحانه وتعالى نوعاً من الحياة المحدودة والوجود الموقوت ، وليس لمخلوق خلود، إنما الموت والفناء نهاية كل المخلوقات : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[العنكبوت: 57] ، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[الرحمن : 26-27] ، بل إن الخلق كله، ما ندركه وما لا ندركه ، ينتهي إلى نهاية محتومة لا يعلمها إلا الله : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[الأنبياء: 104]، والمخلوقات كلها تربطها بالخالق عز وجل رابطة العبادة والتقديس ، فكل من في السموات

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت (1/68-69).



وكل من في الأرض ، بل كل شيء يسبح بحمد الله ويقدسه ويسجد له .. فهي حياة عامة شملت الكون كله، بجميع جزئياته وتجلت بمظاهر لا ندرك الكثير منها بحواسنا البشرية القاصرة، ولكنها حقيقة وواقع لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء : 44] (١) .

ثانياً : كل ما يزداد المؤمن يقيناً بأن الله تعالى قد حدد لكل نفس وقتاً وساعة لقبضها لا تتقدم ولا تتأخر عنها ، رضي بما قدر له ، وعلم أن لا يد له ، ولا لغيره في ذلك، عندها لا يحمل الهم ، ولا يقصر في العمل.

ثالثاً : أن الله تعالى خلق الموت والحياة لحكمة عالية ، لا باطلاً ولا عبثاً ، كما قال تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2] أي : «خلق الحياة بكل ما فيها ، ليذكر ويشكر من عباده فمن ذكر وشكر وأحسن ذلك ، أعد له جنات ينقله إليها بعد نهاية العمل فيها ، ومن لم يذكر و لم يشكر من عباده و لم يحسن ذلك بأن لم يخلص فيه لله ، و لم يؤده كما شرع الله أعد له ناراً ينقله إليها بعد نهاية الحياة الدنيا حياة العمل ، إذ هذه الحياة للعمل ، وحياة الآخرة للجزاء على العمل ...» (٢).

رابعاً: أن الله تعالى قد علم أجل كل مخلوق وأنه لا يتجاوزه ، وما هو سبب موته وانتهاء أجله ، علم ذلك بعلمه السابق والشامل لكل شيء ، وكتب ذلك قبل خلق السموات والأرض ، وكتبته الملائكة عندما كان في بطن أمه ، وهذه الكتابة لا تتغير ولا تتبدل كما قال تعالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129].
وبالرغم من تكررها في كل يوم أمام الخلق؛ إلا أنها تبقى من أسرار الله تعالى في خلقه.

---

(١) انظر : مقال الحياة والموت من منظور إسلامي أ.د/ السيد سلامة السقا، أستاذ ورئيس قسم القلب بكلية الطب جامعة ، الإسكندرية ، موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (285/4).



خامساً : أن من الإيمان بالموت ، الإيمان بأن الأجل لا علم لأحد من المخلوقين به، فقد استأثر تعالى بعلمه فقال : ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان : 34] .

سادساً : بينت الآيات للمتأمل في قوله تعالى في إحياء الأرض : ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج : 5] . وفي الجبال في قوله تعالى : ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل : 88] . وفي الشمس ﴿تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ﴾ [يس : 38] .. والكواكب والنجوم والمجرات : ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: 40]. أن الحياة لا تقتصر على الإنسان والحيوان والنبات؛ بل تشمل أيضاً كل ما في الوجود، ولهذا فكلما كانت لها الحياة فإن عليها الموت والفناء مما يجعل المؤمن يفوض أمره لله في كل شيء، ويعلم أنه لو فقد شيئاً فإنما قد انتهى أجله صغيراً كان أو كبيراً ، كما أن كل شيء في الكون حي ولكن بمقاييس خاصة، علمها عند الله .. وهكذا تجتمع المخلوقات كلها في صعيد واحـــد وعلى هدف واحد وغاية واحدة لا يشذ عن ذلك إلا الإنسان ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج : 18] .

سابعاً : أسلوب القصص القرآني العجيب الذي يلفت الأنظار إلى أن الإنسان مهما حاول الفرار من أجله فإنه لا يمكنه ذلك فقوله تعالى : ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة: 243] تدل على أن الإنسان يخشى من الموت ولا يطلبه بل عليه أن يتحراه وكفى بالموت واعظا.

ثامناً : إذا تبين ذلك فإن الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، ثم إن ما قدر الله من حياة أو موت ، فإنه حاصل لا محالة شاء العبد أم أبى ، فلا يكون أمامه إلا التسليم والرضا محتسباً موقناً بأن ما كان هو الخير كل الخير، فالخير فيما اختاره الله على كل حال. قال المفسرون: « الله خلق عباده ، وأخرجهم لهذه الدار ، وأخبرهم أنهم سينقلون منها،



وأمرهم ونهاهم ، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره ، فمن انقاد لأمر الله وأحسن العمـــل، أحسن الله له الجزاء في الدارين ، ومن مال مع شهوات النفس ، ونبذ أمر الله ، فله شر الجزاء»[١].

تاسعاً : لقد ضرب الرسول ﷺ مثلاً لطول أمل الإنسان في طول أجله وسعة رزقه وزيادته ، وللأجل المقدر الذي يقطع ذلك الأمل الطويل ، كما في حديث عبدالله بن مسعود[٢] رضي الله عنه قال : (خط النبي ﷺ خطاً مربعاً ، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط ، من جانبه الذي في الوسط : وقال : (هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به ، أو قد أحاط به ، وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخطوط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا) [٣].

ومن خلال عرض الآيات وما خرجت منها تبين لي أن طريقة القرآن في بيان هذا النوع من القدر قامت على ما يلي :

١ - اتخذت الآيات التي عرضت للموت كقدر اختص الله به طريقة الحسم والجزم في نسبة خلق الموت إلى الله تعالى؛ كما هو خلق الحياة. لتؤكد على أن الذي خلق

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، المؤلف : عبدالرحمن بن ناصر بن السعدي ، المحقق : عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1420هـ - 2000م، (875/1).

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبدالرحمن حليف بني زهرة أسلم قديماً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه وحدث عن النبي ﷺ بالكثير ، ... وآخى النبي ﷺ بينه وبين الزبير وبعد الهجرة بينه وبين سعد بن معاذ وقال له في أول الإسلام إنك لغلام معلم ، .. وهو أول من جهر بالقرآن بمكة ، ...مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وقيل مات سنة ثلاث . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج 4 ص233-235.

(٣) صحيح البخاري كتاب الرقاق ، باب في الأمل وطوله ، الجزء 5 ، صفحة 2359، برقم 6054.



الحياة بكل صورها، هو الذي خلق الموت وأسبابه ، وبهذا يتقطع تفكير الإنسان عن الوقوع في إشراك أحدٍ مع الله في هذا التقدير .

٢ - لم تنص آيات القرآن على تفاصيل كيفية الموت ، بل اكتفت بذكر مرادفات الموت مثل قبض الأرواح ، والمتوفي ، وهذه الطريقة تجعل من حقيقة الموت سر لا يعلمه إلا الله ككثير من أسرار القدر الذي هو سر الله في خلقه ، وبهذه السرية يعرف الإنسان حجم نفسه أمام أقدار الله العظيمة التي تصرف تفاصيل حياته . وهذا من شأنه أنه يثبت الإيمان بالقدر بسعته التي أتت على كل شيء.

٣ - انتهجت طريقة القرآن التي تناولت هذا الشكل من الأقدار نهجاً فريداً في تعليق الإنسان بالله ، وربطه به ، وذلك حين أبطلت التعلق بالأسباب الواهمة التي يظن البعض أنه يستطيع بها رد هذا القدر – قدر الموت – وهذا في مثل قوله تعالى كما تقدم : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: 78]. وهذه الطريقة تثبت الإيمان بالقدر ، وتربي الناس على التوحيد الخالص لله.

٤ - اتخذت الآيات طريقة الاتجاه مباشرة إلى بيان الحكمة من قدر الموت والحياة وهي الابتلاء والاختبار ، وهذه الطريقة تربي الناس على الإنصراف من المجهول — الموت — إلى المعلوم وهو العمل ، حتى لا يكون التفكير في هذا القدر قيداً يكبل الإنسان عن العمل الشرعي ، والعمل الحياتي التي تكون به عمارة الأرض.

٥ - اتخذت الآيات في بيان ارتباط الموت والحياة بالقدر المحض طريقة ضرب المثل المحسوس ، المشاهد ، وهو حياة النبات وموته، ثم حياته، وهذه الطريقة تزيد في استسلام الإنسان المؤمن لهذا القدر ، وإيمانه بانفراد الله تعالى في تقديره له.



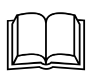
الـــــــــرزق :

كما أن الحياة والموت بيد الله سبحانه وحده لا شريك له ، ولا بد للإنسان في حياته منه، وأنها متعلقة بقدره سبحانه ، فكذلك الرزق؛ فإن الله تعالى قد تكفل برزق جميع مخلوقات، وضمن للعبد ألا يقبض روحه حتى تستوفي رزقها كاملاً.

والرزق من الأمور التي لا يعلم الإنسان كم مقداره، وهل ينفذ أم أنه سينقطع، وهل يبقى غناه أم يزول ؟ لا يعلم ذلك إلا الذي قدره وهو ما يزال في بطن أمه ، مصداقاً لحديث الرسول ﷺ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: (إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مُضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات : يكتب عمله وأجله ورزقه، وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح»[1].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ج 3 ص 1174، رقم 3036، ورواه مسلم في صحيحه كتاب القدر، ج4 ص 2036 ، برقم 2643.



ولذلك فإن الإيمان بأن الرزق بيد الله تعالى من تمام الإيمان بقضائه وقدره، وقد أورد القرآن الكريم ذلك في آياته البينات؛ حيث بين تعالى في كتابه أنه هو الرازق وحده دون سواه، وهو الغني وجميع الخلق إليه فقراء .

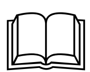
قال تعالى : ﴿أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل : 64] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنبكوت : 17] .

فبعد أن أمرهم بعبادة الله تعالى وحده ، وإفراده تعالى بتوحيد الربوبية، ونهاهم عن عبادة الأوثان التي لا تنفع ولا تضر ، قال : ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ [العنبكوت : 17]. فإنه هو الميسر له ، المقدر، المجيب لدعوة من دعاه في أمر دينه ودنياه[1].

ورد في أيسر التفاسير في نفس المعنى : « ... أن قول النبي عليه السلام لقومه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [العنبكوت : 17] . «يخبرهم عليه السلام معرفاً لهم بحقيقة هم عنها غافلون ، وهي : أن الذين يعبدونهم من دون الله لا يملكون لهم رزقاً؛ لأنه لا يقدرون على ذلك ، فما الفائدة إذاً من عبادتهم، وما الحاجة الداعية إليها لولا الغفلة والجهل ، ولما أبطل لهم عبادة الأصنام أرشدهم على عبادة الله الواحد القهار. فقال: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾ إن كنتم عبدتم الأصنام لذلك؛ فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فاطلبوا عنده الرزق؛ فإنه مالكه والقادر على إعطائه، ﴿وَٱعْبُدُوهُ ﴾ بالإيمان به وبرسوله وبتوحيده، ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ يرزقكم ويحفظ عليكم الرزق، وقوله: ﴿إِلَيْهِ

(١) انظر: تيسيير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي (628/1).



تُرۡجَعُونَ ﴾ ذكرهم بعلة غفلتهم ومصدر جهلهم وهي كفرهم بالبعث؛ فأعلمهم أنهم إليه تعالى لا إلى غيره يرجعون»[(1)].

وكما أنه المنفرد سبحانه بالرزق وقسمته؛ فمن تمام عدله ومقتضى حكمته تعالى أنه لم يجعل الرزق خاصاً لأحد دون أحد ، أو لمخلوق دون مخلوق ، وإنما قسم الأرزاق حسب ما سبق به علمه وجرى به القلم قبل الخلق وكتابة الملائكة ، كما أن من مخلوقات الله تعالى – المرزوق ورزقه – فهذه مراتب القدر الأربعة.

وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت : 60] .

أي : « .. أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة ، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا ، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار؛ ولهذا قال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ﴾ [العنكبوت : 60] . أي : لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئاً لغد، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ ﴾ [العنكبوت : 60] .

أي : الله يقيض لها رزقها على ضعفها ، وييسره عليها ، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه ، حتى الذر في قرار الأرض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ [هود : 6] »[(2)].

---

(1) أيسر التفاسير للجزائري (196/3) ، وانظر تفسير ابن كثير (269/6) ، وتفسر البغوي (236/6)، وتفسير الطبري (20/20) .

(2) تفسير ابن كثير 292/6 – 293.



وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض ، خرجوا وهم بيضٌ فإذا رآهم أبواهم كذلك ، نفرا عنهم أياماً حتى يسود الريش ، فيظل الفرخ فاتحاً فاه يتفقد أبويه ، فيقيض الله له طيراً صغاراً كالبرغش فيغشاه فيتقوت منه تلك الأيام حتى يسود ريشه، والأبوان يتفقدانه كل وقت ، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه ، فإذا رأوه قد اسودّ ريشه عطفاً عليه بالحضانة والرزق)» [1].

وكما أنه سبحانه المتفرد بالخلق والإحياء والإماتة وذلك بإقرار المشركين واعترافهم بذلك، فهو وحده المتفرد بالرزق ؛ فكما أنه يطلب منه تعالى فيعطي كل واحد حسب ما يصلح له ، فقد فاوت في ذلك بين عباده؛ فمنهم الغنى ومنهم الفقير ، ومنهم متوسط الحال. كل ذلك لحكمة يعلمها ، فيجب أن يعبد وحده لا شريك له قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[العنكبوت 61-62] .

« فهو العليم بما يصلح كُلا منهم ، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر ، فذكر أنه المستبد بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها »[2] ، وفي أنواع الرزق وإقامة الحجة على المشركين بتنوع الأسلوب القرآني قال ابن القيم : « فما ينـــزل من فوق ذلك من الوحي والرحمة والألطاف والموارد الربانية والتنـــزلات الإلهية وما به قوام العالم العلوي والسفلي من أعظم أنواع الرزق، ولكن القوم لم يكونوا مقرين به فخوطبوا بما هو أقرب الأشياء إليهم بحيث لا يمكنهم إنكاره ، وأما الآية التي في سورة سبأ فلم ينتظم بها ذكر إقرارهم بما ينـــزل من

(١) تفسر ابن كثير ج6 ص 292 ، 293.
(٢) تفسير ابن كثير (294/6).



السماوات ولهذا أمر رسوله بأن يتولى الجواب فيها و لم يذكر عنهم أنهم المجيبيون المقرون فقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: 24] ، و لم يقل سيقولون الله فأمر تعالى نبيه أن يجيب بأن ذلك هو الله وحده الذي ينـــزل رزقه على اختلاف أنواعه ومنافعه»(١).

والمؤمن بالقدر يدرك أن رزق الله لا يجلبه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره ، فإذا قدر الله الشيء فإن الحرص على العمل وزيادة الرزق إن لم يرده الرازق فلن يحصل المراد، وإنما ذلك من بذل الأسباب التي أمر الله بها ، ولو بذل السبب و لم يرد الله له نتيجة لكان كما أراد سبحانه.

كما أن اعتراض الغير ووجود الكراهية منه لحصول الرزق لا يمنع ما كتب الله أبداً، وهذا المعنى هو الذي جاء به حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي فيه : (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف)(٢).

أما بالنسبة لعلاقة الأسباب بالأرزاق فالرزق لا تجلبه الأسباب الظاهرة إذا لم يرده الله؛ لأن الله هو مسبب الأسباب ، وهو الذي رتب المسببات على السبب ، ولو شاء لعطل ذلك ومنعه ، وليس معنى هذا أن الإنسان يترك السبب ، فالسبب يفعل؛ لأن ترك السبب قدح في الشرع.

والله أمر بفعل الأسباب ، ولكن لا يجوز الاعتماد عليها ، فإن الاعتماد عليها شرك بالله جل وعلا ، وتعطيلها قدح في العقل والشرع كما سيأتي إن شاء الله ، وكل شيء جعله الله سبباً ينبغي أن يفعله العبد، معتمداً على الله جل وعلا في حصول المراد ، فإن حصل له

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (125/1).

(٢) سنن الترمذي ، ج4 ، ص 667 ، برقم 2516، وقال الألباني : هذا حديث حسن صحيح.



المراد حمد الله وأثنى عليه ، وعبده بهذه النعمة التي حصلت له ، وازداد إيماناً على إيمانه، وإن لم يحصل له المطلوب فلا يجزع ولا يسخط وليعلم أن هذا بتدبير الله ، وأنه لو أراد جل وعلا لحدث، فلا ينبغي أن ينظر إلى السبب على أنه هو المؤثر الجالب أو المانع ، بل المؤثر هو الله جل وعلا ، الذي قدر الأقدار وجعل لها أسباباً وموانع.

فمع بذل الأسباب يؤمن بما جاء في الكتاب أن الله تعالى كما فضل بين الخلق في الرزق وغيره في الحياة الدنيا وأن هذا مشاهد ومحسوس؛ فإنه تعالى فضل بينهم في درجات الجنة في الآخرة كل حسب عمله وما قدم فيستفيد المؤمن من هذا، ويعلم أن الدنيا لو كانت تساوي جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء(١).

والآيات الدالة على ما ذكرت كثيرة ، منها :

- قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت : 62] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الروم:40].

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : 27] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[النحل: 71] .

(١) انظر: منهاج السنة النبوية ، المؤلف : شيخ الإسلام ابن تيمية ، المحقق : د. محمد رشاد سالم ، الناشر: مؤسسة قرطبة، ط1 (59/8).



ومعناها أنه : « لما بين سبحانه خلق الإنسان وتقلبه في أطوار العمر ذكر طرفا من أحواله لعله يتذكر عند ذلك فقال : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِ ﴾ [النحل:74] . فجعلكم متفاوتين فيه؛ فوسع على بعض عباده حتى جعل له من الرزق ما يكفي ألوفاً مؤلفة من بني آدم ، وضيقه على بعض عباده حتى صار لا يجد القوت إلا بسؤال الناس والتكفف لهم ، وذلك لحكمة بالغة تقصر عقول العباد عن تعقلها والاطلاع على حقيقة أسبابها ، وكما جعل التفاوت بين عباده في المال جعله بينهم في العقل والعلم والفهم وقوة البدن وضعفه والحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك من الأحوال...» (١).

وفي ذكر الرزق للمؤمن والكافر على حد سواء ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾ [الإسراء : 20] ، أي : أنه تعالى يمد الفريقين بالأموال ويوسع عليهما في الرزق مثل الأموال والأولاد ، وغيرهما من أسباب العز والزينة في الدنيا، لأن عطاءنا ليس يضيق عن أحد مؤمناً كان أو كافراً لأن الكل مخلوقون في دار العمل، فوجب إزاحة العذر وإزالة العلة عن الكل، وإيصال متاع الدنيا إلى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح فبين تعالى أن عطاءه ليس بمحظور ، أي غير ممنوع يقال حظره يحظره ، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك»(٢).

وقرر بعض العلماء أن الرزق نوعان عام وخاص؛ فالعام ما يكون لجميع الخلق مما يساعد على البقاء ، وأما الخاص فينقسم إلى : رزق القلوب بالعلم والإيمان ، ورزق البدن بالرزق الحلال(٣).

---

(١) فتح القدير للشوكاني (254/3).

(٢) تفسير الرازي (27/10) وقد ذكر غيره نحو هذا الكلام انظر تفسير الطبري (252/17).

(٣) انظر شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف : سعيد بن وهف القحطاني ، راجعه : الشيخ د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان ، الرياض ، الطبعة 11، 1427هـ، ص 154، 155.



وقد خرجت من مبحث الرزق المتعلق بالقدر الذي ليس للعبد فيه يد بما يلي :

أولاً : أكدت الآيات الكريمة أن الله سبحانه هو الرزاق وحده ذو القوة المتين، واسم الله الرازق يدل على ذات الله وعلى صفة من صفاته وهي صفة الـــرزق ، قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الروم : 40]، فدلت على أن رزق الخلق من صفات الله الدالة على كمال ربوبيته وقيوميته[١].

ثانياً : إن من الإيمان بالقضاء والقدر، الإيمان بأن كل خير وكل رزق يقدره الله للعبد، لا يمكن أن يخطئه ويستحيل أن يصيب غيره ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[هود:6]. ولا يمكن أن تموت حتى تستوفيه.

ثالثاً: وأيضاً من جوانب الاعتقاد في الرزق ، أن تقسيم الأرزاق بين الناس، لا علاقة له بالحسب ولا بالنسب ، ولا بالعقل والذكاء ، ولا بالوجاهة والمكانة، ولا بالطاعة والعصيان وإنما يوزع جل جلاله رزقه على عباده ، لحكمة هو يعلمها ، فقد يعطي المجنون، ويحرم العاقل ، وقد يعطي الوضيع ، ويمنع الحسيب .

رابعاً : في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : 27] بيان لما يلي :

«1- نزارة ما في هذه الحياة الدنيا من أرزاق مهما كثرت بالقياس إلى ما في الآخرة من فيض غزير . فالله يعلم أن عباده – هؤلاء البشر – ، لا يطيقون الغنى إلا بقدر.

2- وأنه لو بسط لهم في الرزق من نوع ما يبسط في الآخرة لبغو وطغوا»[٢].

---

(١) انظر عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، د. ملكاوي ، ص 283.

(٢) في ظلال القرآن ، لسيد قطب (323/6).



3- أن الله تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع كون البعض خـــادماً للـــبعض، ولو صار الأمر كذلك لخرب العالم وتعطلت المصالح.

4- أن الإنسان متكبر بالطبع فإذا وجد الغنى والقدرة عاد إلى مقتضى خلقته الأصلية وهو التكبر ، وإذا وقع في شدة وبلية ومكروه انكسر فعاد إلى الطاعة والتواضع(١).

خامساً : إن الرزق يُجرى للعبد ، ليستعين به على طاعة ربه، ويحرم عليه الاستعانة به على المعاصي .

سادساً : أن في قوله تعالى : ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ [العنكبوت: 17] . أمر بطلب الرزق من الله وحده إذ هو الرازق ولا رازق غيره، وهذه من العقائد المهمة في باب الرزق ، أن لا يُطلب إلا من الله ، ولا يُسأل إلا وجهه الكريم، كما في حديث : (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) (٢).

ولـــــذا ذم الله تعالى أولئك الذين يدعــــــون غيره في طلب الرزق ، فقال سبحانه : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل: 73] ، فمن طلب الله وسأله وبذل الأسباب وتوكل عليه ، أعطاه الله ، وسخر له ما لا يتوقع ، ورزقه من حيث لا يحتسب . وأتته الدنيا وهي راغمة.

وأما من التفت إلى غير الله ، وتعلق قلبه بما عند من ليس عنده شيء، وترك سؤال الله، أذله الله ، وحرمه ما تمنى و لم يؤته من الدنيا إلا ما قُدر له. قال تعالى : ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ [الملك: 21] . وفي هذا السؤال تقرير بأن لا رازق إلا الله وهذا من طريقة الآيات في إثبات ذلك .

---

(١) تفسير الرازي ، بتصرف يسير (436/13).

(٢) سبق تخريجه ص 27.



سابعاً : أسلوب المقارنة الوارد في آيات القرآن الكريم وذلك بين الرزق الحقيقي وهو الباقيات الصالحات ، وبين الرزق المادي الذي يتوق إليه الخلق ، ثم الدلالة على أن إغداق الله تعالى في الرزق للعبد لا يدل بالضرورة على أن الله قد أحبه ورضي عنه ، وإنما قد يكون استدراجاً منه تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم : 73-76].

قال الرسول ﷺ : (إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا وهو قائم على معاصيه فليحذر فإنما هو استدراج) ثم تلا قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44])[1].

ثامناً : ذكرت الآيات الأسباب الجالبة للرزق ونوعت في ذلك، فذكرت التوكل تارة كما في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق : 3] .

وتارة أخرى الاستغفار كما في قوله : ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾

(١) مسند الإمام أحمد ، ج4 ص 145، قال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن (مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة ، القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرؤوط عليها .



[نوح: 10-12] . وقال ابن كثير رحمه الله : «أي إذا تبتم واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم»[١].

وتارة الإنفاق في سبيل الله ، قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[سبأ: 39] . وتارة بالمهاجرة في سبيل الله ، والسعي في أرض الله الواسعة، فما أغلق دونك هنا ، قد يفتح لك هناك، قال تعالى : ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء : 100] وغيرها كثير[٢] .

ثم إن مما يُستحلب به الرزق ، صلة الرحم، كما بين ذلك الرسول ﷺ فقال : (من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه) [٣].

تاسعاً : في قـــوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق : 2-3]. فائدة بأن الله تعالى يحب عبده إذا اتقاه، ومحبة الله تعالى سبباً في زيادة الرزق، كما قال ابن عباس وأنس رضي الله عنهم : « إن للحسنة نوراً في القلب وزيناً في الوجه، وقوة في البدن؛ وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة ظلمة في القلب، وشيناً في الوجه، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق»[٤].

عاشراً : أن من لطف الله تعالى ألا يطغي العبد بالمال في كل الأحوال بل «يجعل رزقه حلالاً في راحة وقناعة، يحصل به المقصود، ولا يشغله عما خلق له من العبادة والعلم

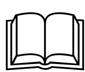
---

(١) تفسير ابن كثير ، ج4 ، ص 546.

(٢) انظر: الصبر ضياء ، تأليف عبده بن أحمد الأقرع (أبو أحمد) ، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ط 1، 1428هـ، ص 182 فما بعدها .

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع ، باب من أحب البسط في الرزق، ج2 ص 728، برقم 1961.

(٤) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت ، 1412هـ - 1992م (441/1).



والعمل بل يعينه على ذلك ويفرغه ويريح خاطره وأعضاءه، ولهذا من لطف الله تعالى لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية التي يظن فيها إدراك بغيته، فيعلم الله تعالى أنها تضره وتصده عما ينفعه، فيحول بينه وبينها، فيظل العبد كارهاً و لم يدر أن ربه قد لطف به حيث أبقى له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار؛ ولهذا كان الرضا بالقضاء في مثل هذه الأشياء من أعلى المنازل ..» (١).

أحد عشر: أن من طريقة القرآن الكريم في إثبات الإيمان بأن الرزق من الله تعالى وأنه بقدر قد قدره الله تعالى من جملة ما قدر وكتب ، مخاطبة الناس بما هو واقع يعيشونه وما هو من صفاتهم فيدرك العبد يقيناً بأن عدم الرضا بما قدر الله تعالى من الرزق إنما ذمه الله تعالى في آياته الكريمة فقال مؤكداً حقيقة ذلك : ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ﴾ [الفجر: 15-16].

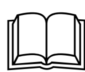
اثنا عشر : الإيمان بقضاء الله في رزق العباد يزيد القلب قوة وراحة وثبات ، فلا يشغل إلا بالطاعة مع بذل الأسباب لأنه يعلم مهما بذل فلن يبقى من رزقه المقدر له شيء حتى يبلغه، عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا يستبطئن أحد منكم رزقه، فإن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب) (٢).

وبعد عرض الآيات المتعلقة بهذا النوع من الأقدار ، وما خرجت به من مدلولاتها.
تبين لي أن طريقة القرآن في تناولها قامت على ما يلي :

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى ، تأليف : الشيخ / عبدالرحمن السعدي ، دراسة وتحقيق : عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد 112، السنة 33-1421هـ (75/1).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط المؤلف : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، الناشر : دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني ، ج 3، ص 268، برقم 3109، وصححه البيهقي في كتاب الاعتقاد ص 209، وقال حديث صحيح.

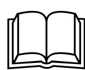


1- استخدمت الآيات طريقة الأسلوب الاستفهامي ، وهو أسلوب يشد الانتباه إلى ما في السؤال ، ثم يجعل الإنسان مشتغلاً بالإجابة على هذا السؤال ، وفي ذلك يكون القرآن الكريم قد استثار الفطرة السليمة ، والعقل الصريح0 الذي ينظر إلى الواقع ليجيب عن هذا التساؤل والاستفهام بإجابة مقنعة وهي أنه لا رازق إلا الله سبحانه ، فالرزق قدر رباني ليس للإنسان دخـــل فيه وهذه الطريقة تجلت في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[النمل : 64].

2- لزيادة تثبيت الإيمان بأقدار الله التي لا دخل للمخلوق فيها. ومنها – الرزق – ، ربطت الآيات بين الإيمان بهذا النوع من القدر، وبين إفراد الله بالألوهية ؛ فبعد أن استفهم الله عن الرازق في الآية السابقة قال : ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : 64] . وهذه الطريقة تزرع اليقين بوحدانية الله تعالى في ألوهيته ، وفي مفردات ربوبيته وأفعاله ومنها الرزق.

3- توجهت الآيات في مسألة الأرزاق إلى بيان حال المخلوق فأكدت على ضعفه ، وعدم مقدرته على ملك الرزق فضلاً عن اعطائه غيره كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ ﴾[العنكبوت: 17] . وفي هذه الطريقة تصوير لواقع قريب يعيشه الناس وهم يجلبون أرزاقهم، ويرونها في غيرهم فهي أمر شاهد للعيان يشرح بوضوح كيف أن الإنسان ضعيف ومفتقر إلى ربه القوي الرازق ، وبهذه الطريقة تكون الآيات هي التي تجعل العبد يتوجه دائماً إلى الله ليطلب حاجته منه ، وبهذه تصبح عقيدة الإيمان بقدرة الله عبادة يمارسها العباد بشكل ظاهر.

4- اتخـــذت الآيـــات طريقة استنهاض الهمـــم ، واستدعاء قواهم من أجل السعي إلى طلب الـــرزق كما قال تعالى : ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾



[الملك : 15]. وبهذه الطريقة يحصل التوازن المطلوب في التسليم للقدر ، مع بذل السبب ، ومن هنا تقطع البطالة الكاذبة.

5 – عمدت الآيات إلى طريقة بعث الطمأنينة في النفوس ، وزرع القناعة في القلوب بما قسم الله من الرزق قل أو كثر ، وذلك حينما أعلنت الآيات بصراحة ووضوح أن التفضيل في الرزق إنما هو من الله تعالى كما قال عز وجل : ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ [العنكبوت : 62] . وزرع الطمأنينة في النفوس داعم قوي من دعائم تثبيت العقائد ومنها القدر.



تنوع الخلق :

إن من حكمة الله تعالى في خلقه ؛ أن خلق الخلق وأوجدهم من العدم، وخلق البشر من آدم وحواء على حد سواء ، وهو بهذا قد أثبت للبشرية جمعاء قدرته النافذة وحكمته البالغة في خلقه ، ومن تمام قدرته وبالغ حكمته أنه قد أعطى كل شيء خلقه بحسبه ؛ فخلق البشر من تراب ، وخلق الملائكة من نور ، وخلق الجن من نار وهكذا.

وهو تعالى كما خلقهم من شيء واحد؛ إلا أنه نوع بينهم في الخلق والرزق والذكاء والنوع وما إلى ذلك ، لحكمة هو يعلمها ، وليبرهن على ربوبيته سبحانه وتعالى ، قال بن القيم : « والمقصود أن تنويع المخلوقات واختلافها من لوازم الحكمة والربوبية والملك، وهو أيضاً من موجبات الحمد ، فله الحمد على ذلك كله أكمل حمد وأتمه ، أيضاً فإن مخلوقاته هي موجبات أسمائه وصفاته فلكل اسم وصفة أثر لا بد من ظهوره فيه واقتضائه له»[1].

والمؤمن بالقضاء والقدر يدرك أن الله تعالى نوع في الخلق ، وفاوت بين عباده في الرزق والعطاء والأولاد والغنى والفقر ، والسلطة والذرية ، كما نوع بين المخلوقات الأخرى من كبير إلى صغير ، ومن قوي إلى ضعيف ، ومن طويل إلى قصير ، من متوحش إلى أليف ، كما نوع أيضاً بين أنواع المخلوقات الأخرى كالأشجار والأحجار والطقوس والتضاريس وغيرها مما لا حصر له ، وأن هذا التنوع لا بد للعبد فيه ولا قدرة له على تغييره كل ذلك يدل دلالة أكيدة على ربوبيته وقدرته على كل شيء سبحانه ، وهو تعالى لا يخلق شيئاً عبثاً أو باطلاً، كما قال تعالى على لسان المؤمنين المتفكرين المتدبرين : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[آل عمران : 191] .

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر : دار ابن القيم، الدمام ، الطبعة الثانية ، 1414هـ – 1994م، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر (204/1).



لقد بينت آيات القرآن الكريم هذا التنوع في كل شيء؛ ومن هذه الأدلة على سبيل المثال : قـــــوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [غافر: 27-28].

ففي هذه الآية «يذكر تعالى خلقه للأشياء المتضادات ، التي أصلها واحد، ومادتها واحدة، وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف ، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع حكمته.

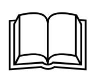
فمن ذلك : أن الله تعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات المختلفات، والنباتات المتنوعات ، ما هو مشاهد للناظرين ، والماء واحد ، والأرض واحدة.

ومن ذلك : الجبال التي جعلها الله أوتاداً للأرض ، تجدها جبالاً مشتبكة، بل جبلاً واحداً، وفيها ألوان متعددة ، فيها جدد بيض ، أي : طرائق بيض ، وفيها طرائق صفر وحمر، وفيها غرابيب سود ، أي : شديدة السواد جداً.

ومن ذلك : الناس والدواب ، والأنعام ، فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات ، ما هو مرئي بالأبصار ، مشهود للنظار ، والكل من أصل واحد ومادة واحدة.

فتفاوتها دليل عقلي على مشيئة الله تعالى ، التي خصصت ما خصصت منها ، بلونه، ووصفه ، وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك ، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف ، وذلك التفاوت ، فيه من المصالح والمنافع ، ومعرفة الطرق ، ومعرفة الناس بعضهم بعضاً ، ما هو معلوم.

وذلك أيضاً ، دليل على سعة علم الله تعالى ، وأنه يبعث من في القبور ، ولكن الغافل



ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر ، وإنما ينتفع بها من يخشى الله تعالى، ويعلم بفكره الصائب وجه الحكمة فيها .

ولهذا قال : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فكل من كان بالله أعلم، كان أكثر له خشية ، وأوجبت له خشية الله ، الانكفاف عن المعاصي ، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم ، فإنه داع إلى خشية الله ، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما قال تعالى : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾[البينة : 8] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ كامل العزة ، ومن عزته خلق هذه المخلوقات المتضادات. ﴿غفور﴾ لذنوب التائبين»[1].

وهذا السياق الكريم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الحج:63] في بيان تفاوت المخلوقات واختلافاتها فمن مؤمن إلى كافر ، ومن صالح إلى فاسد ومن أبيض إلى أحمر أو أسود وابتدأه تعالى بخطاب رسوله مقرراً له بقول ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: « ألم تبصر بعينك أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ما بين تمر أصفر وآخر أحمر ، وآخر أسود وهذا واضح في التمر والعنب والفواكه والخضر ، ومن الجبال كذلك . فإن فيها جدد أي خطط حمراء وصفراء وبيضاء وسوداء والجبال نفسها كذلك ، ومن الناس والدواب والأنعام ففي جميعها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر كما في جدد الجبال نفسها وكما في الثمار . ولما كان هذا لا يدركه إلا المفكرون ولا يجنى منه العبرة إلا العالمون قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ »[2].

وما ذكر من تنوع النعم يدل على امتنانه سبحانه على خلقه بما سخر لهم مما خلق لهم في الأرض ، منبهاً على أن خلقه لما خلق لهم في الأرض مع ما فيه من النعم العظام فيه الدلالة الواضحة لمن يتذكر ويتعظ على وحدانيته واستحقاقه لأن يعبد وحده، وكرر هذا المعنى في

---

(١) تفسير السعدي (688/1) ، وانظر تفسير ابن كثير (544/6).

(٢) أيسر التفاسير ، للجزائري (343/3).



مواضع كثيرة من كتابه ، وأشار في هذه الآية الكريمة إلى أن اختلاف ألوان ما خلق في الأرض من الناس والدواب وغيرهما ، من أعظم الأدلة على أنه خالق كل شيء، وأنه الرب وحده، المستحق أن يعبد وحده ، وأن يطلب وحده، كما أوضح ذلك في قوله : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: 4]. فالأرض التي تنبت فيها الثمار واحدة؛ لأن قطعها متجاورة ، والماء الذي تسقى به ماء واحد، والثمار تخرج متفاضلة ، مختلفة في الألوان والأشكال والطعوم، والمقادير والمنافع.

فهذا أعظم برهان قاطع على وجود فاعل مختار ، يفعل ما يشاء كيف يشاء ، سبحانه جل وعلا عن الشركاء والأنداد . هذا بالنسبة لجميع المخلوقات وتنوعها.

أما تنوع الذرية : فقد ذكره القرآن الكريم وبين الحكمة من ذلك فقال : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى : 49-50] . ففي هذه الآية « ذكر سبحانه سعة ملكه ونفاذ تصرفه فقال :﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ أي له التصرف فيهما بما يريد لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ ﴾ من الخلق ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ وقيل : يهب لمن يشاء إناثاً لا ذكور معهن ، ويهب لمن يشاء ذكوراً لا إناث معهم ، قيل : وتعرف الذكور بالألف واللام للدلالة على شرفهم على الإناث . ويمكن أن يقال إن التقديم للإناث قد عارض ذلك فلا دلالة في الآية على المفاضلة ، بل هي مسوقة لمعنى آخر ، وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء : 34] وغير ذلك من الأدلة الدالة على شرف الذكور على الإناث، وقيل : تقديم الإناث لكثرتهن بالنسبة إلى



الذكور، وقيل لتطييب قلوب آبائهن ، وقيل : لغير ذلك مما لا حاجة إلى التطويل بذكره، وقوله: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ [الشورى : 50] أي يقرن بين الإناث والذكور ويجعلهم أزواجاً فيهبهما جميعاً لبعض خلقه ، وقيل : التزويج هنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب : زوجت إبلي : إذا جمعت بين الصغار والكبار . ومعنى الآية أوضح من أن يختلف في مثله ؛ فإنه سبحانه أخبر أنه يهب لبعض خلقه إناثاً ويهب لبعض ذكوراً ويجمع بين الذكور والإناث ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ [الشورى :50] لا يولد له ذكر ولا أنثى...» [1].

وكما نوع الخالق سبحانه في الخلق فجعل منهم المؤمن ومنهم الكفار ، منهم الشقي ومنهم السعيد ؛ فهو سبحانه قد نوع في الأدلة والبراهين ، التي ترشد العبد للصواب وتدله على الحق إذ لا احتجاج بالقدر على هذا التنوع، كما قال ابن القيم : « فإن الله سبحانه نوع الأدلة الدالة عليه والتي تعرف عباده به غاية التنوع، وصرف الآيات ، وضرب الأمثال ليقيم عليهم حجته البالغة، ويتم عليهم بذلك نعمته السابغة . ولا يكون لأحد بعد ذلك حجة عليه سبحانه ، بل الحجة كلها له والقدرة كلها له ، فأقام عليهم حجته. ولو شاء لسوى بينهم في الهداية ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : 149] . فأخبر أن له الحجة البالغة؛ وهي التي بلغت إلى صميم القلب ، وخالطت العقل واتحدت به ، فلا يمكن للعقل دفعها ولا جحدها ، ثم أخبر أنه سبحانه قادر على هداية خلقه كلهم ولو شاء ذلك لفعله لكمال قدرته ونفوذ مشيئته ، ولكن حكمته تأبى ذلك، وعدله يأبى تعذيب أحد وأخذه بلا حجة؛ فأقام الحجة وصرف الآيات وضرب الأمثال ونوع الأدلة ، ولو كان الخلق كلهم على طريقة واحدة من الهداية لما حصلت هذه

---

(١) فتح القدير للشوكاني ، بتصرف يسير (775/4) وانظر: زاد المسير لابن الجوزي (296/7).



الأمور، ولا تنوعت هذه الأدلة والأمثال ، ولا ظهرت عزته سبحانه في انتقامه من أعدائه، ونصر أوليائه عليهم ، ولا حججه التي أقامها على صدق أنبيائه ورسله..»[(١)].

ومما خرجت به من هذا المبحث ما يلي :

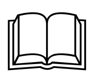
١. دلت الآيات الكريمة على أن الله سبحانه خلق الخلق سواسية ، ولا فرق بين بني البشر في أصل الخلقه ، واختار الخالق جل شأنه أن يكون الناس صنفين ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[التغابن: 2] والكفار أنواع منهم المشرك ، ومنهم المجوسي، ومنهم اليهودي، ومنهم النصراني ، ومنهم المرتد . وهم في سلوكهم مختلفون، منهم المحارب، ومنهم المسالم ، ومنهم المأمون ، ومنهم الخائن ..إلى غير ذلك ، والمؤمنتون أنواع ، منهم الطائع ومنهم الفاسق ، ومنهم المصلح ومنهم المفسد.

٢. إن من الإيمان بالقدر التسليم لله تعالى بما يختص به من صفات وأفعال ، والرضا بما قسم وأعطى سبحانه، وذلك لأن علم الله تعالى قد سبق بهذا التنوع ، وجرت به الكتابة ، وشاءه سبحانه ، وأوجد الخلق على ما هم عليه من التنوع والاختلاف.

٣. أكدت الآيات أنه سبحانه لما فاوت بين خلقه جعل ذلك سبباً لشكره، ففاوت بينهم في الأرزاق فهذا غني وهذا فقير ، وهذا متوسط وهذا مقتنع وهذا له كمال الدنيا، وهذا مهموم وهذا فرح ، إذا تأمل العبد ذلك؛ عرف أن ربه سبحانه هو الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، وأنه ما سلبه أو ما منعه من هذا الشيء إلا لحكمة، منعه من السعة في المال لحكمة عظيمة ، أو منعه من نيل هذا المراد الذي يريده من الأموال ونحوها لحكمة عظيمة ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فهذا ونحوه دليل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر : دار ابن القيم، الدمام ، الطبعة الثانية ، 1414هـ – 1994م، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر (205/1).



٤. بينت الآيات الكريمة أنه لو لم يفاوت الله بيننا لما اتزنت واستقرت الحياة؛ فالمرأة في حاجة للرجل ، والرجل في حاجة لها ، والتاجر في حاجة للمهندس وهو كذلك في حاجته ، الفقير في حاجة الغني والغني كذلك ، هكذا ولعل هذا من الحكم التي تظهر لنا من التنوع.

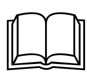
٥. في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات : 13] .

بداية الآية تدل على الوحدة الإنسانية ، ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ﴾ تدل على أن التنوع الإنساني كان بإرادة الله تعالى ، وفي آخرها ﴿ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ تدل على أن من أهداف التنوع التعارف بين الناس .

٦. في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ [هود: 118] . وقوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [الشورى : 8] دلالة على أن ما يحدث في هذا الكون هو بمشيئته سبحانه.

٧. يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم : 22] . وبالتالي فإن الإنسان لا بد أن يرضى بطبيعته التي خلق عليها، والعرق الذي هو منه ، حيث أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، لذا يتحتم تقبل الذات واحترام الآخرين، كما هم، وعلى الصورة التي خلقهم الله عليها ، وما هذا التقبل إلا نتيجة الرضا، والإيمان بأن ذلك من قدر الله تعالى.

٨. أن التنوع والتميز والتعدد والاختلاف ، هو سنة إلاهية كونية مطردة في سائر عوالم



المخلوقات، لا تقتصر على الإنسان فحسب ؛ بل من الجماد إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان ، وغيره قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : 99] .

٩. وأن هذا التنوع والتماير والتعدد والاختلاف الذي هو آية من آيات الله ، سبحانه وتعالى له مقاصد عديدة وحكم بالغة ، منها :

أ – تحقيق حوافز التسابق على طريق الخيرات بين الفرقاء والمتمايزين.

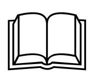
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: 48].

ب- فتح أبواب الحرية للاجتهاد والتجديد والإبداع الذي يستحيل تحقيقه دون تفرد، وتمايز، واختلاف ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : 148] . ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل : 4] .

ج – وأن العلاقة بين المختلفين والمتعددين يجب أن تظل عند مستوى التوازن والعدل والوسطية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة : 143] .

١٠. هذا التنوع فيه الدلالة القاطعة على أن كل تأثير فهو بقدرته وإرادته سبحانه؛ إذ لا يحدث في ملكه ما لا يشاءه ولا يريده، وأن الطبيعة لا تؤثر في شيء إلا بمشيئته جل وعلا.

١١. في هذا الاختلاف والتنوع في كل شيء دليل على أن الله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ



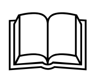
شَىۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11] ؛ فهو سبحانه واحد ، لا شبيه له، ولا نظير ولا شريك ، وهو المعبود وحده.

١٢. مما دلت عليه الآيات أن لله ملك السموات والأرض وله التصرف فيها بما يريد يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، ويجعل من يشاء عقيماً ومن يشاء يرزقه الذرية يتصرف سبحانه في ملكه كما يشاء . قال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ﴾ [القصص : 68] .

١٣. أن هذا الاختلاف والتنوع رحمة منه عز وجل ، فلو كان العيش على وتيرة واحدة لأصبنا بالملل لأن النفس ملولة ولذلك غير الله سبحانه بين الأزمنة والأمكنة والمطعومات والمشروبات والمخلوقات . فليل ونهار . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴾ [الفرقان: 62] ، وسهول وجبال ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ [فاطر : 27]، ومن الشراب ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 69].

وطريقة القرآن في بيان هذا التنوع في الخلق وهو أمر لا دخل للمخلوق فيه قامت على ما يلي :

1- اتخذت الآيات طريقة الدعوة والتأمل في سائر المخلوقات المتنوعة لمشاهدة هذا التنوع بعين البصر التي تورث اليقين بكل ما تشاهده كما في قوله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَا ﴾[فاطر: 27] .ومعلوم أن استدعاء حاسة البصر والرؤية طريق قريب يورث الإيمان القطعي بهذا التنوع الذي لا يقدر عليه إلا الله.

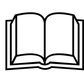


2- جعلت الآيات هذا التدبر والتأمل في تنوع المخلوقات علامة فارقة لأولي الألباب أصحاب العقول السليمة الناضجة، وهذا الأسلوب يشد كل أحدٍ إلى التفكير ، وإعمال منحة العقل الذي ميزه الله به على سائر خلقه، ليدخل بذلك في دائرة الممدوحين من أهل العقول.

وهذا الأسلوب القرآني الفريد يصلح أن يخاطب به كل الناس مؤمنهم وكافرهم ليستيقن المرتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً.

3- جعلت الآيات التفكر والتدبر في تنوع الخلق ضرباً من ضروب العلم النافع ، وبهذا تكون الآيات القرآنية قد منحت المجال لكل الناس من أجل أن يبذلوا كل طاقاتهم وقدراتهم المادية والمعنوية ، حتى يقفوا على ما يمكنهم الوقوف عليه من حكم إلهية ربانية فريدة في هذا التنوع .﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم : 22] .

وكل هذه أساليب وطرق تثبت الإيمان بأقدار الله تعالى في النفوس .



المبحث الثالث بيان القرآ، الكريم لما يرتبط بقضائه وقدره وللإنسان دخل فيه من الأعمال (الطاعة ، المعصية)

لقد بيَّن الله تعالى في كتابه أنه هدى الإنسان ؛ فبين له طريق الهداية ، وطريق الضلالة، ثم أخبر أن العبد هو الــذي يختار من الطريقين بعقله الذي منحه إياه، قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : 10] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان : 3] .

وبشر أهل العقل والفهم الذين اختــاروا طريق الهداية في كتابــه الكريم ، فقال : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر : 17-18]، ومن هنا قال العلماء : «فالمعصية من العبد كما أن الطاعة من العبد، ومعلوم أنه إذا كانت الطاعة منه بمعنى أنه فعلها بقدرته ومشيئته ؛ لم يمتنع أن يكون الله هو الذي جعله فاعلاً لها بقدرته ومشيئته ، بل هذا هو الذي يدل عليه الشرع والعقــل كما قال الخليل : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة : 128] . وقال : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾[إبراهيم 40] وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [السجدة : 24][1] .

ومن الآيات التي تدل على أن الله تعالى بين للعبد الطريقين و لم يتركه سدى ، قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : 10] ، أي طريق الخير والشر على أحد الأقوال [2].

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (92/3).

(٢) انظر تفسير الطبري 437/24-439.



ومعنـــى قولـــه تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: 8-10] ، أي أعطيناه عينين يبصر بهما ، ولساناً ينطق به ، ويفصح عن مراده، وزيناه بشفتين يستر بهما فمه وأسنانه، ثم هديناه النجدين؛ أي : بيّنّا له طريق الخير والشر والسعادة والشقاء بما أودعنا في فطرته ، وبما أرسلنا به رسلنا وأنزلنا به كتبنا ، أنسي هذا كله، وتعامى عنه ، ثم هو ينفق ما أعطيناه في حرب رسولنا وديننا»[1].

والعبد مخلوق على أنه يقدر على إكتساب الطاعة والمعصية، وإلى ذلك أشار قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : 10] طريق الخير ، وطريق الشر . ولو لم يقدر على ذلك ؛ لما أمره الله تعالى ولا نهاه، كما أنه لم يأمره بتغيير هيئاته ، وألوانه ، واشكاله، التي لا يقدر الإنسان على تغييرها .

ولذا فالمطيع يستحق الثواب قال ابن تيمية : «وكذلك الجنة خلقها الله لأهل الإيمان به وطاعته فمن قدر أن يكون منهم يسره للإيمان والطـــاعة» [2]. والعاصـــي يستحق العقاب، والجزاء من جنس العمل.

ولما كان الخلق في باب التكليف على درجتين : مطيعٍ ، وعاصٍ؛ كان العدل أن يبني دارين : جنةٍ ونارٍ ، والملائكة والأنبياء لا يعصون الله ما أمرهم ، وأما سائر المسلمين فيطيعون ويعصون ثم يستغفرون ، وإما من يعصي ولا يطيع ، فالشياطين ، والكفرة.

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: 3]، والمعنى هنا كما جاء في جامع البيان في قوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ أي: « إنا بينا له طريق الجنـــة، وعرفناه سبيله ، إن شكر ، أو كفر . وإذا وُجه الكلام إلى هذا المعنى ، كانت إما وإما في معنى الجزاء ، وقد يجوز أن تكون إما وإما بمعنى واحد، كما قال : ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا

(١) أيسر التفاسير للجزائري (400/4)، وانظر: فتح القدير (632/5).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (69/8).



يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [التوبة : 106] فيكون قوله : ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ حالا من الهاء التي في هديناه ، فيكون معنى الكلام إذا وُجه ذلك إلى التأويل : إنا هديناه السبيل، إما شقياً وإما سعيداً.. ، وقد قيل في قوله تعالى : ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٍ نَّبۡتَلِيهِ ﴾ [الإنسان:2] إلى ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ قال : ننظر أي شيء يصنع ، أي الطريقين يسلك ، وأي الأمرين يأخذه، قال: وهذا الاختبار»[1].

ومن الآيات التي تدل على أن الله تعالى أمر العباد بالطاعات ، ونهاهم عن المعاصي، مما يدل على قدرة العبد على فعل الأولى واجتناب الثانية قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [المائدة : 92] ، وفي النهي عن المعصية قال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتًا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾[الحجرات : 12].

فالأمر والنهي إنما يتوجهان إلى الحر المختار من المكلفين.

وقال تعالى : ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ [الشمس : 8] .

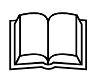
ومعناها : أن الله تعالى عرَّف النفس البشرية ، فجورها وتقواها أي : الطاعة والمعصية ، عن أبي الأسود الديلي [2] ، قال : قال لي عمران بن حُصين [3] : أرأيت ما يعمل

---

(١) جامع البيان للطبري (92/24).

(٢) أبو الأسود الديلي بكسر المهملة وسكون التحتانية ويقال الدؤلي بالضم بعدها همزة مفتوحة البصري اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان ويقال عمرو بن ظالم ويقال بالتصغير فيهما ويقال عمرو بن عثمان أو عثمان بن عمرو ثقة فاضل مخضرم مات سنة تسع وستين ، تقريب التهذيب ج1 ص 619.

(٣) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد بنون وجيم مصغر أسلم عام خيبر وصحب وكان فاضلاً وقضى بالكوفة مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة ، المرجع السابق ، ج1 ص 429.

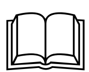


الناس فيه ويتكادحون فيه أشيء قَضيَ عليهم ، ومضى عليهم من قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام ، وأكدت عليهم الحجة؟ قلت: بل شيء قضي عليهم، قال : فهل يكون ذلك ظلماً ؟ قال : ففزعت منه فزعاً شديداً ، قال: قلت له: ليس شيء إلا وهو خلقه ، وملك يده، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[الأنبياء: 23]. قال : سددك الله ، إنما سألتك «أظنه أنا» لأخبر عقلك. إن رجلاً أتى النبي ﷺ ، فقال: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق ؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم ؟ فقلت بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم. قال : فقال : أفلا يكون ظلماً ؟ قال : ففزعت من ذلك فزعاً شديداً وقلت : كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي يرحمك الله إني لم أرد سألتك إلا لأحرز عقلك ، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ، ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[الشمس : 7-8] [1][2].

وملخص القول في الطاعة والمعصية : « أن كل ما يفعله العباد من الطاعة والمعصية فهو واقعٌ بإرادة الله الكونية ، فإن كان طاعة فهو واقع بإرادته الكونية والشرعية ، وإنْ كان غير طاعة فهو واقعٌ بالإرادة الكونية دون الشرعية ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ

(١) رواه مسلم في صحيحه ك القدر ، ج4 ص 2041 ، برقم 2650.

(٢) تفسير الطبري (455/24) (456/24) وانظر فتح القدير للشوكاني (639/5).



وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : 253] . فدل هذا على أن القتال كان بمشيئة الله ولكن الله يفعل ما يريد بإرادته سبحانه ، والناس قد اختلفوا في هذه المسألة : فالجبرية قالوا : بإرادة الله المجبرة تجبر الإنسان على أنْ يفعل ، فنفوا إرادة العبد ، والقدرية قالوا : ليس بإرادة الله إطلاقاً والإنسان مستقلٌ بعمله، فنفوا بذلك إرادة الله.

وأهل السنة والجماعة توسطوا في ذلك فقالوا : إنه بإرادة الله غير المجبرة لأن الإنسان يفعل الفعل باختياره ليس مجبراً عليه ، ولا فرق في هذا بين الطاعة والمعصية ، التي تقع من العبد تقع بإرادة الله والمعصية التي تقع من العبد تقع بإرادة الله ، فاقتتال الكفار والمؤمنين مثلاً فيه واجب أراده الله وأحبه ، وفيه حرام أراده الله وكرهه وهو قتال الكفار للمؤمنين ، ومع ذلك أخبر الله أنه وقع بمشيئته ﴿ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ [البقرة : 253] (1).

ومن الأدلة على أن الله تعالى بين طريق الحق ، ووضح للعبد الحسنة والسيئة ورتب عليهما الثواب والعقاب قوله جل وعلا : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[البلد : 10]. وقوله تعالى للنبي ﷺ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[يوسف : 108]. وفي النهي عن سبل الشيطـــــان والأمر باجتنابها قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : 153] . وقال : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[الزلزلة : 7-8] وقال : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم ، 39-41].

---

(1) انظر: الفصل في الأهواء والملل والنحل لابن حزم (24/3) بتصرف يسير.



أي أن الإنسان ليس مجبوراً محضاً ، ولا مختاراً مطلقاً ، بل هو بين الجبر والاختيار.
إن الله خلق الإنسان ، وإن الله يعلم ما سيعمل في حياته ويفعل في مستقبله فخلق أفعاله على علمه ذاك، ويسر له السبل بعد تفويضه الاختيار أن يعمل هذا أو ذاك ، وبعد إرشاده أن هذا حسن وذاك قبيح، قال سبحانه وتعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[الليل:5-10].
ومعنى هذا كله أن الله خلق أفعال العباد حسب علمه الذي أحاط بكل شيء. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق : 12].

وأما عقاب العبد وثوابه ، فلا يكون إلا على اكتساب العبد ذلك الفعل والعمل به بعد اختياره على كسب ذلك أو تركه ، فإن كان شراً فشر ، وإن كان خيراً فخير . ولا دخل فيه لقدرة العباد على خلق الأفعال أو على عدم الخلق، وهذا ما صرح الله عز وجل في كتابه بقوله : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: 30] . وقوله عز وجل : ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم : 41] .

والمفسد يستحق العذاب على إفساده كما أن المصلح يستحق الثواب قال ابن تيمية:
«... إبطال لقول الجهمية المجبرة ونحوهم ، ممن يقول : إن الله قد يعذب العباد بلا ذنب، وأنه قد يأمر العباد بما لا ينفعهم ، بل بما يضرهم . فإن فعلوا ما أمرهم به حصل لهم الضرر ، وإن لم يفعلوه عاقبهم . يقولون هذا ومثله ، ويزعمون أن هذا لأنه يفعل ما يشاء. والقرآن يرد على هؤلاء من وجوه كثيرة ، كما يرد على المكذبين بالقدر . فالآية ترد على هؤلاء وهؤلاء ، كما تقدم ، مع احتجاج الفريقين بها. وهي حجة على الفريقين . فإن قال نفاة القدر : إنما قال في الحسنة «هي من الله» وفي السيئة « هي من نفسك» لأنه يأمر بهذا، وينهى عن هذا ، باتفاق المسلمين . قالوا : ونحن نقول: المشيئة ملازمة للأمر.



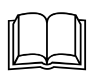
فما أمر به فقد شاءه وما لم يأمر به لم يشأه. فكانت مشيئته وأمره حاضة على الطاعة دون المعصية » [1].

وفي قول الله تعالى : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء: 165]. دليل على أن لا حجة للناس على الله تعالى بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب ، وهذا من تمام علمه سبحانه وحكمته تعالى. وأنه سبحانه لم يجبر أحداً على العصيان ، وهو تعالى أعطى القدرة على الفعل وعدمه ، ومن تمام عدله أن رفع القلم عن الصغير ، والمجنون، والنائم، بل إن العاصي يعصي الله جل وعلا بإرادة العبد واختياره ، وكون الله جل وعلا علم ذلك وكتبه وشاءه وخلقه ، لا ينافي اختيار العبد ، بل العبد مختار لما يفعل ولما يقع منه من معصية الله عز وجل، فالعبد ليس مجبوراً على معصية الله عز وجل ، بل له الاختيار التام في طاعة الله عز وجل والتزام أمره ، وفي معصيته سبحانه وتعالى والإعراض عنه، ولذلك رتب الله العقاب والثواب على امتثال الأمر وترك النهي كما تقدم.

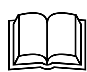
ومن تمام الإيمان بالقضاء والقدر أن نؤمن بأن معصية العاصي هي بفعله ومشيئته واختياره، وطاعة الطائع هي بمشيئته واختياره؛ وقد أكدت الآيات القرآنية ذلك وأنه إذا وقعت المعصية إكراهاً لم تترتب عليها العقوبة ، حتى لو كانت كفرا ، كما قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾[النحل : 106] .

وأي شك في أن الله تعالى قد قطع الحجة بإرسال الرسل وإقامة الحجة، والله تعالى قد نص في كتابه الكريم على ذلك في أكثر من موضع ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : 286] وفي آية أخرى قال : ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(١) مجموع الفتاوى المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـ) ، المحقق: أنور الباز ، عامر الجرار ، الناشر : دار الوفاء ، الطبعة: الثالثة ، 1426هـ/ 2005م (258/14) (257/14).



[الأنعام : 152] بالنون وفي آية أخرى ﴿إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق : 7] ومنه: ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرًا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ [الطور : 40] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ﴾[الأحقاف : 26] ، وأمثال ذلك مما لا يحصى وأوضح من ذلك أنه سبحانه وتعالى كتب الأعمال في الكتب وأشهد على خلقه ملائكته الكرام، ثم نصب الموازين القسط ليوم القيامة وأنطق الجلود والأعضاء بعد شهادة الملائكة وصالحي خلقه بعد رسله عليهم السلام، كل ذلك ليقيم الحجة حجة عدله وعظيم فضله ويقطع اعذار المعاندين والجاهلين والمتجاهلين، وكم احتج الله تعالى بذلك وتمدح به في كريم كتابه كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾[عبس : 20] وقوله تعالى : ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد : 10] وقوله عز سلطانه ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: 3] بل نفى سبحانه وتعالى ما يستلزم ذلك أو يقاربه ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرًا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ [الطور : 40] ، فأوضح أنه لم يبق لهم عذر يتعللون به إذ لا معنى لنفي المغرم الثقيل مع وجود التكليف الممتنع لذاته المستحيل، ثم تمدح سبحانه وتعالى بالقضاء الحق يوم القيامة في غير آية ، فالعجب ممن لم يفهم أن ذلك ينافي تكليف ما لا يطاق ويضاده ممن يدعي الانصاف وفهم الدقائق والغوص على غوامض الحقائق وأنه في رتبة الذب عن الإسلام، ونحو ذلك كثير جداً في كتاب الله تعالى فكيف يقدم على هذا كله مفهوم ظني مرجوح مختلف في معناه كما ذكره الغزالي في قـــــــوله تعالى حاكياً عن عباده ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[البقرة : 286] والله تعالى يقول : ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر : 55] ويقول : ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ



ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:17-18] ولا شك في وضوح الآيات في نفي ذلك وحسنها سمعاً وعقلاً وفضلاً وعدلاً(١).

كما أن تمام الإيمان أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، حتى وإن كان صاحب مكانة ، وجاهٍ ، وفضل ، قال ابن تيمية : « ولا يبلغ من حق أحد وإنعامه : أن يشكر بمعصية الله أو أن يطاع بمعصية الله . فإن الله هو المنعم بالنعم العظيمة التي لا يقدر عليها مخلوق . ونعمة المخلوق إنما هي منه أيضاً . قال تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل: 53]. وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[الجاثية: 13] وجزاؤه سبحانه على الطاعة والمعصية والكفر لا يقدر أحد على مثله. فلهذا لم يجز أن يطاع مخلوق في معصية الخالق كما قال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ [العنكبوت: 8] وقال في الآية الأخرى : ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ [لقمان : 15] وقال ﷺ : (السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (٢). وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : (إنما الطاعة في المعروف) (٣). وغيرها من الأحاديث(٤).

---

(١) انظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، المؤلف : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 1987م، ج327/1، 328، بتصرف يسير .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام .. الجزء 6 ، صفحة 2612، برقم 6725، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، ج3 ص1469 رقم 1839.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الأحكام – باب السمع والطاعة .. ج6ص2612، برقم 6726 ، ومسلم في الإمارة ج3 ص1469، برقم1840.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، بتصرف يسير (340/14).



ومما خرجت به من هذا المبحث ما يلي :

أولاً : الإيمان بأن الله تعالى جعل للعبد اختياراً وقدرة بهما يكون الفعل ، والدليل على أن فعل العبد باختياره ما قررته الآيات الكريمة مثل قوله تعالى : ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة : 223] ، وقوله : ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾[التوبة: 46]، وغيرها .

الثاني : الأمر والنهي موجهات في الآيات للعبد ، إذ لو لم يكن له اختيار وقدرة لكان ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق ، وهذا ما نفاه الله تعالى عن نفسه في قوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة : 286] .

الثالث : مدح المحسن على إحسانه وذم المسيء على إساءته ، وإثابة كل منهما بما يستحق، ولو لم يكن كذلك لكان من العبث المدح والذم والله تعالى منـــزه عن العبث والظلم، ثم إن الطاعة لها فضل على صاحبها عظيم كما قال ابن القيم : « فإن الطاعة حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين من عقوبات الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب ؛ فمن أطاع الله إنقلبت المخاوف في حقه أمانا، ومن عصاه إنقلبت مآمنه مخاوف، فلا تجد العاصي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر؛ إن حركت الريح الباب قال : جاء الطلب ، وإن سمع وقع قدم خاف أن يكون نذيراً بالعطب ، يحسب كل صيحة عليه، وكل مكروه قاصد إليه، فمن خاف الله أمنه من كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»[1].

الرابع : أن أعظم الطاعات وأوجب الواجبات هو التوحيد ، هو أعظم ما أمر الله به ، وهو سبيل النجاة ، إذ « أن من فعل المأمورات والمنهيات ؛ فهو أما ناج مطلقاً إن غلبت

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، (الداء والدواء) ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبدالله ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، (50/1).



حسناته سيئاته ، وإما ناج بعد أن يؤخذ منه الحق ويعاقب على سيئاته ، فمآله إلى النجاة وذلك بفعل المأمور ، ومن ترك المأمورات والمنهيات فهو هالك غير ناج، ولا ينجو إلا بفعل المامور وهو التوحيد»[1].

الخامس : أكدت الآيات الكريمة أن الله تعالى أرسل الرسل ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾[النساء : 165] ، ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره ما بطلت حجته بإرسال الرسل.

السادس : أن كل فاعل يحس أنه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، فهو يقوم ويقعد ، ويدخل ويخرج ، ويسافر ويقيم بمحض إرادته، ولا يشعر بأن أحداً يكرهه على ذلك ، بل يفرق تفريقاً واقعياً بين أن يفعل الشيء باختياره ، وبين أن يكرهه عليه مكره. وكذلك فرق الشرع بينهما تفريقاً حكيماً ، فلم يؤاخذ الفاعل بما فعله مكرهاً عليه فيما يتلعق بحق الله تعالى .

السابع : أبطلت الآيات الإحتجاج بالقدر على المعاصي إذ لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى ، لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله تعالى قدرها عليه ، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع المقدور قال تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗا﴾ [لقمان: 34] ، وقد أبطل الله تعالى هذه الحجة بقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام : 148] . وبنسبة المعصية أو

---

(١) الفوائد ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1393-1973) (121/1).



الطاعة لله تعالى أو للعبد قال ابن القيم « إن الذي إلى الرب منها غير مكروه، والذي إلى العبد منها هو المكروه والمسخوط ، فإن قلت : ليس إلى العبد شيء منها قلت: هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق ، والقدري أقرب إلى التخلص منه من الجبري ، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية: هم أسعد بالتخلص منه من الفريقين . فإن قلت : كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير ومع شهود القيومية والمشيئة النافذة؟

قلت : هذا الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على خلاف ما هو عليه؛ فرأى تلك الأفعال طاعات لموافقته فيها المشيئة والقدر ، وقال : إن عصيت أمره فقد أطعت إرادته في ذلك وقيل : أصبحت منفعلاً لما تختاره .. مني ففعلي كله طاعات.

وهؤلاء أعمى الخلق بصائر ، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية؛ فإن الطاعة هي موافقة الأمر لا موافقة القدر والمشيئة، ولو كانت موافقة القدر طاعة لله لكان إبليس من أعظم المطيعين لله ، وكان قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون كلهم مطيعين له ، فيكون قد عذبهم أشد العذاب على طاعته ، وانتقم منهم لأجلها وهذا غاية الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله . فإن قلت : ومع ذلك فاجمع لي بين الندم والتوبة ، وبين مشهد القيومية والحكمة، قلت: العبد إذا شهد عجز نفسه ونفوذ الأقدار فيه ، وكمال فقره إلى ربه ، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين، كان بالله في هذه الحال لا بنفسه »[1]. ولهذا لما أخبر النبي ﷺ الصحابة بأن كل واحد

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1393-1973م تحقيق : محمد حامد الفقي، (203/2).



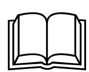
قد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا : أفلا نتكل وندع العمل؟ قـال: (لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له) [1].

فكيف بمن يسلك طريقاً وعراً مع وجود الطريق السهل الآمن؛ ألا يعد مجنوناً هل يفعل ذلك أحد ثم يحتج بالقدر !؟ ولو خير بين شيئين دنيوين وكان أحدهما أفضل من الآخر ، فسيختار الأفضل بلا شك فكيف بأعمال الآخرة!؟

الثامن : أن من آثار الطاعة والمعصية ما هو واضـح من الآيات التالية يقول الحق سبحانه : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: 52]. وقال ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء : 13-14] . وقال جل جلاله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : 70-71] . وقـال عز وجل : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : 97] . وقال جل ذكره : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية : 21] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب فسنيسره للعسرى ، ج 4 ص 1891، برقم 4666، وصحيح مسلم، كتاب التفسير ، ج4 ص 2039، برقم 2647.



فالمؤمن بالله تعالى والمطيع له ، والمخلص في عمله ، يجد حلاوة الإيمان في قلبه، وتطمئن نفسه إلى الخالق فتشكره على الخير والنعمة ، وتلجأ إليه عند المحنة، وما ذلك إلا لقوة إيمانه بالله ولإدراكه أن وجوده في هذه الدنيا للإختبار والامتحان ، كما قال تعالى : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7] فيعيش مع الله ويسعد بالإيمان والعمل الصالح ، وفي الآخرة يحصل بفضل الله على النعيم المقيم.. فالطاعة موصلة إلى الجنة والمعصية مقربة إلى النار ، وأن الطاعة والمعصية قد تكون من أيسر الأشياء، فقد جاء في الحديث : (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا ، يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جنهم) [1].

لذا ينبغي للمرء أن لا يزهد في قليل الخير أن يأتيه ولا في قليل من الشر أن يجتنبه ؛ فإنه لا يعلم الحسنة التي يرحمه الله بها ولا السيئة التي يسخط عليه بها[2] .

التاسع : دلت الآيات الكريمة إلى استخدام العقل في الحكم والتفكر في الحق، فالعاقل لا يمكن أن يرضى بمساواة المحسن والمسـيء ، كما قال تعالى : ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: 21] . لأن ذلك يعد ظلماً والله تعالى نزه نفسه عن الظلم.

العاشر : من طريقة القرآن الكريم في تقرير العقائد ، أنه يقص القصص المتنوعة مقرراً بها العقائد، ومن ذلك تقرير الآيات أن الإتيان بالطاعة والكف عن المعصية كلاهما تحتاج إلى صبر وتصبر ومن أبرز الأمثلة التي تدل على الصبر على الطاعة قصة إبراهيم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ، ج5 ص 2377، رقم 6113.

(٢) انظر أصول الإيمان للإمام محمد بن عبدالوهاب (65/1).

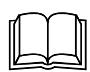


وإسماعيل التي حكاها الله لنا بقوله عن إبراهيم : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات : 99 إلى 111] . وواضح من الآية قمة الصبر الذي وصلا إليه عليهما السلام؛ أما الصبر عن المعصية : فكان أبرز الأمثلة وأشدها وضوحاً صبر يوسف عليه السلام على مراودة امرأة العزيز ؛ فقد كان صبره من أعظم الصبر؛ حيث صبر عن شيء في مقدروه الإتيان به ، ومع إمكانية الحصول عليه . مما يدل على أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي .

حادي عشر : يتبين لنا أن أهل السنة توسطوا في ذلك فجعلوا للعبد قدرة ، وجعلوا لله تعالى قدرة ، وقدرة الله تعالى غالبة على قدرة العبد ، وبقدرة العبد التي أعطاه إياها، والتي مكنه بها يحصل الثواب والعقاب والمؤاخذة.

ثاني عشر : بينت الآيات أن الإنسان معه قدرة ، ومعه تمكن ، وأنه لولا هذه القدرة ما كُلف ، ومن هذه الآيات ما يدل على ذلك قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : 286] فلو لم يكن للإنسان قدرة لما كلف ، ولهذا لا يكلف المجنون، ولا العاجز ، وأمثالهما.

ثالث عشر : أن في قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : 16] يعني أن للعباد استطاعة وقدرة يزاولون بها أعمالهم ، وهكذا الآيات التي فيها الأوامر والنواهي التي



يوجهها الله إلى العباد : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل: 20] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام : 151] ونحو ذلك .

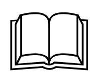
ولو لم يكن للعباد قدرة ما وجهت إليهم هذه الأوامر ، والعبد تنسب إليه أفعاله لأنها صدرت منه، وإن كان قد سبق بها علم الله تعالى وقد كتبت ودونت في اللوح المحفوظ.

رابع عشر : أن الله تعالى لا يقدر شيئاً إلا لحكمة ولو جاز الاحتجاج بالقدر على المعاصي لم يكن هناك عقاباً لظالم ولا قتال لمشرك ، ولا أقيمت حدود على شيء مخالف وهذا «من الفساد في الدين والدنيا المعلوم ضرورة فساده للعالم بصريح المعقول المطابق لما جاء به الرسول ﷺ»(١).

خامس عشر : أسلوب الترغيب للطاعة ، والتحذير والتخويف من المعصية الوارد في الآيات الكريمة كما في قوله تعالى في الترغيب في الطاعات : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة : 11] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم : 96] وغيرها من الآيات الكثيرة، وأما المعصية فقد حذر الله تعالى منها في كثير من الآيات ، وبين ما لها من أضرار وآثار فهي تزيل النعم كما في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً

---

(١) الصافي عن الكدر فيما جاء عن سيد البشر في القضاء والقدر للعلامة : محمد بن رسول البرزخي (ت 1103هـ)، تحقيق ودراسة رسالة علمية لنيل الشهادة العالمية الماجستير ، للباحث : محمد معصوم حسن، إشراف د.محمد ربيع المدخلي ، 1415هـ ، ص 125.



أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال : 53] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : 96] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: 36] إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على آثار المعاصي[1].

ومن خلال ما ذكرت من الأدلة القرآنية ، وما أفدته منها تبين لي أن طريقة القرآن في إثبات هذه العقيدة قامت على ما يلي:

1- اتخذت الآيات طريقة الدعوة إلى الاهتمام بالنظر فيما مكن الله العبد به من الحواس كالبصر ، واللسان ، وغيرها وهي التي يتمكن بها من فعل ما يشاء . وهذا من أجل أن يصرف تفكير العبد وذهنه عن الاشتغال بما يدخل تحت مشيئة الله إلى التفكير فيما يدخل تحت مشيئته هو ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد 8-9] .

2- ركزت الآيات على الاهتمام بالعمل والسعي الذي يرضـــــي الرب سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : 7] ، وقوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم : 39] . وهذه الطريقة تجعل من تفعيل الحواس التي مكن الله الإنسان منها في العمل سبيلاً إلى الاهتداء والاقرار بحرية الإنسان في أفعاله، وإن كانت لا تقع إلا بمشيئة الله تعالى .

3- ارتقت الآيات بالإنسان عن المبالغة في النظر في القدر والمشيئة الإلهية، إلى النظر والاهتمام بآثار العمل العبادي في الدنيا والآخرة، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴾ [النور : 52] . وقوله في المقابل:

---

(١) انظر طب القلوب عند الإماميين الجليلين ابن تيمية وابن القيم ، المؤلف : عمر أحمد الراوي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، ص 430 إلى 475.



﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41] .

وهذه الطريقة عمدت إلى ربط الإنسان بواقعه الذي يحياه، حتى يستطيع أن يفهم قضية مشيئة الله التي يدخل تحتها عمله العبادي على وجهها الصحيح؛ من أن كل شيء فهو من خلق الله وتحت مشيئته ، ولكنه لم يلغ مشيئة العبد وحريته.

4- استعملت الآيات القرآنية أسلوب القصص لتظهر مفهوم الجمع بين القدر الإلهي ، والاختيار البشري في صورة واقعية . وهي بهذا تجعل من الذين تحكي قصصهم من الأنبياء والصالحين قدوات لسائر العباد في فهم عقيدة القدر . وهذا ظاهر في قصة إبراهيم مع إبنه إسماعيل ونحوها .

5- صورت الآيات القرآنية قدرة الله تعالى ومشيئته في ضوء ما يتناسب مع فطرة الإنسان من جهة ، وفي ضوء ما يتناسب مع استطاعته هو . وذلك حين نفت عن الله تعالى التكليف بما لا يطاق؛ وهذه الطريقة تجعل الإنسان يتعاطى مع قضية القدر في ضوء محيطه ودائرته التي هو فيها ، والتي لا يشعر معها مطلقاً أن قدرة الله تعالى — وإن كانت هي النافذة — تعطل استطاعته وقدرته على اختيار الفعل — طاعة أو معصية — وعلى ممارسة ذلك الفعل.

6- جمعت الآيات بين إثبات مشيئة الله لكل ما يقع من الإنسان ، وبين توجيه الخطاب التكليفي إلى الإنسان ؛ ليتأكد للإنسان أن مشيئته وقدرته التي منحهما الله إياه فاعلتان، وليستا معطلتين ، لأنه قادر على تنفيذ ما خوطب به ، كما أنه قادر على عدم تنفيذه.

وهذه الطريقة تحدث عند الإنسان توازناً في الجمع بين مشيئة الله وقدرته، وبين مشيئته هو وقدرته.



المبحث الرابع بيان القرآن الكريم لنوعي الإرادة الثابتة لله تعالى

لقد قسم القرآن الكريم أنواع إرادة الله تعالى إلى نوعين [١]:

1- إرادة كونية : وهي الإرادة التي يتعلق بها كل ما قدره الله تعالى وشاءه ، وهو واقع بحسب سنن الله تعالى في الكون؛ سواء كانت مما يحبه الله تعالى ، أو مما لا يحبه ولا يرضاه. فلا يقع في ملكه تعالى ، إلا ما يشاء ، وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام : 125] وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة : 253] ، وهذه الإرادة شاملة لجميع ما يقع في الكون[٢].

2- الإرادة الشرعية : وهي التي تتعلق بما يحبه الله ويرضاه ويأمر به ديناً وشرعاً . وقد ورد في هذا النوع آيات كثيرة ؛ منها قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة : 185] وغيرها كثير ، والإيمان بإرادة الله تعالى إيمان بكامل ربوبيته سبحانه وقدرته النافذة في خلقه تعالى[٣] .

والآيات الدالة على الإرادة بنوعيها كثيرة ، فمن الآيات الدالة على الإرادة الشرعية:

- قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة : 185] ، وقال : ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران : 108] و ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: 31]. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ

---

(١) انظر: القضاء والقدر . لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 273.

(٢) انظر: القضاء والقدر، للبيهقي ص 71.

(٣) انظر: الفضاء والقدر ، للبيهقي ص 72.



عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء : 26] وقال : ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : 27] ، وقال : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : 28] ، وايضاً قوله تعالى : ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : 60] . وقال تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة : 6] ، وقوله أيضاً : ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 67] [1].

وبناء على هذا التقسيم، فقد قسم ابن تيمية ما يتعلق بنوعي الإرادة الثابتة لله تعالى إلى أربعة أقسام فقال :

« أحدها : ما تعلقت به الإرادتان ، وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة، فإن الله أراده إرادة دين وشرع ؛ فأمر به وأحبه ورضيه وأراده إرادة كون فوقع ؛ ولولا ذلك لما كان.

والثاني : ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط . وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار ، فتلك كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع.

والثالث : ما تعلقة به الإرادة الكونية فقط. وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها : كالمباحات والمعاصي ؛ فإنه لم يأمر بها و لم يرضها و لم يحبها ، إذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ، ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ، ولما وجدت، فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

---

(١) انظر حجج القرآن للحنفي (30/1).



والرابع : ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي»[1].

ومن أمثلة الإرادة الكونية ما يلي :

1- قوله تعالى : ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: 11] .

ومعنى ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا﴾ أي : عذاباً وشدة وأمراً يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم (فـــ) إنه ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ ولا أحد يمنعهم منه..»[2].

وفي هذا دليل على أن جميع ما وقع في الكون فإنه بإرادة الله عز وجل ؛ لأن الله هو الذي خلقه فيكون واقعاً بإرادته ، ولكن الله لا يريد شيئاً إلا لحكمة، فكل ما يقع من أفعال فإنه لحكمة عظيمة قد نعلمها وقد لا نعلمها ، فهذه هي إرادة الله الكونية التي لا بد من وقوعها، سواء أحب ذلك الإنسان أم كرهه. قال ابن تيمية : « والقرآن والسنة تثبت القدر، وتقدير الأمور قبل أن يخلقها ، وأن ذلك في كتاب ، وهذا أصل عظيم يثبت العلم والإرادة لكل ما سيكون»[3].

2- قال تعالى : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [هود : 34] .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (189/8) ، وانظر : لوامع الأنوار ، للسفاريني ج294/1 ، 295.

(٢) تفسير السعدي (414/1) ، وانظر أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، للجزائري (14/3) ، وانظر معالم التنـــزيل للبغوي (303/4) .

(٣) مجموع الفتاوى في التفسير لابن تيمية (311/4) .



أي : « إن إرادة الله غالبة، فإنه إذا أراد أن يغويكم ، لردكم الحق ، فلو حرصت غاية مجهودي ، ونصحت لكم أتم النصح - وهو قد فعل ﷺ - فليس ذلك بنافع لكم شيئاً»(١).

ولعل من الحكم الظاهرة في هذه الإرادة الكونية ما قاله الجزائري: «إذ مثل هؤلاء لا يستحقون هداية الله تعالى بل ا لأولى بهم الضلالة حتى يهلكوا ضالين فيشقوا في الدار الآخرة. وقوله تعالى : ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: 34] ، أي فالأمر له ألستم عبيده وهو ربكم إن يشأ يرحمكم وإن يشأ يعذبكم، وإن كانت حكمته تنفي أن يعذب الصالحين ويرحم الغواة الظالمين .. فإرادة الله تعالى قبل كل إرادة وما شاءه الله يكون وما لم يشأ لم يكن»(٢).

فهذه الإرادة مرتبطة بسنن الله في الكون جارية على أن الجزاء من جنس العمل.

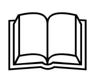
قال سيد قطب رحمه الله : « فإذا كانت سنة الله تقتضي ان تهلكوا بغوايتكم ، فإن هذه السنة ستمضي فيكم ، مهما بذلت لكم من النصح . لا لأن الله سيصدكم عن الانتفاع بهذا النصح ، ولكن لأن تصرفكم بأنفسكم يجعل سنة الله تقتضي أن تضلوا ، وما أنتم بمعجزين لله عن أن ينالكم ما يقدر لكم ، فأنتم دائماً في قبضته ، وهو المدبر والمقدر لأمركم كله؛ ولا مفر لكم من لقائه وحسابه وجزائه: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾»(٣).

---

(١) تفسير السعدي (381/1).

(٢) أيسر التفاسير (168/2) .

(٣) في ظلال القرآن ، (215/4).



القسم الثاني : الإرادة الشرعية الدينية :

ومن أمثلتها :

1- قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة : 185].

فالتيسير مما يحبه الله ، ويطلبه ديناً وشرعاً ، ويرضاه لعباده منهجاً . وقد قال المفسرون: « أن هذا مقصد من مقاصد الرب سبحانه ، ومراد من مراداته في جميع أمور الدين ومثله قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج : 78] وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يرشد إلى التيسير ، وينهى عن التعسير ، كقوله ﷺ : (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) (1). وهو في الصحيح : اليسر السهل الذي لا عسر فيه»(2).

وقد دلت الآية على فائدتين :

1- انتفاء الحرج والمشقة والعسر في الشريعة؛ لقوله عز وجل : ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة : 185].

2- أنه إذا دار الأمر بين التحليل ، والتحريم فيما ليس الأصل فيه التحريم فإنه يغلب جانب التحليل ؛ لأنه الأيسر ، والأحب إلى الله(3).

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ج 1 ص 38، برقم 69، أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب في الأمر بالتسير وترك التنفير 1734، ج3 ص1359.

(٢) فتح القدير للشوكاني (280/1).

(٣) انظر: تفسير العلامة محمد العثيمين ، المؤلف : محمد بن صالح العيمين، الناشر : دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ، 1425هـ - 2004م، (275/4).

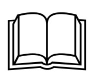


2- وقوله : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 26-28].

قال الجزائري : « لما حرم تعالى ما حرم من المناكح ، وأباح ما أباح منها ؛ علل لذلك بقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ أي : بما شرع ليبين ما هو نافع لكم مما هو ضار بكم، فتأخذوا النافع وتتركوا الضار ، كما يريد أن يهديكم طرائق الصالحين من قبلكم من أنبياء ومؤمنين صالحين لتسلكوها فتكملوا وتسعدوا في الحالتين ، كما أنه يريد بما بين لكم أن ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي يرجع بكم من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام فتعيشوا على الطهر والصلاح، وهو تعالى عليم بما ينفعكم ويضركم حكيم في تدبيره لكم فاشكروه بلزوم طاعته، والبعد عن معصيته.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (26) ، أما الآية الثانية (27) فقد تضمنت الإخبار بأن الله تعالى يريد بما بينه من الحلال والحرام في المناكح وغيرها أن يرجع بالمؤمنين من حياة الخبث والفساد التي كانوا يعيشونها قبل الإسلام إلى حياة الطهر والصلاح في ظل تشريع عادل رحيم . وأن الذين يتبعون الشهوات من الزناة واليهود والنصارى وسائر المنحرفين عن سنن الهدى فإنهم يريدون من المؤمنين أن ينحرفوا مثلهم فينغمسوا في الملاذ والشهوات البهيمية حتى يصبحوا مثلهم لا فضل لهم عليهم ، وحينئذ لا حق لهم في قيادتهم أو هدايتهم.

هذا معنى الآية الثانية ؛ أما الثالثة (28) فقد أخبر تعالى أنه بإباحته للمؤمنين العاجزين عن نكاح الحرائر نكاح الفتيات المؤمنات يريد بذلك التخفيف والتيسير عن المؤمنين رحمة بهم وشفقة عليهم لما يعلم تعالى من ضعف الإنسان وعدم صبره عن النساء بما



غرز فيه من غريزة الميل إلى أنثاه فحفظ النوع والحكم عالية وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[النساء : 28] »[1] .

ومثلها قوله تعالى : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة : 6].

قال ابن تيمية : « الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة تتعلق بالأمر ، وإرادة تتعلق بالخلق؛ فالإرادة المتعلقة بالأمر : أن يرد من العبد فعل ما أمر به ، وأما إرادة الخلق فإن يريد ما يفعله هو؛ فإرادة الأمور هي المتضمنة للمحبة والرضا وهي الإرادة الدينية، والإرادة المتعلقة بالخلق هي المشيئة وهي الإرادة الكونية القدرية ، فالأولى : كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : 185]. وقوله : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [النساء: 26]. إلى قوله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ [النساء: 28]. وقوله : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ [المائدة : 6]. وقوله : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب : 33] .

الثانية : كقوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام : 125] وقوله : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: 34] ، ومن هذا النوع قول المسلمين : ما شاء الله وكان وما لم يشاء لم يكن، ومن الأول : كقولهم لمن يفعل القبائح : هذا يفعل ما لا يريده الله منه ، فإذا كان كذلك فالكفر والفسوق والعصيان ليس مراداً للرب عز وجل بالاعتبار الأول، والطاعة موافقة لتلك الإرادة وموافقة للأمر المستلزم لتلك الإرادة؛ فأما موافقة مجرد

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (253/1).



النوع الثاني فلا يكون به مطيعاً، وحينئذ فالنبي ﷺ يقول له أن الله يبغض الكفر ولا يحبه ولا يرضاه لك أن تفعله ولا يريده بهذا الاعتبار، والنبي ﷺ يأمره بالإيمان الذي يحبه الله ويرضاه له ويريده بهذا الاعتبار» (١).

ومن الأمثلة التي دلت على النوعين معا قوله تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: 125] .

ومن خلال النصوص الدالة على الإرادتين ، بين العلماء عقيدة أهل السنة في كيف أن الله تعالى يريد أمراً مع أنه لا يحبه ولا يرضاه .

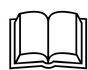
فقالوا : « وأما أهل السنة فيقولون : إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً ، فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها ، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها . وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن»(٢).

وفي قدرة العبد وإرادته فسر شارح الطحاوية ذلك بقوله : « والفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل ، وبين إرادته من غيره أن يفعل . فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلا فهذه الإرادة معلقة بفعله ، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلا فهذه الإرادة لفعل الغير . وكلا النوعين معقول للناس ، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى ، فالله – تعالى – إذا أمر العباد بأمر فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به وقد لا يريد ذلك ، وإن كان مريداً منه فعله . وتحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله – تعالى - : هل هو مستلزم لإرادته أم لا ؟ فهو سبحانه أمر الخلق على ألسنة رسله بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم ، ولكن منهم من أراد أن يخلق

---

(١) منهاج السنة ، لابن تيمية (ج1 ص 22).

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، المؤلف : ابن أبي العز الحنفي ، المحقق : أحمد محمد شاكر، الناشر: وكالة الطباعة والترجمة ، في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (38/1).



فعله، فأراد سبحانه أن يخلق ذلك الفعل ويجعله فاعلاً له . ومنهم من لم يرد أن يخلق فعله، فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرهما من المخلوقات ، غير جهة أمره للعبد على وجه البيان لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة ، وهو سبحانه – إذ أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان – كان قد بين لهم ما ينفعهم وما يصلحهم إذا فعلوه ، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم، بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدة من حيث هو فعل له ، فإنه يخلق ما يخلق لحكمه ، ولا يلزم إذا كان الفعل الماmور به مصلحة للمأمور إذا فعله – أن يكون مصلحة للآمر إذا فعله هو أو جعل المأمور فاعلاً له . فأين جهة الخلق من جهة الأمر ؟ فالواحد من الناس يأمر غيره وينهاه مريداً النصيحة ومبيناً لما ينفعه ، وإن كان مع ذلك لا يريد أن يعينه على ذلك الفعل ، إذ ليس كل ما كان مصلحتي في أن آمر به غيري وأنصحه يكون مصلحتي في أن أعاونه أنا عليه ، بل قد تكون مصلحتي إرادة ما يضاده.
فجهة أمره لغيره نصحاً غير جهة فعله لنفسه ، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين فهو في حق الله أولى بالإمكان . والقدرية تضرب مثل بمن أمر غيره بأمره ، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب إلى فعله ، كالبشر والطاقة وتهيئة المساند والمقاعد ونحو ذلك»[(1)].

ومن هذا يتبين أنه تعالى أوجد الإنسان بإرادته الكونية ، ولذلك فلا قدرة للإنسان على أن يغير من نظام خلقه ، فلا الأبيض قادر على تحويل لونه إلى الأسود أو العكس، ولا الطويل قادر على تحويل طوله إلى أكثر أو العكس ، ومثل ذلك يقال في كل ما يتعلق بشخص الإنسان من موازين ومقاييس ومواصفات في بدنه؛ لأن كل ذلك إنما تم بإرادة الله تعالى الكونية.

وأما سلوك الإنسان الذي به تظهر شخصيته؛ فهذا عائد أمره إلى الإنسان بحكم حرية الإرادة والاختيار التي أعطاه الله تعالى إياها بإرادته الكونية، ثم وجهه نحو الأحسن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز (39/1).



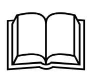
والأصلح له بإرادته الشرعية انطلاقاً من علمه الشامل والمحيط بكل شيء، لينسجم هذا الإنسان عندئذ مع الكون انسجام الروح مع البدن ، فيكون له الأمن والطمأنينة . كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] .

ومن هنا كان وصف الكمال في الخلق والإيجاد لله تعالى ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل : 88] ، ومن هنا أيضاً كان وصف الكمال في التشريع والتقنين لله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة : 50] .

ولما كان الله تعالى قد أعطى الإنسان حرية الحركة والاختيار بسبب ما منّ به عليه من العقل والقدرة على تنفيذ ما يختاره ، فقد اقتضت حكمته أن يكل شأن اختيار السلوك والعمل إلى الإنسان نفسه ، ليكون مسؤولاً عن عمله ومحاسباً عليه ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت : 40] ، ولا يظلم ربك أحداً فهدايته لمن يهديه فضل منه، وإضلاله لمن يضله عدل منه.

ومن الأصول الثابتة في الكتاب والسنة المتفق عليها بين السلف : التفريق بين مشيئة الله وإرادته وبين محبته : فمشيئة الله وإرادته الكونية تتعلق بكل موجود محبوب لله وغير محبوب، كما ذكر في هذه الآيات من أن الله يفعل ما يريد . وما يشاء ، وإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

ويمكن أن نفرق بين الإرادتين من خلال الجدول الآتي:



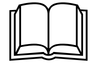
الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية:

التسلسل	الإرادة الكونية الخلقية القدرية[1]	الإرادة الدينية الشرعية الأمرية
1	تتعلق بالخلق والإيجاد	تتعلق بالأمر والنهي.
2	تصدر عن علم الله تعالى الشامل : ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات 16]، وتصدر عن قدرته المطلقة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر : 1].	تصدر عن علم الله تعالى المطلق : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾ [النساء : 166] . ومن علمه تعالى بالإنسان وما يناسبه فأمره بما ينفعه ونهاه عما يضره : ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الملك: 14].
3	إذا توجهت إرادة الله لخلق شيء فإنه يحدث ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَىۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل :40] بهذا النوع من الإرادة وجد الكون بجميع عوالمه.	قد لا تتحقق كما في الكفرة ، والفسقة، والعصاة ، لأنها تعلقت بها صفة العلم ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: 16].
4	ترادف المشيئة	ترادف المحبة والرضا
5	الإرادة المذكورة في قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[2].	هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي : لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية ، 38/1.

(٢) انظر : شرح الطحاوية ، 38/1.



التسلسل	الإرادة الكونية الخلقية القدرية[١]	الإرادة الدينية الشرعية الأمرية
6	قدرية ، أزلية ، سابقة معلومة لله قبل وجودها.	دينية شرعية معلومة لله تعالى قبل وجودها.
7	تجتمع مع الشرعية في إيمان المؤمن، وتنفرد في كفر الكافر.	تكون في إيمان المؤمن ولا تكون في كفر الكافر.
8	والمشيئة هي الإرادة الكونية	لا يعبر عن الإرادة الشرعية بالمشيئة.
9	قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً، وسائر الشرور ؛ لتحصل بسببها أمور كثيرة محبوبة لله تعالى كالتوبة ، والمجاهدة، والاستغفار.	مقصودة لذاتها ، فالله تعالى أراد الطاعة وأحبها، وشرعها ورضيها لذاتها.
10	متعلقة بربوبية الله وخلقه	متعلقة بألوهيته وشرعه

ومما خرجت به من مبحث أنواع الإرادة الثاتبة له تعالى ما يلي :

١ – الإرادة الكونية والشرعية عند السلف تجتمعان في المؤمن وتفترقان في الكافر حيث تتوافق إرادة المؤمن مع الإرادة الشرعية والكونية معاً ، والكافر يخالف الشرعية ويوافق الكونية حتماً.

٢ – أن في الجمع بين الله تعالى يريد أمراً وهو لا يحبه ولا يرضاه ما يدل على أن الله تعالى لا ينسب إليه الشر وذلك كما قال الرسول ﷺ : (والشر ليس إليك) [٢]،

(١) انظر: شرح الطحاوية ، 38/1.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، ج1 ، ص 534، برقم 771/1.



لأن ما يقضي الله تعالى إنما هو صادر عن رحمة وحكمة ، وقد أجاب ابن تيمية على هذا بقوله : « إن المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره ، فالمراد لنفسه محبوب لذاته وما فيه من الخير ، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره قد لا يكون مقصوداً لما يريد، ولا فيه مصلحة بالنظر إلى ذاته — أي المراد — وإن كان وسيلة إلى مقصوده ، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد محبوب له من حيث قضاؤه إيصاله إلى مراده، فيجتمع الأمران : بغضه وإرادته ولا يتنفيان ، فيبغض من وجه ، ويحب من وجه آخر»(١).

فالفساد في الأرض من الجدب والمرض والفقر والخوف شر ، لكنه خير في محل آخر ، قال الله تعالى ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم : 41] . وقطع اليد بالنسبة للسارق والرجم بالنسبة للزاني شر لهما من حيث القطع ذاته والقتل ، لكنه خير لهما حيث يكون كفارة لهما وحيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب.

٣ – المشيئة هي بعض الإرادة فالإرادة من أقسامها المشيئة ومن اقسامها الإرادة الدينية الشرعية . والدليل على أن الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة ، قوله تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29] .

٤ – دلت الآيات الكريمة على أن الله تعالى لا يريد شيئاً إلا لحكمة بالغة فهو سبحانه يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها هو ، وقد يُعْلم العباد أو بعضهم من حكمه ما يطلعهم عليه ليتبينوا ويفهموا ، وقد يعجز العباد بعقولهم القاصرة عن إدراك كثير

(١) القصيدة التائية في القدر ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، شرح وتحقيق محمد بن إبراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى ، 1424هـ/2003م، ص 140.



من الحكم الإلهية ، يقول ابن القيم – رحمه الله - « إنه سبحانه حكيم ، لا يفعل شيئاً عبثاً ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة، وهي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فَعَل ، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل ، وقد دل كلامه وكلام رسوله ﷺ على هذا[1].

ومن خلال ما تقدم فقد قامت طريقة القرآن الكريم في بيان نوعي الإرادة الثابتة لله تعالى على ما يلي :

1- ساوت طريقة القرآن الكريم بين سائر المخلوقات فيما يتعلق بالإرادة الكونية، والمشيئة العامة ، وفي هذا كسر لطغيان الإنسان ، وتكبره وغروره . فإنه إذا علم أنه يدور في فلك المشيئة لا يحيد عنها ، صغرت نفسه في عينه وذل لربه ، واعترف بحاجته إليه ، وهو بهذا يثبت على الإيمان . قال تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:82] . فهذه إرادة تعم كل الخلق .

2- حددت الآيات المتعلقة بنوعي الإرادة موطن الإرادة النافذة التي هي سنة من سنن الله الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل ، وليس للإنسان اختيار فيها في قوله مثلاً : ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾ [الرعد : 11] . وهي إرادة لا يملك الإنسان معها إلاَّ الاستسلام لها. وموطن الإرادة والمشيئة التخييرية والتي لمشيئة الإنسان فيها اختيار . وهي الإرادات التي يطلبها الله ديناً وشرعاً وتكليفاً . وهذه الطريقة تربي الإنسان على الاستسلام لمشيئة الله النافذة التي استسلم لها الكون كله ، كما تربيه على العمل والبذل فيما يدخل تحت مشيئته وإن كان لا يخرج عن إرادة الله تعالى .

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (190/1) وانظر القصيدة التائية لابن تيمية ، ص 141-143.

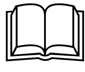


3- تربط طريقة القرآن في بيان نوعي الإرادة الثابتة لله تعالى بين مقام الربوبية ، ومقام الألوهية . فالقدر الكوني يرتبط بمقام الربوبية (كن فيكون) ، والقدر الشرعي التكليفي مرتبط بمقام الألوهية الذي يطلب تحقيق العبودية.

ومن شأن هذه الطريقة أن تجعل العبد دائم الاستعانة بالرب ، والافتقار إليه ، لأنه يشهد مقام الألوهية . قال تعالى ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ [هود : 123] .

والجمع بين المقامين من أعظم ما يعزز الإيمان بالله وبأقداره.

4- اعتنت الآيات القرآنية المبينة لنوعي الإرادة الثاتبة لله تعالى ببيان الحكم من الأقدار الإلهية كما قال تعالى : ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً ﴾ [الشورى : 27] . وهذه الطريقة تدفع عن القلوب والعقول الاضطراب في فهم القدر، وكيف أن الله يقدر شيئاً ويريده وهو لا يحبه ولا يأمر به . فتأتي الحكمة لتبين له الغاية المحبوبة من ذلك . وبهذا تستقر عنده عقيدة القدر بلا اضطراب.



المبحث الخامس ثناء الله تعالى على المؤمنين بقضائه وقدره

إن العبد المؤمن بقدر الله النافذ واستسلامه له يمتلك أكبر عون على تجشم مصاعب المصائب ، ثم إن علم العبد بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فضل من الله الذي وهبه هذا اليقين ، قال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد : 22-23] ، وركون المؤمن إلى قدر الله في مثل هذا المقام واحتجاجه به ، أمر لا غبار عليه ، لأنه إحالة على القدر فيما لا اختيار للعبد فيه ، ولا قدرة له عليه.

أما الجزع والهلع والتبرم والضيق فهو لا يرد من قدر الله شيئاً ، فإذا علم العبد هذا وأنه لا فائدة من الجزع وعدم الصبر؛ فإنه لا بد وأن يصبر أول الأمر لئلا يحرم العبد من المثوبة عليه، ولأنه لو لم يصبر أول الصدمة فسيصبر بعد ذاك رغم أنفه ويكون قد فوت أجره. وإن المبالغة في التشكي والتبرم لا يغير من الواقع شيئاً ولا يقدم أمراً ولا يؤخر آخر بل يزيد النفس هماً وكمداً ، وقد أمر الله تعالى سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ بالصبر على الأذى وتحمل البلوى ، فقال تعالى معزياً له وضارباً له المثل في الصبر ليكون قدوة للمؤمنين في ذلك، قال تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:35].

وقد أثنى الله تعالى على المؤمنين بقضائه، وبين عاقبة الصبر وأنها لا تكون إلا لصابر يؤمن بما قدر الله تعالى عليه ، وجعل الرضا بالميسور ، والصبر على المقدور من علامات



المتاع الحسن الذي يمتعه الله من يشاء من عباده ، فيعيش براحة بال ورغد عيش وسكون وطمأنينة ، كما قال بعضهم : « العيش الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدرو»[1].

لقد أثنى الله تعالى على المؤمنين بالقضاء والقدر في الآيات التي تتضمن الثناء عليهم بإيمانهم ، لأن الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان. وهم يدخلون في هذا الثناء العام.

فقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : 3-5].

وقال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة : 25] . وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة : 257]. إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي امتدح الله فيها المؤمنين.

وأما آيات الثناء على المؤمنين بالقدر خاصة فقد ورد الثناء عليهم ضمن ما تميزوا به من صفات كالصبر ، والرضا ، والشكر ، والتوكل وغيره مما يدل على الإيمان بما قدر الله تعالى. والقرآن الكريم قد حرر القلوب من أسر الخوف والرهبة والخشية إلا من الله رب العالمين.

قال تعالى في مدح المؤمنين بالقضاء والقدر ، الذين لا يهابون إلا الله تعالى ويتوكلون عليه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ

(١) معالم التنـــزيل للبغوي (160/4).



وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ [آل عمران : 173-174] . وذلك من خلال التربية القرآنية.

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: 38] فمدافعة الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين تعد من أكبر البشارات ، كما أنها عامل تثبيت ومزيد يقين على صحة ما هم عليه ، والله سبحانه وتعالى قد أمر عباده بأن لا يهنوا ، ولا يضعفوا أمام الكفار ، وأمام عوارض الحياة خيرها وشرها وحلوها ومرها، ووعدهم بوعد جليل حري بكل مسلم أن يتطلع ويحرص على الوصول إليه ؛ فقال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : 139-140] . أي : « إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فإن الإيمان يوجب قوة القلب ، ومزيد الثقة بالله تعالى وعدم المبالاة بأعدائه»(١).

قال الجزائري : « ثم عزاهم بأن الأيام دول والحرب سجال ، ثم بين الحكمة من وقوع المصائب فقال : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ [آل عمران: 140] أي ليظهر بهذا الحادث المؤلم إيمان المؤمنين ، وفعلا المنافقون رجعوا من الطريق بزعامة رئيسهم المنافق الأكبر عبدالله بن أبي بن سلول»(٢).

والإيمان بالقدر كما تقدم من أركان الإيمان الستة ، والرضا بالقدر من الرضا بالله رباً، والإنسان يجب أن يرضى بالله رباً مدبراً يفعل ما يشاء عز وجل ، ومن ثناء الله تعالى

---

(١) روح المعاني للألوسي ، (231/3).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (206/1).



على المؤمنين بأن وصفهم وخصهم بالهداية كما في قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [التغابن : 11] .

جاء في تفسيرها أنه : « لم يصب أحداً من الخلق مصيبة إلا بإذن الله ، يقول: إلا بقضاء الله وتقدير ذلك عليه ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾ يقول : ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك يهد قلبه : يقول : يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه .. وقال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من قبل الله فيسلم ويرضى»(١) .

والمؤمن الحق الذي يستشعر أن مصيبته فضل من الله تعالى عليه ورحمة، وأنها قد ترفعه درجات ، وتمحو عنه سيئات ، فيحمد الله تعالى على ذلك فهو المنعم ، المحسن، المتفضل ، بكل ما قضى وقدر ، له الحكمة البالغة والقدرة النافذة ، لا يسأل عما يفعل سبحانه وتعالى ، و«الرب سبحانه محمود لنفسه ولإحسانه إلى خلقه . ولذلك هو يستحق المحبة لنفسه ولإحسانه إلى عباده . ويستحق أن يرضى العبد بقضائه . لأن حكمه عدل لا يفعل إلا خيراً وعدلاً . ولأنه لا يقضي للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له «إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر ، فكان خيراً له»(٢). فالمؤمن يرضى بقضائه لما يستحقه الرب لنفسه – من الحمد والثناء – ولأنه محسن إلى المؤمن»(٣).

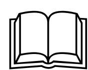
كما أنه تعالى ربط بين الإيمان بالقضاء والقدر وبين التوكل والاستسلام لله والاعتماد عليه سبحانه فقال تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة : 51] وهذا هو قمة الرضا بالقضاء وعدم

---

(١) تفسير الطبري (421/23).

(٢) رواه مسلم، ك الزهد والرقايق، الجزء 4 صفحة 2295 ، برقم 2999.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (317/14).



الخوف من الغيب، فكل شيء كتب ولا محالة حاصل. وصدق الله حيث يقول : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق : 3] وكم هو كاف للعبد بأن يكون الله سبحانه وتعالى هو حسبه وكافيه من كل شيء، وما ذلك إلا عاقبة الإيمان والرضا بما قد قضى والتوكل عليه تعالى ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾م أي : في أمر دينه ودنياه ، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ أي : كافيه الأمر الذي توكل عليه به ، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم ، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء ، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له ؛ فلهذا قال تعـــالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ﴾ أي : لا بد من نفوذ قضائه وقدره ، ولكنه ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ أي : وقتاً ومقداراً ، لا يتعداه ولا يقصر عنه... [١].

والمؤمن يعلم أن ابتلاء الله له إنما هو دليل على حبه له ، وامتحانه لإيمانه وصبره، فمن رضي بهذا الامتحان وصبر فله الرضا من الله ، ومن سخط من هذا الابتلاء وجزع واستسلم للقلق واليأس فله السخط من الله ، ومصداق ذلك من كلام الرسول ﷺ : «إن عظم الجزاء من عظم البلاء ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط»[٢].

وقد نوع الله تعالى في الثناء على المؤمنين بقضائه وقدره؛ فأثنى على الشاكر، وأثنى على الراضي ، كما أنه تعالى أثنى على الصابر في آيات كثيرة ، وذلك لأن الناس في المصيبة على أحوال :

---

(١) تفسير السعدي (869/1) ، بتصرف يسير.

(٢) رواه الترمذي ج 4، ص 601، برقم (2396)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وقال الألباني : حسن صحيح.



الساخط والصابر والراضي والشاكر :

فأما الساخط فلا أجر له ولا مثوبة ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [الحج: 11] والفتنة « أي ابتلاء بنقص مال أو مرض في جسم ونحوه»(١).

وأما الصبر : فهو شيء ثقيل ، ولكن الإيمان هو الذي يمنع صاحبه من التسخط، ويدفعه للصبر والتصبر .

وأما الرضا فهو أعلى مرتبة من الصبر ؛ وهو أن يكون الأمران عنده سواء بالنسبة لقضاء الله ، وإن كان قد يحزن لكنه ينظر إلى المصيبة باعتبارها قضاء لربه.

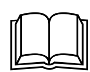
وأعلى المراتب الشكر ، وذلك أن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة باعتبار أن مصيبته أهون من مصيبة غيره ، وباعتبار أن مصيبة الدنيا أهون من مصيبة الدين، ويستلذ بهذه المصيبة لتكفيرها سيئاته وزيادة حسناته(٢). قال النبي ﷺ : (ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا شيء إلا كفر الله له بها ، حتى الشوكة يشاكها) (٣).

ولذا فإن المتسخط لا أجر له ، بل أصيب بالمصيبة فلم تدفع عنه، وفقد الأجر فلم يكتب له ، وبهذا فلا ثناء ولا أجر والعياذ بالله قال الله تعالى في ذلك : ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾ [التوبة: 58].

(١) أيسر التفاسير للجزائري (496/2) ، وانظر تفسير ابن كثير (400/5).

(٢) انظر توعية المرضى بأمور التداوي والرقى ، د. محمد بن عبدالله الصغير ، ضمن سلسلة مباحث عقدية طبية، ط2، 1422هـ - 2001م، ص 14.

(٣) رواه البخاري كتاب الطب ، باب ما جاء في كفارة المرضى ، ج 5 ص 2137، برقم 5315، وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ، ج4 ص 1991، رقم 2572.



وهذه الآية فيمن لم يرضى بقسمة الرسول ﷺ بل تسخط منها و لم يواجه ذلك بالرضا والتسليم لله تعالى « وعلى أية حال فالنص القرآني يقرر أن القولة قولة فريق من المنافقين . يقولونها لا غيرة على الدين ، ولكن غضباً على حظ أنفسهم ، وغيظاً إن لم يكن لهم نصيب .. وهي آية نفاقهم الصريحة . فما يشك في خلق الرسول ﷺ ، مؤمن بهذا الدين، وهو المعروف حتى قبل الرسالة بأنه الصادق الأمين ، والعدل فرع من أمانات الله التي ناطها بالمؤمنين فضلاً على نبي المؤمنين ...»[1].

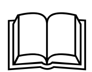
وقد ذكر العلماء الأصل في تعاطي الإنسان مع الأقدار ، فقالوان : «والأصل في هذا الباب أن يكون راضـــــياً بقضاء الله ، ألا ترى أنه قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:59] فذكر فيه مراتب أربع : المرتبة الأولى : الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمه بأنه تعالى حكيم منـــزه عن العبث والخطأ ، وحكيم بمعنى أنه عليم بعواقب الأمور وكل ما كان حكماً له وقضاء كان حقاً وصواباً ولا اعتراض عليه.

والمرتبة الثانية : أن يظهر آثار ذلك الرضا على لسانهم ، وهو قوله : ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ يعني أن غيرنا أخذوا المال ونحن لما رضينا بحكم الله وقضائه فقد فزنا بهذه المرتبة العظيمة في العبودية ، فحسبنا الله.

والمرتبة الثالثة : وهي أن الإنسان إذا لم يبلغ إلى تلك الدرجة العالية التي عندها يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ نزل منها إلى مرتبة أخرى وهي أن يقول : ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ أما في الدنيا إن اقتضاه التقدير ، وإما في الآخرة وهي أولى وأفضل.

---

(١) في ظلال القرآن (40/4).



والمرتبة الرابعة : أن يقول : ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ فنحن لا نطلب من الإيمان والطاعة أخذ الأموال والفوز بالمناصب في الدنيا ، وإنما المراد إما اكتساب سعادات الآخرة. وإما الاستغراق في العبودية على ما دل لفظ الآية عليه، فإنه قال : ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ ولم يقل : إنا إلى ثواب الله راغبون(١).

وفيما يلي استعراض أحوال الناس في الإيمان بالقدر وثناء الله تعالى عليهم :

1- **الصبر** : لقد أثنى الله تعالى عليه بأفضل أنواع الثناء على الصابر ، وخصه بما لم يخص به أحداً من الأجر والمثوبة . بل إن الله تعالى لم يحدد أجر الصابر فجعله بلا حد ولا عدد، فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : 10] . وسوف أذكر هنا بشارات الصابر ، وما وعده الله به من جزاء.

ففي القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه ذكر الصبر في كتابه في نحو تسعين موضعاً؛ فمرة أمر به ، ومرة أثنى على أهله ، ومرة أمر نبيه ﷺ أن يبشر أهله ، ومرة جعله شرطاً في حصول النصر والكفاية ، ومرة أخبر أنه مع أهله ، وأثنى على من اتصف به من صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين؛ فقال في حق نبيه أيوب عليه السلام : ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص : 44] . وقال عن النبي محمد ﷺ : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: 127]. وقال يوسف عليه السلام مبيناً فضل الصبر وعاقبته بعد أن قال له إخوته : ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف : 90] . وهذا يدل على أن الصبر من أجل مقامات الإيمان

(١) انظر: تفسير الرازي (62/8، 63).



وأعلاها، وأن أخص الناس بالله وأولاهم به أشدهم قياماً به وتحققاً له وأن الخاصة أحوج إليه من العامة(١).

وهناك أدلة أخرى كثيرة عن الصبر في القرآن نذكر منها ما يلي :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ [السجده: 24].

وقال تعالى : ﴿أُوْلَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [القصص : 54] أي بما أنهم صبروا على دينهم وآمنوا بالكتاب الأول والثاني فسيؤتيهم أجرهم مرتين(٢).

وغيرها كثير من الآيات التي تدل على أفضلية الإيمان، ومدى ثناء الله تعالى عليه؛ إذ من هذه مزاياه فقد استحق الأجر والمثوبة من عند الله تعالى ، والجزاء الحسن أحسن ما يجازي الله به .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : 155-157].

« فهذا الدليل من أوضح الأدلة التي أثنى الله تعالى فيها على المؤمنين بقضاءه وقدره فوصفهم بقوله : ﴿ أُولَٰئِكَ ﴾ الموصوفون بالصبر المذكور ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ أي : ثناء وتنويه بحالهم ﴿وَرَحْمَةٌ ﴾ عظيمة ، ومن رحمته إياهم ، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر ، ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ الذين عرفوا الحق ، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله ، وأنهم إليه راجعون ، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

---

(١) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن القيم ، (400/1).

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثاني ، المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل (193/27).



ودلت هذه الآية ، على أن من لم يصبر ، فله ضد ما لهم ، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين ، وأعظم عناء الجازعين ، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها ، لتخف وتسهل ، إذا وقعت ، وبيان ما تقابل به ، إذا وقعت ، وهو الصبر ، وبيان ما يعين على الصبر ، وما للصابر من الأجر ، ويجعل حال غير الصابر ، بضد حال الصابر ، وأن هذا الابتلاء والامتحان ، سنة الله التي قد خلت ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً وبيان أنواع المصائب»[١].

وفي تفسير القرآن العظيم قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : نعم العدلان ونعم العلاوة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾ فهذان العدلان ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ فهذه العلاوة ، وهي ما توضع بين العدلين ، وهي زيادة في الحمل وكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضاً»[٢].

2- **الرضا** : «وهو سكون القلب تحت مجاري الأحكام »[٣]:

ومن الآيات التي تدل على الأمر بالرضا واستحبابه في الخير والشر التي ترسم «الطريق اللائق بالمؤمنين الصادقين الإيمان قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:59] .

فهذا هو أدب النفس وأدب اللسان ، وأدب الإيمان : الرضا بقسمة الله ورسوله، رضا التسليم والاقتناع لا رضا القهر والغلب . والاكتفاء بالله ، والله كاف عبده. والرجاء

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (75/1).
(٢) تفسير ابن كثير (468/1).
(٣) الفوائد ، لابن القيم (99/1) .



في فضل الله ورسوله والرغبة في الله خالصة من كل كسب مادي ، ومن كل طمع دنيوي.. ذلك أدب الإيمان الصحيح الذي ينضح به قلب المؤمن . وإن كانت لا تعرفه قلوب المنافقين، الذين لم تخالط بشاشة الإيمان أرواحهم، و لم يشرق في قلوبهم نور اليقين(١).

وكان لهم هذا الفضل وهذا الأجر العظيم والثناء من الله تعالى لما مزجوا مرارة المصيبة بحلاوة الرضا عن الرب تعالى ، إذ أن من رحمة الله تعالى أن لم يشترط عدم وجود الألم والحزن ، وأن ذلك لا ينافي الرضا ، قال ابن القيم : « لا تناقض بينهما وإن وجود التألم وكراهة النفس له لا يتنافى مع الرضا كرضا المريض بشرب الدواء الكريه، ورضا الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ ، ورضا المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها(٢) .

والدليل على هذا الكلام (أي أن الحزن لا ينافي الرضا) ، حزن النبي الكريم على موت ابنه إبراهيم ، ورسول الله ﷺ سيد الراضين بقضاء الله وقدره.

أما السخط والجزع فهو ضد الرضا ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: 58] قيل : «هؤلاء المنافقون»(٣).

3- **الشكر** : وأما الشكر فهو مقام عظيم يكون بالقلب ، ويكون بالقول ، والعمل كما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « ثم قد صح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة أن الشكر يكون بالاعتقاد والقول والعمل وقد دل على ذلك الكتاب والسنة»(٤).

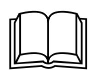
---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (40/4، 41) ، بتصرف.

(٢) مدارج السالكين ، لابن القيم (175/2).

(٣) تفسر الطبري (304/14).

(٤) مجموع الفتاوى (136/11).



ومما يدل على ثناء الله تعالى لعباده الشاكرين ما ذكره ابن القيم قال:

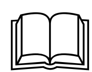
- «قرن الله عز وجل الشكر بالإيمان ، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا ، فقال : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾ [النساء : 147].

- وأخبر سبحانه أن أهل الشكـــــر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأنعام : 53] .

- وقسم الناس إلى شكور وكفور ، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله ، فقال تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[الإنسان: 3]، وقال تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : 40] .

- وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: 7] . فعلق سبحانه المزيد بالشكر والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره.

- وقد وقف سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة كقوله تعـــالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ﴾ [التوبة : 28] . وقال في الإجابة : ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾[الأنعام : 41[. وقال في الرزق : ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة : 212] وغيرها . وقال في التوبة : ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ [التوبة : 15].



وأطلق جزاء الشكر إطلاقاً حيث ذكر كقوله : ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 145].

- وأخبر أن رضاه في شكره ، فقال تعالى : ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: 7] . وأثنى سبحانه على خليله إبراهيم بشكر نعمه فقال : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: 120-121] فأخبر عنه سبحانه بأنه أمة.

- وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قام حتى تفطرت قدماه فقيل له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : (أفلا أكون عبداً شكوراً)[1][2].

- والشكر قيد النعم وسبب المزيد ، وقد اشتهر ذكر الشكر في السراء ، واشتهر الصبر في السرا ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : « وكلاهما (يقصد الغنى والفقر) يحتاج إلى الصبر والشكر . لكن لما كان في السراء : اللذة ، وفي الضراء : الألم . اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء . قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [هود : 9] ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود : 10] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود : 11] ولأن صاحب السراء : أحوج إلى الشكر وصاحب الضراء : أحوج إلى الصبر . فإن صبر هذا وشكر هذا : واجب . إذا تركه استحق العقاب. وأما صبر صاحب السراء : فقد يكون مستحباً إذا كان عن فضول الشهوات . وقد يكون

---

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . ج 4 ص 1830، برقم 4556.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، أبو عبدالله ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت ، تحقيق : زكريا علي يوسف ، (97/1) ، بتصرف يسير .



واجباً ولكن لإتيانه بالشكر – الذي هو حسنات – يغفر له ما يغفر من سيئاته. وكذلك صاحب الضراء : لا يكون الشكر في حقه مستحباً إذا كان شكراً يصير به من السابقين المقربين. وقد يكون تقصيره في الشكر : مما يغفر لما يأتي به من الصبر . فإن اجتماع الشكر والصبر جميعاً : يكون مع تألم النفس وتلذذها يصبر على الألم ويشكر على النعم. وهذا حال يعسر على كثير من الناس . وبسط هذا له موضع آخر . والمقصود هنا : أن الله تعالى منعم بهذا كله وإن كان لا يظهر الإنعام به في الابتداء لأكثر الناس . فإن الله يعلم وأنتم لا تعلمون. فكل ما يفعله الله فهو نعمة منه»(١).

ومما خرجت به من هذا المبحث ما يلي :

1- أن المؤمن بقضاء الله تعالى وقدره يتحقق له كل ثناء أثنى به الله تعالى على من آمن ومن هذه الفضائل مثلاً – أن مما يتحقق للمؤمن من الطمأنينة وسكون النفس إنما هو نتيجة الإيمان الذي عمر القلوب مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [يونس : 9] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [الفتح : 4] مما يبعث في النفس روح الإقدام والتضحية بالنفس والنفيس .

2- الحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين في الدنيا قبل الآخرة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا ﴾ [النور : 55] وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ [النحل : 97] أي : «نرزقه القناعة»(٢).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (305/14، 306).

(٢) تفسير الطبري (290/17).



3- أثنى الله تعالى على المؤمنين بقضائه من أجل الرفع من عزيمة العبد وقدرته على التغلب على الأنانية والشهوات ، وربطه بالإيمان بالله ، فلا ينحني لغيره ولا يحقد أو يحسد ، ولا يكون عبداً إلا لله تعالى لا لعبد ولا للذة أو شهوة ، لأن المؤمن بالقضاء والقدر لا تضعف نفسه لما مع غيره ولا يصيبه الهم والقلق لما لم يدرك مصداقاً لقوله ﷺ : (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك..) [١]. والرسول ﷺ يقول : (عجباً لأمر المؤمن ، كل أمره له خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) [٢]. فإذا تحقق ذلك فقد استحق الثناء من الله تعالى فضلاً منه ونعمة.

4- إن من نال نعمة الصبر والشكر ؛ فإنه يرضى بجميع ما كتب الله له خيراً كان أو شراً، قال ابن تيمية: « فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر : كان جميع ما يقضي الله له من القضاء خيراً له ... والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه. ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال وكل واحد من السراء والضراء في حقه يفضي إلى قبيح المآل..» [٣].

5- إن العبد إذا عرف النعمة عرف المنعم فشكره وأثنى عليه ولأهمية باب الشكر في العقيدة فقد ألف ابن تيمية رحمه الله رسالة في تحقيق الشكر ، ومما قال فيها : « فالإنسان بجبلته يطلب ما يوافقه ويتنعم به من الغذاء وغيره على هذا فطر فيعرف النعمة فيعرف المنعم فيشكره فلهذا كان الحمد هو الابتداء، فإن شعوره بنفسه وبما يحتاج إليه ويتنعم به قبل شعوره بكل شيء وهو من حين خرج من بطن أمه شعر باللبن الذي يحتاج إليه ويتنعم به وبما يخرج منه وهو الثدي، فلهذا تعرف الله إليه بالنعم ليشكره وشكره ابتداء معرفته بالله

(١) سبق تخريجه ص 19.

(٢) سبق تخريجه ص 189.

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية الحراني (213/3).



فإذا عرف الله أحبه فعبده وتنعم بعبادته وحده لا شريك له وعرف ما في التأله له من اللذة العظيمة التي لا يعدلها لذة، فلهذا كان التوحيد نهايته أوله الحمد وآخره إياك نعبد»[1].

وقد تبين لي من آيات الثناء على المؤمنين بالأقدار ، أن طريقة القرآن في ذلك قامت على ما يلي :

١ -حددت الآيات القدوة للمؤمنين في الإيمان بالأقدار ، والصبر عليها. وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف: 35]. وتحديد القدوة بالرسل أعظم دافع إلى الإيمان بالقدر ، لأن جزاء الأنبياء على ذلك يأتي قريباً في العاجلة ، وهو عظيم في الآجلة.

٢ -وجهت الآيات المؤمنين إلى طريق استجلاب الثناء عليهم من الله تعالى ، ومن ذلك الإيمان بقضائه وقدره . فإنه طريق سالك إلى استجلاب الهداية من الله تعالى ، فإذا نالها الإنسان أصبح مثنياً عليه بها . فالله تعالى بعد أن ذكر نزول الأقدار قال : ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن : 11] فالإيمان بالقدر والاستسلام له سبيل إلى الهداية التي يثني بها الله تعالى بعد ذلك على كل من حقق الإيمان بأصوله كما في سورة البقرة أثنى الله على المؤمنين فقال : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ [البقرة : 5] وإذا علم الإنسان أن الإيمان بالقدر سبيل الهداية فلا شك أن لهذا أثراً في تقوية الإيمان بهذا الركن لديه.

٣ -نصت الآيات صراحة على أن المؤمنين بالقدر ، الصابرين عليه ، أهل للثناء والمدح في قوله تعالى عنهم : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة : 157] . والصلوات هي : الثناء والتنويه بحالهم كما تقدم . والإنسان

---

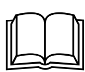
(١) جامع الرسائل (رسالة في تحقيق الشكر) ، المؤلف : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مصر، تحقيق: محمد رشاد رفيق سالم ، (110/1).



بطبيعته يحب الثناء الصريح عليه ، ويتحسس مواطنه ، فإذا علم أن من مواطنه الإيمان بالقدر ؛ حمله ذلك على الثبات عليه.

٤ -خاطبت الآيات الكريمة رغبات الناس ، وميولهم الفطرية ، لتذكر لهم أن الإيمان بالقدر باب من أبواب الزيادة في سائر الأرزاق التي يحبها الإنسان كما قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[إبراهيم : 7] . والشكر هو ضرب من ضروب الإيمان بالأقدار ، ولازم من لوازمه . والإنسان عادة يسعى إلى ما يحقق رغباته العاجلة من العبادات ، ثم يتربى على تلك العبادة فتصير لازمة له . ومن ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره.

٥ -اتخذت الآيات طريقة تربوية فريدة لتربية النفوس على الصبر على الأقدار ، والرضا بها، وشكر المنـــزل لها . وذلك حين جعلت من محن الأقدار منحاً وخيراً للمؤمن وبهذا يتربى العباد على النظر إلى ما في الأقدار من وجوه الخير، حتى يصبروا ، فيرضوا ويشكروا.

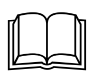


المبحث السادس العبادات وأثرها في تثبيت القضاء والقدر

إن الإيمان بالله تعالى يستوجب الإيمان بالقضاء والقدر ويستلزمه ، فالله سبحانه وتعالى يتصرف في الكون بمقتضى حكمته ومشيئته ، وعندما يثبت الإيمان بالغيب في قلب المؤمن، لا تجده يعترض على شيء أمر الله به أو نهى عنه ، محكماً عقله أو هواه أو ما جرت به العادة ، وإذا استقر في نفس الإنسان أن الكون كله أوجده خالق واحد لا يشاركه في هذا الإيجاد أحد وأن هذا الخالق هو المالك لجميع المخلوقات ، لأنه هو وحده خالقها ومدبرها ومالك أمرها ، علم هذا الإنسان أنه مخلوق مملوك مدبر لهذا الخالق المالك المدبر، كغيره من المخلوقات ، والمخلوق المملوك المدبر لا بد أن يخضع لخالقه ومالكه ومدبره، فيمتثل أمره ، كما يخضع لإرادته ونهيه ، وبطاعة هذه الأوامر والنواهي لأمر الخالق يمتاز الإنسان – ومثله الجن – عن سائر المخلوقات الأخرى ، كالشمس والقمر ، وسائر الكواكب والأفلاك ، والحيوانات والبحار والأنهار والجبال ، وغيرها . كما قال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف : 54] . وقال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص : 68] .

فالأثر المترتب على الإيمان بأن الله هو الخالق المالك المدبر ، هو خضوع العبد خضوعاً مطلقاً لأمر الخالق فيما يختار كخضوعه له فيما لا اختيار له فيه ، فكما يمرض ويصح ، ويحيا ويموت ، خاضعاً لأمر الله بدون اختيار منه فإنه يؤمن بالله ، ويصلي ويصوم ويحج ويتصدق ، ويحكم بما أنزل الله ، ويفعل كلما يحب الله منه أن يفعل ، ويترك كلما يحب الله أن يترك ، مختاراً خاضعاً طائعاً لأمر الله.

ولهذا يترتب على الإقرار بوحدانية الله تعالى ، الإقرار بأنه تعالى الإله المعبود بحق وحده لا شريك له . لأن الإقرار عبادة والخضوع عبادة ، وكما أن السيئة تجر السيئة فالحسنة تجر الحسنة.



وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله العبادة بقوله : « العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[(١)].

ولهذا بين سبحانه وتعالى الحكمة في خلقه الجن والإنس وهي لأجل عبادته، أي إنه تعالى إنما أوجدهم في هذه الأرض من أجل أن يعبدوه وليس لشيء آخر غير العبادة ، كما قـــال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : 56] . وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : 162-163] . وبالأمر والنهي يبتلى الله تعالى عباده، كما قال عز وجل : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[الملك : 2] والدعوة إلى التوحيد كانت هي وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، كما قال تعـــالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : 36].

فمن فعل الواجب امتثالاً لأمر الله ، وحتى المندوب من العبادات ، أو ترك المحرم طاعة لله ، وحتى المكروه ، أثابه الله على ذلك كله ، وهكذا إذا فعل المباح قاصداً شكر ربه عليه والتقوى به على طاعته أثابه الله .

والعاقل من أدرك أن من اختص بالخلق والتدبير فهو وحده من يستحق العبادة ، وهو من يستحق الرضا عن كل ما حكم وقدر . وقد طبع الله الملائكة على المداومة على طاعته، وعدم معصيته وأخبر تعالى أنهم لا يفترون عن عبادته ، ولا يسأمون ، فحياتهم كلها عبادة، كما قال تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت : 38].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (149/10).



وفي إخبار الله لنا عنهم بذلك حض لنا على الإجتهاد في طاعته ، وإذا كانوا مجبولين على تلك الطاعة ، ونحن لسنا مثلهم في ذلك فإننا مكلفون أن نجتهد في طاعته في حدود طاقتنا ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

والعاقل من اقتدى بعباد الله الصالحين من النبيين والشهداء والصالحين ، ومنهم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ولكي يدخل العبد في دائرة الإسلام فرض الله عليه الأركان الخمسة التي تشمل العبادات ، ولكي يرتقوا من رتبة الإسلام إلى رتبة الإيمان فرض أركان الإيمان الستة وكان من ضمنها ، الإيمان بالقدر خيره وشره ، وفي ظل دائرة الإيمان تدخل أنواع كثيرة من العبادات كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وستون شعبه فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»(١) .

ومن هذه العبادات التي ترتبط بالإيمان بالقضاء والقدر ما يلي :

الدعـــــاء :

قال تعالى آمراً عباده بالدعاء : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : 60] ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : 186] . « وقيل معنى الآية أنه لا يخيب دعاءه ، فإن قدر له ما سأل أعطاه ، وإن لم يقدره له ادخر له الثواب في الآخرة ، أو كف عنه به سوءا»(٢) .

قال ابن القيم : « والدعاء نوعان دعاء عبادة ودعاء مسألة ، والعابد داع كما أن السائل داع وبها فسر قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : 60] قيل

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ك الإيمان ، برقم 35، ج 1 ص 63.

(٢) تفسير البغوي (206/1).



أطعيوني أثبكم وقيل سلوني أعطكم، وفسر بهما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : 186] [1]. والدليل عليه قول النبي ﷺ : «ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه ، الله إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم...» [2].

والدعاء هو سلاح للمؤمن وهو من أجل العبادات ، ولأن العبد المؤمن بالقضاء والقدر يدعو الله تعالى قبل وقوع القدر بأن يكفيه الله شر كل ذي شر وأن يمن عليه بكل خير، فهو يدعو أيضاً حتى ولو وقع ما لا يسره أو ما يسوؤه، لأن الدعاء يجعل صاحبه معلقاص قلبه وجوارحه برب السماوات والأرض ومالك الملك سبحانه.

وقال أيضاً : (من سره أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء) [3].

وقال العلامة ابن القيم : « والدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن كما روي عن الرسول ﷺ أنه قال : (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض) [4].

وله مع البلاء ثلاث مقامات : أحدها أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه ، الثاني أن يكون اضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان

---

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، الناشر: دار العروبة ، الكويت، الطبعة الثانية ،1407هـ - 1987م، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، عبدالقادر الأرناؤوط ، (155/1).

(٢) رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه . ج5 ص 566، برقم 3573.

(٣) رواه الترمذي وقال الألباني حديث حسن انظر صحيح سنن الترمذي ، ج 5 ص 462، برقم 3382.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال : هذا حديث صحيح ، برقم 1812، ج1 ص 669.



ضعيفاً، الثالث أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه»[١]. بمعنى أن الدوام على الدعاء يطيب ورود القضاء فكأنه رده»[٢].

وفي كيفية رد الدعاء للقضاء وهل ينفع في رد شيء من قدر الله تعالى ، وكيف يؤثر في السبب ، قال ابن القيم رحمه الله : « أن هذا المقدور قدر بأسباب ومن أسبابه الدعاء، فلم يقدر مجرداً عن سببه ولكن قدر بسببه ، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأت بالسبب انتقى المقدور ، وهذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب . وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال وهذا القسم هو الحق . وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب ، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال لا فائدة في الدعاء ، كما لا يقال لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال ، وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ، ولا أبلغ في حصول المطلوب ، ولما كان الصحابة رضي الله عنهم أعلم الأمة بالله ورسوله وأفقههم في دينه ؛ كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم، وكان عمر رضي الله عنه يستنصر به على عدوه ، وكان أعظم جنده ، وكان يقول : للصحابة لستم تنصرون بكثرة وإنما تنصرون من السماء ، وكان يقول : إني لا أحمل همَّ الإجابة ولكن همَّ الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه»[٣].

وكلما انتظر الداعي الفرج من الله زاد الخضوع لديه والتذلل ، فكما أن الدعاء «لإذهاب البلاء ونيل المنى من فضله فإن الله يحب أن يسأل لأن خزائنه ملأى سخاء الليل

---

(١) الجواب الكافي ج 1 ص 4، بتصرف يسير.

(٢) فيض القدير ، المؤلف : محمد عبدالرؤوف المناوي ، ضبط : أحمد عبدالسلام ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1415هـ - 1994من (421/2).

(٣) الجواب الكافي ، لابن القيم ج1ص 8-9.



والنهار ، وأفضل العبادة انتظار الفرج ، أي : أفضل الدعاء انتظار الداعي الفرج بالإجابة فيزيد في خضوعه وتذللـــه وعبادته التي يحبها الله » [1].

ومن العبادات أيضاً : **الصدقة؛** فإنها تدفع عن صاحبها المصائب والبلايا ، وتنجيه من الكروب والشدائد ، وقد امتدح الله تعالى المؤمنين بإنفاقهم الأموال في سبيله والتصدق بها ، قال تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة : 3] وفي تعجيل الصدقة قبل حصول البلاء قيل : « جعلت الصدقة والبلاء كفرسي رهان فأيهما سبق لم يلحقه الآخر و لم يتخطه »[2]. مما يدل على أفضلية الصدقة ، أنها تطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء ، قال النبي ﷺ : (إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء) [3]، وهي سبب من الأسباب المشروعة التي يرد بها قدر الله بقدر الله ، كما قال ابن القيم في شرح حديث الحارث الأشعري الذي فيه: « وأمركم بالصدقة فإن من مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ،ففدى نفسه منهم»[4].

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ، المؤلف : الإمام الحافظ زين الدين عبدالرؤوف المناوي، دار النشر : مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض ، 1408هـــ ، 1988م، الطبعة : الثالثة (118/2).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المؤلف : محمد عبدالرؤوف المناوي (255/3).

(٣) رواه الترمذي في سننه ، برقم 664، وقال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، ج3 ص 52.

(٤) سنن الترمذي (148/5)برقم :2863،وقال الألباني : حديث صحيح.



ومعنى الحديث أي : « تدفع سخطه على من عصاه ، وإعراضه عنه ومعاقبته له، (وتدفع ميتة السوء) .. بأن يموت مصراً على ذنبه ، أو قانطاً من رحمة الله ، أو مختوماً له بسيء عمل ، أو نحو لديغ أو غريق أو حريق ، أو نحوهما ، مما استعاذ منه المصطفى ﷺ» [(١)].

وهذا من القضاء المعلق بسبب إذ لا تعارض بينه وبين قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : 40] فمعناه أي : «إذا حكمت حكماً مبرماً فإنه نافذ لا يرد بشيء ولا يقدر أحد على رده بل كل جميع الخلق تمضي عليهم الأقدار طوعاً وكرهاً كما قال النبي ﷺ لا راد لما قضيت .. والظاهر أنه سواء في ذلك المبرم والمعلق فالكل لا يرد فإن هذا إخبار عن عدم الرد لجنس القضاء»[(٢)] فالله تعالى قدر المرض مثلاً، وقدر أنه يدفع بالصدقة مثلاً فالصدقة سبب من أسباب دفع البلاء . فهي سبب في شفاء الأمراض .

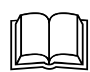
ومن العبادات : عبادة الذكر ، في الصلاة ، وغيرها . وذكر الله ، وما له من دور في زيادة الإيمان والخشوع وراحة النفس ؛ قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [الرعد : 28-29] ، ومن توجيهات القرآن الكريم أن الخشوع في العبادة مفتاح السعادة ؛ قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : 1-2] ، وقال النبي ﷺ : (جعلت قرة عيني الصلاة) [(٣)].

---

(١) فيض القدير للمناوي (458/2).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، المؤلف : سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض (324/1).

(٣) رواه أحمد في مسنده ، برقم 14069، ج3 ص 285، والنسائي في سننه ، برقم 3940، ج7، ص61، وقال الألباني: صحيح.



- وتوحيد الله تعالى هو أهم العبادات ؛ فإن من حقق هذه العبادة ، و لم يشرك مع الله في عبادته أحداً . فهو ممن لا يخافون إلا الله ، ولا يرجون إلا الله ، ولا يطلبون العون والنصر إلا منه سبحانه ، كما أنهم يؤمنون بأنه لا يدفع الشر ولا يجلب الخير إلا هو سبحانه، وآيات القرآن الكريم الداعية إلى التوحيد وعدم الإلتجاء إلا إلى الله كثيرة ومتنوعة ومنها: سورة الإخلاص التي تدعو إلى وحدانية الرب تعالى وأنه الصمد الذي تلجأ إليه الخلائق لتحقيق حاجاتها فهو الصمد سبحانه كما قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص: 1-4] ، و«الصمد أي السيد المقصود في قضاء الحوائج الذي استغنى عن كل خلقه وافتقر الكل إليه»(١). وغيرها من الآيات الكثيرة.

ونتيجة لضعف التوحيد ، ظهر ضعف الإيمان بالقضاء والقدر ، وانتشرت شركيات كثيرة منها : التعلق بلبس أي نوع من الحلقة أو الخيط وذلك لدفع البلاء ونحوه ، ومنها أيضاً الإستعانة بالجن والشياطين فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، أو وضع التمائم لأنها من أسباب الشرك قال الرسول ﷺ : (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) (٢)، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ أبعد ما يكون عن البدع والشركيات لأنهم تربوا في مدرسة الرسول ﷺ ، و لم يكونوا يتعبدوا الله تعالى إلا بما أمروا به ، ومما يدل على ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يقبل الحجر الأسود : « أني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (628/5).

(٢) رواه أحمد في مسنده ، برقم 3615 ، ج 1 ص 381، وأبو داود في سننه ، برقم 3883، ج2ص 402، وقال الألباني صحيح.



الله ﷺ يقبلك ما قبلتك»[1]. فكمال التوحيد هو بلا شك سبيل إلى كمال الإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن كمال عبودية الله تعالى مما له تأثير على إيمان المرء بالقضاء والقدر توحيده بأسمائه وصفاته ومعرفة أسماء الله وصفاته ، والتعبد له سبحانه بها له ثمرات طيبة في الموقف من المصائب والشدائد . قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: 180]. فإذا علم العبد أن ربه عليم حكيم عدل لا يظلم أحداً رضي وصبر ، وعلم أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنـــزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يبلغها علمه؛ لكنها هي مقتضى علم الله تعالى وحكمته فيطمئن ويسكن إلى ربه ، ويفوض أمره إليه. وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : « لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها أعني: من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها ، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح . فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع ، والعطاء ، والمنع ، والخلق، والرزق ، والإحياء ، والإماتة يثمر له : عبودية التوكل عليه باطناً ، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً .وعلمه بسمعه تعالى وبصره ، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة وأنه يعلم السر ، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه ، وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله ، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك: الحياء باطناً ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح. ومعرفته بغناه وجوده ، وكرمه وبره وإحسانه ، ورحمته توجب له سعة الرجاء . وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له : الخضوع والاستكانة ، والمحبة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة

---

(١) تفسير الرازي (97/17).



أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها .. فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات»[١].

ومما خرجت به من هذا المبحث ما يلي :

١ – في أثر عبادة الذكر وعلاقتها بالإيمان بالقضاء والقدر فإن «الذكر يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات .. والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة؛ فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل؛ لأنه يرد القلب بالإفتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فيسبب للبطر في غالب الأمور فإن الإنسان ليطغى أن رآه استعنى»[٢].

٢ – من أعظم آثار العبادة التي بها يستقبل العبد الأمور من الخالق برضا وشكر خيرا كانت أو شرا ، ما دلت عليه الآية في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت : 30] . فالاستقامة على العبادات تثمر السكينة والأمن، وهما من أهم العوامل المثبتة للإيمان بالأقدار .

٣ – إن المؤمن الذي يتعبد الله تعالى بكل عارض يعرض له ، ويوظف ما أمر به وما أصابه وما يتعرض له من خير أو شر لما يعود عليه بالأجر والثبات على الحق، يحظى بوافر

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت (90/2).

(٢) إحياء علوم الدين ، للغزالي ، ج 1ص 333.



من الخير في الدنيا والآخرة؛ فهو في عبادة الله تعالى شاكر على السراء، صابر على الضراء فعجباً لحاله وهنيئاً له.

٤ – من منهج القرآن الكريم أن وجه المؤمن لمواجهة المصائب والهزيمة ، وتحمل ذلك والوقوف أمامه بكل قوة ، فقد قال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران : 139]. مما يؤدي إلى شحذ الهمم والإستفادة من دروس الهزيمة، وتحويلها من حالة سلبية تؤدي إلى التبعثر والضياع وعدم الرضا إلى حالة من الإيجابية والقوة يتجدد معها الإيمان ويعود الأمل ويقوى به الصبر ويقضي على التسخط والجزع وعدم الرضا ، مما يجعل العبد يعبد الله تعالى بكامل الرضا والإيمان بالقدر وكثيرون أولئك الذين كانت الهزيمة وكان الإبتلاء نعمة بالنسبة لهم فكانت بداية التغيير والعودة إلى الحق ، فصوبت اتجاههم قبل فوات الأوان ، وصححت مسارهم وكانت فرصة للتوبة والرجوع والندم على ما فات . فكم من بلاء أعاد صاحبه إلى النظر والتفكر وأيقظ غفلته وشحذ همته إلى أفضل حال[1].

٥ – وبالتأمل في آيات القرآن يتبين لنا أنها قد قرنت بين أنواع من العبادات وبين الصبر الذي يعد دليلاً مهماً على الإيمان بالقضاء والقدر ، وتعد هذه العبادات من أشرف أنواع العبادات التي يتعبد بها العبد لله تعالى مثل الصلاة ، والجهاد ، والاستغفار ، والتوكل والذكر ومداومة الأعمال الصالحة، ومن هذه الآيات التي قرن الله تبارك وتعالى فيها الصبر بمقامات الإيمان وأركان الإسلام وقيمه ومثله العليا، فقرنه بالصلاة ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة : 45]، وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[هود : 11] ، وجعله قرين التقوى ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ

---

(١) انظر: أسباب رفع العقوبة عن العبد لابن تيمية تحقيق علي بن نايف الشحود (439/1.

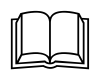


وَيَصْبِرْ ﴾ [يوسف : 90] ، وقرين الشكر : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم : 5] ، وقرين الحق ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: 3] ، وقرين الرحمة ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد : 17] ، وقرين اليقين ﴿ لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : 24] ، وقرين التوكل ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : 42] ، وقرين التسبيح والاستغفار ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [غافر: 55]، وقرنه بالجهاد ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴾ [محمد: 31]، ثم أوجب أحسن الجزاء وأوفره لمن آمن وصبر فقال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : 96] ، وغيرها من الآيات التي تدل على معناها .

٦ - إن الإيمان بالقدر لا يستدعي من الإنسان أن يترك العبادة أبداً ، بل لا بد أن يجتهد في العبادة.

ومن خلال الآيات الدالة على بعض العبادات المؤثرة في الإيمان بالقدر ، وما أفادته ، فقد تبين لي أن طريقة القرآن في تناول هذه العبادات قامت على ما يلي :

1- اتخذت الآيات طريقة وأسلوب الأمر بالعبادات ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ﴿ادْعُونِي ﴾ وهذا الأسلوب يشير إلى ربط الإيمان بالإرادة الشرعية أي بكل ما يحبه الله ويأمر به ديناً وشرعاً بالإيمان بالإرادة الكونية القدرة ، فكلما أنه يجب على المؤمن أن يسلِّم لأمر الله الكوني الذي لا يتخلف عنه شيء؛ فإنه يجب عليه أن يسلم لأمره الشرعي . وبهذا الأسلوب يكون القرآن الكريم قد ربى المؤمن على أن يعيش حياته كلها — عبادية — أو حياتية — مسلماً للإرادتين.



2- عمدت بعض الآيات إلى الإشارة إلى بعض الحكم من فرض العبادات كتحقيق التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ، أو استجلاب الأمن والطمأنينة ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ ، ومعلوم أن التنصيص على الحكمة من أقوى الأسباب التي تعلق العبد بالعبودية ، وتحمله على المحافظة عليها ، وبهذه المحافظة يكون الثبات على كل أصول الإيمان القلبية ومنها الإيمان بالقدر.

3- اعتنت الآيات القرآنية ببيان ما يثبت على العبادة ، ويعين على التزامها . فنصت على الصبر كأعظم وسيلة من وسائل الثبات على العبادات . والآيات كما تقدم ربطت بين كثير من العبادات وبين الصبر .

وتربية العباد على الصبر في أمورهم الاختيارية وهي هنا العبادات التي تقع تحت اختيارهم ومشيئتهم، يعودهم على الصبر على أقدار الله التي لا خيار لهم فيها . وبهذا يكون الاعتناء بالعبادات الظاهرة وسيلة إلى الثبات على الإيمان بالقدر.



المبحث السابع بيان القرآن الكريم لأنواع القضاء والقدر

خلق الله تعالى الكون بما فيه من مخلوقات وجعل في كل شيء آية تدل على أنه الخالق وحده لا شريك له – سبحانه – وهو سبحانه إذ خلق الخلق وأمرهم بأوامر وأوجبها عليهم، ونهاهم عن أمور وحرمها عليهم وجميع هذا يدخل ضمن دائرة ما قضاه الله تعالى لهم وما لم يقضه لهم ، وكما أن العبد يحب مما كتب عليه ويكره ، فهو واقع بين قضاءين اثنين كما قرر ذلك القرآن الكريم في آياته المتنوعة، وأنواعه هما : القضاء الكوني والقضاء الشرعي كما قررذلك ابن القيم فقال : « إذا عرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان : كوني كقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ [سبأ : 14] ، وقوله سبحانه : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾[الزمر : 69] ، وشرعي ديني ، كقوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : 23] ، أي أمر وشرع، ولو كان قضاء كونياً لما عبد غير الله؟!(1).

الأول : القضاء الكوني :

وهو ما يصرف الله فيه شؤون الكون كالموت والحياة والمطر والزلازل والعواصف، وهذا القضاء قد يجعل الله فيه ما هو محبوباً لديه وقد يجعل فيه ما هو مكروهاً لديه كاضطهاد المؤمنين وكفر الكافرين ، لأنه لا يلزم منه أن يحبه ويرضاه فهو شامل للخير والشر ، وهذا النوع من القضاء متعلق بربوبية الله وخلْقه ولا بد أن يقع فيدخل فيه القضاء الديني الشرعي لأنه أعم منه والشرعي أخص ، فهو شامل لكل ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، حتى العبادات التي تقع على المسلم مع خضوعها للقضاء الديني فهي تخضع للقضاء الكوني ما دامت قد وقعت فعلاً ، كما أن الكفر والمعاصي خاضعة للقضاء الكوني ما دام أنها قد وقعت – مع أن الله لا يحبها ولا يرضاها – وقد تعلقت بالقضاء الكوني لحكمة يعلمها الله

---

(1) شفاء العليل لابن القيم ص 452 ، وانظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، المؤلف : ابن أبي العز الحنفي، (296/1) ، ومعارج القبول (230/1).



قد نعلمها وقد لا نعلمها[١] ، وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أمثلة على القضاء الكوني وأخرى على القضاء الشرعي ومن أمثلة القضاء الكوني ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : 117] . وقوله تعالى : ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : 47]. وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : 2] . وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : 60] . وقوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم : 35]. وقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: 42].

ومن هذا نستخلص أن : **للقضاء الكوني ضابطان أو شرطان تميزه عن القضاء الشرعي، وهما :**

الضابط الأول : أن القضاء الكوني لازم الوقوع.

والثاني : أن القضاء الكوني يكون فيما يحبه الله وما لا يحبه ، ولا يشترط أن يكون جميعه مما يحبه الله.

---

(١) انظر التكليف في ضوء القضاء والقدر ، د. أحمد بن علي عبدالعال ، ص 179، وانظر مسألة القضاء والقدر نشأتها لدى الفلاسفة المتكلمين بحثها على مقتضى منهج السلف - لعبد الحميد قنبس وخالد العك ص 111.



وهذا النوع من أنواع القضاء يتعلق بمشيئة الله سبحانه وتعالى إذ هو «تعبيراً عن مشيئة الله النافذة في ملكه ، والتي لا تخلو من الحكمة والغاية »[1] ، ولفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني كقوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير : 29] [2] ، أي أن ما شاء الله قدراً من غير اشتراط محبته إياه ، أو الرضا به ، يدخل في الكوني ، فيدخل فيه الإيمان والكفر والطاعة والمعصية ، والمحبوب والمكروه مثلاً.

فما يحدث في هذا الكون من فعل الله أو من فعل العبد مما شاء الله أن يفعل فهو قضاء كوني ، لا بد من وقوعه ، لأن الله تعالى على كل شيء قدير ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء – سبحانه – وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس : 82].

وما يكون من محبوب أو مكروه من غنى أو فقر ، أو راحة أو تعب ، أو عافية أو مرض ، أو حياة أو موت ، أو إيمان أو كفر ، فهو بقضاء الله وقدره الكوني ، وأنه تعالى علم ذلك أزلا ، وأنه مكتوب في اللوح المحفوظ ، ومقدر ، قال تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : 59-60] ، وأن الله تعالى قد شاءه وخلقه ، قال تعالى : ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾[آل عمران : 47] ، وقال تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : 54] . قدر الأقدار وخلقها و لم يطلعنا على جميع أسبابها فله الحكمة البالغة

(١) التكليف في ضوء القضاء والقدر ، د. أحمد عبدالعال ، ص 179.

(٢) معارج القبول ، للحكمي (230/1).



والمشيئة النافذة سبحانه ، ومهما تبحر العبد في العلم فلن يحصل إلا الشيء القليل ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء : 85].

يخلق ما يخلقه بسبب معلوم أو غير معلوم ، فهو القادر – سبحانه – على أن يقول للشيء كن فيكون ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : 117] . ويدخل في ذلك ما يجري في الكون وما قدره الله تعالى لسير نظامه ، وما يجري على العبد من مصائب وما يتعلق بالرزق والأجل والصورة التي عليها، وأن يولد لفلان دون فلان وهكذا ، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس : 38] ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ [آل عمرن : 185] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾ [الحديد: 22] ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾[الرعد : 26] ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [الأعراف : 34] ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : 8] فمثلاً قوله تعالى : ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : 8] أي : « في أي صورة ما شاء ركبك إن شاء بيضك أو سودك، طولك، أو قصرك ، جعلك ذكراً أو أنثى ، انساناً أو حيواناً قرداً أو خنـــزيراً »[1]. وقيل: «في أي شبه من أب أو أم أ خال أو عم»[2].

والإيمان بالقدر هو الطمأنينة ، والإيمان إلى الأقدار التي قدرها تعالى ، وما تقتضيه من عبودية قال ابن القيم : « الإيمان بها وإثباتها واعتقادها وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجيه من آثار العبودية ، أي الأسماء والصفات – مثاله الطمأنينة إلى القدر وإثباته والإيمان به يقتضي الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التي لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على دفعها فيسلم لها

(١) ايسر التفاسير للجزائري (373/4).

(٢) تفسير البغوي (356/8).



ويرضى بها ولا يسخط ولا يشكو ولا يضطرب إيمانه، فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما أتاه لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه، وقبل أن يخلق كما قال تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [الحديد : 22-23] وقال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: 11]. قال غير واحد من السلف: هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، فهذه طمأنينة إلى أحكام الصفات وموجباتها وآثارها في العالم، وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم واعتقادها، وكذلك سائر الصفات وآثارها ومتعلقاتها كالسمع والبصر والرضا والغضب والمحبة فهذه طمأنينة الإيمان»(١).

أحوال الناس بالنسبة للقضاء الكوني :

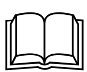
بالنظر إلى كلام ابن القيم حول الرضا بالقضاء الكوني (٢) ، يتبين أنه ينقسم إلى ما يلي من أقسام :

1- ما قضاه الله سبحانه ووافق إرادة العبد وهواه وكان مما يحبه ويتمناه مثل الصحة والغنى وحصول المراد ، فوافق قضاء الله رغبة العبد ، وهذا النوع يجب على العبد بما أن الله تعالى حقق مراده أن يشكر هذه النعمة وأن يسخرها بما يرضي الخالق سبحانه ، كما قال ابن القيم : « والرضى بالقضاء الكوني القدري الموافق لمحبة العبد وإرادته ورضاه من الصحة والغنى والعافية واللذة أمر لازم بمقتضى الطبيعة ؛ لأنه ملائم للعبد محبوب له فليس في الرضى به عبودية بل العبودية في مقابلته بالشكر والاعتراف بالمنة ووضع النعمة مواضعها التي يجب

---

(١) الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1395-1975م، (221/1 ، 222).

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (193/2).



الله أن توضع فيها، وأن لا يعصى المنعم بها وأن يرى التقصير في جميع ذلك »[1]. فالشكر يحفظ النعمة ويجعل العبد معترفاً ذليلاً لله دائماً ، مدركاً أن كل خير منه سبحانه ، وما قدره هو الخير كل الخير فيقابل ذلك بالإحسان والشكر ، كما قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم : 7] .

2/ ما قضاه الله سبحانه وتعالى و لم يوافق إرادة العبد بل خالف إرادته وهواه ، وكان شاقاً عليه ، وذلك مثل المرض والفقر ، والاضطهاد ، وظلم العباد ، والآلام ، ونحو ذلك من المصائب التي تصيب العبد المؤمن ، للإختبار والإمتحان أيصبر أم يكفر ، والمصائب علامة على حب الله تعالى الخير للمصاب ، ويبتلى العبد على قدر إيمانه ، ومقابلة ذلك بالرضا تحصيل للأجر الموعود الذي وعدناه الرسول ﷺ في قوله : (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة ، وحط بها عنه خطيئة) [2].

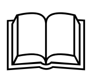
وقال الرسول ﷺ : (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته ، كما تحط الشجرة ورقها) [3]. وفي الحديث الآخر قال ﷺ : (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليكم لم يقدروا وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله

---

(١) مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية (193/2).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ، ج4 ، ص 1991، برقم 2572.

(٣) رواه البخاري ، كتاب المرضى ، باب وضع اليد على المريض ، برقم 5343 ، ج5 ، ص 2145، وأخرجه مسلم برقم 2571، 1991/4، وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، الجزء الرابع ، من المجلد الأول ، ص 395.



عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً) [١].

وهذا يثبت حكمة الله سبحانه وتعالى فيما يختاره للعبد من قضاء يقضيه عليه. وقال أيضاً : (إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط) [٢].

ثم إن قضاء الله – سبحانه – في عبده دائر بين العدل والمصلحة ، والحكمة والرحمة، لا يخرج عن ذلك أبداً ، إذ لو أوكل للإنسان الإختيار لنفسه لاختار ما يرى أنه الخير ولأستكثر من الخير ، وقد يكون ما اختاره يحسبه خيراً وهو شر له ، وقد يكون العكس، قال تعالى : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة : 216] .

وحري بالمؤمن أن يوكل أمره إلى الله تعالى ويتحرى الخير ، فما أصابه مما اختاره له الرب – تعالى – فهو الخير والمصلحة ، فيقابل ذلك بالرضا ، ويوظف ذلك بما يعود عليه بالنفع الدنيوي والأخروي ، فالله تعالى لا يختار إلا ما فيه خير ونمصلحة ، وهو تعالى لا يقضى إلا بالحق ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [غافر : 20] فما يقضيه الله للإنسان هو لخير، وقد قال الرسول ﷺ : (عجبت للمؤمن أن الله لم يقض قضاء إلا كان خيراً له) [٣].

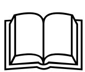
وقال أيضاً : -ﷺ- (عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا

---

(١) رواه أحمد في مسنده ، برقم 2804، ج1 ، ص 307، وقال شيعب الأرنؤوط : حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي برقم 2396، ج4 ، ص 601، وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) رواه أحمد في مسنده برقم 12181 ج3 ، ص 117، وقال الأرنؤوط : حديث صحيح.



للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) [١].

والقضاء الكوني الذي يقدره الله ، ولا يحبه العبد يتضمن المعصية التي قد يقع فيها العبد ، ثم يتوب منها ويستغفر ويرجع إلى الله تعالى، فالمعصية لا يحبها الله ولا يرتضيها ولكن آثارها المترتبة عليها من توبة ، واستغفار ، وندم عليها أمور وأشياء محبوبة لله تعالى، وتعود على العبد بأشياء يحمدها ويرضاها إن قبل الله منه توبته ، وكان صادقاً فيها .

وفي الرضاء بهذا القسم من القضاء الكوني يقول ابن القيم : « والرضى بالقضاء الكوني القدري الجاري على خلاف مراد العبد ومحبته مما لا يلائمه ولا يدخل تحت اختياره مستحب وهو من مقامات أهل الإيمان وفي وجوبه قولان وهذا كالمرض والفقر وأذى الخلق له والحر والبرد والآلام ونحو ذلك»[٢].

ومما كان ينشد لمحمود الوراق[٣] قال :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء ... الله فيما أحببته وكرهته

لو إلى الأمور أختار منها خيرها ... لي عواقبا ما عرفته

فأرى أن أرد ذاك إلى ... من عنده العلم الذي قد جعلته [٤]

ومن ذلك قول ابن تيمية – رحمه الله – :

فما شاء مولانا الإله فإنـــــــــــــه ... يكون وما لا يكون بحيلة [٥]

---

(١) سبق تخريجه ص 189.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (193/2).

(٣) محمود بن الحسن الوراق الشاعر أكثر القول في الزهد والأدب ، روى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا وأبو العباس بن مسروق وغيرهما ، ويقال : أنه كان نخاساً يبيع الرقيق ومات في خلافة المعتصم (شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة) الباب الرابع ، ص 448.

(٤) شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام اللالكائي ، ج1 ، الباب الرابع ص 448.

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (246/8).



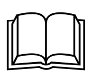
وهذا القسم من القضاء الكوني ينقسم إلى قسمين :

أ) ما للعبد فيه استطاعة واختيار في منازعته ومدافعته بكل ما أمكن :

ومثاله الجوع ، والعطش ، أو البرد ونحو ذلك ، فإن العبد لا يستسلم له، ولا ينقاد له، بل يدافعه بقدر آخر من الأكل والشرب واللباس ونحوه، فإذا أصاب المؤمن مرض ، فهذا بقدر الله – تعالى – وقضائه الكوني ، وله أن يدافعه ، وينازعه بقدر الله من استعمال الأدوية والرقية ونحوها ، فيكون قد دفع القدر بالقدر ، كما في قصة عمر بن الخطاب ﵁ ، وقوله عندما عوتب على فراره من الطاعون ، وعدم دخوله أرض الشام بمن معه من الصحابة ، والتابعين رضي الله عنهم جميعاً ، فقالوا له : (أفراراً من قدر الله ؟) ، فقال عمر ﵁: (نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله..) [(1)]، وكذا يدخل في ذلك رد الأقدار بالأقدار، «وهذا سير أرباب العزائم من العارفين وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة عبدالقادر الكيلاني: الناس إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا فانفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والرجل من يكون منازعاً للقدر لا من يكون مستسلماً مع القدر ، ولا تتم مصالح العباد في معاشهم إلا بدفع الأقدار بعضها ببعض فكيف في معادهم ، والله تعالى أمر أن تدفع السيئة وهي من قدره بالحسنه وهي من قدره، وكذلك الجوع من قدره وأمر يدفعه بالأكل الذي هو من قدره، ولو استسلم العبد لقدر الجوع مع قدرته على دفعه بقدر الأكل حتى مات مات عاصياً، وكذلك البرد والحر والعطش كلها من أقداره وأمر بدفعها بأقدار تضادها والدافع والمدفوع والدفع من قدره وقد افصح النبي ﷺ عن هذا المعنى كل الإفصاح عندما سئل : (يا رسول الله أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون ، ج5 ، ص2163، برقم5397، ومسلم في كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة ، والكهانة ، ونحوها رقم2219، ج4 ، ص1740.



نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال هي من قدر الله) [١]. .. وإذا طرق العدو من الكفار بلد الإسلام طرقوه بقدر الله أفيحل للمسلمين الإستسلام للقدر وترك دفعه بقدر مثله وهو الجهاد الذي يدفعون به قدر الله بقدره ، وكذلك المعصية إذا قدرت عليك وفعلتها بالقدر فادفع موجبها بالتوبة النصوح وهي من القدر».[٢]

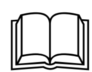
وفي حديث أبي سعيد ﷺ[٣] قال : «انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم، فلدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحدكم من شيء ؟ فقال بعضهم نعم والله لأرقي ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحه : 2] . فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة. قال : فأوفوهم جعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم: اقسموا فقال الذي رقى لا تفعلوا حتى نأتي النبي ﷺ فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا. فقدموا على رسول الله فذكرونا له فقال (وما يدريك أنها رقية). ثم قال : (قد اصبتم

---

(١) رواه الترمذي في سنه ، برقم 2065، ج4 ، ص 399، وقال : هذا حديث صحيح ، ورواه ابن ماجه ، برقم 3437 ، ج 2 ص 1137.

(٢) مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، 199/1 ، 200/1.

(٣) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري ، أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة واستصغر بأحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين (تقريب التهذيب ج1 ص 232).



اقسموا واضربوا لي معكم سهماً) . فضحك رسول الله ﷺ[١] .. وقد أقر الرسول ﷺ هذا العمل من الصحابة ، ولم ينكره عليهم.

وهذه المدافعة لا ينكر أهميتها عاقل ، ولا يتهاون فيها إلا مفرط في حق نفسه، ومن أعظم الفوائد التي تتضح من هذه المدافعة لأقدار الله بأقداره ، أنه لا حجة لمن يحتج بالقدر ويدعي الإجبار إذ العقل يؤكد أن العبد يتبع مصلحة نفسه وهواها ، ويتبع الأصلح فيما يعود عليه بالمنافع الدنيوية ، أما الطاعة وما أمر به وما نهى عنه فهو يتحجج بالقدر في منعه من ذلك ، قال ابن القيم – رحمه الله : «ومن لم يستبصر من هذه المسألة ويعطها حقها لزمه التعطيل للقدر أو الشرع شاء أو أبى ، فما للعبد ينازع أقدار الرب بأقداره في حظوظه، وأسباب معاشه ، ومصالحه الدنيوية ، ولا ينازع أقداره في حق مولاه ، وأوامره ودينه، وهل هذا إلا خروج عن العبودية ، ونقص في العلم بالله وصفاته وأحكامه »[٢]. والتداوي لا ينافي الإيمان بالقضاء كما سيتبين إن شاء الله في مبحث الأسباب .

ب) ما ليس للعبد فيه اختيار ، ولا طاقة ، ولا حيلة في منازعته ومدافعته:

وهذا ما أشار إليه قول الرسول ﷺ : (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك) [٣]. الحديث .

فهذا لا تنفع فيه المنازعة ، ولا المدافعة ، فهذا يقابل بالرضا ، والاستسلام ، وترك المخاصمة والسخط ، والعلم والإيمان بأن الأمر والحكم والقضاء لله من قبل ومن بعد ، وأنه

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الإجارة ، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب برقم 2156، الجزء 2 صفحة 795، ومسلم في السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ، رقم 2201، ج4، ص 1727.

(٢) طريق الهجرتين ، لابن القيم ، ص 68، وانظر الرضاء بالقضاء د. سالم القرني ضمن مجلة جامعة أم القرى 405/5.

(٣) سبق تخريجه.



– سبحانه – له حكمة في ذلك هو يعلمها – سبحانه – ، وهو عدل في قضائه ، والقدر المقضي ينـــزل مواقعه ، ويحل محله لا راد له ، وذلك أوجب للرب – سبحانه – عدله ، وحكمته ، وعزته ، وملكه ، وموجب أسمائه وصفاته ، فله عليه أكمل الحمد، وأتمه، والرضا، والتسليم[1].

وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران : 165] . أي : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه[2].

وقال سبحانه : ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء: 79].

وقـــوله تعالى : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾]الشورى : 30[.

وقوله – عز وجل – : ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَإِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ كَفُورٞ﴾ [الشورى : 48].

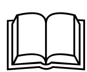
قال ابن القيم : – رحمه الله – بعد ذكر هذه الآيات في هذا المقام : « فمن نزل هذه الآيات على هذا الحكم علماً ، ومعرفة، وقام بموجبها إرادة ، وعزماً ، وتوبة، واستغفاراً، فقد أدى عبودية الله في هذا الحكم، وهذا قدر زائد على مجرد التسليم والمسالمة..»[3].

---

(١) انظر : طريق الهجرتين ، لابن القيم ، 69/1. وانظر الرضا بالقضاء 407/5.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ، 425/1.

(٣) طريق الهجرتين ص 70.



القسم الثالث : من أحوال الناس في القضاء الكوني :

الثالث : ما قضاه الله سبحانه ، وهو يكرهه ويبغضه وقد نهى عنه ، واختاره الإنسان اتباعاً لشهواته، ورغباته ، وهي اختيار المعصية والرضا بها :

وفي هذا القسم نؤمن بأن الله تعالى هو من قضى الطاعات والمعاصي ولكنه سبحانه عدل، حكيم ، إذ جعل للعبد القدرة على إختيار أي الطريقين كما قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : 10] وقد سبق الكلام على هذا ، وهذا لا يبرر للعبد أن يسلك طريق المعصية أو أن يرضى بها مجرد الرضى ولو من غيره ، وإن وقع فيها فإنه يجب عليه التوبة والإنابة والإقلاع عنها ، وإن رأى من وقع فيه فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، والله تعالى مع نهيه عن المعاصي ، فقد نهى عن مجالسة أصحابها والبقاء معهم ، وما ذلك إلا إخباراً منه سبحانه بعدم رضاه عنها وعن أهلها ، ومن ذلك نهيه – سبحانه – المسلمين عن مخالطة الكافرين بآيات الله والمستهزئين بها فقال : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾ [النساء : 140]، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام: 68] .

وقد أنكر العلماء الرضا بالمعاصي وأفردوا لها أبواباً من كتبهم ، وذلك كما في كتاب الكبائر [(١)]: « باب ذكر الرضا بالمعصية ، روي عن عبدالله بن مسعود [(٢)] رضي الله عنه قال:

---

(١) كتاب الكبائر للشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب.

(٢) عبدالله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء بن حبيب بن شخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تيم بن سعد بن هذيل الهذلي أبو عبدالرحمن حليفاً أسلم قديماً وهاجر الهجرتين ، وشهد بدراً والمشاهد بعدها ولازم النبي ﷺ وكان صاحب نعليه وحدث عن النبي ﷺ يالكثير .. قال عبدالله لقد رأيتني سادس ستة وما



هلكت إن لم يعرف قلبك المعروف وينكر المنكر . وقال : « قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرو ن. فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[١][٢].

وعدم الرضا بالمعصية يتمثل في عدم فعلها من ذات العبد ، وإنكارها على من فعلها من غيره ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، «فالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر من أعظم وظائف الشرع المحمدي ، وهو وظيفة الأنبياء والرسل ، ومن بعدهم العلماء قادة الأمة، ومعلموها ، أهل الفراسة، والذكاء ، وفيهما تتفاضل الأمم، قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110] فوصف أمة محمد ﷺ بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وعلل ذلك بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله عز وجل ، فإنها خير أمة لأجل ذلك، ولا شك أن الأمم الغابرة كانوا يتساهلون في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ويسكتون على من فعل ذلك، ولذلك شنع عليهم الباري تعالى في القرآن الكريم في غير آية »[٣].

على الأرض مسلم غيرنا .. وهو أول من جهر بالقرآن بمكة .. وقال النبي ﷺ من سره أن يقرأ القرآن غضا كما نزل فليقرأ على قراءة بن أم عبد ..(الاصابة في تمييز الصحابة الجزء 4 ، ص 234).

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان ، ج1 ، ص 69، رقم 50.

(٢) الكبائر ، المؤلف : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ط2 ، الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ، 1420هـ (94/1).

(٣) الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ، المؤلف : محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهري ، (المتوفى : 1367هـ)، الناشر : دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت (175/1 ، 176).



والرضا بالمعصية معصية ، كما نص عليه أهل العلم . وقال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود : 113] ، أي : «ولا تميلوا ، أيها الناس ، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله ، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم ». وقال جل ثناؤه حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ [القصص:17] بل إن ممن يختار المعصية ويرضاها من يرجع السبب في ذلك إلى أن الله تعالى هو الذي أمره بها — تعالى الله عن ذلك — كما قال عنهم ، وعن أمثالهم : ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 28] والله تعالى «لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها»(١).

وبعض الناس يبرر ما هو عليه من معاصٍ بادعاء أن الإيمان في القلب ، ويستدل بما ثبت في الصحيح : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (٢).

وما أكثر من يتعبد الله بما حرمه الله عليه ، ويعتقد أنه طاعة وقربة، ولو نظرنا إلى البدع التي انتشرت بين الناس ، والتي تعد أعظم ضرراً على العبد من المعاصي التي قد يتوب منها لعلمه بأنها معصية ، لأدركنا مدى خطورة العبادة التي لا تكون على علم ولا بصيرة، وقد ذكر ابن القيم أن البدع واتباع الهوى هما أساس كل بلاء فقال : « وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء وبهما كذبت الرسل وعصي الرب ودخلت النار وحلت العقوبات فالأول من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات»(٣).

---

(١) تفسير الطبري (500/15).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ك البر والصلة والآداب، ج 4ص 1986، برقم 2564.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله (136/1).



وقد تتمكن المعصية من القلب فيرضى بها صاحبها ، بل ويغلو في ذلك، وذلك على حساب دينه ، وصحته، وعقله ، قال رسول الله ﷺ : (إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها ، وقال مرة : فأنكرها ، كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها) [١]. وهذه مسألة عظمى ، لأن الرضا بالمعصية معصية[٢].

قال الله تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : 140].

فهذا دليل على وجوب اجتناب أهل المعاصي إذا ظهر منهم منكر ، وهذا عدم الرضا بالمعصية؛ لأن من لم يجتنبهم وبقي معهم فقد رضي فعلهم ، والرضا بالكفر كفر ، كما دل عليه قوله : ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء : 140] «أي إنكم إن فعلتم ذلك و لم تنتهوا فأنتم مثلهم في الكفر»[٣] فكل من جلس في معصية و لم ينكرها يكون مع أهلها في ورزهم، فينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية ، أو عملوها ، فإن لم يستطع الإنكار ، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.

أما من خالطهم للنصح والتوجيه فلا يدخل في ذلك . لقوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : 69] .

فإذا كان الله سبحانه لا يرضى لهم ما عملوه ، بل يسخط ذلك ، وهو يسخط عليهم، ويغضب عليهم، فكيف يشرع للمؤمن أن يرضى ذلك ، وأن يغضب لما يسخط الله

---

(١) رواه أبي داود في سننه برقم 4345 ، ج2، ص 528 وقال الألباني : حديث حسن.

(٢) انظر: تفسير القرطبي 295/4.

(٣) فتح القدير للشوكاني (794/1).



ويغضبه ، قال الله تعالى : ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: 7] ، ومن تمام محبته سبحانه وتعالى طاعته ، فلا يليق بمدعي محبته أن يقدم على ما يبغضه سبحانه.

وفي المقابل فقد وعد الله تعالى من يرضى بما رضيه الله ويسخط من سخطه الله بالجزاء في الدنيا بالإستخلاف في الأرض وفي الآخرة بالرضى والجنة قال سبحانه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور : 55].

«فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة ، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح ، فلا بد أن يوجد ما وعدهم الله ، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين، ويذلهم في بعض الأحيان ، بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح»(١).

وقال سبحانه : ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[الزمر: 7] أي وقوله ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ أي : لا يحبه ولا يأمر به ، ﴿ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ أي: يحبه منكم ويزدكم من فضله»(٢).

فبين أنه يرضى الدين الذي أمر به ، ولا يرضى ما لم يأمر به أو نهى عنه ، وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : (يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني..) (٣). وقال ﷺ : (إن الله يغار ،وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله) (٤).

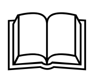
---

(١) تفسير السعدي (573/1).

(٢) تفسير ابن كثير (87/7).

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب النكاح ، باب الغيرة ، برقم 4923 ، الجزء 5 ، ص 2002.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب الغيرة ، برقم 425، ج 5 ، ص2002، ومسلم في كتاب التوبة، باب غيرة الله وتحريم الفواحش ، رقم 276/1، ج4 ، ص 2114.



وفي حكم الرضا بهذا النوع من الأقدار قال ابن قيم الجوزية : «والرضى بالقدر الجاري عليه باختياره مما يكرهه الله ويسخطه وينهى عنه كأنواع الظلم والفسوق والعصيـان، حرام يعاقب عليه وهو مخالفة لربه تعالى فإن الله لا يرضى بذلك ، ولا يحبه فكيف تتفق المحبة ورضى ما يسخطه الحبيب ويبغضه ..» [١].

وقال ابن تيمية رحمه الله : « ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله آية ولا حديث يأمر العباد أن يرضوا بكل مقضي مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها؛ فهذا أصل يجب أن يعتنى به »[٢].

وفي هذا يستحق العبد العاصي العقوبة ، لأنه لم يكلف إلا بما يستطيع ، وكما هو ثابت عند علماء أهل السنة والجماعة وكما سبق معنا فإنه تعالى لم يكلفهم إلا بعد أن منحهم الإرادة والقدرة على العمل كما ذكر ذلك ابن قيم الجوزية حيث قال :

« التكليف إنما يتم بإعطاء القدرة والاختيار والله تعالى قد أقدر عباده على الطاعات والمعاصي والصلاح والفساد وهذا الإقدار هو مناط الشرع والأمر والنهي فلولاه لم يكن شرع ولا رسالة ولا ثواب ولا عقاب وكان الناس بمنـزلة الجمـادات والأشجار والنبات، فلو حال سبحانه بين العباد وبين القدرة على المعاصي لارتفع الشرع والرسالة والتكليف وانتفت فوائد البعثة ولزم من ذلك لوازم لا يحبها الله وتعطلت به غايات محمودة محبوبة لله وهي ملزومة لأقدار العباد وتمكينهم من الطاعة والمعصية ووجود الملزوم بدون اللازم محال..» [٣]. ومن أنواع القضاء الكوني الذي يتعلق بمراتب القدر الأربعة ، ما يتعلق بمرتبة

---

(١) مدارج السالكين 193/2.

(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (190/8).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت (77/2).



الكتابة، وأنواعها وقد ذكرت ضمن أبيات شعرية في «ما يسمى بتحفة الطحاوي» الذي قال فيها:

تقديره سبحانه نوعان	عام وخاص فاستمع بياني
فالعام ما دون من كل سعي	يعم كل كائن فافهم تع
يعم كل الخلق فارج رحمته	قد فاز من سعى فنال جنته
والخاص تفصيل لما تقدم	من لازم الوحيين ما تندم
أولها العمري مثل ما أتى	عن ابن مسعود فرض يا فتى
والثاني الحولي فاسمع ما صدر	عن ربنا في شأن ليلة القدر
ثالثها اليومي ولتعلم بأن	في كل يوم والعظيم في شأن [(١)]

وهو يقصد بهذا أنواع الكتابة الخمسة التي تعد ضمن القضاء الكوني ، وأنواع المقادير التي تتعلق بالكتابة فقد تقدم ذكرها في المبحث الأول من هذا الفصل ونقول فيها بشيء من التفصيل .

التقدير الأول : التقدير الأزلي : وهو كتابة المقادير قبل خلق السماوات والأرض، ويشهد له قول النبي ﷺ : (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) [(٢)]ويشهد له قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: 22] وحديث النبي ﷺ : (أول من خلق الله القلم قال له : اكتب ، قال : وما

---

(١) التحفة الفيفية في اعتقاد الفرقة المرضية ، نظم : سليمان بن محمد الحكمي الفيفي (5/1).

(٢) سبق تخريجه ص 76.



أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة) [١] ، ومفهوم هذه المرتبة أن المسلم يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قد كتب كل شيء ، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ : (جفت الأقلام وطويت الصحف) [٢]. أي : أن هذا الأمر قد فرغ منه ، وما كتب في اللوح المحفوظ لا تغير فيه ولا محو، ولا زيادة فيه ولا نقصان.

التقدير الثاني : التقدير العمري وقد يسمى بـــ (التقدير البشري) [٣]: ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف : 172] وذلك حين أخذ الميثاق على بني آدم على أن هذا التقدير كان للإنسان منذ الأزل؛ قدر للإنسان ما سيعمله ، ولقد روي أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ فقال عمر سمعت رسول الله ﷺ يسأل عنها فقال رسول الله ﷺ:« إن الله عز وجل خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله الله الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل أهل النار فيدخله به النار» [٤].

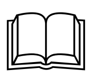
---

(١) سبق تخريجه ص 42.

(٢) سبق تخريجه ص 27.

(٣) انظر الإيمان بالقضاء والقدر محمد الحمد ص 67.

(٤) سنن أبي داود برقم 4703، ج2 ص 639، قال الألباني : صحيح إلا مسح الظهر.



ويسمي العلماء هذا التقدير : التقدير المتعلق بأخذ الميثاق ، وإن كان بين العلماء فيه خلاف .

والإمام ابن القيم رحمه الله تطرق إلى هذه المسألة ، ورجح أن قضية مسح ظهر آدم وإخراج الذرية منه إخراجاً حسياً النصوص ليست صريحة في إثباته ، وإنما ما كان من التقدير الذي إنما يشهد تمييز الناس إلى جنة أو إلى نار ، وأن هؤلاء من ذرية آدم إلى النار، وأن هؤلاء من ذريته إلى الجنة.

التقدير الثالث : الذي يكون للإنسان عند أول تخلقه ، ويسميه العلماء : التقدير العمري الخاص بالإنسان – والأول : التقدير الذي يعتبر متعلقاً بالميثاق – فالتقدير الذي يكون خاصاً بالإنسان مثلما قال الله تعالى : ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: 32] ويشهد له حديث النبي ﷺ : (إن أحدكم اليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة) ثم ذكر النبي ﷺ العلقة ، ثم المضغة، ثم يرسل إليه ملك فينفخ فيه الروح، ثم يكتب رزقه وأجله ، ثم قال : وشقي أو سعيد) [(١)]. وهذه الكتابة والتي قبلها كلها مرتبطة بقضية الكتابة المتعلقة باللوح المحفوظ.

التقدير الرابع : **التقدير الحولي** : وهذا التقدير في ليلة القدر ، وهي في قول الله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان : 4] أي : أن الله سبحانه وتعالى يكتب من أم الكتاب ما يكون في السنة من سيموت ومن سيمرض ومن كذا ، ويقدر ما سيعمله في ليلة القدر في السنة التي هو فيها وجزء من السنة القادمة . وقال ابن عباس : « يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ، ويحج فلان » [(٢)].

---

(١) سبق تخريجه ص 62.

(٢) انظر تفسير البغوي (228/7).



التقدير الخامس : التقدير اليومي : يقول الله تعالى : ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: 29] سبحانه وتعالى ، وقد روى أن الرسول ﷺ : تلا هذه الآية ، فقيل يا رسول الله وما ذاك الشأن ؟ قال : (كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويخفض آخرين) [١].

فهذه هي أنواع الكتابة التي تخص العبد وما قدر الله تعالى عليه في حياته ، مما سبق في علمه، قال تعالى : ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الملك: 14].

«وكون القضاء مضى بسعادة المرء أو شقائه ، كما مضى بتحديد رزقه وأجله، فهذا النوع من القدر أهو من مراد قوله تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[الحديد : 22] وقول الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[٢] .

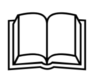
وهذا النوع من القدر كما يجب الإيمان به يجب الرضى به ، والتسليم لله تعالى فيه فإنه على وفق رضى الله تعالى ، وبناء على مشيئته وحكمته وواقع على أساس تدبيره بملكه وخلقه ، وإنه ما من حادثة تحدث في الكون إلا ولله تعالى فيها حكمه ، مقصودة ، ومن هنا قبح بالمرء أن يتبرم من هذه الأحداث المقدرة له، كما جمل به أن يقابلها بكامل الرضى، ومطلق التسليم[٣].

---

(١) سنن ابن ماجه ، برقم 202، ج1 ، ص 73، قال الألباني حديث حسن.

(٢) سبق تخريجه ص 27.

(٣) انظر: عقيدة المؤمن ، تأليف أبي بكر جابر الجزائري ، ص 226.



وهذا على ما قدره الله تعالى وقضاه بالإطلاع أما أفعال العباد فقد قال ابن تيمية رحمه الله : « ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله آية ولا حديث يأمر العباد أن يرضوا بكل مقضي مقدر من أفعال العباد حسنها وسيئها ، فهذا أصل يجب أن يعتنى به »[(١)]. وهذا ما يؤيد ما ذكرناه سابقاً من الرضا بالمعصية.

القضاء الشرعي الديني :

أما النوع الثاني من أنواع القضاء والقدر فهو: القدر الشرعي؛ وهو قضاء متعلق بإلاهية الله وشرعه ، وهذا قد يقع وقد لا يقع وهو يتعلق بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة ، والباطنة ، وهو يعني : العبادات التي يفرضها الله على عباده لتكون وسيلة الوصول إليه ، والقضاء الشرعي مبني على الإختيار والإرادة الإنسانية ، وهو يتعلق بالتكاليف الشرعية أمراً ونهياً ، وهو مناط الثواب والعقاب في الآخرة[(٢)].

فما شرعه الله لعباده ، وأمرهم به ، ونهاهم عنه في كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ هو ما قضاه الله ، وأمر به شرعاً.

ومن الأمثلة عليه من القرآن الكريم ما يلي :

قــــــوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23] ، وقد ذكر ابن تيمية في قوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : 23] . « أي أمر وليس المراد به قدر ذلك فإنه قد عبد غيره كما أخبر في غير موضع كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس : 18] .. إلى أن قال وقــــوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ

---

(١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (190/8).

(٢) انظر التكليف في ضوء القضاء والقدر ، د. أحمد عبدالعال ، ص 180.



دِينِ ﴾[الكافرون : 6] . وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم ولا تقتضي رضاه بذلك؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[يونس : 41] . ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضا منه بدين الكفار فهو من أكذب الناس وأكفرهم، كمن ظن أن قوله (وقضى ربك) بمعنى قدر وأن الله سبحانه ما قضى بشيء إلا وقع وجعل عباد الأصنام ما عبدوا إلا الله ؛ فإن هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب»[١].

ومن الأمثلة كذلك ، قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: 36] وهذا القضاء هو المذكور في قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[التوبة:59].

قال ابن تيمية — رحمه الله — عن هذه الآية: « وذكر الرسول هنا يبين أن الإيتاء الديني الشرعي لا الكوني القدري»[٢].

ضوابط القضاء الشرعي :

الضابط الأول : وهو أنه فيما يحبه الله ؛ لأن الله جل وعلا يحب أن يعبده العبد، وأن يوحده في الأرض .

---

(١) االفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، تأليف الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، 1427هـ – 2006م، (79/1).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية 190/8.



والضابط الثاني : وهو أنه قد يقع وقد لا يقع ، فقوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: 23] ، فمن الناس من عبد الله تعالى ، ومنهم من لم يعبده بل طغى ، وبغى ، وكفر به سبحانه ، مع قضائه بالعبادة له وحده.

والإيمان بالقضاء الشرعي هو الإيمان والرضا بما رضيه الله سبحانه وتعالى للعبد، فما رضيه الرب هو ما يجب على العبد أن يرضاه ، وقد أقسم الله تعالى أنه لا يتم إيمان المرء حتى يرضى بحكم الله ورسوله الذي يحكم به ويختاره له ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء : 65] ، « فنفى عنهم الإيمان الذي هو رأس مال صالحي عباد الله حتى تحصل لهم غاية هي تحكيم رسول الله ﷺ ، ثم لم يكتف سبحانه بذلك حتى قال : ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ ﴾، فضم إلى التحكيم أمراً آخر هو عدم وجود حرج: أي حرج في صدروهم فلا يكون مجرد التحكيم والإذعان كافياً حتى يكون من صميم القلب عن رضا واطمئنان وائتلاج قلب وطيب نفس، ثم لم يكتف بهذا كله بل ضم إليه قوله ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾ أي : يذعنوا وينقادوا ظاهراً وباطناً، ثم لم يكتف بذلك بل ضم إليه المصدر المؤكد فقال : ﴿تَسۡلِيمٗا ﴾ فلا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم، ولا يجد الحرج في صدره بما قضى عليه ويسلم لحكم الله وشرعه تسليماً لا يخالطه رد ولا تشويه مخالفة»[1].

وهذا الرضا يتعلق بمراتب الدين الثلاثة : الإسلام ، الإيمان ، والإحسان التي اكتملت معانيها في هذه الآية . فالتحكيم في مقام الإسلام ، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان ، والتسليم في مقام الإحسان . فمن استكمل هذه المراتب وكملها ، فقد استكمل مراتب الدين كلها،

---

(١) فتح القدير للشوكاني (729/1).



فمن ترك هذا التحكيم المذكور غير متلزم له فهو كافر ، ومن تركه ، مع التزامه فله حكم أمثاله من العاصين[١].

كما أن عدم الرضا بأوامر الله تعالى التي ارتضاها يحبط الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد: 28] وقوله : ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ يقول : فأبطل الله ثواب أعمالهم وأذهبه ، لأنها عملت في غير رضاه ولا محبته، فبطلت ، ولم تنفع عاملها»[٢].

وقال ﷺ : (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً) [٣]. ورد في فيض القدير بعد تفسير بداية الحديث قوله : (وبمحمد رسولا) « بأن لم يسلك إلا ما يوافق شرعه ومن كان هذا نعته فقد وصلت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه»[٤].

والرضا به تعالى ربا يتضمن القيام بجميع أنواع العبادة التي أمرنا بها وشرعها لنا ، والإبتعاد عما نهى عنه وحذر منه. ومن أنواع العبادات وأهمها : توحيده وعبادته والإنابة إليه والتوكل عليه وخوفه ورجاءه ومحبته والصبر له وبه ، ولو حقق العبد هذا فقد شكر الله تعالى على هذه النعم التي من أهمها نعمة التوحيد ، والشكر على نعمه يتضمن رؤية كل ما منه نعمة وإحساناً وإن ساء العبد وأزعجه ما أصابه ، فالرضا به يتضمن شهادة أن لا إله إلا الله، والرضى بمحمد رسولا يتضمن شهادة أن محمداً رسول الله، والرضا بالإسلام ديناً: يتضمن التزام عبوديته وطاعته وطاعة رسوله فجمعت هذه الثلاثة الدين كله.

---

(١) انظر تفسير السعدي (184/1) ، بتصرف يسير.

(٢) تفسير الطبري (183/22).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، ك الإيمان ، برقم 34 ، ج1 ، ص 62.

(٤) فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ، المؤلف : محمد عبالرؤوف المناوي (746/3).



فالرضا بالقضاء الشرعي هو رضا بالله رباً، متضمناً هذا الرضا اتخاذه – سبحانه– معبوداً دون ما سواه واتخاذه ولياً ومعبوداً وإبطال عبادة كل ما سواه ، وقد قال تعالى على لسان رسوله : ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾[الأنعام : 114] وقال : ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا ﴾ [الأنعام : 14] وقال : ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 164] أي «فتعين علي وعلى غيري ، أن يتخذ الله رباً ، ويرضى به ، وألا يتعلق بأحد من المربوبين الفقراء العاجزين»[١].

فهذا هو عين الرضا به رباً، والرضا به ربا هو قطب رحى الإسلام كما قال ابن القيم: «وإنما كان قطب رحى الدين : لأن جميع العقائد والأعمال والأحوال ؛ إنما تنبني على توحيد الله عز وجل في العبادة وسخط عبادة ما سواه ، فمن لم يكن له هذا القطب لم يكن له رحى تدور عليه ومن حصل له هذا القطب ثبتت له الرحى ودارت على ذلك القطب فيخرج حينئذ من دائرة الشك إلى دائرة الإسلام فتدور رحى إسلامه وإيمانه على قطبها الثابت اللازم .»[٢].

وفي هذا التشبيه البليغ معنى جميل ، حيث شبه الرضا بقطب الرحى الثابت الذي لا يميل، ومعلوم أن الرحى لا تستخدم إلا في طحن كل ما هو طيب ، من الحبوب ونحوها، وأن صحة عملها لا يكون إلا بثباتها.

وفي ترك ما نهى الله تعالى عنه كل الخير للمؤمن ، لأن الله لا ينهى عن شيء إلا وقد سبق به علمه سبحانه من عدم نفعه أو جدواه ، ولو كان هذا المنهي عنه في نظر العبد مفيداً وذا مصلحة ، قال تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: 14] ، ومن ترك

---

(١) تفسير السعدي (282/1).

(٢) انظر مدارج السالكين لابن القيم (185/2).



شيئاً لله عوضه الله خيراً منه وكما في الحديث : (إنك لن تدع شيئاً اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه) [١].

فعلى المؤمن أن يعلم أن الله تعالى كما قدر عليه القضاء الديني الشرعي وحدد له الطاعات ونهاه عن المعاصي فلا بد أن يرضى بذلك ، ولا يقدم رضا نفسه على رضا ربه ، ويرضى بالطاعة ويسخط المعصية حتى ينال مرتجاه ويبلغ غايته.

ومن لم ينتهج منهج الرضا بما أمره الله به ، فإنه يدخل ضمن من ذمهم الله تعالى في كتابه ممن لم يرضوا بما رضي الله لهم ، ومن الأمثلة على ذلك :

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة : 58] .

وهذه حالة لا تنبغي للعبد أن يكون رضاه وغضبه، تابعاً لهوى نفسه الدنيوي وغرضه الفاسد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعاً لمرضاة ربه[٢].

وقوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [محمد: 28] ، وقوله عز وجل : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : 62].

حكم الرضا بالقضاء الشرعي الديني :

فيجب على العبد أن يكون راضياً بهذا النوع من القدر ، ومن أوضح الأدلة على ذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : 65] ، فقد جاء

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم 20658 ج5 ، ص 78، وقال الأرناؤوط إسناده صحيح.

(٢) انظر: تفسير السعدي (340/1).



القسم في هذه الآية مؤكداً أهم لا يؤمنون حتى يحكموا رسول الله في كل شيء ، وحتى يرتفع الحرج من نفوسهم من حكمه ﷺ وحتى يسلموا لحكمه تسليماً ما بعده منازعة، ولا معارضة ، ولا اعتراض ، وهذا حقيقة الرضى بحكمه ﷺ(١).

وقمة الرضا بأمر الله تعالى ما ورد عن صحابة الرسول ﷺ أنه : «لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقره: 284] فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله ، كلفنا من الأعمال ما نطيق ، الصلاة ، والصيام ، والجهاد، والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ، ولا نطيقها ، قال رسول الله ﷺ : (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا ، وعصينا ، بل قولوا : سمعنا ، وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير) ، قالوا : سمعنا، وأطعنا ، غفرانك ربنا ، وإليك المصير ، فلما اقترأها القوم ، ذلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله في إثرها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة : 285] ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل عز وجل : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال : نعم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال : نعم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال : نعم: ﴿وَاعْفُ

(١) انظر: مدارج السالكين ، 192/2، وتفسير الطبري 198/5-159.



عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة : 286] ، قال: نعم) [١].

وكان من الواضح من منهج القرآن الذي بين فيه حال المؤمنين في هذه الحادثة، تعبير القرآن الكريم بالفعل الماضي ، وذلك في قوله تعالى (سمعنا) وقوله (أطعنا) فلم يقل (سنسمع) أو (سنطيع) ثم تلا هذه الإعترافات بقوله : (غفرانك ربنا وإليك المصير) مما يوجب على العبد المؤمن الإقتداء ، والرضا بما رضيه الله تعالى له.

وقد قال ابن القيم – رحمه الله – في حكم الرضا بالقضاء الشرعي ، أو الديني :

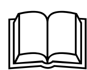
«... حكم شرعي ديني ، فهذا حقه أن يتلقى بالمسالمة والتسليم ، وترك المنازعة ، بل بالانقياد المحض ، وهذا تسليم العبودية المحضة، فلا يعارض بذوق ، ولا وجد ، ولا سياسة، ولا قياس ، ولا تقليد ، ولا يرى إلى خلافه سبيلاً البتة ، وإنما هو الانقياد المحض ، والتسلم، والإذعان ، والقبول ، فإذا تلقى بهذا التسليم ، والمسالمة ، إقراراً ، وتصديقاً بقي هناك انقياد آخر، وتسليم آخر بأن له إرادة وتنفيذاً وعملاً ، فلا تكون له شهوة تنازع مراد الله من تنفيذ حكمه، كما لم تكن له شبهة تعارض إيمانه وإقراره ، وهذا حقيقة القلب السليم ، الذي سلم من شبهة تعارض الحق ، وشهوة تعارض الأمر ، فلا استمتع بخلافه ، كما استمتع به الذين يتبعون الشهوات، ولا خاض في الباطل خوض الذين يتبعون الشبهات ، بل اندرج خلافة تحت الأمر، واضمحل خوضه في معرفته بالحق ، فاطمأن إلى الله ، معرفة به ، ومحبة له، وعلماً بأمر ، وإرادة لمرضاته ، فهذا حق الحكم الديني» [٢].

والله تعالى لا يحب للعبد إلا ما فيه خير الدنيا والآخرة ، لأن الخير فيما اختاره تعالى، ولأن الإيمان بالقضاء الشرعي من الواجبات ، وما ذلك إلا لمكانته من الدين ، وأهميته

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، برقم 125، ج1 ، ص 115.

(٢) طريق الهجرتين 1/66-67. وانظر شفاء العليل ص 278.



بالنسبة لتثبيت اليقين ، والراحة ، والطمأنينة ، وما ذلك إلا لأنه: « هو أساس وقاعدة الإيمان فيجب على العبد أن يكون راضياً به بلا حرج ولا منازعة ولا معارضة ولا اعتراض،.. ومتى خالطت القلب بشاشة الإيمان واكتحلت بصيرته بحقيقة اليقين وحيي بروح الوحي وتمهدت طبيعته وانقلبت النفس الأمارة مطمئنة راضية وادعة وتلقى الإسلام بصدر منشرح، فقد رضي كل الرضا بهذا القضاء المحبوب لله ورسوله انتهى »[1].

ومما خرجت به من هذا المبحث ما يلي :

1- أن القضاء الإلهي نوعان : الأول : قضاء كوني قدري ضروري الوقوع ، ولا يشترط منه المحبة ، وهو ما يعبر عن مشيئة الله تعالى ، ومن الأمثلة عليه قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[البقرة : 117] ، والقضاء الكوني هو «علم الله تعالى السابق بما سيكون ، ووقوعه وفق ما علم، لا يحمل أحداً من الخلق على فعل الطاعة أو المعصية قهراً، لأن العلم صفة انكشاف وإحاطة لا صفة تأثير»[2].

النوع الثاني : قضاء ديني شرعي : وهو يتعلق بما يحبه الله سبحانه وتعالى ، وقد يقع وقد لا يقع ، وهو يتعلق بالتكاليف الشرعية ، وهو مناط الثواب والعقاب ، وقد عرف بطريق الرسل والوحي [3].

ومن الأمثلة عليه : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : 23] .

2- خلاصة حكم الإيمان بالقضاء الكوني ما يلي :

---

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، المؤلف : أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق: زهير الشاويش ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1406هـ (220/2)، وانظر التكليف في ضوء القضاء والقدر لأحمد عبدالعال ، ص 174.

(٢) التكليف في ضوء القضاء والقدر ، لأحمد عبدالعال ص 181، 182.

(٣) انظر المرجع السابق ، ص 180.



القضاء الكوني لا يحاسب الله تعالى العبد عليه ، ولا يترتب عليه ثواب ولا عقاب، ولكن إذا وافق المقتضي رغبة العبد وهواه كالصحة ، والغنى مثلاً فإنه يجب عليه الشكر مقابل ذلك ، وإذا لم يوافق رغبته وهواه فيجب عليه الصبر ، ويستحب له الرضا على أصح القولين لأصحاب أحمد وغيرهم ، يقول ابن تيمية – رحمه الله - : «والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه ، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه ورفع درجاته ، وإنابته وتضرعه وإخلاصه له في التوكل عليه، ورجائه دون المخلوقين»[1] . أما إذا كان المقضي محرماً كالمعاصي مثلاً، والظلم ، والقتل ونحوه فإن الرضا به محرم ، نعم نؤمن أن الله قدره وقضاه لحكمة يعلمها ، ولكن لا نرضى به ولا نعمله.

3- أما حكم الرضا بالقضاء الشرعي فقد اتفق العلماء على وجوب الرضا به، فلا ينازع به، ولم ينازع في ذلك أحد كما سبق .

4- أن في الأوامر والنواهي التي وردت في آيات القرآن الكريم مثل ، قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[البقرة : 43] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء : 58] . مما يدل على القضاء الشرعي الديني الذي لا يتم إيمان العبد إلا به لدليل على ضرورة الإيمان بهذا النوع.

5- كما أن المتأمل في الآيات يجد أن القرآن الكريم قد بين أن من لم يرض بما رضيه الله له فإنه يكون ممن يقابل قضاء الله بالسخط وعدم الرضا كما في قوله تعالى :﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴾[التوبة: 58] ، وفي

(١) مجموع الفتاوى ، بتصرف يسير ، 260/11.



المقابل فإن السنة النبوية قد بينت أن من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط جزاء له على ما فعل.

6- نفى القرآن الكريم في الآيات القرآنية عن المؤمنين الإعتراض وعدم قبول إختيار الله سبحانه وتعالى لهم ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب : 36] : « أي لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصموهما»[1].

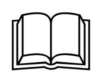
ومن الأمثلة على الرضا بما اختاره الله ورسوله للمؤمنين ما روي عن أنس ﷺ قال : «خطب النبي ﷺ على جليبيب[2] امرأة من الأنصار إلى أبيها . فقال : حتى أستأمر أمها. فقال النبي ﷺ : « فنعم إذن . قال : فانطلق الرجل إلى امرأته ، فذكر ذلك لها ، فقالت : لاها الله! إذن ما وجد رسول الله ﷺ إلا جليبيباً، وقد منعناها من فلان وفلان ؟ قال: والجارية في سترها تسمع . قال : فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله ﷺ بذلك . فقال الجارية : أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره ؟ إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه . قال : فكأنها جلت عن أبويها . وقالا : صدقت . فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال : إن كنت قد رضيته فقد رضيناه . قال : ﷺ : فإني قد رضيته . قال : فزوجها ..»[3].

---

(١) تفسير الطبري (271/20).

(٢) جليبيب غير منسوب وهو تصغير جلباب روى مسلم من حديث حماد عن ثابت عن كنانة بن نعيم عن أبي برزة الأسلمي أن النبي ﷺ كان في مغزى له فأفاء الله فقال هل تفقدون من أحد قالوا فقدنا فلانا وفلاناً وفلانا قال ولكني أفقد جليبيبا ... وفيه قوله ﷺ لكنك عند الله لست بكاسد .. (الإصابة في تمييز الصحابة ج 1 ص495).

(٣) مسند أحمد بن حنبل برقم12406، جـــ3ص136. وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.



7- لا يجوز للعبد أن يحتج بالقضاء الكوني على فعل المعاصي ، كما لا يجب عليه أن يقابله بالرضا والإذعان وإنما ينازعه بالطاعة.

8- أن التنوع في القضاء يدل على حكمته ، وعدله – سبحانه – فلم يوجبه على غير القادر على فعله، كما أنه لم يأمر بما ليس للإنسان عليه قدره ، فهو الحكيم العليم بما يستطيعه عباده من غير إجبار ولا ظلم لهم ، وهو القادر سبحانه – على معاقبة العاصي المتهاون أو العفو عنه، ما يفعله فهو عين الحكمة والعدل ، كما أنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وقد أحسن القائل :

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه يضيع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع (١)

فالقضاء الكوني لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب ، وإنما اختلف حكم الرضا به بحسب نوعه ، أما القضاء الشرعي فهو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب كما سبق .

وقد قامت طريقة القرآن الكريم في بيان أنواع القضاء والقدر على ما يلي :

١ – ربطت الآيات بين قضاء الله وبين إرادته ، فكما أن إرادة الله كونية وشرعية ، فكذلك قضاؤه وحكمه كوني لا يتخلف عنه شيء ، وشرعي قد يتحقق من العبد ، وقد لا يتحقق منه. وفي هذا ربط بين صفات الله وبين آثار تلك الصفات. وهذه الوحدة مما يعزز إيمان العبد بالقدر بقناعة وانسجام.

٢ – نوعت الآيات في بيان مقضيات الله تعالى في الكون ، وهذا من أجل أن تتنوع عبادات الناس بحسب كل مقضي ، وفي هذا غاية الابتلاء والامتحان لإيمان العبد بالقدر.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي (153/1).



فذكرت الآيات أقضية توافق إرادة العبد ، وتتماشى مع رغباته ، وهذه تورث عبادة الشكر، وأقضية تخالف إرادة البعد ، وتضاد رغباته ، وهذه تورث عبادة الصبر ، وأقضية ليس للعبد معها إلا التسليم ، وأخرى تفرض على العبد المدافعة والمنازعة . فتنوع الآيات في بيان أقضية الرب سبحانه مما يثبت الإيمان بالقدر في كل الأحوال .

3- أخذت الآيات الكريمة طريقة فريدة في تعزيز الإيمان بالقدر ، وتثبيته في النفوس ، وذلك حين ربطت أقضية الله تعالى بالمراحل العمرية للإنسان ابتداءً من خلقه في بطن أمه ، إلى أقضية حولية ، وأقضية يومية . وبهذه الطريقة يكون العبد دائم التذكر لقدر الله تعالى، ودائم التسليم له .



الفصل الثاني

طريقة القرآن الكريم في تصحيح المفاهيم الخاطئة في الإيمان بالقضاء والقدر

وتحته خمسة مباحث

المبحث الأول   توضيح القرآن الكريم للعلاقة بين مشيئة العباد ومشيئته سبحانه وتعالى

المبحث الثاني   دعوة نصوص القرآن الكريم إلى إتخاذ الأسباب الصحيحة

المبحث الثالث   تحذير نصوص القرآن الكريم من الاعتماد على الأسباب وحدها، وإيجابية الجمع بين اتخاذ السبب والتوكل على الله

المبحث الرابع   رد القرآن الكريم لعقيدة الجبر وبيان فسادها

المبحث الخامس   الألفاظ الخاطئة التي تنافي الإيمان بالقضاء والقدر

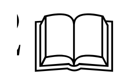
المبحث الأول   توضيح القرآن الكريم للعلاقة بين مشيئة العباد ومشيئته سبحانه وتعالى

تقدم أن المشيئة من مراتب الإيمان بالقدر التي لا يتم الإيمان بالقضاء والقدر إلا بالإيمان بها والمشيئة كما تقدم : هي الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل ما في هذا الكون فهو واقع بمشيئته سبحانه ، ومن عدل الله تعالى وحكمته في خلقه أن جعل لعباده مشيئة وقدرة وإرادة وإن كانت هذه المشيئة والقدرة والإرادة تحت مشيئته وقدرته وإرادته سبحانه لا تتخلف عنها ، لذا فسأحاول في هذا المبحث إيضاح العلاقة بينهما والاستشهاد على ذلك من القرآن الكريم .

لقد رد القرآن الكريم على من تكلم في مشيئة العباد إما بنفيها عنهم بالكلية ، أو بنسبتها لهم دون الله – تعالى – بالكلية؛ وهذه المذاهب التي غلت في ذلك إما هروباً من تبعة المعصية والاحتجاج بمشيئة الله وإما غلواً وكفراً بمشيئته تعالى وإثباتها للعبد وحده دون الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وهؤلاء الطوائف هم : المجبرة الجهمية، والمعتزلة القدرية ، فالجبرية: هم الذين سلبوا العبد مشيئته وزعموا أن العبد مجبور على جميع أفعاله ، وقد أفردت لهذا المذهب مبحثاً خاصاً أبين فيه شبهتهم وكيف رد القرآن الكريم عليهم بإذن الله تعالى.

أما القدرية المعتزلة : الذين يقولون : قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله، وقالوا : إن الله ليس له قدرة عليه بل العاصي يعصي الله ولو شاء الله أن يرده ما قدر على أن يرده، إذا أراد العبد أن يفعل معصية ، وأراد الله ألا يفعلها غلبت قدرة العبد على قدرة الله، وإذا أراد الله أن تُفعل طاعة من العبد ، والعبد أراد أن لا يفلعها غلبت قدرة العبد على قدرة الله، فهذا في زعمهم»[1].

(١) الإرشاد شرح لمعة الإعتقاد للجبرين ، ص 227.



ولو تأملنا الآيات القرآنية التي ترد على الفريقين وتثبت مشيئة الله تعالى ، ومشيئة العبد لوجدنا أن مشيئة الله مثبتة في فعله – تعالى – وفي فعل العبد ، كما أن مشيئة العبد أيضاً مثبتة، ومن هذه الآيات ما يلي :

أولاً : الآيات الدالة على فعله تعالى ومشيئته ، وهذه الآيات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾ [السجده:13] وقوله : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [هود : 118]، وقوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : 68] ، إلى آيات كثيرة تثبت المشيئة في فعله تبارك وتعالى فلا يتم الإيمان بالقدر إلا أن نؤمن بأن مشيئة الله عامة لكل موجود أو معدوم فما من معدوم إلا وقد شاء تعالى عدمه وما من موجود إلا وقد شاء الله تعالى وجوده ولا يمكن أن يقع شيء في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئة الله تعالى، وقد سبق الكلام عن هذا في الفصل الأول.

ثانياً : الآيات التي تثبت أن للعبد مشيئة ، وقدرة على الفعل والترك مثل قوله تعالى – في حق الرسول ﷺ – : ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴾ [الأحزاب : 51] .

وقوله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ﴾ [سبأ : 13] ، فهذا في الدنيا ، كما أنه اثبت مشيئة العبد وإختياره في الآخرة، قال – تعالى – : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر : 34] .

وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ [الزمر : 74] مما يدل على وجود القدرة، والمشيئـــة، والإرادة، عند العبد ولكن هذه المشيئة تدخل ضمن مشيئته تعالى فما شاء كان

وما لم يشأ لم يكن ، ومما يثبت ما للعبد من إرادة واختيار ما ورد في آيات كثيرة تثبت قدرته على الأكل والشرب والطاعة والمعصية فلو أكل وشرب وأراد ألا يسرف كما أمر بذلك لاستطاع كما في قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف : 31] ، فلو لم يكن في استطاعته لما أمر بذلك . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: 8] . فأمره بالتوبة يقتضي منه الطاعة وتحقيق الطاعة لا يكون إلا بإرادة وقدرة[1].

ثالثاً: الآيات التي تثبت مشيئته سبحانه في فعل العباد فقال الله تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29] ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام : 112] ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253]. وقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف : 56] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡ﴾ [النساء : 90] وقال : ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام : 137] فبين الله تعالى أن فعل الناس كائن بمشيئته تعالى.

فقوله تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29] أي : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ بعدما تبين الرشد من الغي ، والهدى

(١) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، العدد الثامن والأربعون ، 1421هـ، السنة الثانية عشرة ، رجب ، شعبان، رمضان، 1421هـ ، نوفمبر (تشرين الثاني) ، ديسمبر (كانون الأول) ، يناير (كانون الثاني) 2000-2001م «عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر ، ص 219، بتصرف.



من الضلال ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي : فمشيئته نافذة ، لا يمكن أن تعارض أو تمانع . وفي هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدرية النفاة ، والقدرية المجبرة»[١].

وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:29] «أي وما تشاءون الاستقامة إلا أن يشاء الله تلك المشيئة فأعلمهم سبحانه أن المشيئة في التوفيق إليه وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وتوفيقه ومثل هذا قوله سبحانه : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس : 100] وقوله : ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 111] وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: 56] والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة ..»[٢].

وقال ابن تيمية في هذه الآية : وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:29] لا يدل على أن العبد ليس بفاعل لفعله الاختياري ولا أنه ليس بقادر عليه ولا أنه ليس بمريد ، بل يدل على أنه لا يشاؤه إلا أن يشاء الله وهذه الآية رد على الطائفتين : المجبرة الجهمية والمعتزلة القدرية فإنه تعالى قال : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: 28]. فأثبت للعبد مشيئة وفعل، ثم قال : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:29] فبين أن مشيئة العبد معلقة بمشيئة الله . والأولى رد على الجبرية وهذه رد على القدرية الذين يقولون : قد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله كما يقولون : إن الله يشاء ما لا يشاءون . وإذا قالوا : المراد بالمشيئة هنا الأمر على أصلهم، والمعنى: وما يشاءون فعل ما أمر الله به إن لم يأمر الله به . قيل : سياق الآية يبين أنه ليس المراد هذا ؛ بل المراد

---

(١) تفسير السعدي (912/1).

(٢) فتح القدير للشوكاني (553/5).



وما تشاءون بعد أن أُمرتم بالفعل أن تفعلوه إلا أن يشاء الله فإنه تعالى ذكر الأمر والنهي والوعد والوعيد ثم قال بعد ذلك : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل : 19] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:29] وقوله : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ نفي لمشيئتهم في المستقبل[١].

وفي قوله تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف: 29] ، قال البيهقي : « يقول من شاء الله له الإيمان آمن ، ومن شاء له الكفر كفر » وعلى هذا قال محققه أبو العينين : « الآية فيها إثبات مشيئة للعبد ولا تخرج عن مشيئة الله عز وجل ، ولكن تفسير المصنف للآية فيه نفي لمشيئة العبد بالكلية ، إلى أن قال : ومعنى الآية التخيير على سبيل الوعيد ، والعلم عند الله»[٢].

كما أنه لا يظن من هذه الآية أن معناها التخيير بين الكفر والإيمان ، ولذا قال ابن القيم : « ومن قال إن قوله تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ إذن له في الكفر وهؤلاء أبعد الناس عن الفهم عن الله ورسوله»[٣].

ومن هذا يتبين أن الله تعالى أثبت للعبد القدرة والمشيئة ، وجعلها مرتبطة بمشيئته وقدرته تعالى ، لا تتخلف عنها ، وهو بذلك حكم ، عدل لا يظلم أحداً من عباده بإضلال من أراد الهداية والطاعة وإنما يهدي من كان أهلاً للهداية ، ويضل من كان أهلاً للضلالة ،

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (488/8).

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ، علق عليه سماحة الشيخ عبالرزاق عفيفي ، رحمه الله ، قدم له وعلق عليه فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود، حققه وعلق عليه أبو عبدالله أحمد بن إبراهيم أبو العينين ، الناشر : دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، الرياض، الطبعة الأولى ، 1320هـ - 1999م، ص 190، الحاشية.

(٣) إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية (51/3).



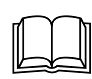
يقول الله تبارك وتعالى : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: 5] ويقول تعالى : ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة : 13] .

فبين الله – تبارك – أن أسباب إضلاله لمن ضل؛ إنما هو بسبب من العبد نفسه ، والعبد لا يدري ما قدر الله تعالى له ، لأنه لا يعلم بالقدر إلا بعد وقوع المقدور، مع سبق علم الله تعالى به قبل وقوعه.

والخير من الله تعالى لا موجب له إلا مشيئته ، وما يعوق الخير إلا ذنوب العباد، وما خرج عن قدرة العباد فهو من الله تعالى وإن كانت أفعال العباد بقدر الله تعالى، كما أنه تعالى جعل سبب النجاة هو القيام بالمأمور ، واجتناب المحظور ، فشهادة التوحيد: هي مفتاح كل خير «فالتوحيد حصن الله الأعظم، الذي من دخله كان من الآمنين قال بعض السلف من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء»(١). وترك الذنوب يغلق باب الشر، وما تركها إلا من استعظام خطرها ، وهذا هو ديدن المؤمن ، فقد روى البخاري ومسلم، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن المؤمن يرى ذنوبه، كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه. فقال بيده هكذا . ثم قال : لله أفرحُ بتوبة عبده ، من رجل نزل منـــزلاً وبه مهلكه، ومعه راحلته ، عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه ، فنام نومة فاستيقظ ، وقد ذهبت راحلته. حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله. قال : أرجع إلى مكاني، فرجع، فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده» (٢).

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (470/2).

(٢) أخرجه البخاري كتاب الدعوات باب التوبة ، برقم 5949، ج5 ، ص 2324، ومسلم كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها . رقم 2744، ج4 ص 2104.



ولهذا ينبغي للعبد أن يخشى ذنوبه ، ولا يرجو إلا الله وحده ، ومع هذا الرجاء لا يخشى من ظلم الله له ، فإن الله لا يظلم العباد ، بل العباد أنفسهم يظلمون بل يجب عليه أن يخاف من عاقبة ذنوبه التي قد يجازيه الله عليها ، ولا يرد سبب إرتكابه إلى مشيئة الله ويحتج بذلك ، وهذا معنى ما روي عن علي ﷺ أنه قال: (لا يرجون عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه). وفي الحديث المرفوع : إلى النبي ﷺ (أنه دخل على مريض فقال : كيف تجدك؟ فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي ، فقال : ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف) [1].

والله سبحانه وتعالى يشاء ، والعبد يشاء ومشيئته غير خارجة عن مشيئة الله تعالى، والله سبحانه لو علم الصدق من العبد وفقه لذلك لأن من صدق مع الله ، صدق الله معه، وقد «سئل الشافعي[2] ﷺ عن القدر فأنشأ يقول :

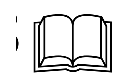
ما شئت كان وإن لم أشأ   وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت   ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت   وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد   ومنهم قبيح ومنهم حسن [3]

---

(١) رواه الترمذي (3 /311) برقم 983، وقال : هذا حديث حسن غريب وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلاً.

(٢) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد بن يزيد بن هاشم بن عبدالمطلب.. يلتقي مع الرسول في عبدالمطلب ولد في غزة سنة 150، الإمام الشافعي ، إمامة في الدين والفقه والأصول والحديث واللغة والأدب والشعر والنقد ، .. وكانت شهرته العلمية ملء الأسماع والبقاع.. انظر: صفة الصفوة، المؤلف/ عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، ج2، ص 25.

(٣) الأثر صحيح الإسناد . انظر : شرح أصول الاعتقاد للبيهقي ، ص 192.



وعلى نحو قول الشافعي ﷺ في إثبات القدر لله ووقوع أعمال العباد بمشيئة الله درج أعلام الصحابة والتابعين وإلى مثل ذلك ذهب فقهاء الأمصار»[(١)].

والإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرة عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع : فكما قدمت من أدلة ، وغيـــرها الكثير فقد قال الله تعالى في المشيئة : ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: 39] . وقال : ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223] وقال في القدرة : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: 16] وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾[البقرة : 286].

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة بهما يفعل وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي وما يقع بغير إرادته، كالارتعاش ، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته لقول الله تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29]. ولأن الكون كله ملك لله تعالى فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته[(٢)].

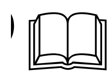
كما أن وقوع مشيئة العبد وقدرته بمشيئة الله وقدرته تدل على مدى حاجة العبد لربه؛ مما يدل على قدرته تعالى ، وهذه صفة مدح له تعالى، كما قال ابن تيمية – رحمه الله: « وأيضاً فقوله : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 29]. سيق لبيان مدح الرب والثناء عليه؛ ببيان قدرته، وبيان حاجة العباد إليه[(٣)].

---

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، المؤلف : أحمد بن الحسين البيهقي ص 192.

(٢) انظر تفسير السعدي (278/1) ، وانظر نفسير البغوي (201/3).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ، (489/8).



وفي هذا يقول ابن تيمية : « ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء ، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يضل من يشـاء، ويهدي من يشاء ، أن العباد لهم مشيئة وقدرة يفعلون بقدرتهم ومشيئتهم ما أقدرهم الله عليه...» [1].

وأما الاحتجاج بمشيئة الله تعالى على الكفر والشرك والمعاصي فقد رد عليه الله تعالى وأبطله في عدة آيات بينات واضحات، وأن هذا الاحتجاج باطل أبطله القرآن، وأبطله الواقع، فلا حجة لأحد على الله بأنه شاء له الكفر، أو أنهم لم يمنعوا من الشرك فقد أرسل الله الرسل تبين لهم وتوضح وأنزل عليهم الكتب، وأيدهم بالمعجزات التي تدل على صدقهـم، وقبل ذلك بين لهم ما يدل على وجوب توحيـده من النظـر إلى المخلوقـات، والآيات التي تدل على أنه الواحد سبحانه وتعالى ومن هذه الآيات ما يلي :

قال تعالى : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام : 148-149] .

قال ابن كثير فيها : « هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبثت بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا؛ فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان، أو يحول بيننا وبين الكفر ، فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك ..

قال الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنعام : 148] أي : بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء . وهي حجة داحضة باطلة؛ لأنها لو كانت صحيحة لما

(١) المرجع السابق ، ج8 ص 459-460.



أذاقهم الله بأسه ، ودمر عليهم، وأدال عليهم رسله الكرام ، وأذاق المشركين من أليم الانتقام.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي : بأن الله تعالى راض عنكم فبما أنتم فيه ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾أي : فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه ، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي : الوهم والخيال . والمراد بالظن هاهنا : الاعتقاد الفاسد. ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ أي : تكذبون على الله فيما ادعيتموه »[1].ورد عليهم تعالى بأن الحجة البالغة له تعالى فقال : ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ « يقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ أي : له الحكمة التامة والحجة البالغة في هداية من هدى، وإضلال من أضل، ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره ، وهو مع ذلك يرضى عن المؤمنين ويبغض الكافرين ، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: 35] ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 99] ، وقوله : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: 118-119] .. إذاً (لا حجة لأحد عصى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده) »[2].

وهذا يدل على أن الاحتجاج بمشيئة الله وقدره على المعصية نوعان :

النوع الأول : وهو باطل لا يجوز، وهو : الاحتجاج بمشيئة الله وقضائه وقدره على المعصية التي وقعت و لم يتب منها العبد أو ما زال قائماً عليها وهذا هو مذهب الجبرية، يفعلون المنكر ويحتجون بقدر الله وأن ذلك فعله بهم ومشيئته التي لا يستطيعون دفعها . وقد

---

(١) تفسير ابن كثير (357/3 ، 358).

(٢) المرجع السابق ، نفس الموضع.



احتج سارق على عمر ﷺ عندما سأله لماذا سرق؟ فقال : سرقت بقدر الله ، فقال عمر ﷺ: وأنا أقطع يدك بقدر الله.

النوع الثاني : من الاحتجاج بمشيئة الله وقضائه وقدره على المعصية ، كمحاجة موسى وآدم عليهما السلام ، وهو الاحتجاج بمشيئة الله وقضائه وقدره على المعصية التي وقعت ، وتاب منها العبد ، وندم على فعلها ، وهذا جائز مشروع والله أعلم فالاحتجاج بالقدر يكون على المصائب وليس على المعائب[١].

هذا بالنسبة لرد أفعال العباد، وما يقومون به من طاعات ومعاصي، إلى مشيئة الله تعالى فيما مضى وانتهى وأما ما كان في الوقت الحاضر، وما يقوم به العبد في الزمن المضارع؛ فقد بين ذلك القرآن الكريم في آيات كريمة منها، قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾[الكهف : 39] ، فالمراد منها «تحضيضــه على الإعتـراف بأن جنتـه وما فيها بمشيئة الله تعالى ، إن شاء أبقاها، وإن شاء أبادها»[٢].

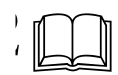
ورد الأمر المستقبل إلى مشيئة الله فهو،كقول الله تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : 24] ، «يعني : إذا عزمت على أن تفعل غدا شيئاً، فلا تقل: أفعل غدا حتى تقول: إن شاء الله »[٣].

روى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (قال سليمانُ بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة بمائة امرأة ، تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله ، فقال له الملك : قل إن شاء الله ، فلم يقل ونسي ، فأطاف بهن، و لم تلد منهن إلا امرأة نصف

(١) انظر شفاء العليل لابن القيم (18/1).

(٢) روح المعاني للألوسي (279/15).

(٣) تفسير البغوي (162/5).



إنسان، قال النبي ﷺ : لو قال إن شاء الله لم يحنث ، وكان أرجى لحاجته ، وفي رواية أخرى: (فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده، لو قال إن شاء الله؛ لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»[١].

ومن الآيات الصريحة في إثبات مشيئة العباد، وقدرتهم على الاختيار، وتحديد ما يشاءون، وهذا كله لا يخرج عن مشيئته سبحانه، وأنه بتوفيق منه أو خذلان والعياذ بالله، قوله تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : 29].

فقوله تعالى : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ أي : « لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين ، بحسب توفيق العبد ، وعدم توفيقه ، وقد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان والكفر ، والخير والشر ، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، وليس بمكره على الإيمان ، كما قال تعالى : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة : 256] وليس في قوله : ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف : 29]. الإذن في كلا الأمرين ، وإنما ذلك تهديد ووعيد لمن اختار الكفر بعد البيان التام، كما ليس فيها ترك قتال الكافرين»[٢].

وقد أشار العلماء إلى أن التوفيق للعمل الصالح من الله تعالى والخذلان والعياذ بالله كما مر معنا وأن الإنسان مهما بلغ فهو لا يزال مفتقراً إلى توفيق الله تعالى ومهما بلغ من العلم فهو يبقى قليلاً كما قال تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : 85]. ولقصور علمه قد يظن في أمر من الأمور الخير وهو عكس ذلك قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب طالب الولد للجهاد، برقم 2264، ج3ص1038، ومسلم في صحيحه ك الإيمان، باب الاستثناء، برقم 1654، ج3 ص 1275.

(٢) تفسير السعدي (475/1) ، وانظر تفسير ابن كثير (154/5) ، ومعالم التنـــزيل للبغوي (167/5).



تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء :19] فلذلك لا غنى له من توفيق الله وهدايته ، والقدوة في ذلك أنبياء الله تعالى فقد كانوا يسألون الله الهداية والتوفيق فعلى سبيل المثال نبينا شعيب عليه السلام فقد ورد على لسانه قوله تعالى : ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود : 88] (1).

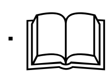
وفي هذا ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قوله تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا ﴾ [يس : 8] ، وقوله تعالى : ﴿مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ [الكهـــف : 28] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا ﴾ [يونس : 99]، ونحو ذلك من القرآن. قال : إن رسول الله ﷺ كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويبايعوه على الهدى ، فأخبر الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة في الذكر الأول ، ولا يضل إلا من سبق له من الله الشقاوة في الذكر الأول ، ثم قال لنبيه ﷺ : ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء : 3-4] (2) .

وفي عدم خروج مشيئتهم عن مشيئته تعالى ، وبيان حاجة العبد لربه على كل حال، أذكر أن : «العباد فاعلون حقيقة ولهم قدرة وإرادة والله خالقهم وخالق قدرهم وإرادهم، قال تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: 28-29]. فأثبت سبحانه لهم مشيئة ، ولكنها لا تنفذ إلا أن يشاء الله.

---

(1) القضاء والقدر ، أبو الوفاء محمد درويش ، تقديم الشيخ العلامة محمد حامد الفقي ، دار القاسم للنشر ، الطبعة الأولى ، 1416هـــ ، 1995م، ص 84 إلى ص 88.

(2) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، للبيهقي ، ص 190.

 .

ولأن للعباد قدرة ومشيئة كلفوا ، وأرسلت لهم الرسل ، وأنزلت الكتب، وبهذا يحصل البيان وتقوم الحجة ، وعلى أعمالهم يثابون ويعاقبون؛ ولهذا وجب على العبد الإيمان بقدر الله والامتثال لشرعه، وسؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم»[١].

ومن الآثار الدالة على ذلك ما ورد عن مرحوم العطار [٢] ، قال : أتاني رجل فقال : يا أبا محمد ، إن أخي هذا أراد شراء جارية من فلان، وقد أحب أن يستعين برأيك فقم معنا إليه.

فانطلقنا إليه فإذا رجل مثري، فبينا نحن عنده قلنا : جاريتك فلانة أراد هذا الرجل أن يعترضها . قال : نعم قد حضر الغداء فتغدوا وأخرجها إليكم، فقلنا : هات غداءك ، فتغدينا، ثم قال : لا يسقينكم الماء إلا من أردتم أن تعترضوه.

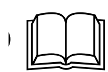
ادعوا فلانة ، قال : فجاءت جارية وضيئة فقال : لها اسقيني ، فجاءت بقدح زجاج فصبت له ماء فوضعه على راحته ثم رفعه إلى فيه . ثم قال : يا أبا محمد ، يزعم ناس أني لا أستطيع أشرب هذا. وترى ها هنا حائلاً ؟

ثم قال : فأنا لا أشربه فترى هاهنا مكرها؟! ثم قال : هي حرة إن لم أشربه.

---

(١) رسالة في أسس العقيدة المؤلف : محمد بن عوده السعوي الطبعة الأولى ، الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، تاريخ النشر : 1425هـ ، (121/1 – 122)، وانظر رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، المؤلف : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي ، الناشر : دار حراء ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى، 1410هـ ، تحقيق : أسعد محمد المغربي (42/1).

(٢) مرحوم بن عبدالعزيز أبو عبدالله العطار روى عن ثابت وأبيه وأبي عمران الجوني ومالك بن دينار روى عنه الثوري وأبو نعيم ومسدد وبشر بن عبيس وروح بن عبدالمؤمن سمعت أبي يقول ذلك نا عبدالرحمن انا عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل فيما كتب إلى قال سألت أبي عن مرحوم العطار فقال ثقة نا عبدالرحمن قال ذكره أبي عن إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين أنه قال مرحوم بن عبدالعزيز العطار ثقة (الجرح والتعديل ج 8 ص 436).



فضربت القدح بردن قميصها فوقع القدح وانكسر واهراق الماء ، فخرجت معنا مقنعة فكانت تدعى : «مولاة السنة»(١).

ومما خرجت به من هذا المبحث ما يلي :

١ -«المشيئة هي الإرادة وهي المحبة والرضى ، فكل ما وقع فإنه يحبه ويرضاه ولكن يريد ويحب ويرضى المأمور به مأموراً به دينا يثيب عليه ويريد ويحب ويرضى المنهى عنه منهيا عنه معاقباً عليه فالفرق بينها يعود إلى أنه يريد ويحب ويرضى أن ينعم هؤلاء ويعذب هؤلاء من غير فرق يعود إليه ولا يحب بعض المخلوقات ويبغض بعضاً كما لا يشاء بعضها دون بعض فعنده لا يحب بعض المخلوقات دون بعض»(٢).

٢ -«مشيئة الله لا تتعارض مع ما للإنسان من إرادة واختيار ، فالإنسان له عقل وحواس وجوارح يأكل ويشرب ويلبس ويتزوج ويتجر، ويعمل ويمارس مختلف التصرفات قولا وعملا ، وهو يؤمن ويكفر ويفسق ويتوب، ذلك أن طبيعته وعقله، يوجبان أن يكون له إرادة فإذا كانت الكائنات الأخرى كالحيوانات والطيور تتصرف بغريزتها في الحصول على طعامها وشرابها، فإن الإنسان يتصرف ويريد ويختار بفعل عقله، ولكن هذه الإرادة محكومة بمشيئة الله لأن الإنسان نفسه (بما فيه إرادته) محكوم بهذه المشيئة»(٣).

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، ج4 ، من الجزء الأول ص 468.

(٢) الكتاب : تلخيص كتاب الاستغاثة ، المؤلف : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، الناشر : مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، 1417هـ ، تحقيق : محمد علي عجال(753/2).

(٣) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، السنة الثانية عشرة ، العدد الثامن والأربعون ، 1421هـ ، ص 218-219.



« وفي كتاب الله عز وجل : ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف : 39] ، وقال لنبيه ﷺ ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف : 188] ، فنفى أن يملك العبد كسبا ينفعه أو يضره إلا بمشيئة الله وقدرته»[(١)].

٣ – أن العلاقة بين مشيئته سبحانه وتعالى وبين مشيئة العباد علاقة تبعية ، فمشيئة العباد تابعة لمشيئة الله تعالى غير منفكة عنها ، بل قد يشاء العبد شيئاً ولا يشاؤه الله تعالى، ولا يكون إلا ما شاءه سبحانه ، وذلك واضح في قول الشافعي :

ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن.

والنصوص صريحة في إثبات هذه التبعية ، قال تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: 28-29]، وقال : ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ﴾ [القصص : 68] ، وقال : ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس : 25] .

٤ – من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في إثبات هذه التبعية، إثبات الحصر، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: 29]، فنفى عنهم المشيئة ، وحصرها بعدم الوقوع إلا بعد مشيئة الله تعالى.

٥ – في كثير من الآيات ينسب الفعل للعبد وذلك لأن العبد له إرادة وشعور واختيار وعمل فبذلك صار الفعل ينسب إليه حقيقة ، وصار مؤاخذاً بالمخالفة معاقباً عليها لأنه يفعل باختيار ويدع باختيار ، مع عدم مخالفته لمشيئة الله تعالى.

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، للبيهقي ، ص192.



٦ - إذا تبين نسبة العمل للعبد حقيقة؛ فإن عليه أن يجتهد في عمل الطاعات، ويسأل الله الهداية؛ فإذا وفق لذلك علم أنه بمشيئة الله تعالى وجب عليه أن يسأل الله الثبات، وأن يرضى بالله تعالى رباً، ومن تمام رضاه بربوبية الله تعالى، أن يؤمن بقضاء الله وقدره ويعلم أنه لا فرق في هذا بين الأعمال التي يعملها وبين الأرزاق التي يسعى لها وبين الآجال التي يدافعها ، فكما يسعى لتحصيل الرزق ودفع المكروه ، يسعى لتحصيل العمل الصالح ، ودفع ما يمنعه من دخول الجنة فجميعها من قدر الله.

٧ - توفيق الله تعالى لأهل السنة والجماعة لما توسطوا به في إثبات مشيئة الله تعالى وإثبات مشيئة العبد وقدرته ، وجعلها تبعاً لمشيئة الرب سبحانه وتوسطهم في المنهج بعكس القدرية والجبرية.

٨ - بينت الآيات الكريمة عدله سبحانه فهو لم يضل إلا من كان أهلاً للضلالة، وقد اختارها لنفسه فلم يعمل بالمأمور مع قدرته عليه، وعدم منعه من ذلك، و لم يشأ سلوك طريقه، بل اختار لنفسه طريق الهلاك والغواية، وإن سبق به علم الله تعالى، ولا حجة لأحد عليه سبحانه.

٩ - أكدت الآيات الكريمة أن من تمام عدله وحكمته تعالى أن لم يكلف العباد إلا بما استطاعوه ولهم قدرة عليه ، كما في قوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : 286] . كما أن في هذه الآية وما شابهها دليل على التكليف، والتكليف لا يكون إلا على من له قدرة على العمل والقيام بما كلف به ، وإلا فلو لم يكن للإنسان قدرة لما كلف ، ولهذا لا يكلف المجنون ، ولا العاجز ، ولا المقعد ، ولا المريض، ولا

فاقد القدرة ، بل من رحمته تعالى أن رفع القلم عنهم كما في الحديث الشريف : «رفع القلم عن ثلاثة ...» (١).

وقوله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: 16] ، يعني أن للعباد استطاعة وقدرة يزاولون بها أعمالهم ، وهكذا الآيات التي فيها الأوامر والنواهي التي يوجهها الله إلى العباد : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [المزمل : 20] وقوله : ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الأنعام : 151] ونحو ذلك. وبناءً على هذه الإستطاعة والقدرة كلفوا بما أمرهم الله به وإن لم يشاءوه ، وبقدرة العبد التي أعطاه الله إياها والتي مكنه بها يحصل الثواب والعقاب على هذه القدرة.

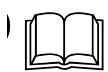
١٠ -أن إدراك العبد لضعف مشيئته أمام مشيئة الله تعالى ، وبيان عجزه عن الوصول لما يريد إلا بعون من الله تعالى يجعله دائم الإعتراف بالذنب ، والخضوع التام، وسؤال الله تعالى التوفيق والسداد.

وكانت طريقة القرآن الكريم في توضيح العلاقة بين مشيئة العباد ومشيئة الله قد قامت على ما يلي :

١ - عمدت الآيات القرآنية إلى الحديث عن مشيئة العباد فيما يرتبط بشئونهم الحياتية في مواطن كثيرة . ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ ﴾ [سبأ : 13] ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ ﴾ [الأحزاب : 51]. وهذه الطريقة من شأنها أن تمهد الطريق إلى الإقرار بمشيئة العباد واختيارهم فيما يتعلق بأمورهم العبادية من الطاعة والمعصية.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ، برقم 940، ج1 ص 116 ، قال الأرنؤوط : صحيح لغيره.



٢ - ربطت الآيات الكريمة مشيئة الله لكل شيء حتى لما يقع من العباد من طاعات ومعاصٍ بعدل الله تعالى . وذلك أنها تذكر أولاً أن الله قد أقام الحجة على العباد ، فبيَّن لهم الرشد من الغي ، ثم جعل الإنسان يختار بمشيئته في ظل مشيئة الله تعالى . وفي هذا رد لمن يزعم الجبر ، أو يزعم نفي القدر ، فالله تعالى يقول بعد أن ذكر الأمر والنهي والوعيد والوعيد : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان : 29-30] .

٣ - اهتمت الآيات بالربط بين نزول المشيئة الربانية وبين حال العباد ، وفي هذا إشارة إلى أن المشيئة الإلهية المتعلقة بالهداية والإضلال سببها أهلية العبد للهداية أو للضلال كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد : 17] . وقال في المقابل : ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف : 5] .

ومن هنا فإنه يتوجب على العباد النظر في حالهم قبل النظر في مشيئة الله تعالى.

المبحث الثاني   دعوة نصوص القرآن الكريم إلى اتخاذ الأسباب الصحيحة

المؤمن الحق هو من ينظر إلى الحياة على أنها محطات ، تستوجب منه كل محطة أن يتوقف قليلاً ، ويتدبر كيف يتعامل معها ، وكيف يمكن أن يوظفها لمصالحه المتعددة، سواء كانت دنيوية أو أخروية ، وإذا أراد شيئاً فإنه يقوم بفعل أسبابه ، فالدعاء سبب لحصول المراد، والعمل سبب للرزق ، والزواج سبب للإنجاب ، والزرع سبب لوجود الثمار، وهكذا.

والدين الإسلامي لم يأمر بالتواكل ، والركون إلى الغير ، بل أمر بالسعي ، والعمل، والقيام بأسباب الأمور، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة: 105] والمتأمل للآيات القرآنية يرى منهج القرآن الكريم في الدعوة إلى اتخاذ الأسباب الصحيحة ، والعمل بها ، والاستفادة منها لتحصيل المراد، واضحاً ، ويدرك شهادة القرآن الحقة للأمر بذلك .

والقرآن الكريم إذ ذكر إتخاذ الأسباب فقد بين أنها :

1- **أسباب كونية** : مثل إنزال الماء بالسحاب ، وإنبات الزرع بالماء كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ [الأعراف : 57] .

2- **وأسباب شرعية** : حيث جعل الله : «الإضلال والهداية بالقرآن كما قال تعالى : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ ﴾ [البقرة : 26] ، فالقرآن في ذاته خير ورحمة وهدى فقد يكون النافع ضاراً لأسباب خارجية ، ولعدم سلوك الطريقة الصحيحة للانتفاع به، فالقرآن سبب لهداية من أراد الله هدايته فيحصل له الانتفاع به ، ويكون سبباً لضلال من أراد الله إضلاله ، وشقاوته فيكذب ويعرض عنه ، وكما قال تعالى : ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة : 16]. فالطاعات والمعاصي أسباب



شرعية، والواقع منها يكون أسباباً شرعية وكونية»[١].

قال ابن القيم : « وأصل المعاصي كلها العجز فإن العبد يعجز عن أسباب أعمال الطاعات وعن الأسباب التي تبعده عن المعاصي وتحول بينه وبينها فيقع في المعاصي»[٢].

والناس في الأسباب على عدة أقسام ذكرها ابن القيم فقال : « والناس في هذا المقام أربعة أقسام : فأعجزهم : من لم يبذل السبب و لم يكثر الطلب فذاك أمهن الخلق.

والثاني : مقابلة، وهو أحزم الناس من أدلى بالأسباب التي نصبها الله تعالى مفضية إلى المطلوب وسأل سؤال من لم يدل بسبب أصلاً بل سؤال مفلس بائس ليس له حيلة ولا وسيلة.

والثالث : من استعمل الأسباب وصرف همته إليها وقصر نظره عليها فهذا وإن كان له حظ مما رتبه الله تعالى عليها لكنه منقوص منقطع نصب الآفات والمعارضات لا يحصل له إلا بعد جهد فإذا حصل فهو وشيك الزوال سريع الانتقال غير معقب له توحيداً ولا معرفة ولا كان سببا لفتح الباب بينه وبين معبوده.

الرابع : مقابله، وهو: رجل نبذ الأسباب وراء ظهره، وأقبل على الطلب والدعاء والابتهال فهذا يحمد في موضع، ويذم في موضع، ويشينه الأمر في موضع فيحمد عند كون تلك الأسباب غير مأمور بها؛ إذ فيها مضرة عليه في دينه فإذا تركها وأقبل على السؤال والابتهال والتضرع لله كان محموداً، ويذم حيث كانت الأسباب مأموراً بها، فتركها وأقبل على الدعاء كمن حصره العدو، وأمر بجهاده فترك جهاده وأقبل على الدعاء والتضرع أن

---

(١) شرح الرسالة التدمرية ، فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البارك ، إعداد سليمان الغصن ، كنوز إشبيليا، للنشر، ط 1425هـ ، 2004م، ص 494.

(٢) زاد المعاد لابن القيم (325/2) وانظر شرح الرسالة التدمرية ، للبراك ص 495.



يصرفه الله عنه ، وكمن جهده العطش وهو قادر على تناول الماء فتركه وأقبل يسأل الله تعالى أن يرويه ، وكمن أمكنه التداوي الشرعي فتركه وأقبل يسأل العافية»[١].

ومن اعتمد على الأسباب اعتماداً كلياً ، فهو شرك، ومن أعرض عنها فقد قدح في الشرع ، ومن أنكر تأثيرها أو نفاها فهذا دليل على نقص عقله إذ لا يقول به عاقل. وذلك كما قال ابن تيمية : « الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل ، والاعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ولهذا قال الله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح : 7-8] فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده، وقال : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة : 23] فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه ، فمن رجا قوته، أو عمله، أو علمه، أو صديقه، أو قرابته، أو شيخه، أو ملكه، أو ماله غير ناظر إلى الله؛ كان فيه نوع توكل على ذلك السبب ، وما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج : 51] [٢].

ومنهج القرآن الكريم وما أمر به بالنسبة للأسباب ، من الأمر باتخاذ الأسباب الصحيحة، كل سبب مع ما يناسبه من المواقف ، واضح من النصوص الواردة التي تدعو إلى ذلك ، وأذكر منها ما يلي :

---

(١) بدائع الفوائد ، ابن القيم الجوزية (698/3) ، وانظر اللؤلؤ الوفاد في فتاوى الاعتقاد ، لابن تيمية، ص 508، وانظر شرح الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ، شرح فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك ، إعداد سليمان بن صالح الغصن، كنوز إشبيليا ، للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1425هـ - 2004، ص 495، ومقرر العقيدة ، محمد عوده السعوي ، كنوز إشبيليا، ط 1، 1423هـ، ص 225، وما بعدها .

(٢) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، (234/5).



1- في الحذر ، وقتال العدو ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ [النساء: 71] « يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين . وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب ، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم ، من استعمال الحصون والخنادق ، وتعلم الرمي والركوب ، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك ، وما به يعرف مداخلهم ، ومخارجهم ، ومكرهم ، والنفير في سبيل الله »[١].

وقال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال : 60] ، «أمر الله سبحانه بإعداد القوة للأعداء والقوة كل ما يتقوى به في الحرب»[٢].

« والاعتقاد بقدر الله ، والتوكل الكامل على الله ، لا ينفيان اتخاذ العدة بما في الطوق.

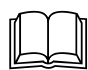
فلذلك أمر الله الصريح : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ وما يتكل على الله حق الإتكال من لا ينفذ أمر الله ، ومن لا يأخذ بالأسباب ، ومن لا يدرك سنة الله الجارية التي لا تحابي أحداً ، ولا تراعي خاطر إنسان!

على أن المؤمن أمره كله خير . سواء نال النصر أو نال الشهادة . والكافر أمره كله شر سواء أصابه عذاب الله المباشر أو على أيدي المؤمنين»[٣].

2- وفي مشروعية طلب الرزق قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة : 10] ومن معانيها طلب

---

(١) تفسير السعدي (186/1).
(٢) فتح القدير للشوكاني (466/2).
(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (37/4).



الرزق وهذا أمر إباحة [(1)] . وقال تعالى : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [الأنفال: 69] .

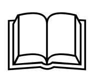
وقوله تعالى : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم : 25-26] «فتخيل حال امرأة ضعيفة فهي في أقوى حالاتها اضعف من الرجل ، وفي حال النفاس أضعف ما تكون المرأة ، والنخلة شجرة قوية ، جذعها قوي، ولكن الله قال : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ ولكن بالسبب الضعيف جعل النتيجة ، كان من الممكن أن يسقط التمر بلا هز ، وماذا يعني الهز من امرأة ضعيفة على شجرة قوية ؟ ولكن ليعلم العباد الأخذ بما أمكن من الأسباب»[(2)].

وقال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك : 15] ، وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : 77] . « وهذا نفس المعنى الذي أشار إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حين قال للكسالى القابعين في المسجد ينتظرون الرزق : لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول : « اللهم ارزقني» وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، وإن الله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: 10].

---

(١) تفسير البغوي (123/8).

(٢) سلسلة أعمال القلوب ، فضيلة الشيخ / محمد صالح المنجد، الناشر : دار الفجر للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1426هـ - 2005م ، ص 222.



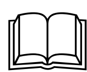
نعم ، لا بد من بذل الجهد لأن الأخذ بالأسباب والكدح للحصول على ما يرغب الإنسان في تحقيقه هو ذاته من سنن الله تعالى »(١) .

3- وفي الأمر بالعمل الصالح ، والتقوى قال تعالى : ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة : 197] ، وقال تعالى : ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[الحديد : 7] ، وكذلك الأعمال الصالحة سبب لثواب الله لنا ، وإذا توسلنا بدعائهم - أي الصالحين - وأعمالنا كنا متوسيلن إليه تعالى بوسيلة ، كما قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة : 35] ، والوسيلة هي الأعمال الصالحة ، وقال تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[الإسراء : 57] (٢)، ونحوها من الأمور التي يفعلها العبد وفي نفس الوقت هي أسباب لرضا الله تعالى ، ودخول الجنة.

والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة : 58]. وقوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة : 59] .

(١) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ، أنواعه ، شروطه ، أسبابه ، مراحله وأهدافه ، المؤلف : علي محمد محمد الصلابي ، مؤسسة إقرأ ، القاهرة ، ط1 ، 1427هـ -2006م، ص 221.

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لابن تيمية ، ضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري ، الناشر : المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1423هـ ، 2003م، ص 149.



ذكر ابن عثيمين رحمه الله أن من فوائد هذه الآية، قال : «ومنها : إثبات الأسباب، وتأثيرها في مسبباتها ؛ لقوله تعالى : ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[١].

ومثلها قوله تعالى : ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة : 24]، وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[السجده : 17] أي بسبب عملكم، والصبر على البلاء مثلاً من الأسباب التي يتقوى بها على المصائب والشدائد كما قال تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل : 127] « أي أن الله أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله والاستعانة بالله على ذلك وعدم الإتكال على النفس فقال : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ هو الذي يعينك عليه ويثبتك»[٢].

وقال تعالى : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم:65].

ولأن الدعاء سبب مأمور به ، في الكتاب والسنة فقد قال تعالى : ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر : 60] . فجعل سبب الإستجابة ، وحصول المرغوب ، هو الدعاء، وقال : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل : 62] ، أي : « من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه»[٣].

وقال تعالى : ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف : 56] « فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة من غير قطع الرجاء فهو

---

(١) تفسير العلامة محمد العثيمين ، المؤلف : محمد بن صالح العثيمين، الناشر : دار الثريا للنشر والتوزيع ، الرياض، الطبعة الأولى ، 1425هـ - 2004م، (145/3).

(٢) تفسير السعدي (452/1).

(٣) تفسير ابن كثير (203/6).



قريب من الإجابة ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له »[١] ، وقال الرسول ﷺ : (لا يرد القدر إلا الدعاء) [٢]. وروى النسائي وابن ماجة ، من حديث سفيان ، يقول عــز وجل : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل : 62] ، أي : « المضطر المكروب المجهود»[٣].

وقال وهب بن منبه : « قرأت في الكتاب الأول : إن الله يقول : بعزتي إنه من اعتصم بي؛ فإن كادته السموات ومن فيهن، والأرض بمن فيها ، فإني أجعل له من بين ذلك مخرجاً ، ومن لم يعتصم بي فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض ، فأجعله في الهواء، فأكله إلى نفسه»[٤].

وما أحسن ما قاله الشاعر :

وإني لأدعو الله والأمر ضيق	علي فما ينفك أن يتفرجا
ورب فتى ضاقت عليه وجوهه	أصاب له في دعوة الله مخرجاً [٥]

ومن الأسباب ايضاً المأمور بالعمل بها : المشورة ، فقد قال تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : 38] أي : « أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى أعمال الفكر

---

(١) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1408هـ (392/1).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ، برقم 2139، ج4 ، ص 448، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وقال الألباني: حديث حسن .

(٣) تفسير البغوي ص (173/6).

(٤) تفسير ابن كثير (204/6).

(٥) لا تحزن ، تأليف عائض بن عبدالله القرني ، الناشر : مكتبة الصحابة ، ط 2 ، 1423هـ - 2002م، ص382.



والرأي فيها ، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها ، حتى إذا تبينت لهم المصلحة ، انتهزوها وبادروها» [(١)].

ومن فوائد الشورى، أنها : « ألفة للجماعة ومسبار للعقول، وسبب إلى الصواب ، وما تشاور قوم قط إلا هدوا»[(٢)].

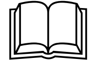
والمشورة مطلوبة ، وخاصة لولي أمر المسلمين إذ «لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ فقال تعالى : ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران : 159]. وقد قيل : إن الله أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه وليقتدي به من بعده، ليستخرج منهم الرأي فيما لم ينـــزل فيه وحي من أمر الحروب، والأمور الجزئية، وغير ذلك فغيره ﷺ أولى بالمشورة.

وقد أثنى الله على المؤمنين بذلك في قوله : ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ (٣٧) وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى : 36-38] ، وإذا استشارهم، فإن بين له بعضهم ما يجب اتباعه من كتاب الله أو سنة رسوله، أو إجماع المسلمين فعليه اتباع ذلك ولا طاعة لأحد في خلاف ذلك، وإن كان عظيماً في الدين والدنيا، قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء : 59] .

---

(١) تفسير السعدي (759/1).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (617/4).



وإن كان أمراً قد تنازع فيه المسلمون فينبغي أن يستخرج من كل منهم رأيه ووجه رأيه فأي الآراء كان أشـــبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به ، كما قال تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: 59] »[١]. وتتنوع الأسباب بتنوع الأحوال ، والحاجات. «ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع»[٢].

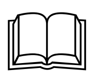
وبهذه الأدلة التي تثبت وجود الأسباب وتأثيرها ، وأنه لا بد من وجود السبب وضرورة وجوده من السنن الكونية التي يحصل بها المقدر ، والمكتوب ، وأن نتيجة وجود السبب تختلف عن نتيجة عدمه ، وقد ذكر ذلك ابن القيم، فقال : « ضرورة وجود السبب من السنن الكونية التي خلق الله بها الكون ، سواء فيما يتعلق بالدين ، أو ما يتعلق بالدنيا ، وذلك بالنظر في أن الله سبحانه جعل الإسلام سبباً لنفع المسلمين بعضهم بعضا في الحياة وبعد الموت فإذا لم يأت بسبب انتفاعه بعمل المسلمين لم يحصل له ذلك النفع كما قال النبي لعمرو: (إن أباك لو كان أقر بالتوحيد فصمت أو تصدقت عنه نفعه ذلك وهذا كما جعل سبحانه الإسلام سبباً لانتفاع العبد مما عمل من خير فإذا فاته هذا السبب لم ينفعه خير عمله و لم يقبل منه كما جعل الإخلاص والمتابعة سبباً لقبول الأعمال فإذا فقد لم تقبل الأعمال وكما جعل الوضوء وسائر شروط الصلاة سبباً لصحتها فإذا فقدت فقدت الصحة وهذا شأن سائر الأسباب مع مسبباتها الشرعية والعقلية والحسية فمن سوى بين حالين وجود السبب، وعدمه، فهو مبطل»[٣].

---

(١) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، المؤلف : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني ، الناشر : دار المعرفة، (213/1) .

(٢) مقال : مناهج البحث عند مفكري الإسلام لعلي سامي النشار 124، نقلاً من مجلة البيان ، المنتدى الإسلامي، العدد الثالث ، ص 29.

(٣) الروح لابن القيم ، (135/1).



وقد جاءت السنة بما يثبت الأمر بفعل السبب ، وأن ذلك لا يخالف القدر ولا يتعارض مع الإيمان به ، مثل : ما ورد في صحيح مسلم وغيره ، عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا ، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ...الحديث) [١].

فهو القادر سبحانه على إطعامهم من غير سؤال ، وكسوتهم من غير سؤال ، وهدايتهم من غير سؤال ، ولكنه تعالى يوجه الأمة إلى أهمية فعل السبب، وأن هذا هو المنهج الصحيح، أن يبذل العبد السبب معتمداً في ذلك على الله ومتوكلاً عليه سبحانه ، مع اعتقاده بأن الله تعالى هو مسبب الأسباب ، إن شاء أثرت، وإن لم يشأ لم تؤثر سبحانه». فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يشاء بأوليائه وأعدائه، وجعلها أسباباً لإرادته، كما جعلها أسباباً لوقوع مراده، فمنه السبب والمسبب، وإذا أشكل عليك فانظر إلى الأسباب الموجبة لمحبته وغضبه فهو يحب، ويرضى ويغضب والكل منه وإليه وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد»[٢].

وكان أصحاب رسول الله ﷺ من أحرص العباد على العمل ، ولما قال النبي ﷺ : (ما منكم من أحد ، وما من نفس منفوسة : إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا كتبت شقية، أو سعيدة ، قال رجل : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا ، وندع العمل ؟ قال:

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ، برقم 2577، ج4 ، ص1994، وانظر الأسماء والصفات للبيهقي ج1ص534.

(٢) فيض القدير ، محمد عبدالرؤوف المناوي (502/2).



اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له ، وقرأ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل : 5-10] (1) .

« قال ابن حجر – رحمه الله – : «وفي الحديث إشارة إلى أن المآل محجوب عن المكلف، فعليه أن يجتهد في عمل ما أمر به، فإن عمله امارة إلى ما يؤول إليه أمره غالباً، وإن كان بعضهم قد يختم له بغير ذلك » (2). واتخاذ الأسباب والحرص عليها ، وضرورة إختيار السبب المناسب في الوقت المناسب، من صفات المؤمن بقضاء الله تعالى وقدره ، وحديث الرسول ﷺ: «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»(3). يشتمل على صفات من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها المؤمن بالقضاء والقدر، بل هي علامة عليه ، فالحرص مثلاً، وبذل الجهد واستفراغ الوسع وعدم الكسل والتواني في العمل ، وتخصيص الحرص بما ينفع؛ لأن ذلك عبادة لله تعالى ، ومع كل ذلك فيجب عليه أن يستعين بالله تعالى فلا يتم إلا ما أتمه ، وأعان عليه ، ويسره سبحانه ، والبعد عن العجز لمنافاته للحرص والإستعانة ، كل هذه الصفات والأمور، إن قام بها العبد فحصل على مراده فيحمد الله ، وإن لم يحصل، فعليه أن يعلق نظره بالله وقدره ويطمئن إلى مشيئة الله النافذة وقدرته، وأن الله سبحانه أعلم بما فيه خير وصلاح له ، لا يقضي إلا بما فيه خير ، وإن ظهر للعبد أنه غير ذلك .

وقد كان الرسول ﷺ يربي صحابته على اتخاذ الأسباب في سائر شؤون الحياة، مع ضرورة التوكل ومن ذلك مثلاً : أمره بإيكاء السقاء وإطفاء النار قبل النوم والتحصن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، برقم2647، ج4 ص2039.

(٢) فتح الباري ، ابن حجر ، 493/11.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، برقم 2664، ج4ص 2052.



بالأذكار وما إلى ذلك ، مما يعلم العبد الحرص ، والاعتماد على النفس بعد التوكل على الله، وأن كل شيء بأمره تعالى .

ومن هنا يتبين أن الوقوف مع الأسباب نوعان :

الأول : الوقوف المأمور به ، وهو كما تقدم من العمل بالأسباب، كما أمر الله ورسوله ﷺ ، فيعمل بها معتقداً تأثيرها بإذن الله تعالى ، وأنه لو لم يشاء سبحانه أن تؤثر فإنها لن تؤثر ، فلا يتعدى حدودها ، ولا يقصر في العمل بها ، بل عليه مراعاة حدوده، وأوقاتها ، وشروطها ، وهذا الوقوف هو الذي لا تتم العبودية إلا به .

الثاني : الوقوف مع الأسباب ، مع الاعتقاد أنها الفاعلة المؤثرة بنفسها وأنها تنفع، وتضر بذاتها ، وهذا يخالف الصواب ، ولا يعتقده موحد.

والأصل أن الأسباب وسيلة توصل إلى الغاية ، يقوم بها المسلم معتقداً أنها موصلة إلى غايته ومراده ، فهي كالطريق الحسي الذي يقطعه المسافر إلى مقصده، فإن قيل له: ارفض الطريق ولا تلتفت إليها انقطع عن المسير بالكلية، وإن جعلها غايته، و لم يقصد بالسير فيها وصوله إلى مقصد معين كان معرضاً عن الغاية مشتغلاً بالطريق، وإن قيل له التفت إلى طريقك ومنازل سيرك وراعها وسر فيها ناظراً إلى المقصود عاملاً على الوصول إليه، فهذا هو الحق[1] .

وقد خرجت من هذا المبحث بما يلي :

1- أن المنهج الصحيح هو اتخاذ الأسباب مع الاحتياطات ، ثم التوكل على الله تعالى والثقة المطلقة به والاطمئنان لنصره ، وعدم الاتكال على الأسباب ذاتها ، فالعبد ، مستخلف في ملك الله تعالى ، وهو مطالب بالعمل والإنفاق ، وطلب الرزق ، ليصل إلى ما قدره من الأرزاق ، سواء في الدنيا من مال ونحوه ، أو في الآخرة من ثواب ، ومغفرة ، ثم نعيم ،

---

(١) انظر مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، (478/3) ،(479/3).



وجنة ، قال تعالى : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[الحديد : 7] .

2- أن في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة ، 286]. دليل على أن «اتخاذ الأسباب لجلب ما ينفع ودفع ما يضر في سائر أمور الدنيا والآخرة ، مع التوكل على الله ، وسؤاله التوفيق والتيسير في تحقيق المرغوب ، ودفع المكروه ، هو المنهج الصحيح كما ذكرنا ، وإذا نفعت الأسباب حمد الله وشكره ، وإذا لم تنفع اطمأن لأنه بذل ما يقدر عليه ، وصبر واحتسب الأجر وسأل الله العوض»[1].

3- أن الله تعالى خلق ما في الكون بأسباب تؤدي إلى نتائج ، وهذه الأسباب سواء تبعتها نتيجتها أم لم تتبعها فلا يؤثر ذلك في عقيدة المؤمن بالقضاء والقدر ، بل هو دليل على حكمته تعالى ، وقدرته ، وانتظام خلقه ، فلا يمكن أن تكون الثمرة إلا بوجود الشجرة ، ولا يوجد الولد إلا بوجود السبب من أم وأب ، وهكذا لا تكون النتيجة إلا إذا وجد السبب، فإن خالف ذلك في شيء ، فهو القدير على كل شيء ، فقد خلق عيسى من غير أب، وأوجد آدم من غير أب ولا أم سبحانه ، كل هذا دليل على حكمته ، وقدرته.

4- ونتيجة لذلك فإن ضرورة وجود السبب من السنن الكونية التي خلق الله بها الكون، سواء فيما يتعلق بالدين ، أو ما يتعلق بالدنيا كما تقدم معنا من كلام ابن القيم.

5- المتأمل في الآيات التي تدل على أن الله تعالى هو الذي خلق ، ورزق ، وهو الذي يصرف الأمور ، مثل قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[الواقعة: 64] ، وقال أيضاً : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا

---

(١) انظر رسالة في أسس العقيدة ، المؤلف : محمد بن عودة السعوي ، ط 1 ، الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، تاريخ النشر : 1425هـ، بتصرف يسير .



حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس: 24-32] . فإثباته الفعل لنفسه تعالى ، يرجع بالمتأمل إلى أن يتفكر في تعلقها بمراتب القدر الأربعة ، فهو سبحانه الذي علم حصول ذلك فقدره ، وهو الذي كتبه، وشاءه، وخلقه ، ومع ذلك فهو في آيات أخر يأمر الخلق بفعل الأسباب التي خلقها، وأرادها تعالى ، وينسب الفعل للبشر فيقول : ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ [يوسف : 47] فإثبات الفعل لنفسه تعالى يوحي بحاجة العبد إليه وضرورة التوكل عليه ، وإثباته للعبد يوحي بأن العبد مكلف ، مسؤول عما يفعل، وهذا التنوع في الآيات الكريمة يدل على قدرة الحكيم سبحانه.

6- كي تسير الحياة كما يجب أن تكون فيجب أن يهتم بالأسباب ، ولا تهمل من قبل الخلق، فهم مستخلفون في ملك الله تعالى ، وهم مطالبون بالعمل والإنفاق ، وطلب الرزق، ليصلوا إلى ما قدره من الأرزاق ، سواء في الدنيا من مال ونحوه ، أو في الآخرة من ثواب ، ومغفرة ، ثم نعيم ، وجنة قال تعالى : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد : 7].

7- أن من اعتقد أن الأخذ بالأسباب متجرداً عن التوكل والإعتماد على الله تعالى، واعتمد على الأسباب وحدها معتقداً نفعها بذاتها ، فقد أخطأ في ذلك ، بل هو من الشرك والعياذ بالله كما قرر ذلك ابن تيمية فقال : « الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون اسباباً نقص في العقل ، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع»[1].

---

(١) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية (223/5).



8- «أن من لم يأخذ بالأسباب فهو آثم ، ومن لم يتوكل على الله فهو آثم ، ومن أنكر التوكل على الله سبحانه فهو كافر»[1] والعياذ بالله.

9- أن في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : 165-167] وقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : 56-57] دليل على خطورة الشرك وإتخاذ الند مع الله سبحانه وتعالى ، وأن الشريك الذي يعبد من دون الله ، والأسباب التي يعتمد عليها دون الله تنقطع ، وتتخلى عنه يوم القيامة نسأل الله العافية، « ولهذا يذكر الله الأسباب ، ويأمر بأن لا يعتمد عليها ، ولا يرجى إلا الله ، قال تعالى لما أنزل الملائكة : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: 126]. وقال : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : 160] »[2]. مما سأبينه إن شاء الله تعالى في المبحث القادم ، كما أن في هذا تذكير القرآن الكريم للعباد بضرورة التنبه من الوقوع في ما وقع فيه السابقون من اتخاذ الأسباب الشركية ونحوها .

---

(١) مسألة القضاء والقدر ، عبدالحميد قنبس وخالد العك، ص 136.

(٢) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية (234/5).



10- أن من الأسباب الصحيحة التي أمر الله تعالى بإتخاذها العمل، فقد قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [التوبة: 105] ، وكذلك الصبر، فقد قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : 127] ، والتقوى ، والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍ ﴾ [الحشر: 18] وغيرها كثير ، فالأسباب تتنوع بقدر تنوع الحاجات .

11- في آيات القرآن الكريم ، كثيراً ما يورد الباء السببية وذلك لإثبات أن من سنن الله الكونية أن ما من شيء يتحقق إلا بوجود سببه سواء في أمور الدنيا، أو ما يجازي به الله عباده في الآخرة بسبب أعمالهم قال تعالى : ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : 24] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [السجدة : 17].

12- أن أغلب الآيات القرآنية التي تأمر باتخاذ الأسباب ، تبدأ بالفعل مثل : (اعملوا) و (اعبده) ، (اصطبر) ، (أعدوا) ، (خذوا حذركم) ، فتعبيره بالأمر يدل على وجوب اتخاذ ما يناسب من الأسباب .

13- تنوع الأسباب التي وردت في الآيات القرآنية بين أسباب دنيوية ، وأسباب أخروية، يدل على أن العبد المؤمن بالقضاء والقدر ، لا يهمل ما بسببه قوام دينه، ولا ما بسببه قوام دنياه ، كما ورد في الأثر : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) [1].

---

(١) انظر التكليف في ضوء القضاء والقدر ، ص 189.



وقد قامت طريقة القرآن في الدعوة إلى اتخاذ الأسباب، على ما يلي :

1- التعبير بالمحسوس واضح من الآيات القرآنية ، حتى يربط بين ما هو مألوف للإنسان في حياته اليومية ، وأن كل سبب لا بد له من مسبب ، وبين ما يجب عليه أن يتخذه من أسباب النصر سواء على النفس ، أو الشيطان ، أو الـــــعدو ، وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[الواقعة : 64] .وقال أيضاً : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [عبس : 24-32] ، فمع أنه أثبت الفعل في ذلك إليه تعالى كما سبق ، إلا أن هذا من المألوف ، والمعروف للخلق.

2- اتخذ القرآن الكريم منهج القصص في توضيح أثر الأسباب ، وما تؤدي إليه كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[البقرة : 58-59] فالآية تدل على أمرهم باتخاذ الأسباب من الدخول في حالة السجود ، والإستغفار ، ونحوه من أسباب النجاة ، ولقيامهم بأسباب الغضب ، والعذاب ، وعدم اتباعهم ما أمروا به سبب ذلك لهم العذاب بسبب فسقهم ، وقد صاغها تعالى في قصة من القصص التي دائماً ما تتكرر في القرآن الكريم ، بل هي من أبرز الطرق التي اعتمدها القرآن.

3- صرفت الآيات الإنسان عن التفكر في المجهول وهو القدر ، إلى الاهتمام بالمعلوم وهو العمل ، ومن الآيات الواردة في القرآن الكريم آية عظيمة جداً في سورة الليل ، لما قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الليل : 5- 6] جاءت بعدها ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ



لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل : 7]. بدأ بالعمل أولاً ، ثم النتيجة تابعة للعمل ، ففيها الرد الواضح وإثبات أثر الأسباب ، وأنه لا احتجاج بالقدر على المعاصي .

4- اتخذت الآيات طريقة الأمر المباشر باتخاذ الأسباب في أمور الدين، وفي أمور الدنيا كما قال تعالى : ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ ، وقال : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ ﴾.



المبحث الثالث تحذير نصوص القرآن الكريم من الاعتماد على الأسباب وحدها، وإيجابية الجمع بين اتخاذ السبب والتوكل على الله

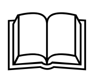
لقد أثبت القرآن الكريم الأسباب بل وحث على القيام بها ، وأمر العبد بالسعي في الأرض، والعمل ، والجد ، لتحصيل المراد وذلك كما تقدم في المبحث السابق ، وفي هذا المبحث سأركز بإذن الله تعالى على إيجابية الجمع بين اتخاذ الأسباب الصحيحة ، وأن التوكل هو أساس النجاح ، إذ لا يجوز للإنسان أن يعتمد على السبب ويظن أنه هو المؤثر ، وهو الذي يتحصل به ما يطلبه ، وإنما يفعل السبب لأن الله جعله سبباً ، ولو شاء جلَّ وعلا لعطَّله ، و لم يأتِ الأثر الذي يترتب عليه إلا بمشيئته سبحانه.

والمقصود أن الإنسان يفعل السبب الشرعي الذي أمره الشرع به ، ويعتمد على الله جل وعلا في حصول المطلوب ، وكثيراً ما يتخلف المسبب عن سببه إذا أراد الله جلَّ وعلا ذلك . والاعتماد على الله تعالى في حصول المطلوب هو التوكل المطلوب ، والتوكل هو : «الاعتماد على الله تعالى في كل أمر يرضاه سبحانه ، ومن مستلزمات هذا الاعتماد أن يرى المتوكل على ربه أن قواه التي متعه الله تعالى بها عاجزة عن تحقيق ما يصبو إليه من الخير إذا لم يعنه الله تعالى على ذلك»[1] ، وعلى هذا فهو : « الاعتماد ، والتفويض»[2].

وقد عرفه ابن القيم بقوله : « هو حال للقلب ينشأ عن معرفة بالله تعالى ، والإيمان بتفرده بالخلق ، والتدبير والضر والنفع ، والعطاء والمنع ، وأنه ما شاء كان — وإن لم يشأ الناس -، وما لم يشأ لم يكن — وإن شاءه الناس - فيوجب له هذا اعتماداً عليه، وتفويضاً

(١) مسألة القضاء والقدر لعبد الحميد قنبس ، وخالد العك ، ص 133.

(٢) التوحيد بين السائل والمجيب ، د. إبراهيم بن صالح الخضيري ، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالشفاء ، ط1، 1421هـ - 2000م، ص 80.



إليه، وطمأنينة به ، وثقة به ، ويقيناً بكفايته لما توكل عليه فيه ، وأنه مليٌ به، ولا يكون إلا بمشيئته ، شاءه الناس أم أبوه.

فشبه حالته حالة الطفل مع أبويه فيما ينويه من رغبة ورهبة هما مليان بهما ، فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه ، وحبسه همه على إنزال ما ينويه بهما ، فهذه حال المتوكل ، ومن كان هكذا مع الله ، فالله كافيه ولا بد ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق : 3] (١) .

وقال ابن عثيمين رحمه الله التوكل هو : «صدق الاعتماد على الله عز وجل في جلب المنافع ودفع المضار مع فعل الأسباب التي أمر الله بها ..» (٢).

وكما أمرنا الله تعالى : « بفعل الأسباب الحسية وجعلها من القدر، فكذلك أمرنا بالأفعال المعنوية وجعلها من القدر ، فنحن مأمورون مثلاً بأن نتكسب ونطلب الرزق ، ويكون هذا بقدر كما قال النبي ﷺ : (لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً) (٣) «فكما أن الطير لا تجلس في وكناها ، ولا في أوكارها بل تغدو وتذهب وتطلب الرزق حتى تجده ، فالإنسان يسعى ويفعل الأسباب ويكسب ، ويطلب الرزق ، ويمشي في الأسواق، ...» (٤).

فكما يفعل هذه الأمور الحسية فكذلك التوكل من الأمور المعنوية التي يجب على الإنسان العمل بها ، والآيات التي تنص على وجوب التوكل، وأن التوكل هو من الأسباب التي أمر العبد باتخاذها كثيرة منها ما يلي :

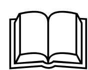
---

(١) مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ج 1ص 71.

(٢) سلسلة أعمال القلوب ، للمنجد ، ص 214.

(٣) رواه الترمذي ، برقم (2344) ج 4 ص 573، وقال : هذا حديث حسن صحيح.

(٤) الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، للجبرين ، ص 230.



قال تعالى : ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران : 160] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب : 48].

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان : 58].

وقال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء : 217] .

فهذه الآيات نص في وجوب التوكل على الله تعالى ، وقدوتنا في ذلك الأنبياء عليهم السلام . قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام : ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : 67] .

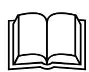
«فالمسلم لا يرى التوكل على الله في جميع أعماله وأموره واجباً فقط ، بل يراه فريضة دينية ، ليس متعلقاً فقط بالأمور الدينية بل بالأمور الدنيوية، وليس بالأمور الدنيوية وطلب الرزق فقط بل بعبادة الله سبحانه وتعالى فهو عقيدة ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : 23] ، ولهذا كان التوكل على الله عز وجل نصف الدين، بل هو الواجب ، لأنه أصل من أصول الإيمان»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « فإن التوكل على الله واجب من أعظم الواجبات كما أن الإخلاص لله واجب وقد أمر بالتوكل في غير آية أعظم مما أمر بالوضوء وغسل الجنابة ، ونهى عن التوكل على غيره سبحانه»(٢).

---

(١) سلسلة أعمال القلوب ، فضيلة الشيخ ، محمد صالح المنجد ، ص 201.

(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، (16/7).



ومسألة الأخذ بالأسباب والمسببات هي مسألة أخرى غير مسألة التوكل ، وأدلتها غير أدلة التوكل ، ولا يصح أن تقيد بها أداة التوكل، فكما يجب على العباد أن يأخذوا بالأسباب والمسببات ، كذلك يجب عليهم أن يتوكلوا على الله سبحانه ، فمن لم يأخذ بالأسباب أثم ، ومن لم يتوكل على الله أثم ، ومن أنكر التوكل فهو كافر [1] ، ولهذا تظهر إيجابية وأهمية الجمع بين التوكل ، والأخذ بالأسباب ، فلو أمعنا التأمل في قوله تعالى: على لسان يعقوب عليه السلام : ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف: 67] .

لأدركنا أن أبوهم أمرهم بأخذ الأسباب أولاً من التفرق ، وعدم الدخول من باب واحد، ثم نبههم إلى مسألة مهمة أنه لا يغني حذر من قدر ، وأن هذا مجرد عمل بالأسباب في قوله : ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ ﴾ [يوسف: 67] ، فمع إعترافه عليه السلام أنه لا يملك لهم نفعً ولا ضرا فقد نبههم إلى ضرورة التوكل على الله تعالى وأن هذا هو دأب الصالحين ، المؤمنين ، فقال : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : 67].

وذلك كما ذكره المفسرون أي : « وذلك أنه خاف عليهم العين، لكثرتهم وبهاء منظرهم ، لكونهم أبناء رجل واحد ، وهذا سبب ».

(وَ) إلا فـــ ﴿ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ فالمقدر لا بد أن يكون ، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ أي : القضاء قضاءه ، والأمر أمره ، فما قضـــــاه وحكم به لا بد أن يقع،

---

(١) انظر مسألة القضاء والقدر لقنبس ، والعك ، ص 135.



﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾ أي : اعتمدت على الله، لا على ما وصيتكم به من السبب ، ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ فإن بالتوكل يحصل كل مطلوب ، ويندفع كل مرهوب»[(١)].

ومن الأمثلة أيضاً التي تثبت دعوة النصوص القرآنية إلى الجمع بين التوكل والعمل بالأسباب : قوله تعالى : ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران : 159] . أي : إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[(٢)] .

ولو لم يكن للتوكل فائدة ، ولو لم يكن الله تعالى هو المخصوص وحده بهذه العبادة، التي لا يجوز إشراك معه غيره فيها لما أمره تعالى بالتوكل ، ولما خص نفسه سبحانه بالإلتجاء إليه والتوكل عليه.

قال ابن تيمية: « فأمره إذا عزم أن يتوكل على الله فلو كان المتوكل لا يعينه على مثل ما عزم عليه لم يكن به عند العزم فائدة يبين سبحانه أنه هو الناصر دون غيره فقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون فنهى عن التوكل على غيره وأمر بالتوكل عليه ليحصل للمتوكل عليه النصر الذي لا يقدر عليه غيره»[(٣)].

والتوكل على الله تعالى بعد بذل الأسباب ، له فضل عظيم، وأثر واضح ، وهو دليل على زيادة الإيمان به تعالى ، وهذا كان واضحاً في حكاية القرآن الكريم عن الأنبياء عليهم السلام في أنهم مع اعتمادهم على الله تعالى ، وتوكلهم عليه فإنه لا يضيرهم ما حيك لهم من الحوائك ، وما سيفعل بهم أعدائهم إذ اعتمادهم على من بيده ملكوت السموات والأرض، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى في قصة نوح عليه السلام حيث قال : ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ

---

(١) تفسير السعدي (401/1) ، وانظر فتح القدير للشوكاني (58/3)، وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/4).

(٢) تفسير ابن كثير (150/2).

(٣) رسالة في تحقيق التوكل (94/1، 95).



إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: 71] .

« أي : إن كان مقامي عندكم ، وتذكيري إياكم ما ينفعكم ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ الأدلة الواضحة البينة ، قد شق عليكم وعظم لديكم ، وأردتم أن تنالوا بسوء أو تردوا الحق. ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ أي : اعتمدت على الله ، في دفع كل شر يراد بي ، وبما ادعوا إليه ، فهذا جندي ، وعدتي . وأنتم ، فأتوا بما قدرتم عليه ، من أنواع العَدَدَ والعُدَدَ.

﴿ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ ﴾ كلكم، بحيث لا يتخلف منكم أحد، ولا تدخروا من مجهودكم شيئاً.

(وَ) أحضروا ﴿ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ الذي كنتم تعبدونهم ، وتوالونهم من دون الله رب العالمين.

﴿ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ أي : مشتبهاً خفياً ، بل ليكن ذلك ظاهراً علانية.

﴿ ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ ﴾ أي : اقضوا علي بالعقوبة والسوء ، الذي في إمكانكم ، ﴿ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ أي : لا تمهلوني ساعة من نهار ، فهذا برهان قاطع ، وآية عظيمة على صحة رسالته ، وصدق ما جاء به ، حيث كان وحده لا عشيرة تحميه ، ولا جنود تؤويه»[1].

---

(١) تفسير السعدي (369/1).



قال ابن تيمية : « فلولا أن تحقيقه هذه الكلمة وهو توكله على الله يدفع ما تحداهم به ودعاهم إليه تعجيزاً لهم من مناجزته لكان قد طلب منهم أن يهلكوه وهذا لا يجوز وهذا طلب تعجيز لهم فدل على أنه بتوكله على الله يعجزهم عما تحداهم به»[1].

وكذلك قال عن هود لما قال له قومه : ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 54-56] .

فقوله : ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي : « اعتمدت في أمري كله على الله ﴿رَبِّى وَرَبِّكُم ﴾ أي هو خالق الجميع ومدبرنا وإياكم وهو الذي ربانا ، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ فلا تتحرك ولا تسكن إلا بإذنه فلو اجتمعتم جميعاً على الإيقاع بي والله لم يسلطكم علي لم تقدروا على ذلك فإن سلطكم فلحكمة أرادها »[2].

فهذا من كلام المرسلين مما يبين أنه بتوكلهم على الله يدفع الشر عنهم ، ومع هذا فما كان توكلهم إلا بعد أن بلغوا الرسالة ، وأدوا الأمانة التي عليهم ، ونصحو للأمة ثم توكلوا على الواحد الأحد سبحانه ، ولذا فيجب علينا أن نقتدي بهم لأنهم من عرفوا معنى التوكل حقيقة ، قال تعالى : ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام : 90] ، كما علموا أن العبد «إذا كان معتمداً على الله بالكلية فلا يضره لو كان لديه عشرين طريقة وسبب ، لن يفعل شيئاً فإذا قال العبد: توكلت على الله مع اعتماد القلب على غير الله ، كمن يقول تبت وهو مستمر على المعصية ، فتوكل اللسان مختلف عن توكل القلب ، وهذا فعل الكفرة والغربيين

---

(١) جامع الرسائل ، رسالة في تحقيق التوكل ، ابن تيمية (96/1).

(٢) تفسير السعدي (384/1).



إذا انهارت الأسباب انهاروا أما المؤمن فلا ينهار إذا أفلس من الأسباب فلا يزال يرجو الفلاح»[١].

فالتوكل ثمرة الإيمان بالقضاء والقدر ونتيجته ، ولذلك فهو عقيدة تقترن بالعمل. فكلما قوي إيمان العبد بالقضاء والقدر ، بذل ما في وسعه من عمل ، ثم عطره بتوكله على الله تعالى : قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : 3] .

والتوكل على الله تعالى هو في معرفة مدى قدرته تعالى ، وقوته ، وفي المقابل إدراك العبد لضعفه ، وإنعدام قوته إلا بقوة الله تعالى ، وحوله ولذلك فقد دلنا المصطفى ﷺ على قول عده من كنوز الجنة ، وهو قول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، فهذه الكلمة من أعظم ما يدل على افتقار العبد لمولاه ، وحاجته إليه مما يستوجب منه التوكل عليه، قال النووي: « هي كلمة استسلام وتفويض وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى »[٢] ، وقد قال الرسول ﷺ لأبي موسى[٣] رضي الله عنه: (ألا أدلك على كنــز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله)[٤].

---

(١) سلسلة أعمال القلوب ، للمنجد ، ص 215.

(٢) فتح الباري ، ابن حجر ، (501/11) ، وانظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ، المؤلف : محمد شمس الحق العظيم، آبادي أبو الطيب الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1415هـ (271/4).

(٣) أبو موسى : عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري مشهور باسمه وكنيته معاً .. أسلم وهاجر إلى الحبشة وقيل بل رجع إلى بلاد قومه ولم يهاجر إلى الحبشة وهذا قول الأكثر .. وكان حسن الصوت بالقرآن.. وفي الصحيح المرفوع لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود .. مات سنة اثنتين وقيل أربع وأربعين وهو بن نيف وستين. الإصابة في تمييز الصحابة ج 4ص 533.

(٤) البخاري في كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا علا عقبه ، برقم 3968، ج 4 ، ص 1541، ومسلم في صحيحه، ك الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، ج 4 ، ص2076، برقم 2704.



« وقد أجمع المسلمون على هذه الكلمة، وتلقيها بالقبول، وهي شافية كافية في إثبات القدر وإبطال قول القدرية وفي بعض الحديث: «إذا قالها العبد قال الله أسلم عبدي واستسلم، وفي بعضه فوض إلى عبدي»[1].

فالقوة بسبب التوكل، والكفاية والحفظ بسبب التوكل، والطمأنينة بسبب التوكل، والنصر بسبب التوكل. « قال بعض السلف جعل الله تعالى لكل عمل جزاءاً من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، ولم يقل: نؤته كذا وكذا من الأجر، كما قال في الأعمال: بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه، وواقيه، فلو توكل العبد على الله تعالى حق توكله، وكادته السموات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجاً من ذلك، وكفاه، ونصره»[2].

نسأل الله أن نكون من المتوكلين عليه حق توكله، كما في الحديث الشريف، عن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ قال: (لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً) [3]. فهذا الحديث أصلٌ في التوكل على الله عز وجل، مع الأخذ بالأسباب المشروعة والأخذ بها لا يُنافي التوكل، وقد كان الرسول ﷺ، وهو سيد المتوكلين يبذل الأسباب التي هي أصلاً من التوكل فقد دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر، وأمر باتخاذ الأسباب كما تقدم في المبحث السابق من إيكاء السقاء، والمحافظة على الأذكار، وإدخار قوت سنة، وحفر الخندق، ونحوها وهو بهذا يرشد إلى الجمع بين الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله بقوله ﷺ: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله) [4]. ففيه الجمع بين الأخذ بالأسباب من الحرص، وطلب النفع، وعدم العجز، ومع ذلك

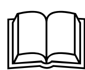
---

(١) شفاء العليل، ابن قيم الجوزية (112/1).

(٢) بدائع الصنائع، ابن القيم الجوزية (465/2).

(٣) سبق تخريجه ص 291.

(٤) سبق تخريجه وهو جزء من حديث المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ص 282.



طلب منه الإستعانة والتوكل على الله في ذلك ، والأخذ بالأسباب فيما ذكر عن الطير؛ لأنها تغدو خماصاً ، أي خالية البطون لطلب الرزق ، وتروح بطانا، أي : ممتلئة البطون، ومع أخذ المرء بالأسباب لا يعتمد عليها ، بل يعتمد على الله ولا يُهمل الأخذ بالأسباب ثم يزعم أنه متوكل ، والله قدر الأسباب والمسببات[١].

«وهذا الحديث أصل في التوكل وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق قال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق : 2-3] . وقد قرأ النبي ﷺ هذه الآية : وقال لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم يعني لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم»[٢].

وتحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها وجرت سنته في خلقه عليها ، فهو سبحانه أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل ، فكلاهما أوامر منه تعالى ويجب علينا أن نتعبده بها سبحانه ، قال ابن القيم : «وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد»[٣].

ومن فرق بين العمل بالأسباب والتوكل الذي يعتبر من أقوى الأسباب؛ لم يعرف حقيقة التوكل ، إذ التوكل هو صفة المؤمنين حقاً، فقد قال تعـــــالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ

(١) انظر: فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين ، للنووي ، وابن رجب رحمهما الله ، الشيخ عبدالمحسن العباد ، نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً ، دار ابن القيم ، الدمام ، المملكة العربية السعودية، إعداد موقع روح الإسلام ، (موافق للمطبوع) ص (153).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي (436/1).

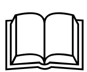
(٣) مدارد السالكين ، ابن قيم الجوزية ، (116/2).



ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:2] ، فذكر أن المؤمنين هم المتوكلون ، وقال تعالى : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[المائدة : 11] ، فأمرهم بالتوكل بعد أن أمرهم بالتقوى التي هي أصلاً فعل المأمورات واجتناب المنهيات ، ومن هنا يتبين أنه « ليس بين التوكل وبين الأسباب تضاد وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن في التلعق بالأسباب ولا ادخار المال »[1] . والعاقل هو من يعلم أن التوكل الصحيح لا يمنع الأخذ بالأسباب ، وأن حتمية تحقق قدر الله ومشيئته لا تتنافى كذلك مع اتخاذ الأسباب ، وذلك واضح في القرآن الكريم حيث أن الله تعالى نسب هزيمة المسلمين في غزوة أحد إلى أنفسهم، وذلك لمخالفتهم أوامر الرسول ﷺ ، مع أنه قد قدره وقضاه عليهم ، قال تعالى : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : 165-166] ، وبعد هزيمتهم – رضي الله عنهم - ومع ما فيهم من الجراح، وما أصاب منهم العدو أمرهم الرسول ﷺ ، بالإستعداد ومواجهة العدو، والتوكل على الله تعالى ، فكانت نتيجة ذلك أن نجاهم الله تعالى وانسحب العدو دون قتال ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران : 172-174].

---

(١) تلبيس إبليس ، ابن الجوزي (341/1).



والمتأمل في هذه الآيات ونحوها يجد أن أوامر الله تعالى بإتخاذ الأسباب ، في شتى مجالات الحياة هي دعوة للأمة بأن يدعوا التواكل ، ويحققوا المطلوب بفعل السبب مع التوكل، ولا يكونوا ممن لم يوفقوا للفهم الصحيح فعدوا السعي نافياً للتوكل ، وآثروا التواكل على التوكل فكانوا عالة على غيرهم أفراداً كانوا أو مجتمعات .

وبهذا فالتواكل الذي هو عكس التوكل، والعجز ، وعدم العمل ، والبطالة كل هذه لا تسمى توكلاً ، ولا تدل على التوكل، إذ المؤمن المتوكل الحق هو الذي يقوم بما له وما عليه، ويبذل المباح من الأسباب ، ويعتمد اولاً وآخراً على مسبب الأسباب كما تقدم، والمؤمن الحق لا يكون توكله كتوكل الصوفية المزعوم ، الذين يدعون أن من التوكل عدم السعي ، ويعطلون الأسباب ، ويرون أن الدعاء والإلحاح فيه ينافي التوكل والرضا، والعمل.

ومن هذه التجارب ما ذكره بعضهم عن نفسه فقال : « كان لي جهة تعيش فتركتها ، فاشتدت عرى الفاقة علي ، فاعتصمت بالتوك ل! واتخذته سجية، و لم يكن عندي يومئذ غير خلق حصير افترشتها ، وبلغ بي الضعف أقصاه، فلفرط ما نالني أغلقت باب حجرتي، وقلت هذا قبري ، حتى يأذن الله بالفتح ، أو بأمر من عنده، فما لبثت أن فتح الله علي يد من أعرفه ، فمكثت في زاوية القناعة خمسين سنة. لقد ترك هذا الصوفي مصدر الرزق الوحيد الذي كان يتعيش منه واعتكف في حجرته واشتدت فاقته ، فاعتصم بالتواكل، فلم يسعفه حتى أيقن بالهلكة من الجوع ، ومع ذلك لم يفكر في الخروج مما هو فيه اعتقاداً أن ذلك منه طعن في التوكل على الله .. وقد كاد يهلك لولا أن منّ الله عليه بالفتح، وهو عبارة عن أحد المتصدقين»[1].

---

(١) بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات الإسلامية (الإرجاء – الغلو في الدين – التصوف)، محمد حامد الناصر، مكتبة السوادي للتوزيع ، ط 1416هـ ، 1995م، ص 305.



ونتيجة لهذا الفهم المغلوط وهذا الخلل العقدي في عقيدة القضاء والقدر فقد تخلفت المجتمعات الإسلامية في القرون الأخيرة ، وأهملت اتخاذ الأسباب و لم تعمل بأسباب القوة في دفع العدو سواء كان هذا العدو من الأقوام والأديان الأخرى، أو من الفقر والجهل ونحوه، حتى أنهم لا يفكرون في مجرد التغيير أو محاولة ذلك .

« ولما سئل الإمام أحمد رحمه الله عن هؤلاء الذين يزعمون أنهم متوكلة ، ويقولون نقعد وأرزاقنا على الله عز وجل ، قال الإمـــام أحمــد : هذا قــول رديء أليس الله قد قال : ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة : 9-10] ؟ وقيل أن الإمام أحمد: (سئل عن قوم لا يعملون، ويقولون نحن المتوكلون، فقال : هؤلاء مبتدعون.. »[(١)] . « لقد أفسد التواكل كثيراً من عقيدة القضاء والقدر ، وحولها من عقيدة إيجابية دافعة إلى عقيدة سلبية مخذلة ، وإلى الرضا السلبي بالواقع ، وعدم محاولة التغيير»[(٢)].

ولو أنهم اتبعوا ما أمروا به ، واتبعوا منهج السلف الصالح الذي « كانوا يفهمونه ويتوكلون على الله تعالى حق التوكل ، ولذلك قاموا بعظائم الأمور ، واقتحموا أشد الصعاب، بخلاف المسلمين المتأخرين .. ولا سيما حين طغى على الأنفس طغيان المادة. فإنهم بعدوا عن فهم حقيقة التوكل ، وأصبحوا يفهمونه فهماً نظرياً لا واقع له في حياتهم ، فكانت نتيجة ذلك أن انحطت الهمم وضعفت العزائم»[(٣)]. ومنهم من يفرق بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، ويرى أن كل عمل للدنيا فإنه ضياع وينافي التوكل، وكأنه لم يسمع قول

---

(١) سلسلة أعمال القلوب للمنجد ، ص 220 ، 219.

(٢) واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، ط 1407هـ ، مؤسسة المدينة ، جدة ، ص 144.

(٣) مسألة القضاء والقدر لقنبس والعك ص 133، 134.



الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: 77].

فقوله : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أي: « استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة ، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات ، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة . ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أي : مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح ، فإن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، ولزورك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه » [1] ، وقيل معنى : ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ أي : لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً ، بل أنفق لآخرتك ، واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك»[2].

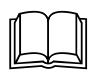
وقد نهى الرسول ﷺ القوم الذين زعموا أنهم يعملون للآخرة بأن يصوموا الدهر ولا يفطروا أو يقوموا الليل ولا يناموا ، أو يعتزلوا النساء فلا يتزوجوا، فقال لهم ﷺ : (ألا إني أعبدكم لله وأخشاكم له، ولكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » [3]. فهذا الحديث دليل على أن المشروع هو الاقتصاد في العبادات دون الانهماك والإضرار بالنفس وهجر المألوفات كلها وأن هذه الملة المحمدية مبنية شريعتها

---

(١) تفسير ابن كثير (253/6، 254).

(٢) تفسير السعدي (623/1).

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، برقم 4776، ج5 ص 1949، ومسلم في صحيحه، كتاب النكـــاح، باب استحباب النكـــاح لمن تاقت نفســـه إليه ووجه مؤنة، برقم 1401، ج2 ص 1020.



على الاقتصاد والتسهيل والتيسير وعدم التعسير ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة : 185] [(١)].

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد هذه الأصناف من الناس الذين جهلوا معنى التوكل الحق، فقال : « وقد غلط طائفتان من الناس إحداهما : زعمت أن التوكل وحده سبب مستقل كاف في حصول المراد، فعطلت له الأسباب التي اقتضتها حكمة الله الموصلة إلى مسبباتها فوقعوا في نوع تفريط، وعجز، بحسب ما عطلوا من الأسباب، وضعف توكلهم من حيث ظنوا قوته بانفراده عن الأسباب ، فجمعوا الهم كله وصيروه هما واحداً ، وهذا وإن كان فيه قوة من هذا الوجه، ففيه ضعف من جهة أخرى، فكلما قوي جانب التوكل بإفراده أضعفه التفريط في السبب الذي هو محل التوكل ، فإن التوكل محل الأسباب ، وكماله بالتوكل على الله فيها، وهذا كتوكل الحراث الذي شق الأرض، وألقى فيها البذر، فتوكل على الله في زرعه وإنباته، فهذا قد أعطى التوكل حقه، ولم يضعف توكله بتعطيل الأرض وتخليتها بوراً، وكذلك توكل المسافر في قطع المسافة مع جده في السير وتوكل الأكياس من النجاة من عذاب الله ، والفوز بثوابه مع اجتهادهم في طاعته ، فهذا هو التوكل الذي يترتب عليه أثره، ويكون الله حسب من قام به، وأما توكل العجز والتفريط، فلا يترتب عليه أثره، ويكون الله حسب صاحبه، فإن الله إنما يكون حسب المتوكل عليه إذا اتقاه وتقواه فعل الأسباب المأمور بها لا إضاعتها .

والطائفة الثانية : التي قامت بالأسباب، ورأت ارتباط المسببات بها شرعاً وقدراً، وأعرضت عن جانب التوكل وهذه الطائفة وإن نالت بما فعلته من الأسباب ما نالته، فليس

---

(١) سبل السلام ، المؤلف : محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : 1182هـ)، الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة : الرابعة ، 1379هـ / 1960م.



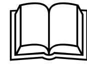
لها قوة أصحاب التوكل ولا عون الله لهم وكفايته إياهم ودفاعه عنهم بل هي مخذولة عاجزة بحسب ما فاتها من التوكل ...» (١).

« وقال ابن عقيل: يظن أقوام أن الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل، وأن التوكل هو إهمال العواقب، وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ والتهجين، و لم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز واستفراغ الوسع في التحفظ فقال تعالى: (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) (٢).

والمنهج الوسط هو الجمع بين العمل بالأسباب ، والتوكل على الله تعالى ، والدين الإسلامي هو دين الوسط ، والعدل فلم يهتم بالآخرة دون الدنيا ، ولا بالدنيا دون الآخرة، وإنما جعل الدنيا مزرعة للآخرة ، و لم يـــــحرم الزينة على عبادة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : 32]. وقد دعى إلى الوسطية فأنكر الإنغماس في الشهوات ، والإهتمام المنحصر بالدنيا ، كحال الكفار فقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[محمد : 12] ، ومع هذا فلم ينهى عن اللبس الحسن ، والتمتع المباح ، بل أمر المسلم أن يلبس أجمل ملابسه ، وخاصة عند مقابلة ربه، فقال تعالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : 31] ، وجعل الدنيا قنطرة للآخرة ، وسبيلاً إلى الفوز بالجنة، فقال تعالى : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ

(١) زاد المعاد ، لابن القيم (325/2).

(٢) تلبيس إبليس ، المؤلف : عبدالرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405هـــ – 1985م، تحقيق : د. السيد الجميلي (342/1).



وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص: 77] .

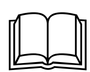
ويظهر موقف المسلم في هذا الدعاء النبوي الذي يجمع الدين والدنيا والآخرة، فلا غنى له عن واحد منها ، فقد كان رسول الله ﷺ يقول : (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر) (1).

حتى في أهم ما في حياة المسلم وهي العبادة ، لا يؤمر العبد إلا بما يطيق والإسلام دين وسط في كل شيء ، قال سبحانه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقــرة : 286] ، ويقول عز من قائل : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴾ [التغابن : 16] . والله سبحانه وتعالى إذا أمر العباد بأوامر، كالصلاة مثلاً ، والحج ونحوه فهو لم يأمرهم بذلك في جميع الأوقات، و لم يكلفهم مالا طاقة لهم به، بل أوجب عليهم الصلاة في اليوم خمس مرات، وذلك في أربع وعشرين ساعة ، كما أنه تعالى أوجب الصيام في السنة شهراً واحداً فقط ، والحج كذلك لم يوجبه إلا مرة واحدة في العمر كله، ثم ترك المجال في العبادات مفتوحاً من حيث الاستزادة من الطاعات محكوماً بسنة المصطفى ﷺ ، إذ لا يجوز الإبتداع في الدين(2).

«وقد قال الخليل ﷺ : ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ﴾ [العنكبوت: 17] وهذا أمر والأمر يقتضي الايجاب فالاستعانة بالله واللجوء إليه في أمر الرزق وغيره،

(1) أخرجه مسلم ، كتاب النكاح ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن ما لم يعمل ، رقم : 4897.

(2) انظر: وسطية الإسلام وسماحته ودعوته للحوار ، المؤلف : أ.د. محمد بن أحمد الصالح ، (29/1، 30 ، 31)، وانظر ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه ، المؤلف : عبدالله عبدالغني الخياط ، الطبعة : الثالثة ، الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، تاريخ النشر : 1413هـ.



أصل عظيم ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس ليبارك له فيه ولا يأخذه بإسراف وهلع، بل يكون المال عنده بمنــزلة الخلاء الذي يحتاج إليه من غير أن يكون له في القلب مكانة، والسعي فيه إذا سعى كاصلاح الخلاء ، وفي الحديث : (من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله، وفرق عليه ضيعته و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح والآخرة أكبر همه، جمع الله عليه شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة) [(١)].

وقال بعض السلف : (أنت محتاج إلى الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر على نصيبك من الدنيا فانتنظــــمه انتظاماً) قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : 56-58] [(٢)]. مما يدل على أن فعل الأسباب مطلوب، والتوكل مطلوب ، كما تقدم ، ويدل على هذا أيضاً أن الله تعالى أمرنا بالتوكل في عدة مقامات ذكرها القرآن الكريم في عدة مواضع ، هذه المواضع هي المواضع التي أمر العبد فيه باتخاذ الأسباب ، ومنها ما يلي على سبيل المثال :

الأول : التوكل على الله تعالى في العبادة :

أمر تعالى العباد بالتوكل عليه سبحانه ، في أعظم أمر به يسعد العبد في الدنيا بالتوفيق إليه ، وفي الآخرة بالفوز بالجنة ، وهو العبادة ، لأن الموفق من وفقه الله تعالى لعبادته الحقة على نهج من الله ورسوله ، من غير ابتداع ، ولا غلو .

وكما أن الله تعالى ذكر أن من أسباب دخول الجنة فعل الطاعة، ومن أسباب دخول النار فعل المعصية والعياذ بالله ، إلا أنه لم يوكل العبد إلى نفسه فأمره بالاعتماد عليه والتوكل

---

(١) رواه الترمذي ، برقم 2465، ج4 ، ص 642، قال الألباني : حديث صحيح.

(٢) الزهد والورع والعبادة ، المؤلف : لابن تيمية ، الناشر : مكتبة المنار ، الأردن، الطبعة الأولى ، 1407هـ، تحقيق : حماد سلامة ، محمد عويضة (95/1).



عليه ، فقرن بين العبادة ، والتوكل فقال : ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: 123]، أي: قم بعبادته ، وهي جميع ما أمر الله به مما تقدر عليه ، وتوكل على الله في ذلك [1] . وأمر الرسول ﷺ بذلك ، فقال : ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ۝٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب : 2-3] ففي هذه الآية «أمر تعالى سوله وأمته تابعة له أن يتوكل على الله في أمره ويمضي في طريقه منفذاً أحكام ربه غير مبال بالكافرين ولا بالمنافقين ، وأعلمه ضمناً أنه كافي ه متى توكل عليه وكفى بالله كافياً ووكيلاً حافظاً»[2].

وهذان الأصلان أي التوكل والعبادة «كثيراُ ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما يحصل بمجموعهما كمال العبد ، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما ، كقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة : 5] ، وقوله : ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ﴾ [هود: 123] »[3].

الثاني : التوكل على الله تعالى في الجهاد وقتال العدو :

قال تعالى : ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران : 160] ، أي: « إن ينصرك الله فلا غالب لك من الناس لن يضرك خذلان من خذلك ، وإن يخذلك فلن ينصرك الناس ﴿فَمَن ذَا

(١) تفسير السعدي (392/1).
(٢) أيسر التفاسير للجزائري (270/3).
(٣) تفسير السعدي (753/1).



﴿ ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي : لا تترك أمري للناس ، وارفض [أمر] الناس لأمري ، وعلى الله [لا على الناس] ﴿ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ ».(١)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: 121-122] ، « فمع أنه يعد العدة ، ويجهز الجيش ، ويعين الأماكن ، ويرتب الجيش ،أي يأخذ بالأسباب ومع ذلك أمر بالتوكل ، لأن النصر بيد الله»(٢).

الثالث : التوكل على الله تعالى في مقام المشورة :

« تعتبر الشوى مبدأ مهماً من مبادىء نظام الحكم في الإسلام ، تهدف الشورى إلى تحري المصلحة العامة ، ومشاركة الأمة للقائد في اتخاذ القرارات المتعلقة بشؤون الحكم، حيث تظهر أفضل الحلول للمسائل محل الشورى من خلال مقابلة الآراء بعضها ببعض ونقدها وتمحيصها ، وتبين أسباب الخلاف ، وإيجابيات كل رأي وسلبياته»(٣).

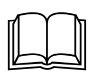
ولقد امتدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الذين يهتمون بأمر الشورى بينهم ، فلا يقتصر العبد على رأي نفسه من غير استشارة لأرباب العقول ، وأصحاب التجارب ، والخبرات ، فقال تعالى :﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : 38] وقال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : 159] ، وفي هذه الآية دليل على أهمية الحرص في اختيار المستشار، فلا يستشار إلا من يوثق برأيه ، والله تعالى أمر رسوله أن يستشير أبي بكر، وعمر

---

(١) تفسير الطبري (348/7).

(٢) سلسلة أعمال القلوب ، للمنجد ص 209.

(٣) الإسلام والدستور ، المؤلف : توفيق بن عبدالعزيز السديري ، الطبعة الأولى ، الناشر : وكالة المطبوعات والبحث العلمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، تاريخ النشر : 1425هـ.



رضي الله عنهما ، كما أخرج الحاكم عن ابن عباس: « أنها نزلت في أبي بكر، وعمر، ويؤيده الخبر الآتي: (إن الله أمرني أن أستشير أبا بكر)»[١].

« وقد كانت الشورى بين النبي ﷺ وأصحابه فيما يتعلق بمصالح الحروب، وكذا بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعده عليه الصلاة والسلام ، وكانت بينهم أيضاً في الأحكام كقتال أهل الردة وميراث الجد، وعدد حد الخمر، وغير ذلك ، والمراد بالأحكام ما لم يكن لهم فيه نص شرعي، وإلا فالشورى لا معنى لها وكيف يليق بالمسلم العدول عن حكم الله عز وجل إلى آراء الرجال والله سبحانه هو الحكيم الخبير؟! »[٢] . « والشورى من جملة أسباب صلاح الأرض ، وقد قال بعض الحكماء: من أعطى أربعاً لم يمنع أربعاً، من أعطى الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب»[٣].

وقد كان هذا ديدن صحابة رسول الله ﷺ ، الذي رباهم عليه الرسول ﷺ «فعمر رضي الله عنه كان في هذا مجتهداً حمله على هذا شدته في الحق ، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله ﷺ من المشورة وإبداء الرأي، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ [آل عمران : 159] ، وقد كان كثيراً ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم ، كما استشارهم يوم بدر في الذهاب إلى العير ، وأخذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج للعدو فأشار جمهورهم بالخروج إليهم

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، المؤلف : أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1997م، تحقيق : عبدالرحمن بن عبدالله التركي ، وكامل محمد الخراط ، (191/1).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، المؤلف : محمود الألوسي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت ، (46/25).

(٣) إحياء علوم الدين ، للغزالي ص 295.



فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذٍ؛ فأبى عليه السعدان[١] ، فترك ذلك ، وشاورهم يوم الحديبية أن يميل على ذراري المشركين، فقال أبو بكر: إنا لم نجيء لقتال ،وإنما جئنا معتمرين فأجابه إلى ما قال»[٢].

وهذا يخالف خلق من أصيب بداء العجب الذي يمنع الشخص من الإستشارة ، والاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ، فلا يصغي لغيره من العلماء وأهل الرأي ، استغناءاً بعقله ورأيه ، مما يؤدي إلى الندم ، والوقوع في الخطأ، وإذا كان يجب على العبد التوكل على الله بعد الإستشارة والسماع من أهل الخبرة والنظر ، فكيف بمن لا يستشير أصلاً اعتماداً على رجاحة عقله ، وقوة فطنته؟ ، وهذا كما سبق داء العجب الذي يطغي العبد ، ولا ينفعه[٣].

ولذا فالاستشارة سنة ، ومطلوبة ، ولكن قد يخطيء من يشير بالرأي ، وقد يصيب، ولن يعدم الخير ، إذ المستشار مؤتمن « قال أحد السلف : ما تشاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم» [٤].

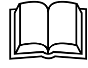
ومع كل ذلك فالأمر لله من قبل ومن بعد، إذ لا بد من التوكل على الله حتى في الإستشارة فهو العالم ، سبحانه بما يصلح لعباده ، وهذا يتضح من قوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ

(١) سعد بن معاذ وسعد بن عبادة (الإنتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال، المؤلف : إبراهيم بن عامر الرحيلي ، الطبعة الثانية ، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية ، ص 265.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وانظر: تفسير ابن كثير 420/1.

(٣) انظر إحياء علوم الدين ، للغزالي ص 1347.

(٤) الوابل الصيب ابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405هـ - 1985م، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض (157/1) ، وانظر شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية ، المؤلف : ابن أبي العز الحنفي ، المحقق : أحمد محمد شاكر (302/1).



﴿ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ [آل عمران : 159] ، ثم قال : ﴿ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [آل عمران: 159] أي بعد استشارتهم والعزم على ما توصلتم إليه ، عد كما بدأت فتوكل على الله.

الرابع : الأمر بالتوكل في مقام الدعوة إلى الله :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وذلك لما لها من نفع على العبد نفسه ، وتعدي نفعها إلى غيره ، كما أن الدعوة لها شروط، وأحكام وآداب ينبغي للمسلم أن يتعلمها قبل العمل ، حتى تكون دعوته صحيحة وتؤتي ثمارها بإذن ربها ، وليس هذا مجال استعراض آداب الدعوة إلى الله تعالى ، وإن كان من أبرزها وأهمها : الإخلاص لله تعالى ، والدعوة بالحكمة ، والموعظة الحسنة فإذا بذل الداعية ما عليه ، وقيامه بما في وسعه أن يقوم به ، فإنه لا يركن لا لأسلوبه ولا لطريقته ، ولا لحوله وقوته، بل يجب عليه في ذلك أن يتوكل على الله ويطلب منه التوفيق والإعانة.

وفي الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر به أمر بعمل الأسباب التي تسبب الهداية مثل قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: 94]، وقوله تعالى : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: 110] ، لأن خير الناس أنفعهم للناس ، فهذا بذل سبب هداية الآخرين ونصحهم وهو مطلوب ، وفي المـــقابل يقول تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [القصص : 56]، وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس : 8-10] ، وهذه الآيات لا تعارض بينها ، وإنما تدعو إلى بذل السبب ، والجمع بينه وبين الإستعانة بالله والتوكل عليه.

وكل ما يؤثر باتخاذ السبب فيه ، يؤمر بالتوكل على الله تعالى فيه أيضاً ، وما ذكرت هو على سبيل المثال لا الحصر ، فجميع المطالب الدنيوية والأخروية جعل لها أسباباً متى سلكها الإنسان حصل على مطلوبة، وقد جمع الرسول ﷺ ذلك في كلمة واحدة فقال :



«احرص على ما ينفعك ،واستعن بالله »[١]. أي في دينك ودنياك ، واسلك كل طريق يوصلك إلى هذه المنفعة ، ولكن لا تتكل على حولك وقوتك، بل توكل على الله ، واستعن به ، فمن فعل ذلك فهو عنوان سعادته ونجاحه ، وإلا فلا يلم إلا نفسه»[٢].

ومما خرجت به من هذا المبحث ما يلي :

١ -كما أمر الله تعالى بالعمل ، واتخاذ السبب فإنه سبحانه أمر العبد بالتوكل عليه في كل حال ، بل وجعل التوكل من شروط الإيمان ، فقال تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : 23] .

٢ -التوكل عبادة قلبية ، عن طريقها يستطيع العبد أن يختبر إيمانه ، وتحمله ، كما يستطيع بالتوكل أن يختبر إخلاصه ، وذلك أن العبد كلما حقق التوكل كلما إزدادت قوته، وتحمله لما يصيبه ، وكلما حقق التوكل الحق فهو من باب أولى قد حقق الإخلاص بإعتماده على الخالق وحده لا شريك له، «فالتوكل جزء من الإعتقاد القلبي، والأسباب المشروعة هي من الإعتقاد العملي...» [٣].

٣ -أن في قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: 5] ، دليل على أن التوكل هو نصف الدين، قال ابن القيم : «التوكل نصف الدين ، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل هو الإستعانة ، والإنابة هي العبادة»[٤].

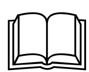
---

(١) سبق تخريجه ص 282.

(٢) القصيدة التائية في القدر ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، شرح وتحقيق محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ط1، 1424هـ - 2003م، ص 135.

(٣) الآثار الواردة عن السلف في القضاء والقدر ، من خلال تفسير الطبري ، ترتيباً ودراسة عقدية، سعاد بنت محمد السويد ، ج2 ص 677.

(٤) مدارج السالكين ، لابن القيم (113/2).



٤ -العمل والأخذ بالأسباب لا ينافيان التوكل ، بل هذا هو طريق التوكل ، كما قال ﷺ: (اعقلها وتوكل) فبدأ بالعمل واتخاذ الأسباب ، ثم عطف عليها التوكل، كما قال ابن القيم : (التوكل لا ينافي الطلب؛ بل حقيقة التوكل وكماله مقارنته للطلب ومصاحبته للسبب».[١]

٥ -المتأمل في الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن التوكل يرى أن جمع الله تعالى بين التوكل ،وبين الأخذ بالأسباب كما تقدم، يدل على أن التوكل المجرد عن الطلب والسبب إنما هو عجز وأماني[٢].

٦ -الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب في الآيات دليل على عجز العبد، وقوة المعبود، وأن لا حول للعبد ولا قوة إلا بخالقه سبحانه ، فتقوى صلته بالله ، ولا يركن لغيره، كما أنه لا يحزن لفوات بعض ما أراده بعد فعله الأسباب وعدم تقصيره.

٧ -تنوعت الآيات القرآنية من حيث الأسلوب الذي حثت فيه على التوكل ، فتارة يصف الله تعالى المؤمنين بالمتوكلين ، وتارة يثبت حبه لهم كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : 159] .

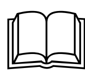
٨ -من طريقة القرآن الكريم في الدعوة إلى التوكل ، والجمع بينه وبين الأسباب ، أسلوب الأمر بالتوسط ، والموازنة في الأمور، فلا يطغى جانب على جانب ، كما هو الحال مع الصوفية [٣]، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ

---

(١) الآثار الواردة عن السلف في العقيدة في كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، تأليف توفيق طاس، ط1426هـ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ج1 ص 368.

(٢) انظر الآثار المروية عن السلف في العقيدة ، جمع وتحقيق : توفيق طاس ، ج1، ص 368.

(٣) انظر الرسالة القشيرية في علم التصوف ، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوزان القشيري النيسابوري ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، ص162 إلى 173.



وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : 77] . مما يدل على الوسطية الحقة.

٩ -التوكل من صفات الأنبياء والمرسلين ، قد ربى الرسول ﷺ أصحابه على التوكل ورغبهم في ذلك حتى إنه عليه السلام ، قال : (قال نبي الله ﷺ يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة[1] فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: أنت منهم، قال فقام رجل فقال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة»[2]. مما يدل على أفضيلة التوكل.

١٠ -العمل وبذل الجهد بدون اعتماد على الله تعالى ، والإفتقار إليه ، كالمتواكل الذي لا يعمل وينتظر السماء أن تمطر ذهباً وفضة ، لأن الأول مع عمله وبذله ما يستطيع إلا أنه لم يعتمد على الذي لا حول له ولا قوة إلا به ، ولم يظهر ضعفه وقلة حيلته أمام المعبود سبحانه ، والمتواكل يظن أنه وصل لقمة التوكل ، وهو في الحقيقة بعد عن التوكل ولم يقرب منه.

١١ -من الكمال أن يبدأ المؤمن أعماله بالإستشارة ، والإستخارة ، ويبذل ما في وسعه ثم يتوكل على الله تعالى . كما قال تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : 159].

---

(١) عكاشة بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفها أيضاً بن محصن بن حرثان بضم المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة بن قيس بن مرة بن بكير بضم الموحدة بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي حليف بني عبد شمس من السابقين الأولين وشهد بدرا ووقع ذكره في الصحيحين . (الإصابة في تمييز الصحابة ج4 ، ص 533).

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، برقم 6107، ج5 ، ص 2375).



١٢ -من الإيمان أن الله تعالى على كل شيء قدير ، وأنه إذا شاء نصر المؤمنين مثلاً، لا يعني أنه تعالى سينصرهم من غير أن يعملوا الأسباب ، وهم قاعدون متقاعسون عن طلب النصر بأسبابه، والبذل في تحصيله ، لأن النصر من غير طلب الأسباب شيء مستحيل ، وقدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل ، نعم هو على كل شيء قدير، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ، ولكنه أمرنا تعالى باتخاذ الأسباب ، والعمل بها»[١].

١٣ -أن مما ساعد على تخلف الأمة الإسلامية في المجالات العلمية ، والطب والهندسة، وغيرها من الأمور الدنيوية ، هو تساهلهم في العمل المأمور به من أسباب العلم، والرقي ، وفي هذا فرق بين المسلمين الأوائل ، والمسلمين الآن ، وقد ألمح إلى هذا أحد المستشرقين الألمان ، فقال وهو يؤرخ لحال المسلمين في عصورهم المتأخرة، «طبيعة المسلم التسليم لإرادة الله ، والرضا بقضاءه وقدره ، والخضوع بكل ما يملك للواحد القهار.

وكانت لهذه الطاعة أثران مختلفان ، ففي العصر الإسلامي الأول لعبت دوراً كبيراً في الحروب ، وحققت نصراً متواصلاً ، لأنها دفعت في الجندي روح الفداء.

وفي العصور المتأخرة كانت سبباً في الجمود الذي خيم على العالم الإسلامي، فقذف به إلى الانحدار ، وعزله وطواه عن تيار الأحداث العالمية»[٢].

وقد قامت طريقة القرآن الكريم في التحذير من الاعتماد على الأسباب وحدها على ما يلي :

---

(١) الإيمان بالقضاء والقدر ، د. محمد بن إبراهيم الحمد ، شرح الشيخ ابن باز رحمه الله ص 142.

(٢) المرجع السابق ، ص 143.

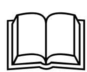


1- اعتمدت الآيات القرآنية طريقة الأمر المباشر بالتوكل على الله مطلقاً، أي مع اجتماع الأخذ بالسبب ، أو مع عدم وجود الأسباب . وهذه الطريقة تجعل من الاعتماد على الله وحده فريضة عبادية لا يجوز بحال أن تنفك عن المسلم ، وبهذا يتلاشى عن النفس المؤمنة الاعتماد على الأسباب وحدها . قال تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة : 23] .

2- وظفت الآيات الكريمات القصص القرآني توظيفاً جميلاً في هذه القضية ، وخاصة قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فركزت على بيان منهجهم في الدعوة والجهاد، وهو منهج قائم على الجمع بين اتخاذ الأسباب الشرعية ، والمادية الصحيحة، وبين الاعتماد الكلي على الله . وهذا ظاهر في قصة يعقوب عليه الصلاة والسلام مع أبنائه : ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ ﴾ [يوسف : 67] ، وكذا قصة نوح وهود مع أقوامهما.

3- قرنت الآيات الكريمة بين وجوب التوكل مع اتخاذ الأسباب ، وبين الصفات الإلهية التي تستدعي التوكل على الله . كقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: 58] وقوله : ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء : 217]. وهذه الطريقة تعلق الإنسان بربه الذي قامت فيه من الصفات والخصائص ما لم تقم بغيره من الخلق.

4- نصت الآيات الكريمة على الثمرات العاجلة من الاعتماد والتوكل على الله مع أخذ الأسباب ، كقوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق : 3] .



المبحث الرابع   رد القرآن الكريم لعقيدة الجبر وبيان فسادها

الجبر هو : القول بأنَّ الله أجبر الإنسان المكلف على أفعاله ، وهو مذهب يسمى أصحابه بالجبرية، والجبرية نوعان :

الجبرية الخاصة : وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً، ولا قدرة على الفعل أصلاً ، وهم الجهمية[١] ، وغلاة الصوفية[٢].

والجبرية المتوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة في الفعل ، فهم يثبتون الجبر باطناً بالاختيار ظاهراً ، بمعنى أنهم يثبتون قدرة ومشيئة للإنسان، ولكن يقولون: إنها لا يقع بها الفعل، ولكن معها، فيقترن وحود الفعل مع القدرة والمشيئة من غير أثر لها في الفعل، ومنهم الأشاعرة [٣]، ومن نحا نحوهم ، ويسمون بالمستترة[٤].

---

(١) الجهمية : أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي المقتول سنة 128هــ، معطلة في الصفات ، جبرية في القدر، مرجئة محضة في الإيمان ، وقالوا : بفناء الجنة والنار . (نواقض الإيمان القولية والعملية ، د. عبدالعزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف ص 23، وانظر مقالات الإسلاميين ج1 ص 114.

(٢) غلاة الصوفية : غلاة الصوفية وقفوا عند الحقيقة الكونية ، وأعرضوا عن الشرع ، فسووا بين الأشياء في ذاتها وفي حكمها ، و لم يفرقوا بينها لا في ذاتها ولا من جهة الشرع ، ويرون أن كمال المعرفة والتوحيد في عدم التمييز فلا فرق عندهم بين الصدق والكذب ، ولا بين الطاعة والمعصية، لا من حيث ذاتها ولا من ناحية الشرع، لأنهم معرضون عن الأمر والنهي . ومنهم ابن العربي ومن عقائدهم : أنهم يؤمنون بالحلول ، ووحدة الوجود (شرح الرسالة التدمرية ، الميراك) (415/1) ، وانظر كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها ، المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني ، المحقق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني ، ط   1 /1422هــ - 2002م، (138/1).

(٣) الأشاعرة : فرقة كلامية إسلامية ، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة ، وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاججة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية ، على طريقة ابن كلاب (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف د. مانع الجهني ج1/ص83.

(٤) انظر الملل والنحل للشهرستاني تحقيق محمد السيد الكينلاي ،طبعة القاهرة ، سنة 1961م، جــ1ص87، بتصرف يسير .



وقوام هذا المذهب « نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى: إذ العبد لا يوصف بالإستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله سبحانه وتعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنسب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات . وكما يقال أثمرت الشجرة أو جرى الماء ، وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت ، وازدهرت الأرض وأنبتت إلى غير ذلك، والثواب والعقاب جبر فالتكليف أيضاً كان جبراً »(١). أي أنهم يدعون أنهم مجبورون على أفعالهم ، وأنها واقعة بغير قدرتهم ، بل إنها ليست أفعالهم البته، وأن الفاعل غيرهم، والإنسان عندهم بمثابة الآلة ، أو الريشة في مهب الريح.

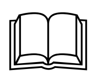
وقد تبنى مذهب الجبرية الجهم بن صفوان (٢)، ودعا إليه ، وقد سبقه غيره بالقول بالجبر، كما ذكر تعالى عن المشركين في قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: 148] ، وهم بهذا يقولون بأن العبد مسلوب الإرادة والقدرة على الفعل ، كما سبق.

ويقول الشهرستاني : « وقول طائفة من المشركين : ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ﴾ [النحل : 35] وقول طائفة : ﴿أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ﴾ [يس:

---

(١) الملل والنحل ، للشهرستاني ، ج1 ص 87 ، وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية لأبو زهرة ص 102، وانظر مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة ، عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي ، دار الجيل ، بيروت ، ط 1، 1992م، تحقيق : محمود محمد نصار ، (105/1).

(٢) هو : «الجهم بن صفوان خراساني من موالي بني راسب ، كان كاتباً لشريح بن الحارث، وخرج معه على نصر بن يسار ، وقتله مسلم بن أحوز المازني في آخر عهد بني مروان . « من كتب تاريخ المذاهب الإسلامية، لمحمد أبو زهرة ، ص 104».



47] فهل هذا إلا تصريح بالجبر؟»[١]. وهم يحتجون بالقدر، ويحملونه ذنوبهم ، بل قد يرون أن أفعالهم كلها طاعات لموافقتها المشيئة والقدر . ويقولون بما أن موافقة الأمر طاعة، فموافقة المشيئة طاعة ، وهم بذلك يشبهون إخوانهم المشركين ، الذين جعلوا مشيئة الله تعالى لأفعالهم دليلاً على أمره بها ورضاه ، وهؤلاء شر من القدرية ، النفاة ، وأشد منهم عداوة لله ، فهم أحباب إبليس ، بل إنهم يدافعون عنه، ويعتذرون له، ويقولون : أنه لا ذنب له، لأنه رفض السجود لغير الله ، ووافق مشيئة الله وإرادته منه[٢].

وقد أنكر العلماء مجرد القول بالجبر و لم يقروا الناس على ذلك ، كما رد أحد السلف [٣]عندما سئل عن : « رجل يقول إن الله جبر العباد فقيل له : هكذا لا تقول ، ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل : 93] ». [٤]

وفي مجمل رد القرآن الكريم لهذه العقيدة الباطلة أذكر بعض الآيات التي تبين بطلانها، وإنكار القرآن الكريم لها .

ومن هذه الآيات على سبيل المثال قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : 146] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ

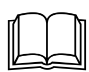
---

(١) الملل والنحل ، للشهرستاني (20/1).

(٢) انظر مدارج السالكين ، ج 1، ص 308، بتصرف يسير.

(٣) وهو أبو بكر الخلال.

(٤) السنة، لأحمد بن هارون ، بن زيد الخلال أبو بكر ، تحقيق : د. عطيه الزهراني ، دار الراية، الرياض، ط 1، 1410هـ، ص 550 ، وانظر اللؤلؤ الوقاد في فتاوى الإعتقاد لابن تيمية ص 487 ، 488 . والفتاوى الكبرى، لابن تيمية (151/1).



صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [فصلت : 17] ، وقوله تعـالى عن قوم فرعون : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : 13 ، 14] .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت : 38] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [آل عمران : 70] ، وغيرها في القرآن مما يدل على اختيار الضلال والكفر عمدا دون إكراه ، وسوف أعرض هذا المبحث لرد القرآن الكريم على هذه العقيدة الباطلة وكيف أثبت بطلانها ودحض حجج أصحابها بما لا شك فيه .

وأقوال الجبرية في هذا الشأن كثيرة ، منها :

- قولهم : نفي الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى.
- وقولهم : أن الإنسان مجبور في أفعاله لا قدرة ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله سبحانه وتعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وهم بذلك ينكرون الإختيار في فعل الإنسان.
- وقولهم : أن الأفعال تنسب إلى الإنسان مجازا كما تنسب إلى الجمادات . وكما يقال أثمرت الشجرة أو جرى الماء ، وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت.. ونحوها.
- وقولهم : أن الإيمان بالقدر يستلزم ترك الأعمال .
- وقولهم : أن كل شيء خلقه الله ، فقد رضيه وأحبه.
- وتفسيرهم للكسب بأشياء كثيرة وبعبارات متنوعة لا حاصل معها على التحقيق، كما قال الشاعـــر :



مما يقال ولا حقيقة تحته معقولة تدنو لذي الأفهـــــــــــام
الكسب عند الأشعري والحال عند البهشي وطفرة النظام[١]

قال الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ في بعض دروسه الصوتية : « فحين اخترع الأشعري[٢] مذهبه الذي هو جبر باطن لا جبر ظاهرا، ووجد في لفظ الكسب في الكتاب والسنة مخرجاً له فقال الأعمال كسب . وهو قول أهل العلم والسنة والحديث من الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم فإنهم قالوا إن الكسب هو العمل وهو الفعل، والله عز وجل قال : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : 286] ، وفرق ما بين الكسب والاكتساب مع أن كثيراً من أهل العلم يجعلون الكسب والاكتساب بمعنى واحد، لكن في الآية قال ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ يعني في الخير ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ فجعل الاكتساب فيه زيادة في المبنى؛ لأن فيه نوع كلفة ، فالخير موافق للفطرة فيكسبه الإنسان لموافقته لفطرته مع أنه تكليف ، وأما الشر والردى والضلال فإنه مخالف لفطرته. لذلك إتيان المحرمات وإتيان الموبقات ونحو ذلك على ما في الإنسان ربما من الشهوة لبعض ذلك لكن يحتاج معه إلى أن يُعمل نفسه ، يعني أن يتعب نفسه ويخالف فطرته في أن يأتي تلك الموبقات.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (119/8) ، وانظر تلخيص كتاب الاستغاثة ، لابن تيمية، الناشر : مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة، ط1، 1417هـــ، تحقيق : محمد علي عجال (315/1).

(٢) أبو الحسن الأشعري ، قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي وتفقه بابن سريج وقد ذكرنا ترجمته في طبقات الشافعية وذكر ابن خلكان أنه كان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي وقد كان الأشعري معتزلياً فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم وله من الكتب الموجز .. ولد سنة سبعين ومائتين وقيل سنة ستين ومائتين ومات في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاثين وقيل في سنة بضع وثلاثين وثلاثمائة ، (البداية والنهاية الجزء 11 صفحة 187).



لذلك زاد المبنى ليدل على أن فيها نوع كلفة ومشقة في ما يعمله المرء من الشر، قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ يعني من الشر ، فجعل أهل السنة الكسب بمعنى العمل »أ.هـــ.

وأما ما جاء في التفسير أن هذه الآية فيها « ترغيب وترهيب : أي لها ثواب ما كسبت من الخير، وعليها وزر ما اكتسبت من الشر، وتقدم (لها) و(عليها) على الفعلين؛ ليفيد أن ذلك لها لا لغيرها، وعليها لا على غيرها، وهذا مبني على أن كسب للخير فقط، واكتسب للشر فقط»(١).

ومن الأدلة التي استدلوا بها على مذهبهم ، وهي في الحقيقة أدلة عليهم ، وليست لهم ما يلي :

قوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال : 17] ، في تفسير زاد المسير ، ذكر أن من معانيها أي : «وما ظفرت أنت ولا أصبت ولكن الله أظفرك وأيدك...» (٢).

قالوا : أن الله « نفى عن نبيه الرمي ، وأثبته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد. قالوا : والجزاء غير مرتب على الأعمال ، بدليل قوله ﷺ : (قاربوا وسددوا واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله قالوا: يا رسول الله ولا أنت ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) (٣)(٤).

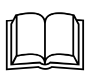
---

(١) فتح القدير للشوكاني (464/1).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط3 ، 1404هـــ (333/3).

(٣) أخرجه البخاري كتاب: الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، برقم ج5 ، ص2373، 6099، ومسلم في صحيحه ك صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله.. ، برقم 2816، ج4 ص 2169.

(٤) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، المؤلف : ابن أبي العز الحنفي ، (291/1) ، بتصرف يسير.



وهو في الحقيقة دليل عليهم؛ لأنه سبحانه أثبت لرسوله رمياً بقوله: (إذا رميت) فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء ، فابتداؤه الحذف وانتهاؤه الإصابة، وكل منهما يسمى رميا ، أو يقال المعنى : وما رميت خلقاً إذا رميت كسباً، ولكن الله رمى حيث خلقك وخلق أسباب الرمي لك، وقوة الكسب فيك ، والمعنى قد يكون وما أصبت إذا حذفت ولكن الله أصاب ، وأما قولهم بأن هذا مثل القول وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى، وما زنيت إذ زنيت! وما سرقت إذ سرقت فهذا ظاهر الفساد ، ولا يوصف به الله ، تعالى الله عن ذلك»[١].

وأما قولهم : أن الجزاء غير مرتب على الأعمال وأنه لا يدخل أحد الجنة إلا بعمله، فقد رد عليهم القرآن الكريم بآيات عديدة منها : بقوله تعالى : ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة : 17] . ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : 43] ونحوها.

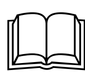
وقد قابل الجبرية القدرية الذين قالوا : بأن الجزاء مرتب على الأعمال ترتب العوض فأوجبوا على الله أن يدخل الجنة كل من عمل ، ولم يشترطوا القبول ، ولم يردوا ذلك إلى فضل الله ورحمته واستدلوا بنفس الأدلة السابقة ، وقد هدى الله أهل السنة ، للمنهج الحق، ففسروا ذلك بأن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات ، فالمنفي في قوله ﷺ : (لا يدخل أحدكم الجنة بعمله) [٢]. باء العوض ، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله[٣].

---

(١) الرد على القائلين بوحدة الوجود ، المؤلف : علي بن سلطان محمد الهروي المكي الحنفي ، الناشر : دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط1 ، 1995م، تحقيق : علي رضا بن عبدالله بن علي رضا ، (58/1)، وانظر شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، المؤلف : ابن أبي العز الحنفي ، (291/1).

(٢) مسند أحمد بن حنبل ، برقم 7473 ج2 ص 256.

(٣) انظر الرد على القائلين بوحدة الوجود ، المؤلف : علي بن سلطان محمد الهروي المكي الحنفي (291/1).



وفي قوله تعالى : ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت : 40] ، وقوله تعالى : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير : 28] ، أي : « يتبع الحق ويقيم عليه »[1] . وفيه رد على الجبرية الغلاة وهم من لا يفرقون بين دقات القلب مثلاً ، والعزف على العود ، وبين حركة المرتعش وحركة المختار من حيث مسئولية العبد عنها ، وقدرته عليها . وهذا مما يبطله الحس[2].

ويرد عليهم العقل : « حيث لا يمارى عاقل في أن هناك فرقاً بين الأفعال الاختيارية والاضطرارية ، كما قرر ذلك علماء السنة ، حيث قالوا : « وللعباد أفعال إختيارية يثابون بها إن كانت طاعة ويعاقبون عليها إن كانت معصية لا كما زعمت الجبرية أنه لا فعل للعبد أصلاً...» [3].

ومن الأدلة التي استدل بها الجبرية أيضاً: قول الله تعالى : ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ [هود: 20] .

أي : « صم عن سماع الحق فلا يسمعونه، وما كانوا يبصرون الهدى . قال ابن عباس رضي الله عنهما : أخبر الله عز وجل أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا قال : ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ [هود: 20] وهو طاعته ، وفي الآخرة قال : ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ [القلم: 42-43][4].

---

(١) تفسر البغوي (351/8).

(٢) شرح ثلاثة الأصول ، لابن عثيمين ، ص 116 ، 117.

(٣) لوامع الأنوار ، للسفاريني ج1 ص 292.

(٤) تفسير البغوي (169/4).



وذلك من أجل « بغضهم للحق ونفورهم عنه ، ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا آيات الله سماعاً ينفعون به ، ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر : 49-51] ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود: 20] . أي ينظرون نظرة عبرة وتفكر فيما ينفعهم وإنما هم كالصم البكم الذين لا يعقلون»(1).

والحق أن للعبد قدرة واستطاعة ، ولكن الله تعالى لم يوفقهم لذلك ، لعدم إرادهم، وبذلهم الأسباب التي مكنهم الله منها .

ومن الآيات الأخرى التي تدل على أن الله تعالى أعطى الأسباب، والقدرة على الفعل، ما ورد في قصة الخضر وموسى عليهما السلام، حيث قال تعالى على لسان الخضر لموسى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف : 67] . وهذا لا يدل على عدم وجود أسباب الصبر والآلات التي تعينه على الصبر ، ولكن تدل على أنه لن يستطيع الصبر لما يرى من مخالفة ظاهر الشرع من القتل ، وخرق السفينة ، وهدم الجدار ، إذا فهذا لا يدل على أنه لا يملك الإستطاعة ، لأنها لو انتفت الإستطاعة لانتفى التكليف . وفي كلام المنافقين من عهد الرسول ﷺ واحتجاجهم بعدم وجود القدرة والإستطاعة الذي رد عليهم القرآن قولهم في غزوة تبوك عندما أنكر عليهم المؤمنون عند خروجهم للقتال قالوا : ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة : 42] ، ولم يكن هذا القول لعدم توفر السلاح، والقوة التي تمكنهم من الخروج، وإنما هي متوفرة ، ولكن الله لم يوفقهم لعدم صدق إرادهم في الخروج ، وقد كذبهم الله تعالى في قوله: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة 42]، والإستطاعة المطلوبة التي عليه مناط التكليف ليست كما تدعي المعتزلة من أنها توفر الأسباب فقط، وكان مما استدلوا به قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾

---

(١) تفسير البغوي (379/1، 380).



[آل عمران : 97] ، ولا كما ادعت الجبرية من أنها الإستطاعة التي تكون مع الفعل وينكرون توفر الأسباب وضرورة وجودها ، والتي لو كانت كما تقول الجبرية لم يكن الله قد أوجب مثلاً الحج إلا على من حج ، وأما من لم يحج ، فلا يطالب بالحج، هذا باطل ، ومثله أيضاً قول الله تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: 16] أوجب الله التقوى على المستطيع ، والمراد بالمستطيع الذي معه القدرة على التقوى ، وليس المراد المستطيع الذي فعل التقوى في الحال ، وإلا لما أوجب الله ، وإلا لم تكن الاستطاعة واجبة إلا على من اتقى بالفعل.

وأما أهل السنة والجماعة فقد جمعوا الأدلة على الإستطاعتين ، فالأدلة التي استدل بها المعتزلة تثبت النوع الأول، وهو توفر الأسباب والآلات ، والأدلة التي استدل بها الجبرية تثبت النوع الثاني وهو القدرة التي تكون مع الفعل والتي يجب بها الفعل من التوفيق ، ونحوه، ويستدلون بأدلة كلا النوعين ولا ينكرون منها شيئاً.

قال ابن تيمية : « وقول الأئمة والجمهور هو الوسط من أنها لا بد أن تكون معه وقد تكون مع ذلك قبله ، وتلك القدرة تكون متقدمة على الفعل كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ﴾ [آل عمران : 97] ، فأوجب الحج على المستطيع فلو لم يستطع إلا من حج لم يكن الحج قد وجب إلا على من حج و لم يعاقب أحد على ترك الحج وهذا خلاف المعلوم بالاضطرار في دين الإسلام ، وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ [التغابن: 16] فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى، ولا يعاقب من لم يتق وهذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أيضاً، وهؤلاء إنما قالوا هذا؛ لأن القدرة من المعتزلة والشيعة وغيرهم، قالوا: إن القدرة لا تكون إلا من قبل الفعل؛ لتكون صالحة للضدين الفعل والترك وأما حين الفعل فزعموا أنه حينئذ لا يكون قادراً؛ لأن القادر لا بد أن



يقدر على الفعل والترك وحين الفعل لا يكون قادراً على الترك فلا يكون قادراً وأهل السنة يقولون لا بد أن يكون قادراً حين الفعل ويكون أيضاً قادراً قبل الفعل »(١).

ومن هذا يتبين أن العبد فاعل حقيقة، وأن الله تعالى خالق أفعالهم ، والعبد هو من يطلق عليه المؤمن والكافر ، والمصلي والصائم ، ونحوها ، كما أن العبد له قدرة على العمل وإرادة ، والله تعالى هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم وذلك ما أثبته تعالى في قوله : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير : 28-29] ، قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله - : « إن فعل العبد من صفاته ، والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى وفعل العبد صادر عن إرادة قلبية ، وقدرة بدنية ولولاهما لم يكن فعل ، والذي خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى ، وخالق السبب، خالق للمسبب، فنسبته فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب ، لا نسبة مباشرة؛ لأن المباشر حقيقة هو العبد ، فلذلك نسب الفعل إليه كسبا وتحصيلاً، ونسب إلى الله خلقاً وتقديراً»(٢).

ومن الآيات التي استدلوا بها أيضاً : قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96] فهم يقولون أن معنى الآية : « ومفاد الآية بنظرهم أن (ما) مصدرية وليست اسماً موصولاً فيكون المعنى : الله خلقكم وأعمالكم أي: (وخلق أعمالكم معكم) ومنها عبادة الأصنام وما شابهها.

---

(١) منهاج السنة النبوية ، شيخ افسلام ابن تيمية، المحقق : د. محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ، ط 1 ، ج3 ، ص22، 23، وانظر رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر ، مرعي بن يوسف الكرمي (46/1).

(٢) العقيدة الواسطية لابن عثيمين رحمه الله تعالى ، ص 175.



والأحسن أن تكون (ما) مع الفعل مصدراً، والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب أهل السنة : أن الأفعال خلق الله عز وجل واكتساب للعباد ، وفي هذا إبطال مذاهب القدرية والجبرية .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : (إن الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته) [1]. فهو الخالق وهو الصانع سبحانه »[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96] « حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ أي والحال أنه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فإن جواهر أصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وإن كان بفعلهم لكنه بإقداره تعالى إياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والأسباب»[3].

ومن الأدلة التي تثبت ذلك : قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد : 16] وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: 96] .

«وقد اتفق سلف الأمة وخلفها من الصحابة ، والتابعين، ومن بعدهم من علماء السلف الصالحين رضي الله عنهم أجمعين، على أن الخالق المبدع هو الله لا خالق سواه ولا مبدع إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فلا يكون شيء إلا بخلقه وإبداعه وإرادته وقضائه»[4].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ج1 ص85، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

(٢) تفسير القرطبي (96/15).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، المؤلف : محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (198/7) ، وانظر زاد المسير ، ابن الجوزي (70/7).

(٤) مرهم العلل المضلة في الرد على أئمة ، عبدالله بن أسعد اليافعي ، (163/1)، وانظر معارج القبول ، الحكمي (221/1).



ومن الأدلة التي استدلوا بها حديث « فحج آدم موسى»[١]، وهذا الحديث ليس بحجة لها بل هو كما قرر العلماء من أن «هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق في إثبات القدر وإن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق في علم الله، قال: وليس فيه حجة للجبرية، وإن كان في بادىء الرأي يساعدهم، في معالم السنن قيل: يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر يستلزم الجبر وقهر العبد ويتوهم أن غلبة آدم كانت من هذا الوجه وليس كذلك، وإنما معناه الاخبار عن اثبات علم الله بما يكون من أفعال العباد وصدروها عن تقدير سابق منه، فإن القدر اسم لما صدر عن فعل القادر وإذا كان كذلك فقد نفى عنهم من وراء علم الله أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم تلك الأمور عن قصد وتعمد واختيار فالحجة إنما تلزمهم بها، واللائحة إنما تتوجه عليها، وجماع القول في ذلك: أنهما أمران لا يبدل أحدهما عن الآخر، أحدهما بمنـــزلة الأساس، والآخر بمنـــزلة البناء ونقضه، وإنما جهة حجة آدم أن الله علم منه أنه يتناول من الشجرة فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه؟ وإنما خلق للأرض، وأنه لا يترك في الجنة؛ بل ينقل منها إلى الأرض، فكان تناوله من الشجرة سببا لإهباطه واستخلافه في الأرض، كما قال تعالى قبل خلقه: (إني جاعل في الأرض خليفة) قال: فلما لامه موسى عن نفسه، قال له: أتلومني على أمر قدره الله علي؟ فاللوم عليه من قبلك ساقط عني إذ ليس لأحد أن يعير أحداً بذنب كان منه؟ لأن الخلق كلهم تحت العبودية»[٢].

والحق أن موسى عليه السلام لا يلوم آدم عليه السلام على ذنب غفره الله له، بل هو يلومه على المصيبة التي حلت به وأخرجت آدم وذريته من الجنة، ثم إن آدم عليه السلام لا يحتج بالقدر على

(١) أخرجه مسلم ، كتاب القدر ، باب حجاج آدام وموسى عليهما السلام، برقم2652، ج4 ، ص2042.
(٢) فتح الباري ، لابن حجر (509/11).



الذنب، وإنما احتج بالقدر على المصيبة وهي ما نتج عن الذنب لأن القدر يحتج به في المصائب ، وليس عند الذنب والمعائب(١).

وقد تنوعت الأدلة التي ترد عليهم في كتاب الله ، وما هذا التنوع إلا لإبطال حججهم الفاسدة، وإقامة الحجة عليهم . ومن هذا التنوع ما يلي :

النوع الأول : الآيات الدالة على إضافة الفعل إلى العبد :

مثل قوله تعالى : ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: 108] في قوله ﴿يَتَبَدَّلِ ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [البقرة : 202] في قوله تعالى : ﴿مِّمَّا كَسَبُواْ ۚ ﴾ . وفي قوله تعالى : ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة : 233] ؛ مما يثبت إرادة العبد وقدرته ، وإختياره.

وفي قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة : 175] وذلك لإضافة الفعل إلى الفاعل.

وفي قوله تعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : 253] . ومن فوائد الآية: « الرد على الجبرية ؛ لقوله تعالى ﴿ءَامَنَ ﴾ ، و ﴿مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : 253] ، ومن فوائدها: الرد على الجبرية ، لقوله تعالى : ﴿ءَامَنَ ﴾ ، و ﴿كَفَرَ ۚ﴾ ، حيث أضاف الفعل إلى العبد؛ وهم

(١) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، المؤلف : ابن أبي العز الحنفي (4/1).



يرون أن الإنسان مجبر على عمله ، ولا ينسب إليه الفعل إلا على سبيل المجاز كما يقال : أحرقت النار الخشب؛ وهذه الآية ترد عليهم»(1).

وفي قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : 254] .

لقوله تعالى : ﴿أَنفِقُواْ ﴾ ، حيث أضاف الفعل إلى المنفقين.

وفي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: 58، 59] .

فأضاف الفسق إليهم ، كما أنه لو أجبرهم لما عذبهم على ذلك . كما قال تعالى : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : 49].

ومثلها : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: 79] وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ﴾[الأنعام : 116] وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : 11] ، وقوله تعالى : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ [يوسف: 18]، وقوله : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾ [المائدة : 30] ، وقوله : ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء : 123] ، وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: 38] ، وقوله : ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور : 21] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾ [إبراهيم 22] .

(١) تفسير ابن عثيمين ، (190/5).



وهي أيضاً دليل على الوعد والوعيد الذي يترتب على الطاعات والمعاصي ، إذ لو لم يكن هناك أمر ونهي لما وجد الجزاء على العمل ، ولما كان للتكليف في الشريعة أصل.

النوع الثاني : الآيات التي تدل على مدح المؤمنين على إيمانهم ، وذم الكافرين على كفرهم ، وتدل على أن الجزاء من جنس العمل ، ومنها :

قوله تعالى : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام : 160] .

وقوله : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ [طه: 124].

وقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة : 86].

وقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران : 90].

وأيضاً مما يدل على ان الجزاء من جنس العمل ، إذ لو كانوا مجبرين لكان معاقبة العاصي ، وإثابة الطائع غير عادلة ، تعالى الله عن الظلم.

قوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر : 17] .

وقوله : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية : 28].

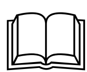
وقوله : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام : 164] .

وقوله : ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه : 15] .

وقوله تعالى أيضاً : ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل 90].

النوع الثالث : الآيات الدالة على التخيير :

مثل قوله تعالى : ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : 40].



أي « لما تبين الحق من الباطل ، والطريق المنجي من عذابه من الطريق المهلك قال: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾ إن شئتم ، فاسلكوا طريق الرشد الموصلة إلى رضا ربكم وجنته ، وإن شئتم، فاسلكوا طريق الغي المسخطة لربكم ، الموصلة إلى دار الشقاء »[1].

ومثلها : ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [الكهف : 29] ، وقوله : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر : 37] .

وقوله : ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ [المدثر : 55] ، وقوله : ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [المزمل : 19] .

وقوله : ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ [النبأ : 39] ، والآيات في هذا كثير.

النوع الرابع : الآيات الدالة على طلب المسارعة إلى الصالحات ، إذ لو أجبرهم لما أمرهم بالتسابق في الخيرات :

ومنها على سبيل المثال : قوله تعالى : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [آل عمران: 133] .

وقوله : ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف : 31] ، وقوله تعالى : ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : 24] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾ [الزمر : 54].

النوع الخامس : الآيات الدالة على اعتراف الكفار والعصاة ، ونسبة ذلك لأنفسهم، إذ لو كانوا مجبورين لما اعترفوا بما اقترفوا ، ومنها :

1- قوله تعالى : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ

(١) تفسير السعدي (750/1).



ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴾ [سبأ: 32].

2- وقوله : ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر : 42، 43].

3- وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ ﴾ [الملك: 8] .

النوع السادس : الآيات الدالة على تحسر الكافرين وندمهم على ما قدموا :

1- قال تعالى : ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا ﴾[فاطر: 37].

2- وقال : ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون : 99، 100].

3- وقال أيضاً : ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ ﴾ [السجده 12].

النوع السابع : الآيات الدالة على بطلان ما ادعوه من تعطيل الأمر والنهي ، ما يلي:

1- قوله تعالى : ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [البقرة : 195] أمر بالإحسان والجبرية يقولون العبد يفعل الشيء مجبوراً عليه ، والمجبور على الشيء لا يؤمر به.

2- في قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : 279] . من فوائد الآية : « الرد على الجبرية؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ ﴾ لأن الجبرية يقولون : إن الإنسان لا يستطيع الفعل، ولا الترك؛ لأنه مجبر؛ وحقيقة قولهم تعطيل الأمر والنهي؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يفعل ما أمر به ، ولا ترك ما نهي عنه»[1].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن عثيمين (306/5).



3- وفـــــي قوله تعالى : ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : 181] ، ذكر من فوائد هذه الآية : « الرد على الجبرية ، وعلى القدرية، فالجبرية يقولون : إن الإنسان مجبر على عمله ، ولا قدرة له ، ولا اختيار؛ فأنكروا حكمة الله تعالى ؛ لأنه إذا قيل بهذا القول الباطل انتفت حكمة الأمر ، والنهي ، والثواب، والعقاب؛ وصار من فعل ما أمر به ، أو ترك ما نُهي عنه ليس أهلاً للمدح؛ لأنه كالآلة ليس عنده قدرة ، ولا اختيار؛ وكذلك أبطلوا حكمة الله في الجزاء؛ لأنه – على أصلهم- يجزي المحسن وهو غير محسن؛ ويعاقـــــب العاصي وهو غير عاصٍ؛ والرد عليهم في قوله تعالى: ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ ﴾ ؛ فأضاف التبديل إلى الإنسان»[1].

وهي أيضاً من الآيات التي تدل على إضافة الفعل إلى العبد ، فقد تحمل الآية عدة معاني، مما يدل على صلاحية القرآن الكريم لكل زمان ، وأنه معجزة كبرى.

4/ ومن الآيات أيضاً قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: 106] وذلك لأنه « إذا أكره المرء على قول أو فعل وقلبه مطمئن بخلاف ما أكره عليه، لم يكن لقوله أو فعله الذي أكره عليه حكم فاعله اختياراً»[2].

ومن الآيات التي أثبتت أكثر من موضوع في الرد عليهم ، قوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : 8-10] .

فقوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ فيه :

١ إثبات للقدر بقوله " فألهمها".

---

(١) المرجع السابق ، (253/4).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ، لابن عثيمين (292/2).



٢ وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية.

٣ وإثبات للتفـــريق بين الحسن والقبيح والأمر والنهي ، بقوله : ﴿ فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾.

٤ وقوله بعد ذلك ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ ، فيه:

1- إثبات لفعل العبد والوعد والوعيد بفلاح من زكى نفسه وخيبة من دساها ، وهذا صريح في الرد على القدرية المجوسية، وعلى الجبرية [١]. وهذه الآية من الآيات التي جمعت الرد على أكثر من شبهة وردت كما تقدم ، كما قال ابن تيمية: « فإذا كان الضلال في القدر حصل تارة بالتكذيب بالقدر والخلق . وتارة بالتكذيب بالشرع والوعيد وتارة بتظليم الرب كان في هذه السورة رداً على هذه الطوائف كلها»[٢].

والأدلة التي تبطل أقوال الجبرية كثير ، والحق أن الواحد منه كاف لمن أراد الحق، ورام الوصول إليه ؛ بل إن جميع أدلتهم تدل على قدرة الرب تعالى ومشيئته، وأنه لا خالق غيره، وأنه على كل شيء قدير ، ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته وأنه الفاعل [٣].

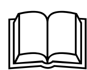
ولو علم العبد أن الله تعالى إنمـــــا خلق الخلق عند خلقهم على الفطرة فقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : 30] ، وهذه الفطرة هي الإقرار له بالربوبية مع توحيده سبحانه فهو سبحانه خلق الخلق وهو عالم بما سيؤول إليه أمرهم ، فخلقهم على ما علم منهم وشاء سبحانه، غير مؤمنين، وغير كافرين، وإنما هم مقرين عارفين ، لا موحدين، ولا جاحدين ومنكرين ، وهو بذلك سبحاانه علم حالهم، وما

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (243/16)، بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق ، نفس الموضع.

(٣) انظر شفاء العليل ، لابن القيم (51/1).



يؤول إليه مصيرهم ، وهو سبحانه منـــزه عن إجبارهم على الكفر ، لأنه تعالى قادر على جعلهم جميعاً مؤمنين موحدين ، ولا يعجزه ذلك؛ إذ لا يصدر الإجبار إلا عن عاجز تعالى الله وتقدس عن ذلك.

وهو سبحانه أعدل من أن يضلهم ويضطرهم إلى الكفر ، بل سبحانه لم يجعل التكليف إلا اختياراً و لم يجعله إجباراً ، كما أنهم غير مجبولين ، بل أمر سبحانه ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل سبحانه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو بذلك عادل فيهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ [يونس : 44] وقال عز من قائل : ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ [هود : 101] ، و لم يضطرهم سبحانه إلى الكفر والعصيان، إذ لو خلقهم كفاراً صبغة لما قال لهم : ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ ﴾ [البقرة : 28] ، إذ لا يليق بالحكيم أن يخلق صبغة، ويغير نفس ما خلق من غير كسب، ولو خلقهم على الكفر لما صح منهم الإيمان وكانوا معذورين ، يحق لهم الإدلاء بحجتهم ، والله تعالى يقول : ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : 30] ، وكان ذلك تكليف ما لا يطاق وذلك مستحيل من حكيم .

وأما قوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ ﴾ [التغابن: 2]، يعني : أنه خلق الكل وقد اعترفوا به بذلك فمنهم من شكر خالقه، واعترف له بالنعم والخلق، فحقق فعله وقبل من رسله ووحد ربه، ومنهم من كفر و لم يشكر خالقه، وأشرك به وكذب برسله فصار كافراً بفعله . وقد قال تعالى : ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة:152] فلما امتثل ذلك قوم وعدل عنه آخرون كانوا هم المرادين من قوله: ﴿ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ ﴾ [التغابن: 2]، وقد قـــال سبحانه في حال المؤمـــنين: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ



وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴾ [الحجرات: 7] فأخبر أنه فعل ذلك بهم بعدما خلقهم و لم يقل : خلقكم مؤمنين: وكره إليكم الكفر فدل على أنه لم يفعل بالكافر ما فعل بالمؤمن، وذلك أبلغ دليل على أنهم لم يخلقوا صبغة: كافرين ولا مؤمنين)، ومن الناس من يؤمن، ثم يكفر ولو كان ذلك صبغة لما انتقلوا من الإيمان والحق إلى الكفر والباطل والعياذ بالله ، وقد قال تعالى : ﴿كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [آل عمران: 86] ، فأضاف إليهم الكفر كما أضاف إليهم الإيمان.

وقال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾ [المنافقون : 3] ، وقال أيضاً سبحانه: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ ﴾ [يونس : 98] ، ولو كانوا كفار بالفطرة لما نفعهم إيمانهم ، بل لما عرفوا الحق واختاروه ، ووفقهم الله إليه نفعهم، واستحقوا الثواب عليه بفضل الله تعالى عليهم ، وهذا ما يؤكده قول الرسول ﷺ : (ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) [1] ، وقال سبحانه: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَ ﴾ [البقرة : 253] و لم يقل : منهم من خلقت مؤمناً ومنهم من خلقت كافراً. وقال سبحانه : ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف : 96] فأعلمنا أن كذبهم وكفرهم هو كسبهم الذي حرمهم البركات وعليه توعدوا بالعقوبات[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم 2658، ج4، ص2047.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية (347/4).



وهذا ما يدل عليه « إجماع المسلمين على أن الكافر لا يعاقب ويجلد على ما خلق إنما يعاقب ويجلد على نيته وكسبه ، وهو موضع إيثارهم لما نهاهم عنه على ما أمرهم به من الإيمان فكان تكذيبه لهم على كسب اكتسبوه ، وفعل فعلوه، ونهي ارتكبوه، وأمر خالفوه وهو ما أحدثوه لا شيء ج بلوا عليه، ولا اضطروا له، ولا خلقوا مجبولين عليه إذ لو خلقهم كفارا لكانوا إلى ذلك مضطرين و لم يقل بذلك أحد من المسلمين»[1].

وقد خرجت من هذا المبحث بما يلي :

١ -القول بالجبر قول فاسد ظاهر الفساد والبطلان ، وهو من المسائل التي اعتنى القرآن الكريم بالرد عليها ، وبيان خطأها . كما قال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: « القول بالجبر باطل بالكتاب والسنة والعقل والحس وإجماع السلف ، ولا يقول به من قدر الله حق قدره وعرف مقتضى حكمته ورحمته»[2].

٢ -لقد بدأ القرآن الكريم ببيان شبه المشركين ، وإيضاح مدى كذبهم ، وضلالهم، ومحاولتهم إيثار الشبهات التي تتعلق بالعقيدة ، ومن هذه الشبه ، دعواهم رضى الله تعالى عن شركهم وإرادته له تعالى الله عن ذلك ، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 148]. فبعد أن أورد قولهم وشبهتهم ، قال : ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا﴾ [الأنعام: 148] ، ثم أبطل قولهم سبحانه بعبارة وجيزة ، كافية شافية ، فقال : ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام : 148] ، ثم أكد بأداة التأكيد : (إن) فقال : ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام : 148] . وأبطل الله تعالى حجة هؤلاء المشركين الذين احتجوا بالقدر على

(١) المرجع السابق ، نفس الموضع.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف : محمد بن صالح العثيمين (291/2).



شركهم حين قال في الآية نفسها : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَا ﴾ ، وما كان الله ليذيقهم بأسه وهم على حق فيما احتجوا به»(١).

٣ –أن التنوع الذي مر معنا في الآيات القرآنية ، فتارة تثبت الفعل للعبد، وتارة يؤمر العبد وينهى ، وتارة تبين ندامة العاصين وتحسرهم ، وتارة تدل على اعترافهم بفعلهم، وتارة تحمل في طياتها التهديد لمن عصى والوعيد ، بل المدح للمطيع ، والذم للعاصي ، وغيرها من المعاني ، كل ذلك من الطريقة التي انتهجها القرآن الكريم لإبطال زيغ الجبرية وشبههم.

٤ –أن في قـــوله تعـــالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾ [النساء : 40] ، دليل عظيم على أن الله تعالى حرم الظلم ونفاه عن نفسه، فكيف يجبر العبد على المعاصي ، ثم يعذبه ؟!

٥ –دقة اختيار الألفاظ القرآنية ، في الآيات ، فالتعبير في قوله تعالى : ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة : 7] ، بحيث عبر باسم المفعول في قوله تعالى ﴿ ٱلۡمَغۡضُوبِ ﴾ وعبر باسم الفاعل في قوله ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، يدل على أنهم هم الذين اختاروا لأنفسهم هذا الطريق ، و لم يجبرهم عليه أحد، وإلا لقال: (المضلين) كما قال ابن القيم : «وأما أهل الضلال فإنهم هم الذين ضلوا وآثروا الضلال واكتسبوه ولهذا استحقوا العقوبة عليه ، ولا يليق أن يقال ولا المضلين م بنياً للمفعول لما في رائحته من إقامة عذرهم وأنهم لم يكتسبوا الضلال من أنفسهم بل فعل فيهم»(٢).

---

(١) المرجع السابق ، نفس الموضع.

(٢) بدائع الفوائد ، لابن القيم ، ج2 ، ص269، 270 ، وانظر مدارج السالكين ص 59 ، 60.



٦ -في قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ [البقرة : 175] فمع إضافة الفعل إليهم إلا أنه عبر بقوله تعالى ﴿ٱشۡتَرَوُاْ﴾ والشراء يسبقه الإختيار ، ويصاحبه الرغبة والمحبة فبهذا بطلت حجة الجبرية من الإجبار.

٧ -اختيار الأسلوب القصصي في القرآن الكريم ، من الأساليب التي يعتمدها في التقرير ، ففي قصة موسى والخضر عليهما السلام دليل على أن العبد لديه القدرة والإستطاعة ، ومع ذلك لم يصير لما يرى ، ولو لم يكترث بما رأى مما يخالف الشرع بظاهره لأمكنه ذلك ، ولكنه لغيرته ، وحرصه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الدافع وراء عدم صبره، وهذا فيه رد أيضاً على الجبرية الذين يدعون انتفاء القدرة والإستطاعة على الفعل.

٨ -أن جميع الآيات التي تتضمن إثبات المشيئة مبطلة لهذا القول ، كما أن التفريق بين الحركات التي تصدر عن العبد سواء الاضطرارية منها والاختيارية شاهد واضح على بطلان مذهب الجبرية.

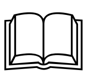
٩ -« يرى الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن من احتج بالقدر على سقوط الأمر والنهي فهو كافر مكذب للرسل وقوله أسوأ من قول القدرية فيقول رحمه الله [١]: «فهؤلاء المحتجون أسوأ حالاً من المجوس ، وهؤلاء حجتهم داحضة...» [٢].

١٠ - « أن مذهب جمهور أهل السنة أن أفعال الإنسان الاختيارية مستندة إليه وأنه فاعل لها والله خلقه فاعلاً وأنه مريد مختار والله جعله مريداً مختاراً فالماشي مثلاً يمشي حقيقة والله جعله ماشياً بمنـــزلة مريض مشى بين اثنين (ولله المثل الأعلى) ويثبتون للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي وإن اختلفوا هل هي مؤثرة في مقدروها أو في بعض مقدورها

---

(١) في مجموع الفتاوى (453/8).

(٢) السببية وصلتها بالقدرة الإلهية عند الفلاسفة والمتكلمين إعداد : رعد الذيب ص 212.



في بعض صفاته أو لا تاثير لها والفخر الرازي يثبت هذه القدرة، وهو يصرح بأنه يقول الجبر والجمهور يقولون إن لقدرة العبد تأثيراً في فعلته من جنس تأثير الأسباب في مسبباتها وليس لها تأثير الخلق والإبداع، ولا وجودها كعدمها، وهذه القدرة قد تكون قبل الفعل، ولا يجب أن تكون معه، ويقولون أيضاً أن القدرة التي يكون بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل إذ لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة ولا بإرادة معدومة، كما لا يوجد بفاعل معدوم ...».

١١ – لفظ الكسب جاء في القرآن في ذكر ما للمكلف وما عليه ، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة : 281] ، وقال – عز وجل – ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة : 225] . ونحو ذلك من الآيات.

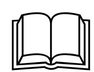
يدل على أن مذهب أهل السنة والجماعة في الكسب هو : أن الكسب هو العمل وهو الفعل ، والله عز وجل قال : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة : 286]، وفرق ما بين الكسب والاكتساب، مع أن كثيراً من أهل العلم يجعلون الكسب والاكتساب بمعنى واحد ، لكن في الآية قال ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعني في الخير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فجعل الاكتساب فيه زيادة في المبنى ، لأن فيه نوع كلفة ، فالخير موافق للفطرة فيكسبه الإنسان لموافقته لفطرته ، مع أنه تكليف ، وأما الشر والردى والضلال فإنه مخالف لفطرته(١).

١٢ – أن من الأدلة العقلية أن الفعل لا يكون إلا بشيئين الأول :

أ) بقدرة وإرادة حاصلة من العبد ، وقدرة العبد وإرادته لم يخلقها هو وإنما خلقها الله.

---

(١) انظر رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، المؤلف : مرعي بن يوسف الكرمي (44/1).



ب) مشيئة الله تعالى، وهي صفة له تعالى ، وليست مخلوقة ، وعقلياً، لو كانت القدرة والإرادة مخلوقة لله تعالى فما ينتج عنها لا يكون إلا مخلوقاً لله تعالى، خلق الله له لا ينفي عدم قدرة العبد على الفعل أو الترك أو أنه مجبوراً عليه كما يزعمون . وهذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات : 96] .

ومن الأدلة العقلية أيضاً : أنه« لو كان العبد مجبراً على عمله ، لكانت عقوبة العاصي ظلماً ومثوبة الطائع عبثاً ، والله تعالى منـــزه عن هذا وهذا ، ولأنه لو كان العبد مجبراً على عمله لم تقم الحجة بإرسال الرسل ، لأن القدر باق مع إرسال الرسل، وما كان الله ليقيم على العباد حجة مع انتفاء كونها حجة»[١].

١٣ - أن مِن الآيات مَن جمعت الرد على القدرية ، والجبرية في آن واحد، ومن هذه الآيات، قوله تعـــالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ [الأنعام : 148-149] . وإذا تدبرت الآية، وجدت صدرها دافعاً لصدور الجبرية ، وعجزها معجزاً للمعتزلة ، إذ الأول مثبت أن للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان ، والثاني مثبت نفوذ مشيئة الله تعالى في العبد، وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الإلهية، وبذلك تقوم الحجة البالغة لأهل السنة على المعتزلة ، والحمد لله رب العالمين»[٢].

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ، المؤلف : محمد بن صالح العثيمين (292/2).

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ويليه كتاب مسائل الجاهلية ، المؤلف : محمد صديق حسن خان القنوجي ، الإمام محمد بن عبدالوهاب ، ط1، الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ، تاريخ النشر : 1421هـــ (271/1).



وقد قامت طريقة القرآن في رد عقيدة الجبر ، وبيان فسادها على ما يلي :

1- عمدت الآيات القرآنية إلى تشويه صورة ادعاء الجبر في أعمال العباد؛ وذلك لما جعلت هذا الادعاء إنما مصدره أهل الشرك . في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [النحل : 35] .

وفي هذه الطريقة تنفير عن هذه البدعة الجاهلية ، وزجر عن النظر إليها .

2- اتخذت الآيات طريقة الربط بين الوسيلة والغاية ، فحددت وسيلة نيل الجزاء العظيم، وهو دخول الجنة، وهي الغاية التي يشمر إليها المؤمنون ، بالعمل العبادي الاختياري ، وهو سائر الطاعات، كما قال تعالى : ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : 43] ، وتحديد الوسيلة إلى الجنة بالعمل، يقطع ادعاء الجبر في أعمال العباد.

3- نصت الآيات الكريمة على الأسباب الحقيقية لفعل المعاصي بشتى صورها ، فذكرت أسباب متعددة تلبس بها الإنسان فصرفته عن الهدى إلى الضلال، ومن تلك الأسباب: العلو والتكبر ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل : 14] ، والتقليد الأعمى لغيرهم ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف : 146] وتزيين الشياطين ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [العنكبوت : 38] وهذه الطريقة تجعل العبد مهتماً بتزكية نفسه عن هذه الصوارف حتى لا يجد في نفسه مجرد التفكير بأنه مجبور ومسير.

4- نوهت الآيات الكريمة إلى نعم الله تعالى الجليلة على عباده ، وركزت على النعم المرتبطة بعمله ، ومنها نعمة الاستطاعة، والقدرة التي منح الله عباده إياها، حتى يتمكنوا من أداء كل أعمالهم ، سواء ما يتعلق منها بالدين ، أو ما يتعلق بالدنيا ، ثم ربط الله تعالى التكليف بالأعمال بهذه النعمة ، كما في قوله تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : 16] .

وربط العمل بالاستطاعة ينفي دعوى الجبر على الأفعال.



المبحث الخامس   بيان القرآن الكريم للألفاظ الخاطئة التي تنافي الإيمان بالقضاء والقدر

كثيراً من الناس يتلفظ بكلمات لا يحسب لها حساباً ، ربما تكون هذه الكلمات أو بعضها مما يكون سبباً في هلاكه وخسرانه في الدنيا والآخرة، وزلات اللسان كثيرة ما بين غيبة إلى نميمة، وكذب وبهتان ، وسباب وشتم ، وتنقص وسخرية ، مما يصل بالعبد إلى الكفر أو الفسوق والعياذ بالله .

ولأن القرآن الكريم هو دستور الأمة، والمهذب لها من النقص والزلل ، سواء في الأقوال أو الأفعال فقد أرشد الأمة ، وضرب لها الأمثلة لبعض الكلمات التي قد توقع العبد في الكفر أو الحرج ، وبين لها في كثير من الأحيان عقوبة هذه الألفاظ، وما يترتب عليها، وهو بها يرسم للأمة الطريق المستقيم في الأقوال إلى جانب الأفعال، لأن مبدأ الثواب والعقاب مترتب عليهما معاً، فكما يجازى العبد على العمل، يجازى على القول ، قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : 18] ، وهو بحثه على الكلمة الطيبة والأمر بها كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : 24] ، وفي تمثيله للكلمة، كالشجرة الخبيثة، لأكبر دليل على محبة الله للكلام الطيب، وبغضه للخبيث، وأنه كما أن الأشجار تؤتي الثمار طيبة كانت أو خبيثة، فإن الكلام كذلك، يعود على قائله، إن خيراً أو شراً ، والدارج على الألسنة كثير والخطأ أكثر من الصواب إلا من رحم الله ، لأن من كثر كلامه كثر لغطه ، ولا يكاد كثير الكلام والهذرمة يسلم منه من حوله، بل لا يكون من خيار الأمة الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : 3]. قال الإمام النووي[1] رحمه الله :

---

(١) يحيى بن شرف بن حسن. العالم محي الدين أبو زكريا النووي، ثم الدمشقي، الشافعي العلامة شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وستمائة. وقد حفظ القرآن، اعتنى بالتصنيف فجمع شيئاً كثيراً



«اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام ، إلا كلاماً تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام، أو مكروه ، بل هذا كثير أو غالب في العادة ، والسلامة لا يعدلها شيء » [١].

وفي الحديث أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي المسلمين خير ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده) [٢]. وقال رسول الله ﷺ : (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) [٣].

عن معاذ بن جبل[٤] ﷺ قال : قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال : (لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير ؟ : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار

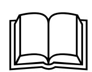
منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله. وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحري والانجماح عن الناس على جانب كبير لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره وكان يصوم الدهر ولا يجمع بين إدامين وكان غالب قوته مما يحمله إليه أبوه من نوى.. توفي في ليلة أربع وعشرين من رجب من هذه السنة بنوى ودفن هناك رحمه الله وعفا عنا وعنه (البداية والنهاية ج13 ، ص 279).

(١) البيان في أخطاء اللسان، وزارة التربية والتعليم ، ط2 ، الرياض ، 1426هـ، ص 16.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ك الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، برقم 40، ج1 ، ص 65.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق : باب : حفظ اللسان برقم 6109، ج5 ،ص 2376.

(٤) معاذ بن جبل : معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو.. أبو عبدالرحمن الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام .. كان أبيض وضيء الوجه براق الثياب أكحل العينين.. كان شاباً جميلاً سمحاً من خير شباب قومه وقال الواقدي كان من أجمل الرجال وشهد المشاهد كلها وروي عن النبي ﷺ أحاديث .. وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها وهو قول الأكثر وعاش أربعاً وثلاثين سنة وقيل غير ذلك.



وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: 16] (حتى إذا بلغ) (يعملون) ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت: بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاه وذروة سنامه الجهاد ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك وهل يُكب الناس في النار على وجوههم – أو قال على مناخرهم – إلا حصائد ألسنتهم ؟)[١]، ولخطورة الكلام وأثره فقد جعل النبي ﷺ حفظ اللسان ملاك الأمر كله ، ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) [٢]، وبهذا يكون الصمت مقدم على الكلام وأفضل منه في كثير من الأحيان ، وقد أحسن من قال :

احذر لسانك أن تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

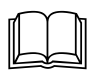
وقال تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : 18] أي : «يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله أكلت، وشربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس، عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان من خير أو شر وألقى سائره فذلك قوله : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد : 39] »[٣].

---

(١) رواه الترمذي برقم 2616 ج 5 ص 11، وقال عنه : حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب : الأدب ، باب : باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، برقم 5787، ج5، ص2273.

(٣) فتح القدير للشوكاني (111/5).



وقد كان صحابة الرسول ﷺ من أحرص الناس على كلامهم ، « عن حذيفة [1] ، قال: إن الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً ، وإني لأسمعها اليوم من أحدكم في المجلس عشر مرات»[2].

وقال صاحب كتاب الكبائر : « ولو ابتلى – أي الشخص – بمصائب فقال: أخذت مالي وولدي وماذا نفعل ، كفر، »[3].

مما يدل على خطورة بعض الألفاظ التي قد توصل بالعبد إلى الكفر والعياذ بالله، إذ لا يجوز سؤال الله تعالى عما يفعل ، ولا عما أوجد ولو لم يظهر لنا الحكمة والفائدة منه، لقوله تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : 23] يدخل في هذه الآية جميع ما أوجده ، سواء من المخلوقات ذوات الأرواح أو من النباتات أو من الأفعال ، ولا يقال: لماذا أمر الله بكذا ؟ ولماذا حرم كذا ؟ ولماذا أوجب كذا ؟ كل هذا لا يجوز :﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[الأنبياء : 23] [4].

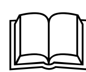
---

(١) حذيفة بن اليمان الأزدي ذكر بن سعد أن النبي ﷺ بعثه مصدقاً على الأزد في قصة طويلة .. كانوا مقرين بالإسلام فلما توفي النبي ﷺ ارتدوا فأرسل أبو بكر عكرمة بن أبي جهل وكان رأسهم لقيط بن مالك فانهزموا وقوي حذيفة وأصحابه فأسر عكرمة منهم جماعة فأرسلهم مع حذيفة إلى أبي بكر بعد أن قتل طائفة وأقام عكرمة ثم عزله أبو بكر . (الإصابة في تمييز الصحابة ج2 ص 45 بتصرف يسير).

(٢) الإنابة عن شريعة الفرقة الناجية للشيخ العكبري الحنبلي ، ج1 ، ص 320.

(٣) الكبائر للإمام شمس الدين الذهبي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1428هـأ – 2007م، ص134.

(٤) الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي ، شرح فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين ، ص 215، 216.



وهذه المخاصمة هي أصل منهج إبليس مع ربه ، فقد كان منهجه : عدم الرضا بأقضيته وأحكامه الدينية والكونية القدرية ، فلو رضي لم يمسخ من الحقيقة الملكية إلى الحقيقة الشيطانية الإبليسية[١].

ولتنوع الكلام وأسبابه ، واختلافه باختلاف قائله ، وموضوعه ، وسبب قوله، ونية، ومقصد قائله، فسأقتصر على: الألفاظ التي تتعلق بمنافاة الإيمان بالقضاء والقدر ، والتي فيها اعتراض على الإيمان به ، لتعلقها بموضوع هذا المبحث ، وإلا فإن الألفاظ الدارجة على الألسن مما ينافي الإيمان بالقدر كثيرة، ومتنوعة بتنوع البيئات والأشخاص والعصور ، ولصعوبة الحكم على كل قول؛ فقد اقتصرت على ذلك مما ورد في الآيات ، وما ورد في الآيات القرآنية يقاس عليه غيره من الألفاظ الدارجة على الألسن.

ومن هذه الألفاظ التي ذكرت في القرآن الكريم :

– قال تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر : 15-16] .

في تفسير الطبري قال : « يقول : وأما إذا امتحنه ربه بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ يقول : ضيق عليه رزقه وقتره ، فلم يكثر ماله، و لم يوسع عليه ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ يقول: فيقول ذلك الإنسان : ربي أهانني ، يقول : أذلني بالفقر ، و لم يشكر الله على ما وهب له من سلامة جوارحه ، ورزقه من العافية في جسمه .. وعن قتادة [٢]﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ ما أسرع كفر ابن آدم»[٣].

---

(١) انظر : مدارج السالكين ، 212/2.

(٢) قتادة بن دعامة أبو الخطاب السدوسي الأعمى الحافظ المفسر عن عبدالله بن سرجس وأنس وعنه أيوب وشعبه وأبو عوانة ، مات كهلاً 118 وقيل 117، (الكاشف ، ج2 ، ص 124).

(٣) تفسير الطبري (412/24).



فالإنسان إذا أنعم الله عليه، وزاده من نعمه يتفاخر، ويتباهى، ويتوهم أن هذه النعم هو جدير بها ، وليست من فضل الله تعالى ، وكأنه يقول ما قاله قارون : ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص : 78] ، وفي حالة المنع والضيق في الرزق يجزع ، ويأبى أن يرضى بقضاء الله وقدره ، ولا يخطر بباله أن نعم الله ، إنما هي فضل، تفضل به سبحانه عليه ليختبره، أيشكر أم يكفر ؟ وأن تضييقه عليه في الرزق ، ليس من الإهانة في شيء، بل هو للابتلاء أيضاً والامتحان.

ولما كان هذا القول مذموماً من هذا الإنسان في الحالين لعدم شكره لله تعالى في حالة الرخاء ، ولعدم صبره على قضائه في حالة البأساء ، لما كان الأمر كذلك، جاء حرف الردع بعد ذلك فقال تعالى : ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ [الفجر : 17-18] . فقول الله سبحانه (كلا) زجر وردع عن قول (ربي أكرمن) عند حصول النعمة، وعن قول (ربي أهانن) عند حصول الضيق في الرزق ، لأن الله تعالى قد يوسع على الكافر وهو مهان ومصيره إلى النار ، وقد يضيق على المؤمن، وهو يحبه ومصيره إلى الجنة ، وكل ذلك بحكمة الله تعالى ، والمؤمن الصادق هو الذي يشكر عند الرخاء ، ويصبر عند البأساء ، ففي هذا « رد الله على من ظن أن سعة الرزق إكرام وأن الفقر إهانة، فقال (كلا) لم أبتله بالغنى لكرامته ، و لم أبتله بالفقر لهوانه، فأخبر أن الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرزق ، ولكن الفقر والغنى بتقديره ، فيوسع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه ، إنما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته»[1].

---

(١) معالم التنزيل ، للبغوي (421/8).



ثم إن الأولى بالعبد المؤمن أن يوظف ما آتاه الله تعالى من نعمة فيما يعود عليه بالرضا والتوفيق ويسأل الله الإعانة على البر كما ورد في الحديث : (اللهم مارزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب ، اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب)(١).

وكما ذكر الله تعالى من نبيه سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس عنده فقال : ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ [النمل : 40] «فالنعم ابتلاء من الله ، وامتحان، يظهر بها شكر الشكور، وكفر الكفور، كما أن المحن بلوى منه سبحانه، فهو يبتلى بالنعم، كما يبتلى بالمصائب»(٢).

ومن الصفات التي إذا اتصف بها العبد، وقع في عدم الإيمان والرضا بالقضاء ، صفة الهلع التي يترتب عليها المنع مع الخير والسعة، والجزع مع الفقر والحاجة ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: 19-21] ثم استثنى من ذلك المصلين فقال : ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: 22] «الهلوع وهو شدة الحرص الذي يترتب عليه الجزع والمنع»(٣).

وفي الحديث : (شر ما في المرء شح هالع، وجبن خالع) (٤).

ولا شك أن من اتصف بهذين الخُلقين الذميمين، سيصدر عنهما من الألفاظ القبيحة ما يضاد القدر.

---

(١) أخرجه الترمذي ، برقم 3491، ج5 ص 523، وقال : هذا حديث حسن غريب.

(٢) الفوائد لابن القيم (155/1).

(٣) شفاء العليل لابن القيم (60/1) ، وانظر الروح لابن القيم (237/1).

(٤) سنن أبي داود ، برقم 2511، ج2ص 15، قال الألباني : صحيح ، ورواه أحمد في مسنده برقم 8246، ج2، ص320، وقال الأرنؤوط : إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح.



والهلع والجزع، خلقين ذميمين، يولد عند العبد سوء الظن بالله، وضعف النفس ، والشر فيمنع الخير ولا ينفقه ، ويعيش خائفاً جزعاً ألا يفقده ، وقد ذكر القرآن الكريم ما هو ضد لهذه الصفة المنهية مما يؤكد على أن الضد هو المطلوب من الإنفاق ، وعدم التقتير وبذل للمال مع الرضا بما قدر وقضى، ومن هذه الآيات :

- قول الله عز وجل : ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران : 133-134]، وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [القصص : 52-54] إلى غيرها من الآيات التي لا يتسع المقام لذكرها.

وقد نهى الله عن الحزن في مثل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: 127-128]. وقوله سبحانه : ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة : 40] .

قال الله تعالى : ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [الحديد: 23] .

فهذه دعوة للعباد إلى ترك الحزن على الدنيا ، بل نهى الله عنه، وإن تلعق بالدين، كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران : 139] ، وقد قال ابن القيم في ذلك : « اعلم أن الحزن من عوارض الطريق، ليس من مقامات الإيمان، ولا من منازل السائرين؛ ولهذا لم يأمر الله به في موضع قط، ولا أثنى عليه، ولا رتب جزاء ولا ثواباً بل نهى عنه في غير موضع كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل



عمران : 139] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النحل: 127]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[المائدة: 68] ، وقال : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : 40] ، فالحزن هو بلية من البلايا التي نسأل الله دفعها وكشفها»(١).

ومن الألفاظ التي ورد النهي عنها في القرآن الكريم، مما ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، ما ورد في قوله تعالى على لسان المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: 148] فهذه من ألفاظ المشركين، التي تدل على، عدم إيمانهم بالقضاء والقدر بطريقة سليمة ، وهي نص في النهي عن كلمة (لو) عند حلول المصيبة ، ولهذا نعى الله عز وجل على المنافقين مقولتهم : ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾ [آل عمران: 154] . ومقولة : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ﴾ [آل عمران: 168]. فرد الله عليهم وعلى أمثالهم بقوله: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : 168]» (٢).

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : (احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجزن . وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا . ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) (٣).

فهي تفتح عمل الشيطان؛ لأن فيها اعتراض على القدر فهذا هو المنهي عنه، وأما لو قالها تأسفاً على فوات فعل الخير، فهذا لا بأس به ، ولا شيء فيه لأنه؛ من باب التأسف

---

(١) طريق الهجرتين ، ابن قيم الجوزية ، (418/1).

(٢) الإيمان بالقضاء والقدر ، تأليف محمد بن إبراهيم الحمد ، ص 152، 153.

(٣) سبق تخريجه ص 282.



على الخير، وليس من باب الاعتراض على القدر، كما قال النبي ﷺ (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي) [(1)].

وقد دلنا النبي ﷺ على البديل عنها، وهو قول : (قدر الله وما شاء فعل) كما ورد في الحديث، وذلك لأن قوله : لو كنت فعلت كذا وكذا لم يفتني ما فتني أو لم أقع فيما وقعت فيه، كلام لا يجدي عليه فائدة البتة، فإنه غير مستقبل لما استدبر من أمره، وغير مستقبل لعثرته بــ(لو) وفي ضمن (لو) ، ادعاء أن الأمر لو كان كما قدره في نفسه؛ لكان غير ما قضاه الله وقدره وشاءه، فإن ما وقع مما يتمنى خلافه؛ إنما وقع بقضاء الله وقدره ومشيئته فإذا قال : لو أني فعلت كذا لكان خلاف ما وقع، فهو محال، إذ خلاف المقدر المقضي محال، فقد تضمن كلامه كذباً وجهلاً ومحالاً، وإن سلم من التكذيب بالقدر، لم يسلم من معارضته بقوله: لو أني فعلت كذا؛ لدفعت ما قدر الله علي »[(2)].

وفي هذا الحديث، ملمح من ملامح الكمال في الشريعة الإسلامية ، فالإسلام ينأى بالمسلم أن يسترسل مع أحزانه ، ويربأ به أن يعيش على اجترار ماضيه ، لأن ذلك لا يجدي عليه شيئاً ، كما أنه يرشده إلى ما هو أنفع، وأولى وهو التعزي بالقدر ، والسعي فيما ينفع مستقبلاً»[(3)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى هذا الحديث : « لا تعجز عن مأمور ، ولا تجزع من مقدور»[(4)].

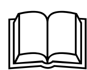
---

(١) صحيح البخاري ، برقم 6802، كتاب : التمني ، باب : قول النبي ﷺ لو استقبلت من أمري ما استدبرت ج6، ص 2642.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية (325/2).

(٣) الإيمان بالقضاء والقدر ، تأليف : محمد بن إبراهيم الحمد ص 153.

(٤) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (38/16).



وأما لو التي تقال عند فوات فعل الخير تأسفا عليه وليس اعتراضا على القدر فلا بأس بها ولا شيء فيها لأنه من باب التأسف على الخير وليس من باب الاعتراض على القدر كما قال النبي ﷺ (لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي) [(1)]، وهذا القول خبر عن مستقبل لا اعتراض فيه على قدر ، بل هو إخبار لأصحابه أنه لو استقبل الإحرام بالحج؛ ما ساق الهدي ، ولأحرم بالعمرة ، قال ذلك لهم لما أمرهم بفسخ الحج إلى العمرة؛ حثا وتطييباً لقلوبهم لما رآهم توقفوا في أمره ، فليس هذا من المنهي عنه، بل هو إخبار لهم عما كان يفعل في المستقبل لو حصل ، ولا خلاف في جواز ذلك ، وإنما ينهى عن ذلك في معارضة القدر. والله أعلم»[(2)].

وقول الله تعالى : ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران : 154] .

قال ابن القيم في الآية الأولى : « فليس مقصودهم بالكلمة الأولى والثانية إثبات القدر ورد الأمر كله إلى الله ولو كان ذلك مقصودهم بالكلمة الأولى لما ذموا عليه ولما حسن الرد عليه بقوله : ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ ، ولأن كان مصدرها هذا الكلام ظن الجاهلية ، ولهذا قال غير واحد من المفسرين : إن ظنهم الباطل ها هنا : هو التكذيب بالقدر وظنهم أن الأمر لو كان إليهم وكان رسول الله ﷺ وأصحابه تبعاً لهم يسمعون منهم لما أصابهم القتل ، ولكان النصر والظفر لهم فأكذبهم الله عز وجل في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية ، وهو الظن المنسوب إلى أهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الذي لم يكن بد من نفاذه أنهم كانوا قادرين على دفعه وأن الأمر لو كان إليهم لما نفذ

(١) سبق تخريجه ص355.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، والرد على أهل الشرك والإلحاد ، للفوزان ص 139.



القضاء فأكذبهم الله بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه، وقدره، وجرى به علمه، وكتابه السابق..»[1].

وأكثر الناس، يظنون بالله ظن السوء فيما يرونه من حالهم ، وحال غيرهم ، ولا يسلم من ذلك، إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، ولأن كل شيء بحكمته سبحانه ، فيجب على المؤمن أن يحسن الظن بربه، فإن الله تعالى عند ظن عبده به. « ولم يجيء في القرآن وعيد أعظم من وعيد من ظن به ظن السوء قال تعالى : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: 5-6] [2].

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [هود: 8-11] .

« يخبر تعالى عن الإنسان وما بهمن الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين ، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة ، حصل له يأس ، وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفر، وجحود لماضي الحال، كأنه لم ير خيراً ، ولم يرى بعد ذلك فرجاً. وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ﴾ أي : يقول : ما بقي ينالي بعد

---

(١) زاد المعاد لابن القيم (196/3).

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (1356/4).



هذا ضيم ولا سوء ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ أي : فرح بما في يده، بطر فخور على غيره، قال الله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي : في الـــرخاء والعافية ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أي : بما يصيبهم من الضراء ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ بما أسلفوه في زمن الرخاء»[1].

كما جاء في الحديث : (والذي نفسي بيده، لا يصيب المؤمن هم ولا غم، ولا نصب ولا وصب ، ولا حزن حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه)[2].

وفي الصحيحين : (والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له، وليس ذلك لأحد غير المؤمن)[3].

ومثلها قوله تعـــالى : ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: 49-51] .

وهنا قال : (هذا لي ، وما أظن الساعة قائمة). «أي : إذا أصابه خير ورزق بعدما كان في شدة ليقولن : هذا لي ، إني كنت أستحقه عند ربي ، ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ أي : يكفر بقيام الساعة ، أي : لأجل أنه خول نعمة يفخر ، ويبطر ، ويكفر، كما قال

---

(١) تفسير ابن كثير (309/4).

(٢) أخرجه البخاري برقم (5318) ، كتاب : المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرضى ، ج 5 ، ص 2137. ومسلم في صحيحه، ك البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، برقم (2573) ، ج4 ، ص 1992.

(٣) سبق تخريجه ص 26.



تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ⁦(٦)⁩ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق : 6-7] ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [فصلت: 49]. أي : ولئن كان ثم معاد فليحسنن إلي ربي، كما أحسن إلي في هذه الدار ، يتمنى على الله ، عز وجل ، مع أساءته العمل وعدم اليقين ، قال تعالى : ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال»[١].

وما هذا القول، الذي وصل به إلى درجة الغرور ، والبطر؛ إلا لعدم إيمانه بأن ما قدره الله تعالى هو الحاصل ، وليس ذلك له لاستحقاقه على الله تعالى ، وإنما ما يتمناه على الله رغم إساءته العمل فهو؛ سبيل إلى عقابه والنكال به ، إذ لو آمن بقدر الله تعالى؛ لشكر على النعماء، وصبر على الضراء ، وأثبت النعمة إلى مالكها ومصرفها سبحانه دون سواه ، وليس لمكانته أو نسبه أو ماله.

ومن الألفاظ المنهي عنها أيضاً ، ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ⁦(٢٣)⁩ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف : 23-24] ، ففي هذه الآية، نهي عن الجزم بفعل شيء في المستقبل دون تقييده بالمشيئة ، ومثله لو جزم أحد بوقوع شيء في يوم كذا وكذا دون تقييده بالمشيئة[٢].

ومن الآيات التي وصفت فعل من لا يؤمن بالله ولا يرضى بقضائه:

- قوله سبحانه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج : 11]، «فلو

(١) تفسير ابن كثير (186/7).

(٢) انظر القضاء والقدر ، لحمد الحمد ، ص 147.



عبدوا الله في الشكر على السراء، والصبر على الضراء، لم يكونوا على حرف [1]، فكانت نتيجة ذلك أن ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا﴾ يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمل، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ بذهاب الدين والخلود في النار» [2].

وذلك جراء عدم إيمانهم، ورضاهم فإنهم يسقطون من أول محنة يتعرضون لها، كما هو حال المنافقين الواردة في هذه الآية، وحالهم أيضاً حال، من قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: 10-11].

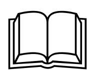
يقول الله مخبراً عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، و لم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم، إذا جاءتهم فتنة، ومحنة في الدنيا، اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ﴾ [العنكبوت: 10]، قال ابن عباس: يعني فتنة، أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله، وكذا قال غيره من علماء السلف، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: 11] [3].

ومن هذا يتضح، أن علاقة العبد مع خالقه، ليست علاقة تبادل مصالح، كما هي الحال مع المخلوقين، فإذا أكرم قام بما أُمر به وإلا لم يعبد الله و لم يوحده، وهذا من

(١) تفسير البغوي (368/5).

(٢) تفسير البغوي (369/5).

(٣) تفسير ابن كثير (265/6).



الأخطاء التي يقع فيها العبد بل هو من المصائب التي تفسد على العبد دنياه وآخرته، فقد يصف الله بالظلم، بل يعتقد أنه لا يحبه ولا يريد أن يرزقه ، فينتهي به الحال إلى الانتحار، ونحوه، كما يفعل الفساق البعيدون عن الله.

ومن الآيات أيضاً :

قوله تعالى : ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية : 24] .

« قال بعض السلف : كانت العرب في جاهليتها ومن شأنها ذم الدهر ، (أي : سبه) عند النوازل ، فكانوا إذا أصابتهم شدة أو بلاء ، قالوا : أصابتهم قوارع الدهر ، وأبادهم الدهر، وقالوا يا خيبة الدهر! فيسندون الأفعال إلى الدهر ، ويسبونه ، وإنما فاعل ذلك هو الله ، فإذا أضافوا ما نالهم من الشدائد إلى الدهر ، فإنما سبوا الله عز وجل ، لأن الله هو الفاعل لذلك حقيقة»(١).

وفي الصحيحين ، قال رسول الله ﷺ : (قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار) (٢).« ومعنى النهي عن سب الدهر أن من اعتقد أنه الفاعل للمكروه فسبه أخطأ، فإن الله هو الفاعل، فإذا سببتم من أنزل ذلك بكم رجع السب إلى الله»(٣).

وقد رد القرآن الكريم، هذا اللفظ الخاطىء في آخر الآية، لمَّا أخبر الله تعالى أن هذه النسبة إنما قامت على الظنون، والتخرصات فحسب .

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الإعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، للشيخ ، د. صالح بن فوزان الفوزان ص 133، وانظر معالم التنـــزيل للبغوي (246/7).

(٢) أخرجه البخاري برقم 7053 ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (الفتح 14)، ج6 ص 2722.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للعسقلاني (565/10).



ومما خرجت به :

١ - الأسلوب القرآني الرائع في تزكية النفوس الطاهرة والسمو بها عن كل شائبة.

٢ - بعد قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾[الفجر : 15-16] وذكر الألفاظ المنكرة، التي قد ترد على الألسنة قال بعدها: كلا، و لم يقل: لا، لما في كلا من النفي، والردع مما يعكس، لا التي تدل على النفي ، ومعنى كلا: الردع والزجر[1]. وهذا من طريقة القرآن الكريم في تقرير الحقائق ، ومبالغة في الإنكار عليهم، وعدم الرضا بهذه الصفات ، بل ما أصابكم هو: بسبب ما اقترفتموه من عدم إكرام اليتيم، والدعوة إلى إطعام المسكين ، إلى جانب ما يختبر الله به عباده، بل ليس من دليل المحبة زيادة المال ، والصحة، بل قد تكون هلاكاً وجزاءاً رادعاً والعياذ بالله، كما في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام : 44] .

٣ - منافاة صفة الهلع، التي يترتب عليها الجزع، والمنع للإيمان بالقضاء والقدر، فالعبد الذي رزق الإيمان بقضاء الله، وقدره لا يتأثر في حال الخير، ولا في حال الشر. ولذا كان من طريقة القرآن الكريم، ذكر هذه الصفات الذميمة حتى يتجنبها المؤمن ، والجمع بين الهلع، والجزع في نفس الآية؛ حتى تشتمل كل الأحوال سواء الغنى أم الفقر.

٤ - إن في وصف الله تعالى للإنسان بصفة الهلع، والجزع؛ لدليل على علمه تعالى بمن خلق، وبصفاته، وما يمكن أن يحدث منه على كل أحواله، مما يثبت ربوبيته

(١) لسان العرب لابن منظور (227/15).



وألوهيته وحده سبحانه، لعلمه بجميع ما يفعله الإنسان من خير وشر ، كما أن فيها خطاب للعقل البشري، الذي يعرف هذه الصفات، ويدرك عدم مشروعيتها، وعدم الرضا بها ، وهذا من الأسلوب القرآني العظيم الذي يصرح فيه الله تعالى عن الصفة، ويبين عدم محبتها، من خلال وصفها تعالى .

٥ – في ذكر القرآن الكريم لحال من ابتلي بالمصيبة على كل الأحوال ، سواء صبر أم لم يصبر ، ثبت أم لم يثبت ، تربية إيمانية ، وربط بين الحالتين ليتبين الفرق الذي بينهما ، كما أن فيه مخاطبة بالمحسوس، وربط بواقع البشرية الذي لا تخلو إما من راض بما قدر ، أو ساخط ، والعاقل: من علم أن المصيبة تحصل له ولغيره ولكن النتيجة تكون على حسب مقابلتها، والأصل في ذلك كما قال ابن القيم: (أن يعلم أن المصيبة، ما جاءت لتهلكه، وتقتله، وإنما جاءت لتمتحن صبره، وتبتليه؛ فيتبين حينئذٍ، هل يصلح لاستخدامه، وجعله من أوليائه، وحزبه، أم لا؟ فإن ثبت، اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خلع الإكرام، وألبسه ملابس الفضل، وجعل أولياءه وحزبه خدماً له، وعوناً له، وإن انقلب على وجهه، ونكص على عقبيه، طرد وصفع قفاه، وأقصي، وتضاعفت عليه المصيبة، وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها، وزيادتها، ولكن؛ سيعلم بعد ذلك؛ بأن المصيبة في حقه صارت مصائب كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقه صارت نعماً عديدة، وما بين هاتين المنـــزلتين المتباينتين إلا صبر ساعة»[١].

٦ – أن في ذكر الله تعالى لهذه الألفاظ، وربطه بينها، وبين من لا يؤمن بما قضاه الله تعالى، وقدره دليل على عدم الرضا بها، والنهي عنها إذ لو ارتضاها لامتدح أصحابها.

---

(١) طريق الهجرتين (416/1).



٧ - أن المتأمل في قصة قارون، وتسلسل أحداثها التي أدت في نهايتها إلى ضرورة التذكير الإيماني لضعفاء النفوس ، حيث أوقد فيهم هذا التذكير جذوة الإيمان بسبب نصحهم ، وبعد أن رأوا نهاية وخاتمة قارون.

٨ - أسلوب القرآن المعجز بتربية الأمة بالقصص والأحداث ، وبيان الصحيح والخاطىء من الأقوال والأفعال.

٩ - أن في تجنب مثل هذه الألفاظ المنكرة ، وخاصة عند نزول البلايا ، تحقيق لمعنى العبودية الحق، والقيام بحق الله تعالى عليه الذي قال فيه ابن القيم : « حق الله عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها الصبر بلا خلاف بين الأمة أو الصبر ، والرضا على أحد القولين؛ فهو مأمور بأداء حق الله وعبوديته عليه في تلك البلوى ، فلا بد له منه وإلا تضاعفت عليه».

١٠ - أن من استطاع التغلب على هفوات لسانه، وروضه على الذكر والكلام الطيب، حري بأن يجني الثمار الطيبة من ذلك ، ويتغلب على هفوات جوارحه وغيرها ، ولذلك جعله الرسول ﷺ ملاك الأمر كله كما في الحديث المتقدم.

وقد قامت طريقة القرآن الكريم في بيان الألفاظ الخاطئة التي تنافي القدر على ما يلي:

1- اعتمدت الآيات الكريمة على طريقة الجمع بين البشارة والنذارة، أو الترغيب والترهيب، في كل ما يتلفظ به اللسان ، كما في قوله تعالى : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق : 18] . وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم : 24] . وهذه الطريقة تربي العباد على اختيار ما يرضي الرب سبحانه من الألفاظ ، وعلى الابتعاد عما يغضبه منها ، ومن ذلك ما ينافي الإيمان بقضائه وقدره.

2- في ألفاظ القرآن التي تبين الألفاظ الخاطئة في باب القدر: برز قوة الزاجر والرادع بشكل جلي كما في قوله تعالى وهو يرد على من يجعل نعمة الله كرماً مطلقاً ،

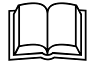


وتقديره للفقير أنه إهانه . فكان الرادع والزاجر قوله (كلا)، فطريقة القرآن هنا اتصفت بالقوة في إبطال مثل هذه الألفاظ.

3- عمدت الآيات إلى ذم الألفاظ التي تنافي القدر، وذم أصحابها . فوصفت هذه الألفاظ بالظنون التي لا يعول عليها ، ولا يجوز الاحتجاج بها في قوله تعالى : ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران : 154] . كما وصفت حال من تخرج عنه الألفاظ المنافية للقدر بأنها لا تخلو إما أن تكون، حالة يأس يصل إلى حد الكفر أحياناً، وإما أن تكون، حالة فرح وغفلة تصل إلى حد الفخر والخيلاء .

وفي هذه الطريقة: ما يكفي للتنفير من الاقتداء بمن هذه حالتهم، كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ وقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ .

4- ركزت الآيات على بيان أنواع الوعيد لمن ظهر من حاله ، أو في ألفاظه ما ينافي الإيمان بالقدر . كقوله تعالى : ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَاخِرَةَ﴾ [الحج : 11] ، وقوله : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت : 50] ، وقوله : ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: 44].



الفصل الثالث

بيان القرآن الكريم لثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول الصبر عند نزول المصائب وعدم الأسى على ما مضى

المبحث الثاني الرضا بما قسم الله

المبحث الثالث الدفع إلى العمل والإنتاج

المبحث الرابع قوة النفس وسكينتها

المبحث الأول الصبر عند نزول المصائب وعدم الأسى على ما مضى

الصبر لغة : « نقيض الجزع: صبر، يصبر، صبراً، فهو: صابر، وصبَّار ، وصبيرٌ ، وصبورٌ، والأنثى: صبور أيضاً بغير هاء وجمعه صبرٌ .. وأصل الصبر: الحبس[1] ، وفي أسماء الله تعالى الصبور – تعالى وتقدس – وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة ومعناه قريب من معنى الحليم»[2].

والصبر هو : « حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر ونحوه.. [3]، وزاد في كتاب الروح فقال : « وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية »[4] ، وفي فتح الباري قال: « وأحسن ما وصف به الصبر أنه حبس النفس عن المكروه ، وعقد اللسان عن الشكوى والمكابدة في تحمله وانتظار الفرج... »[5] وفي جامع العلوم والحكم «الصبر كف النفس وحبسها عن السخط مع وجود الألم، وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع»[6] . وقال سعيد بن جبير [7] : الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب منه، واحتسابه عند

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور (437/4).

(٢) لسان العرب ، ابن منظور (437/4).

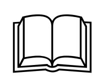
(٣) الوابل الصيب ، ابن قيم الجوزية (11/1).

(٤) الروح ، ابن قيم الجوزية (241/1).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري (303/11).

(٦) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي (195/1).

(٧) سعيد بن جبير : أبو محمد بن جبير قدم أصبهان أيام الحجاج وروى عنه من الأصبهانيين جماعة منهم جعفر بن أبي المغيرة وحجر الأصبهاني ويزيد بن هزازري والقاسم بن أبي أيوب ،ومات سنة خمس وتسعين قتله الحجاج صبراً وله ثلاث بنين عبدالله ومحمد وعبدالملك ، وكان فيما ذكر نازلاً سنبلان ومصلاه في المسجد المعروف بجلجلة بن بديل التميمي .. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها ، المؤلف : عبدالله بن محمد بن جعفر بن



الله رجاء ثوابه ، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه إلا الصبر»[١].

والصبر بهذا هو التحكم في ضبط الجوارح واللسان والقلب ، وحبسها على الإيمان بالقضاء؛ رغبة في فرج الرب تبارك وتعالى ، ويقيناً بأن الله سبحانه وتعالى لم يبتليه؛ ليهلكه ولا لأنه يبغضه ، وإنما ابتلاه؛ ليمتحن صبره، ويرى صدق عبوديته تعالى، والواجب على المؤمن أن يعبد الله تعالى على جميع الأحوال ، في السراء والضراء ، في الفرح والحزن، في الغنى والفقر؛ لأن من حق الله تعالى على عبده، عبادته فيما يكره كما يعبده فيما يحب .

والصبر: عبادة قلبية لله تعالى من العبد المؤمن، الذي يواجه مصائبه وما يكره من أمور الدنيا بالصبر والاحتساب . قال الشاعر[٢] :

إني رأيت وفي الأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الأثـــــــــر

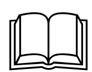
وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وحبس الجوارح عن كل تصرف ينافي الرضا ولا يدل على الصبر ، شامل لكل ما يمكن أن يقوم به العبد من لطم للخدود ، وشق للجيوب ، ونتف للشعر ، والتسخط بأي حركة تدل على ذلك ، فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (ليس منا من لطم

= حيان أبو منحمد الأنصاري ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1412هـــ - 1992م، تحقيق : عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي ، ج1 ص 315.

(١) تفسير ابن كثير (446/1).

(٢) صاحب الأبيات أبو حية النميري . انظر : شرح نهج البلاغة ، المؤلف : عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ، أبو حامد ، عز الدين (المتوفى : 656هـــ) المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه (323/1).



الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية) [١] . وثبت في الصحيح عنه أنه بريء من الحالقة والصالقة والشاقة[٢].

ورد في لسان العرب في معنى الحلق : « والمرأة إذا حلقت شعرها عند المصيبة حالقة وحلقى»[٣] .

والصلق : « الصَّلْقةُ والصَّلْق والصَّلَقُ الصياحُ والولولةُ والصوت الشديد»[٤].

قال ابن القيم : « فالحالقة التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والصالقة التي ترفع صوتها بالويل والثبور ونحوه ، والشاقة التي تشق ثيابها»[٥].

وحبس اللسان عن كل لفظ ينافي الصبر والرضا ، من نياحة ودعاء بإثم أو رفع صوت ببكاء وما أشبه ذلك، وفي الصحيح عنه أنه قال : (وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) [٦] ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، اما الآيات التي نهت عن ذلك فقد تقدم ذكرها في مبحث (الألفاظ التي تنافي الإيمان بالقضاء والقدر).

ومما يدل على أن الصبر ثمرة من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ، أن الله تعالى يبتلي من عباده المؤمنين ، وقد كانت بلوى الأنبياء عليهم السلام أشد وأعظم من غيرهم ، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال : «الأنبياء ثم

---

(١) رواه البخاري : كتاب: الجنائز ، باب : ليس منا من شق الجيوب ، برقم (1232)، ج1ص435، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب..، برقم 103، ج1 ص 99.

(٢) رواه البخاري كتاب : الجنائز ، باب : ما ينهى من الحلق عند المصيبة ، برقم1234، ج 1ص436، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب..، برقم 104، ج1 ص 100.

(٣) لسان العرب ، ابن منظور ، (58/10).

(٤) لسان العرب ، ابن منظور (205/10).

(٥) أحكام أهل الذمة ، ابن قيم الجوزية (1293/3).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، برقم (934)، ج2 ص 644.



الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[١] . فإنه إذا كان الإنسان في دينه صلابة زيد من بلائه ، فلهذا إذا تأمل الإنسان ماذا حدث للرسل ولأولياء الله يتبين له أن المصائب لا يصبر الإنسان عليها فحسب، بل ينبغي أنه إذا أصيب بشيء أن يفرح به ، لأنه إما عقوبة لذنب معجلة وتنتهي، ويكون كفارة له ، أو يجزى عليه الثواب من الله تعالى ، روى عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان»[٢].

وكما أن الصبر ثمرة للإيمان، فهو يأتي بالاكتساب، وتعويد النفس على الصبر على القليل ، أو الألم البسيط حتى يروض نفسه على الصبر، وتحمل المصائب الكبرى ونحوها. قال ابن القيم : « الصبر خلق كسبي يتخلق به العبد »[٣] ثم إن الصبر يورث الرضا بطول المواظبة، وتعويد النفس عليه ، «فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول إلى مقام الرضا والتلذذ بالبلوى فإنه صراع بين جند الملائكة وجند الشيطان ومهما أذعنت النفس وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا»[٤].

« لأن الصبر يدخل في كل باب ، بل في كل مسألة من مسائل الدين فكان من الإيمان بمنـــزلة الرأس من الإنسان قال علي كرم الله وجهه : فإذا قطع الرأس مات الجسد ثم رفع صوته قائلاً : أما إنه لا إيمان لمن لا صبر له أي وإن كان فإيمان قليل وصاحبه ممن (يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم 2398 ، ج4 ص 601. وقال : هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم 8544، ج 9ص 104.

(٣) الروح ، ابن قيم الجوزية (241/1).

(٤) فيض القدير : محمد عبدالروف المناوي (307/4).

(٥) المرجع السابق (308/4) ، وانظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، تأليف : الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ص 505، باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله.



قال ابن القيم : « الصبر بجميع أقسامه أصل مقامات الإيمان وهو أصل لكمال العبد الذي لا كمال له بدونه»[١].

وفي صبر الرسول ﷺ في جميع أحوال حياته، وعند موته لدليل على الإيمان الذي ملأ قلبه وثمرة من ثمراته، « وهل كان ذلك إلا محض العبودية وعين الكمال ؟ وهل الجرأة والمنازعة إلا في ترك الصبر وفي التسخط والشكوى؟!»[٢].

والصبر والتصبر على المكروه هو ثمرة محبة الله تعالى ، إذ لو لم يكن هناك محبة، لما كان استطاع الصبر وذلك لمرارته؛ إذ لا تحمل لمرارة الصبر إلا بالتلذذ بالرضا والصبر ، بدافع المحبة ورجاء الأجر من المحبوب سبحانه » وإنه لتبلغ المحبة بالعبد إلى حيث يفنى بمراد محبوبه عن مراده هو منه ، فإذا شهد مراد محبوبه أحبه ، وإن كان كريهاً إليه فهذا لا ينكر ولا ينافي التألم بمراد المحبوب المنافي للمحب وصبره عليه، بل يجتمع في حقه الأمران ، وتقوى هذه المحبة باستبشاره وعلمه بعاقبة تلك البلوى»[٣].

ولذلك رتب الله تعالى على ذلك عظيم الأجر والمثوبة ، ففي قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: 11].

« هذا عام لجميع المصائب ، في النفس ، والمال، والولد ، والأحباب ، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله وقدره ، قد سبق بذلك علم الله تعالى ، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته ، واقتضته حكمته ، والشأن كل الشأن ، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام ، أم لا يقوم بها ؟ فإن قام بها ، فله الثواب الجزيل ، والأجر الجميل ، في الدنيا والآخرة، فإذا آمن أنها من عند الله ، فرضي بذلك ، وسلم لأمره ، هدى الله قلبه،

(١) طريق الهجرتين (407/1).

(٢) طريق الهجرتين (404/1).

(٣) المرجع السابق نفس الموضع.



فاطمأن و لم ينــــزعج عند المصائب ، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه ، بل يرزقه الثبات عند ورودها ، والقيام بموجب الصبر ، فيحصل له بذلك ثواب عاجل ، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: 10] وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب ، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب ، أنه يخذل ، ويكله الله إلى نفسه ، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد ، قبل عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر ، هذا ما يتعلق بقوله : ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن: 11]. في مقام المصائب الخاص ... »[1] وقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: 11]. تنبيه من الله تعالى على أن ذلك صادر عن علمه المتضمن لحكمته وذلك يوجب الصبر والرضا ، إذ لا يكون شيء بلا حكمة علمها العبد أم لم يعلمها.

ومن هذا يتبين لنا أنه إذا علم العبد إذا أصابته مصيبة أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله جازاه الله تعالى بهداية قلبه، التي هي أصل كل سعادة وخير في الدنيا والآخرة ، وقد يخلف عليه ويعوضه أيضاً في الدنيا ما أخذه منه [2] أو خيراً مما أخذ منه، كما قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: 155-157] قال ابن عباس في ذلك : « قال ، أخبر الله أن المؤمن إذا سلم الأمر إلى الله، ورجع واسترجع عند المصيبة ، كتب له ثلاث خصال من الخير ، الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى»[3].

(١) تفسير السعدي (867/1).
(٢) انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 506.
(٣) تفسير الطبري (223/3).



وفي الحديث الصحيح : (عجباً للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء، إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء فصبر، كان خيراً له، وإن أصابته سراء فشكر، كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن) (١).

وفي قول المبتلى عند حصول المصيبة : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: 156] إظهار لغاية العبودية، وإظهار الذل والافتقار لله تعالى، فقولهم هذا « أي : مملوكون لله، مدبرون تحت أمره ، وتصريفه ، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين ، بمماليكه وأموالهم، فلا اعتراض عليه ، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم ، الذي هو أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله ، والشكر له على تدبيره ، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك ، ومع أننا مملوكون لله ، فإنا إليه راجعون يوم المعاد ، فمجاز كل عامل بعمله ، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفوراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا ، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر ، فكون العبد لله ، وراجع إليه ، من أقوى أسباب الصبر»(٢).

فكان جزاؤهم أن ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أي : ثناء وتنويه بحالهم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عظيمة ، ومن رحمته إياهم ، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به ، كمال الأجر ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ الذي عرفوا الحق ، وهو في هذا الموضع علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله »(٣).

وقد امتدح الله تعالى المؤمنين، الذين صبروا مع الرسول ﷺ في غزوة أحد على ما أصابهم فيها بل رضوا وصبروا على ما أصابهم في سبيل الله، فوصفهم بالربيين ثم امتدحهم

---

(١) سبق تخريجه ص 189.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي (75/1) ، ونظر تفسير ابن كثير (467/1).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي (75/1).



بالصابرين فقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: 146] ، وفي الآيــة الثانيــة قال : ﴿ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران : 147] .

ولازم هذا كأنه تعالى يقول للمؤمنين لم لا تكونوا أنتم مثلهم، وتقولوا قولتهم الحسنة الكريمة، وهي الضراعة لله تعالى بدعائه، واستغفاره لذنوبهم الصغيرة والكبيرة، والتي كثيراً ما تكون سبباً للهزائم والانتكاسات كما حصل لكم أيها المؤمنون فلم يكن لأولئك الربانيين من قول سوى قولهم: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين ، فسألوا لله مغفرة ذنوبهم وتثبيت أقدامهم في أرض المعركة حتى لا يتزلزلوا فينهزموا والنصرة على القوم الكافرين، أعداء الله وأعدائهم، فاستجاب لهم ربهم فأعطاهم ما سألوا وهو ثواب الدنيا بالنصر، والتمكين وحسن ثواب الآخرة، وهي رضوانه الذي أحله عليهم وهم في الجنة دار المتقين والأبرار. هــذا ما دلــت عليــه الآية الأخيرة ﴿ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران : 148] [1]. وفي قوله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران : 139] ، فإن كنتم مؤمنين حقاً فأنتم الأعلون، وإن كنتم مؤمنين حقاً فلا تهنوا ولا تحزنوا، فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا على أن تكون لكم العقبى، بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص ، .. وفي قوله تعالى : ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٌ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٌ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : 140] حقاً إن الشدة بعد الرخاء، والرخاء بعد الشدة، هما اللذان

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري (210/1).



يكشفان عن معادن النفوس، وطبائع القلوب ودرجة الغبش فيها والصفاء، ودرجة الهلع فيها والصبر، ودرجة الثقة فيها بالله أو القنوط، ودرجة الاستسلام فيها لقدر الله أو البرم به والجموح!» [١].

« وقد أمر الله بالاستعانة بالصبر والصلاة ، على ما يواجه الإنسان في هذه الحياة من متاعب ومشاق ؛ لأن من وراء ذلك الخير والعاقبة الحميدة ، وأخبر أنه مع الصابرين بنصره وتأييده ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : 153] ، مما يدل على أهمية الصبر وحاجة المؤمن إليه، وهو من مقومات العقيدة» [٢].

ولو لم يكن الصبر عظيماً لما كان سبباً في إلقاء السلام على المؤمنين من ربهم تعالى كما في قوله عز وجل : ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: 24] .

وأثنى الله على الصابرين بأنه يحبهم وكفاهم شرفاً.. أخبر أنه يحبهم وأنه معهم..

أما الثناء فقال الله : ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 177] ، وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: 146] وقال تعالى أيضاً: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: 46]، وقال : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : 155].

وما هذا البلاء إلا ليتبين الصادق من الكاذب، والجازع من الصابر؛ لأن هذه سنة الله تعالى في الحياة ، فلو استمر النعيم واستمرت السراء للمؤمن دائماً ، و لم يحصل مع ذلك

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (453/1).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، لمعالي الشيخ د. صالح الفوزان، ص144.



محنة، كان هناك اختلاط، وحكمة الله تعالى تقتضي الاختبار والامتحان، حتى يميز أهل الخير من أهل الشـــر ، وليس ذلك لإزالة ما مع المؤمن من إيمان ، و ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقـــرة : 143] ، ولو تأملنا قوله تعالى : ﴿بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ ﴾ « من الأعداء ﴿وَٱلْجُوعِ ﴾ أي : بشيء يسير منهما ؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله ، أو الجوع ، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك » [1]. فتبينـــت الحكمة من هذا البلاء فسبحـــان من قال : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: 14].

ولقد ربط الرسول ﷺ بين الإيمان، والصبر على المصائب، في عدة أحاديث منها قوله عليه الصلاة والسلام: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن) [2]. فقوله ﷺ : (وليس ذلك إلا للمؤمن) أي: لا يقدر على الوصول لهذه المنـــزلة من الصبر على المصائب، والشكر على النعم إلا من امتلأ قلبه بالإيمان فأورث هذا الإيمان، ولذا قيل : (من عرف الله هانت عليه مصيبته) نسأل الله العظيم من فضله.

وقوله عليه الصلاة والسلام : (من يرد الله به خيراً يصب منه) [3]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة)[4]. فخص في ذلك المؤمن والمؤمنة ، ولن ينال تكفير السيئات إلا من صبر على البلاء والضد بالضد يذكر؛ فلو جزع وتسخط لما نال الأجر والمثوبة. ولهذا قال الصحابي الجليل عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه لابنه في مرض الموت:

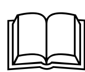
---

(١) تفسير السعدي (75/1).

(٢) سبق تخريجه ص 189.

(٣) رواه البخاري برقم 5321، كتاب : المرضى ، باب ما جاء في كفارة المرضى ، ج5 ، ص 2138.

(٤) رواه الترمذي برقم 2399، ج4 ص 602، وقال : هذا حديث حسن صحيح.



(واعلم يا بني ! أنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك) [١].

ولأن المؤمن بقضاء الله تعالى وقدره يدرك أن ما أصابه من مصيبة فإنما هي نعمة من الله تعالى عليه أثمر هذا الإيمان ثمرة الصبر على قدر الله فحصل له الأجر والغفران جزاءاً من الله تعالى على هذا الصبر « لأن من ابتلي فرزق الصبر ، كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له بعدما كفر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ ﴾ [البقرة : 157] . وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات . فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك...» [٢].

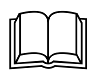
والله تعالى هو العليم بعباده الحكيم، يربي عبده على السراء والضراء ، واليسر والعسر، ويوجب عليه توحيده وعبوديته ، والتعلق به في شتى الأحوال ، فالعبد على الحقيقة: هو من عبدالرب تعالى في كل الأحوال ، وليس من عبد الله في السراء فقط ، ثم إن من حكمته تعالى أن يخلص العبد من الشوائب ويصفي إيمانه حتى يكتمل ويصبح خالصاً لله وحده، وأما عبد السراء والعافية الذي يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته ، والإيمان الحقيقي: هو الذي يثبت مع العبد في حال البلاء والعافية على حد سواء ، أما إيمان السراء فلا يصحب العبد ولا يبلغه ما أراد وإنما يخذله عند أمس الحاجة إليه فلا يثبت على المصائب ، ولا يقوى أمام الشدائد[٣].

---

(١) سبق تخريجه ص 200.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التجويد ، ص 510.

(٣) انظر: طريق الهجرتين لابن القيم (417/1).



كما أن العلاقة بين الإيمان والصبر؛ علاقة أساسية فكلما قوي إيمان العبد كان صبره أتم، وإذا ضعف الإيمان ضعف الصبر ، كما أن المؤمن إذا استشعر جزاء وعاقبة الصبر على المصيبة مثلاً ، وآمن بأن الله تعالى سيكفر عنه من السيئات بمقدار إيمانه ورضاه بها ، استلذ الصبر ولو كان مرا ، لعلمه بأن ما أصابه هو مكتوب ومقدر ، وما هذا الصبر والرضا إلا ثمرة من ثمار اليقين والإيمان بالقدر.

والصبر على البلاء ، قوة تدفع العبد إلى الوقوف أمام الأعداء ، والتصدي لهم، وعدم الإنهيار أمام قوتهم ، لأن من قل صبره قلت قدرته وعزمه على التصدي لمثل هذه الأمور ، بل قد لا يستطيع حتى التفكير في مجرد الحلول ، فلا يكون ذا رأي سديد ، ولا حكم رشيد، لتمكن الجزع والهلع منه، وقد قال تعالى على لسان لقمان عليه السلام وهو يعظ ابنه : ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [لقمان : 17] .

« وهذا من صميم العقيدة؛ لأن الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، وثمرته الصبر على المصائب ؛ فمن لم يصبر على المصائب؛ فهذا دليل على فقدان هذا الركن أو ضعفه لديه، ومن ثم سيقف أمام المصائب موقف الجزع والتسخط ، وقد أخبر النبي ﷺ أن هذا كفر يخل بالعقيدة الإسلامية:

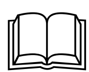
ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : (اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب ، والنياحة على الميت) » (١)(٢).

ومن الأسباب التي يرسل الله بها البلاء ويقدره سبب الذنوب والمعاصي ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: 30] . وأن عبودية الله تعالى تقتضي الرضا بما رضي الله له ، وأنه كالدواء النافع

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، برقم67، ج1 ص82.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، الشيخ د. صالح الفوزان، ص142.



الذي ساقه له العليم الخبير بحاله ، هذه الأسباب وغيرها تثمر الصبر على البلاء ، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر[(١)] . ومن رحمة الله تعالى بعباده أنه يطهرهم من الذنوب والمعاصي ويرفع درجاتهم ، بما يصيبهم من البلاء كما في الحديث : (ما يصيب المؤمن من نصب ، ولا وصب، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) [(٢)].

أما الأدلة على وجوبه وفضله وفائدة الصبر : فقد تقدم ذكرها في مبحث (ثناء الله على المؤمنين بالقضاء والقدر).

والصبر على البلاء هو ديدن الأنبياء والصالحين من بعدهم ، وهم قدوتنا في ذلك إذ كان الأنبياء هم أشد الناس ابتلاءً وهم أكثرهم صبراً ، ومن الأمثلة على ذلك ما امتدح الله تعالى به نبيه أيوب عليه السلام ، فقد قال الله تعالى فيه : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص : 41-44] ، فأثابه الله بقوله : ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا ﴾ [الأنبياء: 84] أي : «رحمة من عندنا به ، حيث صبر ورضي ، فأثابه الله ثواباً عاجلاً قبل ثواب الآخرة»[(٣)].

وكان هذا الثواب والجزاء ، واستجابة الدعاء ، بعد أمره أن يركض الأرض برجله حتى يريه بركة صبره»[(٤)].

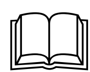
---

(١) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم (417/1).

(٢) سبق تخريجه ص 42.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي (528/1).

(٤) تنـزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ، لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1 ، 1990م، تحقيق : د. محمد رضوان الداية (123/1).



ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فقد كان أتقى الناس وأصبرهم على كل الأحوال؛ صبر في تبليغ الدعوة على أصناف الأذى ، من سباب وشتيمة، وإيذاء وتعذيب، ففي الصحيحين، عن عائشة، أنها قالت للنبي: (هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذا عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت، وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبرائيل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليـــك لتأمرني إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين) [(١)].

وقد أمره الله تعالى بالإقتداء بمن قبله من الرسل في الصبر ، فقال تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : 35] ، وكان يربط على بطنه حجرين من الجوع ﷺ وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، فحصل على شرف العبودية الحقة لله تعالى في كل الأحوال، وبهذا يتبين أنه «لا يمكن للإنسان أن يرقى إلى شرف التحقق بالتكاليف الإلهية لو لم يتحمل في سبيل ذلك عنتا ومشقة ، إذا لاستوى المخلص والمنافق ، والصادق والكاذب، قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: 2-3] [(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب : بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه ، برقم 3059، ج3 ، ص 1180، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقى النبي من أذى المشركين والمنافين، برقم 1795، ج3 ص 1420.

(٢) البيان في أركان الإيمان ، لمجد مكي ، ص 434.



وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ : 19] ، «هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء» [(1)]. قال ابن القيم : « فمنازل الإيمان كلها بين الصبر والشكر»[(2)].

ثم إن الركون للصبر في حال المصائب أمر لا بد منه ، لأن المقادير نافذة سواء أرضي العبد أم سخط ، صبر أم جزع ، ولو لم يصبر فإن ذلك لا يعني أن المصيبة ستتوقف عنه، ولن تصيبه ، بل إن قضاء الله جار ، بل ستضطره السنن الكونية إلى صبر الاضطرار[(3)].

ومما خرجت به من هذا المبحث ما يلي :

١ – الصبر شعبة من شعب الإيمان، كما ذكر الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ، قال: وقوله : « باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله » يعني : أن من خصال الإيمان بالله الصبر على أقدار الله ، والإيمان له شعب ، كما أن الكفر له شعب، فنبه بقوله : « من الإيمان بالله الصبر » على أن من شعب الإيمان الصبر ، ونبه في الحديث الذي رواه مسلم، على (أن النياحة من شعب الكفر) ، فيقابل كل شعبة من شعب الكفر شعبة من شعب الإيمان، فالنياحة على الميت شعبة من شعب الكفر ، يقابلها في شعب الإيمان الصبر على أقدار الله المؤلمة»[(4)].

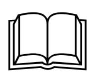
---

(١) تفسير الجلالين ، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة ، ط1 (643).

(٢) طريق الهجرتين ، لابن القيم (399/1).

(٣) انظر الصبر الجميل في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1421هـ – 2000م، ص 64.

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ، المؤلف : دروس ألقاها صالح بن عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ط1، الناشر: دار التوحيد ، تاريخ النشر : 1424هـ – 2003م، (48/2).



٢ - أن تنوع الآيات التي ذكر فيها الصبر في القرآن الكريم ، وتنوع مواضيعها لخير شاهد على ميزة وفضيلة هذه الطاعة ، بل على كونها نصف الإيمان :

قال الإمام أحمد رحمه الله: (الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً)(١).

وقد صنفه « الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود » على ستة عشر نوعاً مذكوراً في القرآن، هي كالتالي :

الأول : الأمر به نحو قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة : 153] ، وقوله : ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [البقرة: 45]، وقوله : ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران : 200] ، وقوله : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : 127].

الثاني : النهي عن ضده كقوله : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ [الأحقاف : 35] ، وقوله : ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال : 15]، فإن تولية الأدبار ترك للصبر والمصابرة ، وقوله : ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: 33]، فإن إبطالها ترك الصبر على إتمامها ، وقوله : ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ [آل عمران: 139]، فإن الوهن من عدم الصبر .

الثالث : الثناء على أهله ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: 17] ، وقوله : ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : 177] ، وهو كثير في القرآن.

(١) مدارج السالكين ، لابن القيم (152/2).



الرابع : إيجابه سبحانه محبته له، كقوله : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].

الخامس : إيجاب معيته لهم، وهي معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم، وتأييدهم ليست معية عامة ، وهي معية العلم ، والإحاطة ، كقوله : ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [لأنفال : 46] ، وقوله : ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة : 249، الأنفال : 66] .

السادس : إخباره بأن الصبر خير لأصحابه ، كقوله : ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل : 126] ، وقوله : ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: 25].

السابع : إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم ، كقوله تعالى : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل : 96].

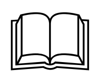
الثامن: إيجابة سبحانه الجزاء لهم بغير حساب، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : 10].

التاسع : إطلاق البشرى لأهل الصبر ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة : 155].

العاشر : ضمان النصر والمدد لهم ، كقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 125] ، ومنه قول النبي ﷺ «واعلم أن النصر مع الصبر»[1].

---

(١) سبق تخريجه ، وهو جزء من حديث : (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك)، في ص 200.



الحادي عشر : الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم ، كقوله تعالى : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى : 43].

الثاني عشر : الإخبار أنه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها، والحظوظ العظيمة؛ إلا أهل الصبر ، كقوله تعالى : ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص : 80] ، وقوله : ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت : 35].

الثالث عشر : الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات ، والعبر أهل الصبر ، كقوله تعالى لموسى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم : 5] ، وقوله في أهـــــل سبأ : ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: 19] ، وقوله في سورة الشورى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: 32-33] .

الرابع عشر : الإخبار بأن الفوز بالمطلوب المحبوب ، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة، إنما نالوه بالصبر ، كقوله تعالى : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد : 23-24].



الخامس عشر : أنه يورث صاحبه درجة الإمامة ، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : 24] [1].

السادس عشر : اقترانه بمقامات الإسلام ، والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين والإيمان، وبالتقوى والتوكل ، وبالشكر والعمل الصالح والرحمة.أهـ[2].

وما هذا التنوع لهذا الموضوع إلا؛ لأنه من أعظم الثمار التي يجنيه المؤمن من إيمانه، وقد أخبر ﷺ أن الصبر خير كله ، فقال : (ما أعطي أحد عطاء خيراً له وأوسع من الصبر)[3].

وقد قامت طريقة القرآن في بيان ثمرة الصبر على الأقدار على ما يلي :

1- عمدت الآيات الكريمة إلى التنويع في بيان أجر الصبر وثمراته العاجلة والآجلة.

فتارة تجعل أجره لا يعد ولا يحصى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: 10] ، وتارة تجعل من الصبر طريقاً لنـــزول الرحمة والبركات ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة : 157] ، وتارة تجعل الصبر سبيل الهداية ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: 11] . وفي هذا أعظم تثبيت للإنسان المؤمن على الإيمان بالقضاء والقدر.

2- قرنت الآيات الكريمة بين الصبر وبين أعظم العبادات بعد الشهادتين ، وهي عبادة الصلاة كوسيلتين إلى استجلاب العون من الله على كل ضائقة . ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ [البقرة: 153] ، وفي هذه الطريقة إعلاء لمنـــزلة الصبر ودعوة الى التحلي به.

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ، مخالفة أصحاب الجحيم ، المؤلف : أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر : مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ط2 ، 1369هـ ، تحقيق : محمد حامد الفقي (25/1).

(٢) انظر موسوعة الدفاع عن رسول الله ﷺ ، موقع الموسوعة الشاملة ، (165/1) (166/1).

(٣) أخرجه البخاري برقم 1400 ، كتاب : الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، ج2 ، ص 534.



3- جعلت الآيات الكريمة الصبر طريق الثبات على الدين كله ، ومن ثم فهو طريق الوصول إلى الجنة : ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد : 24] .

وهذه الطريقة تربي المؤمن على استصحاب الصبر في كل أحواله .

4- حددت الآيات الكريمة القدوة من البشر في الصبر ، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : 35].



المبحث الثاني   الرضا بما قسم الله

الرضا لغة : « الرضى مقصور ضد السخط .. وتثنية الرضا رضوان ورضيان.. ورضيت عنك وعليك، رضى مقصور مصدر محض والاسم الرضاء ممدود...» [١].

الرضا شرعاً : قيل هو « أن يرضى العبد بالشدائد والمصائب التي يقضيها الله تعالى عليه وليس المراد بالرضا رضا العبد بالمعاصي والفواحش أو نسبتها إلى الرب تعالى عنها فإنه سبحانه لا يرضاها كما قال جل جلاله : ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر: 7] [٢]. وقيل : «عدم الحرص على الازدياد ، فهذا غنى النفس ، الذي هو الناشيء عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره؛ وأنَّ ما عنده خير وأبقى ، فيعرض صاحبه عن الحرص والطلب، كما قال القائل : غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة، فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً»[٣].

قال سفيان الثوري [٤] : (لا يكون غنياً أبداً حتى يرضى بما قسم الله له ؛ فذلك الغنى)[٥].

وقيل : (الرضى سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل؛ فيرضى به) ، قال ابن القيم – رحمه الله – بعد ذكر هذا القول : « قلت : وهذا رضى بما

---

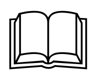
(١) لسان العرب ، لابن منظور (323/14).

(٢) شرح نهج البلاغة ، المؤلف : عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ، أبو حامد، عز الدين (205/11).

(٣) فتح الباري ، لابن حجر : 272/11.

(٤) سفيان الثوري : سفيان بن سعد بن مسروق الثوري أحد أئمة الإسلام وعبادهم والمقتدى به ، أبو عبدالله الكوفي وروى عن غير واحد من التابعين ، وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم .. وهو أمير المؤمنين في الحديث وقال عبدالله ما رأيت أفقه من الثوري ، .. توفي في البصرة سنة إحدى وستين ومائة وكان عمره يوم مات أربعاً وستين سنة ، ورآه بعضهم في المنام يطير في الجنة من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة وهو يقرأ الحمد لله الذي صدقنا وعده الآية . (البداية والنهاية الجزء 10 صفحة 124).

(٥) الرضا لابن أبي الدنيا ص (112/1).



منه، وأما الرضا به : فأعلى من هذا ، وأفضل ، ففرق بين من هو راض بمحبوبه ، وبين من هو راض بما يناله من محبوبه ، من حظوظ نفسه ، والله أعلم»[١].

وقال ابن تيمية – رحمه الله – : «والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكماله الحمد، حتى إن بعضهم فسر الحمد بالرضا، وذلك يتضمن الرضا بقضائه»[٢].

وأما حقيقة الرضا فقد قيل إن : « حقيقة الرضا من رضي الله في كل شيء فقد بلغ حد الرضا»[٣].

لذا فالرضا والله تعالى أعلم : عبادة قلبية ، يستلزم التسليم والقبول بكل عارض محبوباً كان أو غيره ، ناتجاً عن اليقين بالله تعالى وعدم الشك فيما عنده ، والرضا أعلى من الصبر ، بل هو صبر وزيادة ، مع سكون في النفس، وطمأنينة لما يختاره الرب تبارك وتعالى، والرضا لا يكون إلا بعد وقوع القضاء ، لقول الرسول ﷺ : (اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء)[٤]، لأن الرضا بعد وقوع القضاء المكروه للنفوس هو الرضا الحقيقي»[٥].

«وإنما قال : «الرضا بعد القضاء »؛ لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا، حتى إذا وقع القضاء فقد تنفسخ العزائم»[٦].

والصبر غير الرضا ، إذ الرضا شيء والصبر شيء آخر؛ لأنه قد يصبر من لم يرض فإذا رضي عن الله جل وعلا، ورضي بالمصيبة التي جاءته صار ذلك كمالاً في حقه.

---

(١) مدارج السالكين 175/2.

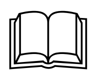
(٢) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية 43/10.

(٣) انظر : الزهد وصفة الزاهدين لابن الأعرابي (34/1)، والرضا عن الله لابن أبي الدنيا (115/1).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ، برقم 1900، وقال : حديث صحيح الإسناد ج1 ص 697.

(٥) تفسير السعدي (953/1).

(٦) البيان في أركان الإيمان ، مجد مكي ، ص 484.



« وفي الحديث أن الرسول ﷺ ، قال لابن عباس يوصيه : (اعمل لله باليقين والرضا؛ فإن لم يكن فالصبر؛ فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً) [١].

وقال أبو الدرداء[٢] : (ذروة الإيمان الصبر والرضا) [٣].

وإذا كان الرضا نتيجة للإيمان بالقضاء ، بل هو ثمرة من ثمراته ، فهو بذاته يثمر غنى النفس، والقناعة فلا تطلب ما ليس لها به حاجة ، بل قد تكتفي بالقليل من الموجود غير متطلعة لما في أيدي العبيد ، وهذا هو الرضا بالقدر ، كما قال ابن حجر رحمه الله تعالى: «غنى النفس إنما ينشأ عن الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره علماً بأن الذي عند الله خير وأبقى فهو معرض عن الحرص والطلب»[٤].

والسخط عكس الرضا وسبب السخط الشك وعدم اليقين ، أما الرضا فصاحبه اليقين الذي من امتلكه فهو راض مستبشر عن ربه أولاً ، وعن جميع ما يعرض له ثانياً سواء في نفسه أو في غيره ، بعكس الساخط الذي لا يرى إلا ظلاماً دامساً ، ولا يشعر بسكينة ولا طمأنينة، بل حاله حال المترقب الخائف الحزين الذي يترقب الشر أكثر من الخير ويتوقع السوء أكثر من الخير ، « ولا يمكن أن تثبت قدم الرضا إلا على قاعدة اليقين ودرجته، فمن لا يقين عنده لا يمكن أن يصير ، فضلاً أن يرتقى إلى درجة الرضا بما قدر الله عز وجل عليه»[٥].

---

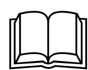
(١) سبق تخريجه . وهو جزء من حديث (احفظ الله يحفظك) ص 222.

(٢) أبو الدرداء : عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أبو الدرداء مختلف في اسم أبيه ، وأما هو فمشهور بكنيته، وقيل اسمه عامر وعويمر لقب صحابي جليل أول مشاهدة أحد وكان عابداً مات في أواخر خلافة عثمان وقيل عاش بعد ذلك . (تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، ج1 ، ص 434).

(٣) شرح نهج البلاغة ، المؤلف : عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين، (206/11).

(٤) فتح الباري لابن حجر (272/11).

(٥) أعمال القلوب لخالد السبت (99/1).



يقول ابن القيم رحمه الله : (قل أن يسلم الساخط من شك يداخل قلبه، ويتغلغل فيه وإن كان لا يشعر به ، فلو فتش نفسه غاية التفتيش لوجد يقينه معلولاً ، مدخولاً فإن الرضا واليقين أخوان ، مصطحبان ، والشك والسخط قرينان متلازمان) [١].

ولا يعني ما سبق أن المؤمن لا يعتريه ما يسوءه ، أو يعكر صفو حياته، بل هو عرضة للهم والحزن ، والضيق ، ولكن هو يحزن لغيره ، ولا يحمل هم نفسه بقدر ما يحمل هم الأمة، كما أنه لا يطغى ما أهمه على يقينه بالفرج ، وحسن ظنه بربه ، بل واعتقاده أن ذلك ما هو إلا خير من الله تعالى ، والمتأمل في الآيات القرآنية التي أمر الله فيها بالرضا وعدم الحزن يدرك ذلك ويجده ، قال تعالى لرسوله : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل : 70] ، أي : «لا تحـــزن عليهم، فإن الله قدر ذلك »[٢]. وقال أيضاً: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ [يونس : 65].

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139] ، وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به.

كما : « أن ظهور الحزن على المصاب إذا أصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابراً راضياً إذا كان قلبه مطمئناً ، بل قد يقال : « إن من كان ينـــزعج بالمصيبة ويعالج نفسه على الرضا والصبر أرفع مرتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة أصلاً»[٣].

---

(١) مدارج السالكين (208/2).

(٢) تفسير ابن كثير (615/4).

(٣) غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ، المؤلف : بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري، الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية ، ط : الأولى ، 1424هـ/2004م، (369/1).



وكما نهى الله تعالى عن الحزن فقد نهى عن النظر فيما عند الغير سواء كانوا كفاراً أو نحوهم ، كما قال تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه : 130-131] . وفي ذلك قيل: « من لم يتعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ، ومن يتبع بصره فيما في أيد الناس بطل حزنه ، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه»[١].

ومعنى ترضى : « أي لعلك تعطى ما يرضيك ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بالاحتقار لشأن الكفرة والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا إذ ذلك منحسر عنهم صائر إلى خزي»[٢].

ومن المواقف التي تبين مدى الرضا الذي كان يتصف به الرسول ﷺ ما كان منه عند دعوته لأهل الطائف ، وما تعرض له من صنوف العذاب والاستهزاء يقول ﷺ في دعائه : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري؟! إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنـــزل بي غضبك أو تحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك»[٣].

---

(١) تفسير البغوي (304/5).

(٢) تفسير الثعالبي (44/3).

(٣) البداية والنهاية ، لابن كثير ، ج3 ص 136.



مما بين أهم ما أهمه ﷺ ، فرغم الأسى ورغم الألم الذي واجهه، والذل الذي لقيه إلا أنه لم يهتم إلا برضا الله تعالى، كما هو واضح في قوله عليه السلام : (إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي).

وفي وصية جامعة ذكرها رسول الله ﷺ لأصحابه ، ولأمته من بعده ، يوضح فيها ضرورة الإستسلام التام لقضاء الله وقدره ، والرضا به يقول النبي ﷺ : (لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه فإن كان لا بد فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي»[١] . وفي هذا وغيره مما هو واضح في سيرته عليه السلام يظهر منه تعليم أمته وتدريبهم على الرضا بالقضاء وذلك لأمرين :

الأول : أن يتفرغ العبد للعبادة؛ لأنه إذا لم يرض بالقضاء يكون مهموماً مشغول القلب أبداً، ويتساءل: لم كان كذا؟ ولماذا لا يكون كذا؟ فإذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم، فكيف يتفرغ للعبادة؛ إذ ليس له إلا قلب واحد وقد امتلأ من الهموم، وما كان وما يكون، فأي محل فيه لذكر العبادة وفكر الآخرة؟ ولقد صدق من قال: (حسرة الأمور الماضية وتدبير الآتية ذهبت ببركة الساعات).

الثاني : خطر ما في السخط من مقت الله وغضبه مع أنه لا فائدة لذلك إذ القضاء نافذ ولا بد منه رضى العبد أم سخط»[٢].

والرضا بالقضاء والقدر كان مما ميز الصحابة رضي الله عنهم الذين ضربوا أروع الأمثلة وأعظمها في التحمل ، والرضا، وما ذلك إلا لتعويدهم أنفسهم على ذلك،

(١) أخرجه البخاري ، برقم (5990) ، كتاب : الدعوات ، باب الدعاء بالموت والحياة، ج 5 ، ص 2337. ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب تمني كراهة الموت بضرٍ نزل به، برقم 2680، ج4 ، ص 2064.

(٢) فيض القدير ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1415هـ ، 1994م، (175/2)، بتصرف يسير.



واستعانتهم بالله تعالى بدعائه واللجوء إليه ، وفي الحقيقة ما هو إلا ثمرة من ثمار الإيمان المتعمق المتغلغل في نفوسهم رضي الله عنهم ، كان عمر بن عبدالعزيز [(١)] يقول :«ما تركتني هذه الدعوات ولي سرور في غير مواقع القضاء والقدر وفي الدعاء: « اللهم رضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ، ولا تأخير ما عجلت»[(٢)].

وهذا ابن مسعود ﷺ يقول : « لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أقول لشيءٍ قضاه الله : ليته لم يكن] »[(٣)] ، ثم إنهم رضي الله عنهم علموا أن الرضا سبب لحصول المرتجى ، فكانوا قدوة لمن خلفهم من السلف الصالح « قال بعض السلف : إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك؟»[(٤)].

و قد رضي الله تعالى عن رسوله ﷺ ، ورضيه حكماً عدلاً في أمته ، ثم أقسم تعالى بعدم تحقق الإيمان الصحيح إلا بعد الرضا بما رضيه الله لهم من تحكيم الرسول عليه السلام، والرضا والتسليم ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65] .

يقول ابن حزم[(٥)] : « فنص تعالى نصاً جلياً لا يحتمل تأويلاً ، وأقسم تعالى بنفسه أنه لا يؤمن أحد إلا من حكّم رسوله ﷺ فيما شجر بينه وبين غيره ، ثم يسلم لما حكم به عليه

---

(١) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المؤمنين أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولي إمرة المدينة للوليد وكان مع سليمان كالوزير وولي الخلافة بعده فعد مع الخلفاء الراشدين من الرابعة مات في رجب سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة ، ومدة خلافته سنتان ونصف . (تقريب التهذيب الجزء 1 ، ص 415).

(٢) البيان في أركان الإيمان ، مجد مكي ، ص 484.

(٣) تفسر الرازي (453/2).

(٤) معالم التنـــزيل البغوي (497/8).

(٥) ابن حزم : هو الإمام الحافظ العلامة أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن .. مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي اصل جده من فارس أسلم . وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم وكانت



السلام ، ولا يجد في نفسه حرجاً مما قضى .. ولذا جعله تعالى شرطاً في الإيمان ، فقال سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء : 59] .

وحيث أن الإيمان قول وعمل ، فهو متضمن للتصديق والانقياد ، فتحكيم الشريعة إيمان؛ لأنه انقياد وخضوع لدين الله تعالى ، ورفض تحكيم هذه الشريعة والامتناع عن قبولها هو كفر إباء ورد . وهذا الإباء والامتناع يعود إما إلى خلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته، وعدم التصديق بصفة من صفاته تعالى ، أو إلى بغض وكره لحكم الله تعالى ، يقول عز وجل : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد : 9] ، ويقول تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: 28].

يقول ابن حزم : « أخبرنا تعالى أنه قد أحبط أعمالهم باتباعهم ما أسخطه وكراهيتهم رضوانه»[١].

لأن الرضا عن الله تعالى هو ثمرة معرفته والإيمان به، وهذا ما قصدته في هذا المبحث لأن من عرف الله آمن به وبقضائه فكانت نتيجة هذا الإيمان أن رضي عن الله ورضي بما

بدلهم قرطبة فولد ابن حزم هذا بها في رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وبرز فيها وفاق أهل زمانه وصنف الكتب المشهورة ، يقال إنه صنف أربعمائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة وكان أديباً طبيباً شاعراص فصيحاً له في الطب والمنطق كتب وكان من بيت وزوارة ورياسة ووجاهة ومال وثروة .. وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديث الصفات لأنه كان أولاً قد تضلع من علم المنطق أخذه عن محمد بن الحسن المذحجي الكناني القرطبي ذكره ابن ماكولا وابن خلكان ففسد بذلك حاله في باب الصفات . (البداية والنهاية ج12، ص 91).

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية ، د. عبدالعزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف ، (81/2).



قسمه الله له ، « قيل للحسن من أين أتى الخلق قال من قلة الرضا عن الله فقيل ومن أين دخلت عليهم قلة الرضا عن الله قال من قلة المعرفة بالله»[1].

ومن المعلوم أن معرفته تعالى والإيمان به سبب لمحبته ، والاعتماد عليه في كل شيء، والرضا عما قدر وقضى؛ لأنه المحبوب ، وهو الحكم العدل فلن يختار إلا ما فيه مصلحة، وعين الرضا الاستسلام له تعالى ، وعدم الاعتراض على ما قدر.

قال العلماء : « الرضا بالقضاء من علامات المخبتين الصادقين في المحبة فمتى امتلأت القلوب بمحبة مولاها رضيت بكل ما يقضيه عليها من مؤلم وملائم..

سيان إن لاموا وإن عذلوا	مالي عن الأحباب مصطبر
لا بد لي منهم وإن تركوا	قلبي بنار الهجر تستعر
وعلي أن أرضى بما حكموا	وأطيع في كل ما أمروا [2]

وكان بعض السلف يبيت الليلة « يقول إلى الصباح : إن تعذبني فأنا لك محب ، وإن ترحمني فأنا لك محب»[3].

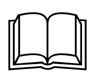
والرضا يورث الشكر، فنعم الله تعالى لا تعد ولا تحصى ، والشكر عليها واجب من أوجب الواجبات لأن بقاء النعم مرهون بالشكر، وزوالها بالكفر وعدم الاعتراف بالنعم، كما قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:

---

(١) شرح نهج البلاغة ، المؤلف : عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (207/11).

(٢) شرح حديث لبيك اللهم لبيك ، المؤلف : عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي ، الناشر : دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ، ط1، 1417هـ، تحقيق : د. وليد عبدالرحمن محمد آل فريان(54/1).

(٣) االرسالة القشيرية في علم التصوف ، للعلامة أبي القاسم عبدالكريم بن هوزان القشيري النيسابوري ، تحقيق : معروف مصطفى زريق ، الناشر : المكتبة العصرية صيدا، بيروت ، 2007م – 1428هـ ، ص 196.



7] وقليل هم الذين يشكرون الله تعالى عـــلى نعمه وما ذلك إلا لعدم الرضا ، قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ : 13].

ومن نتائج الرضا السكينة والطمأنينة ، قال تعالى : ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: 97] .

قال ابن تيمية : « وربط السعادة مع إصلاح العمل به في مثل قوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: 97] (١) . فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة ، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، و لم يعظم فيها نصبه ، و لم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها، وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها...» (٢).

وقد قرر القرآن الكريم عقيدة الرضا بأسلوب الترغيب ، وبيان الجزاء من وراء هذه العبادة القلبية ، مما يساعد النفس ويشجعها على التصبر على الرضا في الدنيا والآخرة فيصبح راضي البال قانعاً عما أعطي ، وفي الآخرة فضل من الله ورضوان، عن ابن مسعود قال : (ارض بما قسم الله تكن من أغنى الناس ..) وقال أكثم بن صيفي (٣) : (من باع الحرص

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (5/2) ، وانظر : الرضا عن الله بقضائه، المؤلف : عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي ، الناشر : الدار السلفية ، بومباي ، الطبعة الأولى ،1410هـ ، تحقيق : ضياء الحسن السلفي (93/1) .

(٢) تفسير الطبري (292/291/17). وانظر تفسير البغوي (42/5).

(٣) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي الحكيم المشهور وهو عم حنظلة بن الربيع بن صيفي الصحابي المشهور .. ولما بلغ أكثم بن صيفي مخرج النبي ﷺ أراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه قال فليأتي من يبلغه عني ويبلغني عنه قال فانتدب له رجلان فأتيا النبي ﷺ فقالا نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت وبما جئت قال أنا محمد بن عبدالله وأنا عبدالله ورسوله ثم تلى عليهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية . فأتيا أكثم فقالا له ذلك قال



بالقناعة ظفر بالغنى والثروة ولو صدق الحريص نفسه واستنصح عقله علم أن من تمام السعادة وحسن التوفيق الرضا بالقضاء والقناعة بالقسم»(١).

ويتأكد الرضا بما قسم الله تعالى عند المصائب ، والفقر ، وما يسوء المرء عادة من حرمان معين أو نقص شيء ما ونحوه، وقد ورد في الحديث : (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء فإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط) (٢).

فالرضا هنا معناه : التسليم لأمر الله ، وإحسان الظن به ، ومما يعين على الرضا معرفة أن البلاء ما حصل إلا لحكمة ، وعدم التسخط ، وعدم الاعتراض على الله.

والرضا عن الله تعالى مقام عظيم ، ومن أحب أعمال القلوب إلى علام الغيوب، وقد أثنى الله تعالى به على أصحاب النبي ﷺ حين قال : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة : 100] ، ويحكى

=أي قوم إنه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذناباً فلم يلبث أن حضرته الوفاة فقال أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ... ويقال : أنه قرب له بعيراً فركب متوجهاً إلى النبي ﷺ فمات في الطريق قال ويقال : نزلت فيه هذه الآية ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله الآية. (الإصابة في تمييز الصحابة الجزء 1 ص 209).

(١) فيض القدير للمناوي ، 289/1.

(٢) رواه الترمذي برقم 2396، ج 4 ص 601، وقال عنه : حسن غريب ، وقال الألباني : حسن صحيح.



عن داود الطائي[١] : « أنه قال : الزاهد في الدنيا لا يحب البقاء فيها ، وأفضل الأعمال الرضا عن الله»[٢].

ومن أهم أسباب حلول هذا الرضا بالقلب استشعار العبد نعم الله عليه ، فيثمر هذا الاستشعار الطاعة والانقياد ، قال الطبري في تفسيره عند الآية المذكورة : « رضي الله عن جميعهم لما أطاعوه ، وأجابوا نبيه إلى ما دعاهم إليه من أمره ونهيه، ورضي عنه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم إياه ، وإيمانهم به وبنبيه عليه السلام»[٣].

قال بعض الحكماء : « ما كان لك من الدنيا أتاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ومن قطع رجاءه مما فات استراح بدنه والراحة كلها في الرضا بالمقسوم والاقتصار على حال الوقت ، والإعراض عما كان ويكون ؛ لأن ذلك كدر في الوقت، وشغل بما لا يعني ولا يغني والهم كله في الأسف على الأمور الماضية والاهتمام بالأمور الآتية من الدنيا وعماد ذلك أن العبد يقبل ما أعطاه سيده في الوقت ولا يهتم بما بعد الوقت، لا من أين؟ ولا كيف؟ ولا ماذا يعطيه لأنه ليس مما يعنيه» [٤] ..

ثم إن المتأمل لطريقة القرآن الكريم في تعويد الأمة على الرضا بالمقسوم ، وترسيخ جانب الإيمان بالقضاء يجد أن كل آية تدل على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر هي دليل

---

(١) داوود الطائي : سليمان بن داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد أخذ الفقه عن أبي حنيفة قال سفيان بن عيينه ثم ترك داود الفقه واقبل على العبادة ودفن كتبه قال عبدالله بن المبارك وهل المر إلا ما كان عليه داود الطائي قال ابن معين كان ثقة وفد على المهدي ببغداد ثم عاد إلى الكوفة ذكره الخطيب البغدادي وقال مات في سنة ستين ومائة وقيل سنة ست وخمسين ومائة وقد ذكر شيخنا الذهبي في تاريخه أنه توفي في هذه السنة أعني سنة ثنتين وستين ومائة فالله اعلم (البداية والنهاية الجزء 10 ص 145).

(٢) تفسير الرازي (454/2).

(٣) تفسير الطبري (439/14).

(٤) فيض القدير ، للمناوي ، ج1 ، ص 289- 290.



على وجوب الرضا بما قسم الرب ، ثم إن المتطلع لفهم النصوص القرآنية في هذا الشأن يجد مراده في كثير من الآيات ، أذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

1- قوله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود : 6] ، « فمن زائدة للتأكيد، ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله، أن الله سبحانه لما كان لا يغفل عن كل حيوان باعتبار ما قسمه له من الرزق، فيكف يغفل عن أحواله وأقواله وأفعاله؟ »(١).

وضمان هذا الرزق لكل دابة لم يدع مجالاً للخوف من الموت قبل استكمال الرزق، كما أنه مهما بذل العبد فلن يحصل إلا على ما سبق به القلم ، كما في قوله تعالى : ﴿كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وفي معناه قوله تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف : 32] . أي « نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا ، فنجعل من شئنا رسولاً ومن أردنا صديقاً ، ونتخذ من أردنا خليلاً ، كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات ، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة، بل جعلنا هذا غنياً ، وهذا فقيراً ، وهذا ملكاً ، وهذا مملوكاً»(٢).

فإذا كان الحال كذلك فلا مجال ينفع إلا الرضا والقناعة، « ... فإن من قنع بما قسمه الله له صار غني القلب زاهداً فيما في يد غيره والقناعة كنز لا يفنى»(٣).

---

(١) فتح القدير للشوكاني ، (696/2).

(٢) تفسير الطبري (595/21).

(٣) فيض القدير ، للمناوي ، ج1 ، ص 289 ، 290.



2- وقوله تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر : 2] فهذا يوجب التعلق بالله تعالى ، والافتقار إليه من جميع الوجوه، وأن لا يدعى إلا هو ، ولا يخاف ويرجى إلا هو...» [١].

وفي معناه قوله تعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام : 17] ، وهذه هي أعظم الأدلة على وجوب إفراد الله تعالى وحده بالعبادة ، فهو النافع الضار ، المعطي المانع، لو أصاب العبد بضر أيا كان نوعه فإنه لن يكشفه سواه ، ولو اجتمعت الأمة قاصيها ودانيها على أن يرفعوه لم يتمكنوا من دفع الضر عنه إلا بشيء قد كتبه الله له ، ولو تفضل سبحانه بشيء فلا راد لفضله [٢].

وقد ورد عن الرسول ﷺ قوله : (واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف) [٣].

وفي هذه الآيات، قال عامر بن عبد قيس[٤] : « ما أبالي ما فاتني من الدنيا بعد آيات في كتاب الله قوله: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها

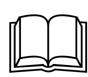
---

(١) تفسير السعدي (684/1).

(٢) انظر : تفسير السعدي (375/1).

(٣) سبق تخريجه ص 27.

(٤) عامر بن عبد قيس : عامر بن عبد قيس ويقال عامر بن عبد قيس بن ناشب بن أسامة بن حذيفة بن معاوية التميمي العنبري أبو عبدالله أو أبو عمرو النصري الزاهد المشهور يقال أدرك الجاهلية .. وذكر سيف في الفتوح من طريق أبي عبيدة العصفري أنه كان فيمن شهد فتح المدائن وقال العجلي تابعي ثقة من كبار التابعين وعبادهم واما كعب الأحبار فقال هذا راهب هذه الأمة .. وكان إذا عزا قال أني لاستحي من ربي أن أخشى غيره وروى بن المبارك في الزهد من طريق العلاء بن الشخير عن عامر بن عبد قيس كان يأخذ عطاء فيجعله في طرف ثوبه فلا يلقاه أحد من المساكين إلا أعطاه فإذا دخل بيته رمى به إليهم فيجدونها فيجونها سواء كاما



كل في كتاب مبين) وقوله: (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وقوله: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) (وأن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسك بخير فهو على كل شيء قدير) »[1].

وقد أمر الله تعالى الرسول ﷺ بالاعتراف بأنه لا يملك لنفسه شيئاً، وأن الأمر كله بيد الله ، ولا يعلم الغيب إلا الله كما قال تعالى آمراً رسوله الكريم أن يقول : ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف : 188] . مما يدل على أن العبد لن يبلغ إلا ما علمه الله له من رزق ونحوه، ولذلك فلا يملك إلا التسليم والرضا.

ومن الأمثلة التي وردت في القرآن الكريم واقترن فيها الرضا والتسليم بالإيمان الحق ما ذكره الله تعالى من قصة نبينا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات : 102-111] .

=أعطيها وعن ضمرة عن ابن عطاء عن أبيه قال قير عامر بن عبدالله بيت المقدس وقال غيره وذلك في خلافة معاوية. (الإصابة في تمييز الصحابة ج5 ، ص 76).

(١) الرضا عن الله بقضائه ، المؤلف : عبدالله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي ، الناشر : الدار السلفية، بومباي، الطبعة الأولى ، 1410هـــ ، تحقيق : ضياء الحسن السلفي (106/1).



أي : « فلما أسلما أمرهما لله وفوضاه إليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه»[١].

فبعد أن رضي عن الله تعالى واستسلم لأمره، ونجح في الامتحان حصل له من الفضل العظيم ما ذكره القرآن في هذه الآية وغيرها من الآيات، من اتخاذه خليلاً ، وجعله إماماً للناس ورحمة ، وفداء ابنه بكبش عظيم ، وجعله سنة إلى يوم الدين ، ثم وصفه تعالى بالإحسان وأثبت له الإيمان ، وهما بذلك قد أخرجا لنا هذا التفاني في العبودية لله والاستسلام لأمره سبحانه فكان جزاؤهما أن خلد الله ذكرهما وأثنى عليهما بآيات تتلى إلى أبد الآبدين.

وقد بشر الله تعالى الراضين بقضائه فقال : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: 34] ، فالمخبتين هم : « المطمئنين الراضين بقضائه المستسلمين له»[٢].

وهذا أسلوب من أساليب القرآن الكريم في تثبيت المؤمنين على الرضا ، والحظ عليه، وهو أسلوب الترغيب والوعد، كما مر معنا سابقاً وكثيراً ما يتكرر في آيات القرآن الكريم.

وفي مدح إسماعيل عليه السلام قال تعالى : ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم : 55] أي : « وذلك بسبب امتثاله لمراضي ربه واجتهاده فيما يرضيه، ارتضاه الله وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين ، فرضي الله عنه ، ورضي هو عن ربه»[٣].

والله تعالى لا يرضى عن عبده إلا إذا رضي العبد عن ربه في جميع أحكامه وأفعاله، وعندها يكون الرضا متبادلاً، كما أشار إلى ذلك الحق تعالى بقوله : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟

(١) تفسير الطبري (76/21).

(٢) الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا (99/1).

(٣) تفسير السعدي (496/1).



عَنْهُ ﴾ [البينة : 8] . وهو من قبل العبد عبادة وطاعة وقربة، ومن قبل الرب تعالى فضل منه ورحمه.

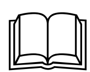
ورضاء الله تعالى عن العبد هو أسمى منـــزلة وأعظم منحة قال تعالى : ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[التوبة: 72] . وهذا الرضوان هو غاية مطلب سكان الجنة ، كما أخبر رسول الله ﷺ بقوله : « إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة! يقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم ، فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيفول : أنا أعطيكم أفضل من ذلك . قالوا : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً [1]. وإدراك العبد لحكمة الرب ، وأن ما يختاره هو خير ، يسير به في الطريق الصحيح للرضا عنه سبحانه وتعالى ، ومن النماذج التي ضربها القرآن الكريم وكانت غير مرضية للعبد ، ومع ذلك يطلب منه الرضا عليها لحكمة يريدها الرب وقد لا يعلمها العبد، ما ورد في قصة الخضر عليه السلام في سورة الكهف مما يستلزم الرضا عن الله في كل ما قدر . فمن فوائد هذه الآية وأحكامها ما يلي :

« أن هذه القضايا التي أجراها الخضر هي قدر محض أجراها الله وجعلها على يد هذا العبد الصالح ، ليستدل العباد بذلك على ألطافه في أقضيته، وأنه يقدر على العبد أموراً يكرهها جداً، وهي صلاح دينه، كما في قضية الغلام ، أو وهي صلاح دنياه كما في قضية السفينة، فأراهم نموذجاً من لطفه وكرمه ، ليعرفوا ويرضوا غاية الرضا بأقداره المكروهة»[2].

---

(١) رواه البخاري برقم (6183)، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ج5 ، ص2398، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، برقم (2829)، ج4، ص2176.

(٢) تفسير السعدي ، (482/1).



وهذا أيضاً أسلوب من الأساليب التي اعتمدها القرآن التفويض لله، والرضا بجميع ما يأمر به أو يقضيه ، وهو أسلوب القصص القرآني.

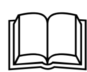
قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[التوبة: 59] .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : « فتضمنت هذه الآية الكريمة أدباً عظيماً ، وسراً شريفاً ، حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله ، والتوكل على الله وحده، وهو قوله : ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ﴾ ، وكذلك الرغبة إلى الله وحده ، في التوفيق لطاعة الرسول ﷺ وامتثال أوامره ، وترك زواجره ، وتصديق أخباره ، والاقتضاء بآثاره»[1].

في قوله تعالى : ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: 79] وفي هذا يظهر ما هم فيه من شعور بالدونية والازدراء من أنفسهم لفقرهم، وضعفهم، في هذا عدم رضا بما وهب الله تعالى ، ولكنهم بعد أن رأوا أن الله خسف به وبداره وبماله، رجعوا للحق وعلموا أن هذا متاع زائل ، ما كان ينبغي أن ينظر إليه و «أصبحوا يقولون: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾[القصص: 82] أي : ليس المال بدال على رضا الله عن صاحبه وعن عباده ، فإن الله يعطي ويمنع ، ويضيق ويوسع ، ويخفض ويرفع ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة ، وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود : « إن الله قسم بنيكم أخلاقكم ، كما قسم أرزاقكم وإن الله يعطي المال من يحب، ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»[2].

(١) تفسير ابن كثير (164/4).

(٢) تفسير ابن كثير (257/6).



قال بعض الحكماء : « من قنع كان غنيا وإن كان فقيراً ، ومن تجاوز ما له القناعة فهو فقير ، وإن كان غنياً وقال بعضهم: الرضا بالكفاف يؤدي إلى العفاف ومن رضي بالمقدور قنع بالميسور»(١).

وقيل : « ثلاثة من أعلام الرضا : ترك الاختيار قبل القضاء ، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء»(٢).

إذا فالرضا ثمرة التوكل ، والتوكل نصف الإيمان ، وقد قيل : إن حقيقة التوكل: الرضا ؛ لأنه لما كان ثمرته ، وموجبه ، استدل له استدلالاً بالأثر على المؤثر ، وبالمعلول على العلة، لا أن التوكل هو الرضا ، أو الرضا التوكل(٣).

والتوكل هو : « الصبر على طوارق المحن ، ثم التفويض ، ثم التسليم ، ثم الرضا، ثم الثقة»(٤).

وروي عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال : (يا غلام ، أو يا غليم ، احفظ عني كلمات، لعل الله أن ينفعك بهن: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك ، احفظ الله في الرخاء يحفظك في الشدة .. اعمل اليقين مع الرضا ، واعلم ان مع العسر يسراً ، واعلم أن مع العسر يسراً) (٥).

ومن الأدلة على الأمر بالرضا بما قضى الله به، وإن كرهته النفوس ، قول الله تعالى :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟

---

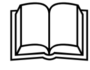
(١) فيض القدير ، للمناوي ، ج1 ص 289 – 290.

(٢) مدارج السالكين ، لابن القيم ، 177/2.

(٣) انظر : طريق الهجرتين ، لابن القيم 500/1، ومدارج السالكين ، لابن القيم 174/2، وشفاء العليل ، لابن القيم ص 278.

(٤) شعب الإيمان ، البيهقي 110/2.

(٥) سبق تخريجه ص 27.



شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 216] . فإن كان الإنسان لا يعلم أحياناً كثيرة أن الأمر فيه خير له مع كراهية النفس له ، وقد يحب ويرجو ما يعتقد أنه خير مع أنه شر لا يعلمه لذا فلا بد له من الرضا لأنه لا يعلم الخير من الشر إلا الرب تعالى، كما قال : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وفي الحديث ما روي عن الوليد بن عبادة، قال: دخلت على أبي ، وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني ، واجتهد لي، فقال: أجلسوني ، فلما أجلسوه ، قال : يا بني ، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله — تبارك وتعالى — حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت: يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني إني سمعت رسول الله يقول : (إن أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار) (١).

ويظهر لنا ذلك من تربية الرسول ﷺ للأمة على الاستخارة فبعد التوكل وتفويض الأمر والدعاء ، يطلب الرضا من الله على ما قدر وقضى وذلك يظهر واضحاً في دعاء الاستخارة قال رسول الله ﷺ : (اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر — ثم تسميته بعينه — خيراً لي في عاجل أمري وآجله ، قال: أو في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ، ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ، أو قال : في عاجل أمري ، وآجله ، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به) (٢).

---

(١) سبق تخريجه ص 21.

(٢) أخرجه البخاري ، برقم (1109)، كتاب التهجد ، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى ، ج1 ، ص 391.



وبهذا الدعاء لم يدع الرسول ﷺ مجالاً للشك أو الحيرة ، لأنه متى تردد العبد في فعل شيء ، أو حتى هم بأمر معين ، أو عرض له أمران فإنه لا يلجأ إلا للعليم الخبير فيستشيره بما فيه الخير ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ فهذا هو الرضا الذي يتمثل في آخر جملة من دعاء الاستخارة ، (واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به) ، والسر في قوله : (ثم رضني به) لكي لا يبقى قلبه متعلقاً بما لم يتيسر له فلا يطمئن خاطره والرضا سكون النفس إلى القضاء[١] .

ومـــــن الآيات أيضاً : قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[الحديد: 22-23] .

فما دام الأمر كذلك وأن كل شيء قد سبق به القلم فلم عدم الرضا والتسليم؟ ثم إن اعتقاد المؤمن أنه يتحرك ضمن حكم الله تعالى وإرادته ، يعطيه شعوراً بالاطمئنان أن كل ما يجري حوله إنما هو ترتيب رباني ، وتقدير من لدن عليم حكيم، وهذا الشعور ينمي التوازن المطلوب في الآية : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ بحيث يمضي مع قدر الله في طواعية ورضا.

ومنها أيضاً قوله ســبحانه : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن : 11-13].

---

(١) انظر فتح الباري ، لابن حجر ، (187/1).



وفي هذه الآية أن من رضي بما أصابه ، وعلم أن ذلك مكتوب ومقدر، وهو بإذن الله تعالى ومشيئته ، فإن الله تعالى يجازيه بأن يهد قلبه وما اعظم من هذا الجزاء نسأل الله من فضله ، عن ابن عباس قال : (يعني يهدي قلبه لليقين ، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه) [١].

وفي هذه الآية ختمها تعالى بالأمر بالتوكل ، وأمر به المؤمنين والتوكل نصف الإيمان، والرضا هو ثمرة التوكل كما سبق ، وعلى هذا تتأصل المسألة من : أن الرضا بالقضاء من تمام الإيمان بالقضاء والقدر[٢] .

روي عن ابن عباس ، في قوله : ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [النجم : 48] .

يقول : أعطاه وأرضاه »[٣] و (الرضا من مقامات الإحسان التي هي من أعلى المندوبات) [٤].

قال ابن القيم – رحمه الله – (ولذلك كان الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين ، وحياة المحبين ، ونعيم العابدين ، وقرة عيون المشتاقين) [٥].

وقد بين الرسول ﷺ أن الراضي بقضاء الله هو أغنى الناس لأنه أعظم سروراً، وأبعد عن الحزن والضجر بسبب إيمانه ورضاه ، إذ ليس الغنى والسعادة بكثرة المال ولا بمتاع الدنيا وإنما هو بغنى القلب بالإيمان وقدرته على الرضا ، قال عليه الصلاة والسلام : (اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ،

---

(١) انظر: تفسير الطبري 123/28، وتفسير ابن كثير 375/4.

(٢) انظر: شفاء العليل ص 278.

(٣) تفسير الطبري (550/22).

(٤) شفاء العليل ص 278.

(٥) مدارج السالكين 174/2، وانظر : الفوائد 93/1.



وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) [(١)].

ولقد كان من هديه ﷺ أن يعلم أصحابه ويغرس في قلوبهم الرضا بالله تعالى رباً، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، وكان يوصيهم ويحثهم على الاستمرار عليه وتكرارها ، فيقول : (من قال إذا أصبح وأمسى : رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، كان حقاً على الله أن يرضيه) [(٢)] ، فكانوا يحرصون على تكرارها صباحاً ومساءً، معترفين لله برضاهم عنه ممتنين له بنعمه، راجين الوصول إلى رضوانه ، فهم بذلك يرجون خير الدنيا والآخرة بمن بيده ملكوت كل شيء ، كما في قوله تعالى : ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : 26] ، لذا فمن حُرم لذة الإيمان ونعيم الرضا ، فهو في قلق واضطراب دائمين ، وخصوصاً حين يحل به البلاء ، أو تنــزل به المصيبة ، فتسود الحياة في عينيه وتظلم ، وتضيق به الأرض بما رحبت ولا تتسع ، ويأتيه الشيطان ليوسوس له، أن لا خلاص من همومه وأحزانه إلا بالانتحار مثلاً ، بأي طريقة كانت . وخاصة في بلاد الكفار والملاحدة ، التي لا تعترف بالإيمان ، وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: 124].

والرضا من السنن التي أجمع عليه سلف الأمة فقد : « أجمع سبعون رجلاً من التابعين ، وأئمة المسلمين ، والسلف ، وفقهاء الأمصار ، على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها : الرضا بقضاء الله وقدره ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به ، والنهي عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله ، والإيمان تحت

---

(١) أخرجه الترمذي برقم 2305، ج4 ص 551، وقال: هذا حديث غريب ، وقال الألباني : حديث حسن.

(٢) أمرجه الترمذي ، برقم 3389 ج5 ، ص 465 ، وقال: حديث حسن غريب.



حكمه، والأخذ بما أمر الله به ، والنهي عما نهى الله عنه وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر، خيره وشره ، وترك المراء ، والجدال ، والخصومات في الدين»[(١)].

فهم في هذا بدأوا بالرضا بالقضاء والقدر ومما ختموا به الإيمان بالقدر خيره وشره، مما دل دلالة واضحة على أهمية الرضا ومكانته من الإيمان.

مما خرجت به :

١ أسلوب القرآن الكريم التربوي الهادف الذي يربي الأمة على الرضا بما قسم الله من فقر وغنى ، وقوة وضعف ، ونحوها .

٢ في نصيحة المؤمنين لضعفاء النفوس في قصة قارون الواردة في الآيات دليل على الرضا بما قسم الله وعدم النظر إلى ما عند الغير ، بل إنه من المفترض أن ينظر العبد لمن هو دونه في كل شيء ، ولا ينظر إلى من هو أعلى منه حتى لا يشعر بالدونية فيزدري نعمة الله عليه.

٣ أن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب.

٤ الواضح من الآيات دعوتها إلى العمل والكسب وأن ذلك لا ينافي الرضا ، كما أن الدعوة الى العمل الدنيوي بجانب العمل الأخروي مع ضرورة التأكيد على عدم طغيان جانب على الآخر والموازنة بينها . وذلك من خلال الربط بين الرضا والتوكل في قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: 13] .

٥ المؤمن يبدأ كل أمر بالدعاء والاستخارة ، ويعقبه بالرضا والقبول كما هو واضح في دعاء الاستخارة السابق ، ففيه دليل على إظهار الذل والافتقار إلى علم الله تعالى، ورجاء فضله.

---

(١) الكبائر ، للإمام شمس الدين الذهبي ، ص 132.



٦- في قوله تعالى : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [طه: 130] ، على ما أصاب الرسول ﷺ من أذى سواء من اتهامه بالسحر والكذب ونحو ذلك ، إلا أن الله تعالى أمره بأن يصبر ويثني على ربه بالصلوات في جميع الأوقات حتى يبلغ الرضا فإذا أرضاه الله ، فلا شك أنه يرضى، وأنه إذا رضي فقد أرضاه الله(١).

٧- تقرير الآيات الكريمة لباب الرضا من خلال مخاطبة الناس بواقعهم ، وما هم عليه من صفات بشرية ، مع تنبيههم بأن ما قدر لهم هو الخير وإن كانوا لا يعلمون ، كما في قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : 216] .

٨- القانون الرباني في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : 49] والإيمان به دليل على ضرورة الرضا بما قسم الله تعالى ، لعلم العبد بأن كل ما كان وما يكون فإنما هو بقدر من الله تعالى ، وسنة جارية لا تبديل لها ، مما يعمق الإيمان بالقضاء ويزيده في النفس، وليعلم العبد أن كل ما قدر الله تعالى وقسمه فهو عدل محض لا ظلم فيه ولا جور، ولا يمكن أن يكون شيئاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل.

٩- وجهنا القرآن الكريم إلى الوسطية في كل شيء ، وعدم المبالغة الزائدة في الفرح أو الحزن، وأن نضع كل موقف في حجمه الصحيح ، فلا يحزن العبد حزناً يؤخر النفس عن الطاعة ولا يقدمها ، ولا يفرح فرحاً يوصله إلى الغرور والبغي ، فلا يعترف لله بفضل، كما في قوله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى

(١) انظر تفسير الطبري (402/18).



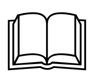
كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾ [الحديد : 22-23] .

١٠ -توجيه القرآن إلى الرضا وعدم الطمع والتطلع إلى ما عند الغير كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴾ [طه : 131] . ثم إنه « تكرر في القرآن التنبيه إلى أن متاع الدنيا عرض زائل، كبحا لغرورنا بها ، وتوجيهاً إلى ما هو خير وأبقى من زاد الإيمان والتقوى والعمل الصالح»[1]. قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [آل عمران : 185].

وقوله تعالى : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾ [الحديد:20].

١١ -دلت الآيات على أن جزاء الرضا عن الله تعالى ، هو رضا منه سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [المائدة : 119] ، وقوله تعالى : ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة : 22] ، وقال تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ

(١) الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية ، تأليف د. عائشة عبدالرحمن بنت الشاطىء ، أستاذ الدراسات القرآنية بدار الحديث وكلية الشريعة ، جامعة القرويين ، المغر ب: الناشر : دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 4، 1986م، ص71.



﴿أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة : 8] قال ابن القيم : «فتضمنت هذه الآيات : جزاءهم على صدقهم وإيمانهم ، وأعمالهم الصالحة، ومجاهدة أعدائه ، وعدم ولايتهم ، بأن رضي الله عنهم . فأرضاهم . فرضوا عنه . وإنما حصل لهم هذا بعد الرضا به ربا ، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً»[1].

١٢ -في قوله تعالى : ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم : 24-25] «الاستفهام المقدر بعد (أم) إنكاري قصد به إبطال نوال الإنسان ما يتمناه وأن يجعل ما يتمناه باعثاً عن أعماله ومعتقداته بل عليه أن يتطلب الحق من دلائله وعلاماته وإن خالف ما يتمناه . وهـــــذا متصل بقوله : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:23] ، وهذا تأديب وترويض للنفوس على تحمل ما يخالف أهواءها إذا كان الحق مخالفاً للهوى وليحمل نفسه عليه حتى تتخلق به»[2]. أي أنه على الإنسان أن يروض نفسه على الرضا ، لأنه لن يدرك جميع ما تمنى ، كما أن جميع ما في الكون هو ملك لله تعالى سواء في الدنيا أم في الآخرة ، وهذا لا يعني الزهد في الطاعات وإنما التأكيد على أنه لا مالك إلا الله ولا رب سواه فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط.

١٣ -«وتقديم المجرور في ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [النجم: 24] لأن محط الإنكار هو أمنيتهم أن تجري الأمور على حسب أهوائهم فلذلك كانوا يعرضون عن كل ما يخالف أهوائهم فتقديم المعمول هنا لإفادة القصر وهو قصر قلب أي ليس ذلك مقصوراً عليهم

---

(١) مدارج السالكين ، لابن القيم (187/2).

(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (4193/1).



كما هو مقتضى حالهم فنـــزلوا منـــزلة من يرون الأمور تجري على ما يتمنون أي بل أماني الإنسان بيد الله يعطي بعضها ويمنع بعضها»[1].

١٤ -كما أن تقديم المجرور في قوله تعالى : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: 25] ، لإفادة الحصر أي لله لا للإنسان ، مما يدل على ضرورة الرضا عن كل ما يختاره الرب تعالى.

١٥ -تقرير القرآن الكريم لعقيدة القضاء والقدر ، بقص القصص وبيان الحق في نهايتها، كما في قصة قارون مع قومه، وقصة نبي الله إبراهيم مع ابنه ، فكانت نتيجة الأول تختلف تماماً عن الثاني والعبرة بالخواتيم – فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط. وكذلك ما ورد في قصة الخضر في سورة الكهف .

وقد قامت طريقة القرآن في بيان ثمرة الرضا على ما يلي :

1- اتخذت الآيات طريقة الشمولية في الدعوة إلى الرضا . فكانت تطلب الرضا بأمر الله الكوني القدري ، والرضا بأمر الله الشرعي ، وبهذا يدخل الرضا في كل أحوال العبد إما على سبيل الاستحباب في الرضا بالأمر الكوني ، وإما على سبيل الإيجاب في الرضا بالأمر الشرعي كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء : 65] .

2- أشارت الآيات إلى قاعدة « الجزاء من جنس العمل» فجعلت جزاء الرضا عن الله في مقضياته الكونية والشرعية رضا الله عن هذا العبد الراضي ، كما قال تعالى : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[البينة : 8] .

(١) المرجع السابق ، نفس الموضع.



3- اعتنت الآيات الكريمة ببيان ما يعين العباد على تحقيق الرضا . ومن ذلك أنها ذكرت قسمة المعيشة بين الخلق ، وأن كل إنسان لا يأخذ إلا ما قسم الله له : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف : 32] .

وبينت أثر العبادات في زرع الرضا في النفوس . من ذلك ذكر الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه : 130] .

4- قطعت الآيات الطريق الموصل إلى عدم الرضا ، وعدم القناعة كمـــــا في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [طه: 131] .



المبحث الثالث الدفع إلى العمل والإنتاج

القضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، كما نص على ذلك حديث جبريل المشهور عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ومن ثمرات هذا الإيمان الدعوة والحث على العمل والإنتاج، سواء كان هذا العمل والإنتاج للمصالح الدينية أو الدنيوية ، والعباد مأمورون بالتقوى، والعمل الصالح، والاستزاده من الخيرات وعدم الاحتجاج بالقدر أو بسبق القلم، مصداقاً لحديث الرسول ﷺ ، الذي جاء فيه : (أنه كان في جنازة فأخذ عوداً ينكت في الأرض فقال ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة قالوا يا رسول الله أفلا نتكل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل : 5-10] [1] ، بل إن من الحكمة في ذلك، الابتلاء والامتحان. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2] وهو أيضاً من دواعي استخلاف الإنسان في الأرض، كما قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: 165] .

وفي أمور الدنيا، فقد استخلف الله تعالى عباده في الأرض ، وأمرهم بعمارتها، وطلب منهم الضرب في الأرض؛ لطلب الرزق ونحوه ، وباعتبار كون الحظ على العمل، وزيادة الإنتاجية ، ثمرة من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ، بل قوة دافعة للاستمرار حتى مع الفشل لأنه إيمان بأن ما كان هو ما أراده الله، وما لم يكن لم يرده الله تعالى ، فيبذل جل الأسباب، فإن حصل المراد، وإلا فالحمد لله ، ولذلك فالدين الإسلامي قد وجه متبعيه من خلال النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة ، وشجعهم على العمل

(١) صحيح البخاري ، برقم (4663)، كتاب : التفسير ، باب : (فسنيسره لليسرى) ، ج4ص 1890.



بل وأمرهم به، ورتب على هذا العمل الجزاء من الرب تبارك وتعالى ، فأمر الله تعالى العبد بالعمل، والسعي للإصلاح وإعمار الأرض ، وهو مع ذلك قد مكنه ويسر له ، وسخر له ما يمكنه من ذلك فلم يحبسه في دائرة ضيقة ويأمره بما لا يطيق ، ومن خلال الآيات؛ سيتضح لنا أن العمل المتقن ، والتفاني بإخلاص ، ثم الحرص على نفع النفس والأمة إنما هو من الإيمان بالقدر بل من ثمراته ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : 105] ، أمر بالعمل واستشعار لرقابة الله تعالى ، واطلاعه على جميع أحوال العباد، إذ لا ينبغي أبداً أن نحتج بالقضاء والقدر، فنكسل عن العمل، سواء في طاعة الله أو في الأعمال الدنيوية ، بل الواجب علينا أن نعمل ، وقد تنوعت الآيات التي تحث على العمل ، والسعي في الأرض ، كما تنوعت أساليب القرآن الكريم في ذلك ، ومن هذه الآيات ما يلي:

- قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[الملك : 15].

فهو سبحانه وتعالى يمتن على عباده بأن جعل لهم الأرض، وذللها ويسر لهم ما فيها ، فمعنى الآية أنه سبحانه « هو الذي سخر لكم الأرض وذللها ، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم ، من غرس وبناء وحرث ، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة ، ﴿ فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ أي : لطلب الرزق والمكاسب»[1].

ثم إنه سبحانه وتعالى كما بين ما يمكن أن يحصل عليه العبد من فوائد سعيه في الأرض، فإنه نبه العبد أن هذه الدار ليست دار مقر، وأن هناك دار هي الباقية التي يحسن به أن يجعل الدنيا ممر للآخرة ، فقال تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ كما قال ابن تيمية : « نبه بقوله

(١) تفسير السعدي (877/1).



وإليه النشور، على أنا في هذا المسكن غير مستوطنين، ولا مقيمين بل دخلناه عابري سبيل فلا يحسن أن نتخذه وطناً مستقراً، وإنما دخلناه لنتزود منه إلى دار القرار، فهو منـــزل عبور لا مستقر حبور، ومعبر وممر لا وطن ومستقر»[1].

ومثل هذه الآية وفي معناه الكثير من الآيات، التي تبين أن الله تعالى قد امتن على عباده، بتسخير الأرض وما فيها لما يعود بالنفع عليهم وعلى الأمة ، وقرن هذا التسخير بالأمر بالعمل، واستهلاك جميع القوى في الاستفادة منها ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : 29] ، وقوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية : 13] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : 10-13] ، فعلى تعدد الآيات؛ إلا أن المتأمل يدرك أن جميعها تدعو إلى التوحيد، وتثبت استحقاق المتفضل سبحانه للعبادة وحده دون سواه ، وهو كما خلق الخلق وسخر لهم جميع ما به تبقى حياتهم وتستمر ، فهو يأمرهم بالإيمان به وفعل أوامره، فمع أهمية التوحيد، هناك دعوة للاستفادة مما سخره الله تعالى ، فإن حصل المراد؛ وإلا فالمؤمن لا يجزع ولا يسخط، ويعلم أنه يريد، وغيره يريد، والله يفعل ما يريد.

كما أن من آمن بقضاء الله وقدره ، يوازن بين العمل للدنيا ، والعمل للآخرة، وهو موقن بأن العمل وإن كان للدنيا إذا كان عمل طاعة ومباح، وكان مما ينتفع به وينفع به غيره فإنه عبادة يتعبد بها الله تعالى ، والقرآن الكريم وضح هذا مرشداً لمنهج الوسطية التي يدعو إليه الدين ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ

---

(١) الفوائد ، المؤلف : محمد بن ابي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1393-1973 (18/1).



نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : 77] .

هذه الآية فيها عدة وقفات :

الوقفة الأولى : في قوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ ﴾ ، وهذا هو الأصل ، أن يحرص العبد على آخرته وصلاحها . « طلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة والجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله تعالى»(١).

الوقفة الثانية : في قوله تعالى : ﴿ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ تنبيه إلى ضرورة العمل وعدم التواكل والكسل، قال منصور بن زاذان في قوله: « ولا تنس نصيبك من الدنيا، قال : قوتك وقوت أهلك»(٢) . ومعناها : « أي لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعاً ، بل أنفق لآخرتك ، واستمتع بدنياك استمتاعاً لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، ﴿ وَأَحْسِن ﴾ إلى عباد الله ﴿ كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ بهذه الأموال»(٣).

الوقفة الثالثة : في قوله تعال : ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ فيه بيان أهمية الإصلاح وعدم الإفساد ، والإفساد يكون: « بالتكبر، والعمل بمعاصي الله، والاشتغال بالنعم عن المنعم»(٤).

وقد يربط القرآن الكريم بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، كما في الجهاد فقد رغب الإسلام في الجهاد، من خلال الوعد الأخروي، وكذا الفتح الدنيوي ، والغنائم ، قال تعالى:

---

(١) تفسير البغوي (221/6).

(٢) المرجع السابق نفس الموضع.

(٣) تفسير السعدي (/623).

(٤) المرجع السابق نفس الموضع.



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الصف : 10] ، وقـال تعالى : ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [الفتح : 20] .

وقال تعالى أيضاً في حثه على العمل وقرنه بالجهاد في سبيل الله : ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل : 20] ، وفي صحيح الجامع الصغير من حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – يقول رسول الله ﷺ : (جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري) [(١)].

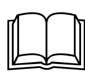
لذا؛ فالمجاهد في سبيل الله يمضي في جهاده ولا يهاب الموت ، لأنه يعلم أن الموت لا بد منه ، وأنه إذا جاء لا يؤخر ، قال تعالى : ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖ ﴾ [النساء : 78] ، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ ﴾ [آل عمران: 154] « وهكذا فحينما يسشعر المجاهد هذه الدفعات القوية من الإيمان بالقدر ، يمضي في جهاده؛ حتى يتحقق النصر على الأعداء، وتتوفر القوة للإسلام والمسلمين» [(٢)]. وفي الحديث أن سلمان الفارسي[(٣)] قال لأبي الدرداء رضي الله عنهما : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما قيل في الرماح ، ج3 ص 1066.

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، للشيخ : د. صالح بن فوزان ص 313.

(٣) سلمان الفارسي ، أبو عبدالله ويقال له سلمان الخير أصله من أصبهان وقيل من رامهرمز أول مشاهده الخندق مات سنة أربع وثلاثين يقال بلغ ثلاثمائة سنة (تقريب التهذيب ج1 ص 246).



حق حقه، فأتى النبي ﷺ ، فذكر له ، فقال النبي ﷺ : « صدق سلمان»[1] . مما يدل على أهمية الجمع بين العمل الروحي، والسعي بكل الطاقات للإصلاح الدنيوي، مادياً واقتصادياً وسياسياً، وفي جميع المجالات ، ثم إن الله تعالى لا يكلف العبد إلا ما يطيق، وأما ما لا يطيق فأمره به ، قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : 286] ، فلو تمسكت الأمة بأوامر دينها الحنيف ، وفهمت الإسلام فهماً عميقاً لما تأخرت في كثير من المجالات بسبب الفهم الخاطىء للقضاء والقدر ، وعدم الجمع بين العمل للدين والعمل للدنيا وأن العمل للدنيا بضوابط الشريعة إنما هو من الدين ، ومما يستشهد به على ذلك ما ذكره أحد الباحثين في القرآن والسنة في كتاب (المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام) ، قال : «حدثني ذات مرة صديق كنت أعمل معه في إدارة واحدة، أنه التقى بأحد المسشترقين أثناء مرور الأخير بالقاهرة في أوائل الستينات من ه ذا القرن الميلادي ، فسأله عن جملة أشياء تتعلق بالإسلام والمسلمين وما يدور من أفكار بينهم ، وفي أثناء الحديث سأله : هل تعرف فلاناً ؟ وذكر له اسمي فأجابه بالإيجاب ، فسأله : هل هو من خريجي الأزهر ؟ قال له : لا! إنه من خريجي قسم اللغة الانجليزية بجامعة القاهرة! فلم يخف عجبه — واستياءه كذلك– من أن ينشغل واحد من خريجي هذا القسم — الذي أنشيء ابتداء لتخريج «علمانيين» يتبعون طريقة التفكير الغربية ومنهج الغرب في الحياة — أن ينشغل بأمور الإسلام ، ويكتب في موضوعات دينية!

ثم راح المستشرق يكيل النقد لكتاباتي ، وخاصة كتاب « شبهات حول الإسلام » وكان أشد حنقه على أمر معين، هو أنني أنتقد مادية الغرب ، وأهاجم حضارته المادية الخالية من الروح.

---

(١) أخرجه البخار ي، برقم 1867، كتاب الصوم ، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ، و لم ير عليه قضاء إذاكان أوفق له ، ج2 ص 694.



وقال لصديقي حانقاً : ماذا صنعتم أنتم بروحانيتكم ؟! لولا تقدمنا المادي ما استطعتم أنتم أن تعيشوا! فحدثه الصديق – رحمه الله - أنني أقول ؛ بأن الإسلام ليس روحانية فحسب ، وإنما هو يجمع بين عالم المادة وعالم الروح ، ويدعو إلى بذل النشاط في كلا المجالين في آن واحد . فقال له : ولكن واقعكم خلاف ذلك ! فقال الصديق – يتابع حديثه عني – « إنه يقول إن واقع المسلمين اليوم بعيد عن حقيقة الإسلام » ! فانتفض الرجل من كرسيه حنقاً وغضباً وقال : هو يقول ذلك ؟! أين يقول هذا الكلام؟! قال: في كتاب له يسمى « هل نحن مسملون» . فقال المستشرق وهو ينصرف في عصبية ظاهرة: هذا أمر خطير!

أمر خطير أن يتنبه أحد – أو ينبه الناس – إلى أن حقيقة الإسلام غير ما يمارس باسم الإسلام ، وأن الواقع السيء الذي يعيشه المسلمون اليوم، سببه البعد عن حقيقة الإسلام»![1].

ثم إن التوكل، وعمل الأسباب من الإيمان بالقضاء والقدر، وعين التوكل هو العمل إذ لا توكل بدون عمل ، كما جاء في حديث الرسول ﷺ : (اعقلها وتوكل) [2] ، فأمره بالعمل قبل التوكل ، ثم إن العمل دليلاً على صدق التوكل على الله والثقة به : وقد جاء من حديث عمر رضي الله عنه أنه قال : يقول رسول الله ﷺ : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً »[3].« فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق»[4].

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء افسلام ، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود (148/4) ، الموسوعة الشاملة.

(٢) رواه الترمذي ، برقم 2517، ج 4 ، ص 668، وقال عنه : حديث غريب ، وقال الألباني : حسن.

(٣) سبق تخريجه ص 291.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (306/11).



ومما يدل على فضل العمل وسمو منـــزلته، اهتمام الأنبياء به وهم أفضل الخلق، وهم أعرف الناس بالله تعالى ، فكان داوود حداداً عليه السلام ، وكان يأكل من عمل يده كما قال الرسول ﷺ : (ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)(١).

وقال تعالى في حق داود عليه السلام أيضاً : ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء : 80] .

كذلك قول الرجل الصالح لموسى عليه السلام : ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [القصص : 27] .

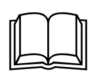
وفي الحديث روي عن النبي ﷺ أنه قال : (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم) . فقال أصحابه وأنت ؟ فقال (نعم كنت أرعاها على قراريط أهل مكة) (٢).

وكان رسول الله ﷺ يتاجر في مال خديجة قبل بعثته ، وقد سئل رسول الله ﷺ : (أي الكسب أطيب ؟ قال : عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور) (٣).

وقد دعا الإسلام إلى الاهتمام بالدنيا ، بعد الاهتمام بالآخرة ، ورفض النظر بتشاؤم إلى تصاريف القدر ، وأنه ليس هناك ما يمنع الإنسان من التأثير والتغيير في حياته والمجتمع الذي يعيش فيه (٤). وكان عمر بن الخطاب ينادي في الناس : (يا أيها الناس إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة فلا يقعدن أحدكم ويقول اللهم ارزقني) (٥).

---

(١) أخرجه البخاري برقم 1966، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، ج3 ص 730.
(٢) أخرجه البخاري برقم 2143 ، كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط ، ج2 ص 789.
(٣) رواه أحمد في مسنده برقم17304، ج4 ص 141. وقال الأرنؤوط : حسن لغيره.
(٤) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (3/165).
(٥) إحياء علوم الدين ، للغزالي ، ص 521.



ويبين لنا رسول الله ﷺ المنهج السوي، الذي ينبغي أن يسلكه المسلم؛ ليعيش عزيزاً كريماً يأكل من كسبه وجهده، ولا يعيش متسولاً يسأل الناس في الدنيا، ويأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم . فقد روي عن قبيصة بن مخارق الهلالي [١] قال : (تحملت حمالة فأتيت النبي ﷺ فقال : أقم يا قبيصة حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها ، ثم قال : يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة، فسأل حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة، فاجتاحت ماله، فحلت له المسألة، فسأل حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال : سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة، حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه قد أصابت فلاناً الفاقة فحلت له المسألة، فسأل حتى يصيب قواماً من عيش أو سداداً من عيش ثم يمسك وما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت يأكلها صاحبها سحتاً) [٢].

وما ذلك إلا ليعلم الأمة بضرورة المكافحة ، والعمل الدؤوب وأن ذلك من الإيمان، بل هو أفضل من المذلة وسؤال الناس ، قال تعالى : ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء : 100] ، و «هذا في بيان الحث على الهجرة والترغيب، وبيان ما فيها من المصالح ، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته ، أنه يجد

---

(١) قبيصة بن مخارق الهلالي : قبيصة البجلي ذكره البغوي وابن أبي خيثمة وابن منده وبقي بن مخلد وأخرجوا له من طريق عبد الوارث عن أيوب عن أبي قلابة عن قبيصة قال انكسفت الشمس فذكر الحديث وفي آخره فصلوا كأخف صلاة صليتموها من المكتوبة قال البغوي رواه عباد بن منصور عن أيوب فزاد بين أبي قلابة وقبيصة هلال بن عامر وقال عن قبيص الهلالي ولا أعلم لقبيصة الهلالي غيره وجعلوه غير قبيصة بن المخارق الهلالي وهو واحد وقد تعقبه علي البغوي بن قانع وعلى أبي بكر بن ابي خيثمة بن شاهين ، وعلى بن منده أبو نعيم وزاد أبو نعيم بأن هشاماً الدستوائي تفرد بقوله البجلي وخالفه بقية الرواة فقالوا الهلالي وهو الصواب وقد أشار البخاري إلى ذلك بقوله قبيصة بن المخارق الهلالي ويقال البجلي فأفصح بأنه وناحد (الإصابة في تمييز الصحابة ج5 ص 547).

(٢) رواه أبو داود في سننه ، برقم 1640، ج1 ص 515، وقال الألباني : حديث صحيح.



مراغماً في الأرض وسعة ، فالمراغم مشتمل على مصالح الدين ، والسعة على مصالح الدنيا»(١).

مما خرجت به :

١ -دعوة القرآن الكريم إلى العمل ، وعدم الاحتجاج بالقدر ، كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك: 15] .

٢ -الامتنان بنعمة تسخير الأرض وما فيها ، وطلب الاستفادة منها عبادة لله : قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ﴾ [الأعراف: 10] ، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك: 15] وغيرها من الآيات.

٣ -تعريف العبد بأنه لا تعارض بين العمل للدنيا والعمل للآخرة ، بل الأصل اعتبار الدنيا ممراً للآخرة وجسراً يوصل إلى صلاحها ، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : 77] .

٤ -في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : 9] « أي : أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق ، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره.

﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [الاسراء : 9] من الواجبات والسنن : ﴿ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : 9] أعده الله لهم في دار كرامته لا يعلم وصفه إلا هو»(٢).

---

(١) تفسير السعدي (196/1).

(٢) تفسير السعدي ، (454/1).



وهذه هي قاعدة القرآن الأصيلة في العمل والجزاء ، وما هذا إلا بيان لمنهج القرآن الكريم في الترغيب للعمل الصالح سواءً كان للدنيا أم للآخرة ، إذ القرآن الكريم هو الهادي إلى الطريق الصحيح ، وقد كان القرآن الكريم هو دستور الأمة، الذي به صلاح دنياهم وآخرهم، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا بينها أو أشار إليها ، وما كان منه مجمل فصلته السنة النبوية تفصيلاً واضحاً بينا كما قال الرسول ﷺ : (قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...) [(١)].

٥ -ربط كل عمل يقوم به العبد في حياته بغاية عظمى، وهدف سام، يعيش له المسلم في حياته ويحيى من أجله ، ألا وهو تحقيق العبودية لله عز وجل ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : 162] .

٦ -في وصف الله تعالى نفسه بالإتقان في قوله تعالى : ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : 88] ، تنبيه على ضرورة الإتقان في العمل، ورحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه.

٧ -العمل المطلوب من العبد هو العمل الذي يسبقه علم صحيح، وفهم، ومعرفة، لما سيقوم به حتى وإن كان عمل دنيوي ، وإلا فكيف ينفع العبد نفسه، وأمته بدون علم يتبعه عمل أو بدون عمل على بصيرة من علم «فالعمل هو ثمرة العلم ، والعلم مقصود لغيره فهو بمنـــزلة الشجرة ، والعمل بمنـــزلة الثمرة ... فإذا حصل له بتوفيق الله العلم بدين الإسلام، والعمل به، فيجب عليه السعي في الدعوة إليه ، كما هي طريقة الرسل وأتباعهم، وأعلى مراتب العلم الدعوة إلى الحق وسبيل الرشاد، ونفي الشرك والفساد، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه، إلا ويدعوهم إلى طاعة الله، وإفراده بالعبادة، وينهاهم

---

(١) رواه ابن ماجه ، برقم (43)، ج2 ، ص 16، وقال الألباني: حديث صحيح.



عن الشرك ووسائله وذرائعه، ويبدأ بالأهم فالأهم بعد ذلك من شرائع الإسلام [(١)] .
ولذا نجد الرب تبارك وتعالى يستثنى المؤمنين العاملين بإيمانهم، النافعين لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنـــــكر، من الخسران الذي سيلحق بالإنسان حتماً كما في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر : 1-3] .

٨ -في قوله تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة : 273] ، تنبيه على الاهتمام بالذين يتعففون عن المسألة مع شدة الحاجة بعد أن ذكر السبب في منعهم من العمل، وعدم التقاعس فيه وهو: (عدم القدرة على الضرب في الأرض) ، إذ الأصل، الهجرة والضرب في الأرض والعمل وبذل الجهد في تحقيق الرزق ، مع النهي عن التسول لغير حاجة ، ففي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : (من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً، فليستقل، أو ليستكثر) [(٢)].

٩ -والمهمة الأساسية التي يردها الله تعالى منا في هذه الحياة تكمن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج : 77] . فالله عز وجل يحثنا على الإيمان ، العبادة، وفعل الخيرات أي

---

(١) حاشية الأصول الثلاثة ، المؤلف : محمد بن عبدالوهاب حاشية عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي، ط1 ، الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: 1416هـــ، مصدر الكتاب : موقع الإسلام (13/1).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس، برقم (1041)، ج2 ، ص 720.



«ويأمرهم بفعل الخير عموماً»[١] ، ومن هنا حث الإسلام على مساعدة الآخرين، والوقوف على شؤونهم بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[٢].

١٠ - بالنظر لما سبق من أمر الآيات القرآنية بالعمل، والضرب في الأرض ، واستغلال كامل القدرات ، مع التوكل ، وضرورة الإخلاص في العمل ، وأن هذا العمل هو من بذل الأسباب، التي لا تتعارض مع التوكل الذي هو أساس الإيمان بالقدر ، وأن قدوتنا في ذلك هم الأنبياء عليهم السلام ، والسلف الصلح الذين عرفوا برضاهم عن الله في كل شيء يتبين أن الإيمان بالقضاء والقدر يدفع الإنسان والمجتمع إلى العمل ، وليس كما يظن الناس أن الإيمان بالقضاء والقدر يدفع الإنسان إلى الكسل ، فالعمل والسعي مأمور به، والمؤمن هو الذي يعلم أنه لا بد أن ينازع الأقدار بالأقدار ، فهو يسعى ويعمل، لكنه يختلف عن غيره بأنه يسعى ويعمل وهو مرتاح الضمير، فلا يحزن ولا يغضب إذا فاته شيء ، بخلاف غير المؤمن فإنه يتحسر على كل شيء يفوته وهو يطلب رزقه مثلاً . فإذاً الإيمان بالقضاء والقدر يجعل الأمة تعمل وهي تعلم أنها إنما تعمل على وفق قضاء الله وقدره ، فهي تعمل مع الإيمان بالقضاء والقدر ، قال الرسول ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما

---

(١) تفسير السعدي (546/1).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم (2699)، ج4 ، ص 2074.



ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا . قل : قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان) [1].

وقد قامت طريقة القرآن الكريم في بيان ثمرة الدفع إلى العمل على ما يلـــــي :

1- عمدت الآيات إلى الأسلوب القصصي لبيان أهمية العمل في مثل قوله تعالى في قصة داود: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء : 80] ، وقوله تعالى في قصة موسى مع شعيب : ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ [القصص : 27] . وهذه الطريقة تبين للعباد أن الدفع إلى العمل كان منهجاً نبوياً حيث لم تمنعهم أعباء الرسالة عن العمل.

2- اعتنت الآيات ببيان تسهيل الله العمل للناس حتى يقوموا به في مثل قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك : 15] . وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الجاثية : 13] . فهذا التسخير للكون، وذلك التذليل ، من أجل الإنسان إنما هو لكي يتهيأ للعمل فيعطي وينتج.

3- صرفت الآيات الكريمة العباد عن التفكير في المجهول وهو القدر الكوني الذي لا يعلمه إلا الله إلى الاجتهاد في المعلوم ، وهو العمل . فكان قول الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل : 5-7] جواباً على من سأل عن القدر المكتوب الذي لا يعلمه إلا الله.

4- اهتمت الآيات بتزكية العمل بالإخلاص والاتقان.

---

(١) سبق تخريجه ص 282.



المبحث الرابع قوة النفس وسكينتها

الإيمان بالقضاء والقدر يورث النفس قوة وشجاعة على مواجهة الشدائد، والإقدام على المصاعب، براحة بال وطمأنينة نفس ، والعبد المؤمن يثق بأن كل شيء بقدر ، وكل صغير وكبير مستطر ، وأن الله تعالى قد فرغ من تقدير الأرزاق والآجال ، وهو يعتقد بسعة علم الله تعالى ، وأن الخير كل الخير فيما اختاره الله(١) . هذه القوة والسكينة تجعل العبد المؤمن إذا عزم على أمر، اتخذ له أسبابه ، ويمضي فيه لا يصده دونه خطر ولا صعوبة ، لإيمانه بأن ما قدره الله وقضاه فإنه واقع لا محالة ، وليس عليه إلا الأخذ بالأسباب والمسببات، وهذا ما كان عليه الرسول ﷺ في بدر، وحنين، والهجرة، وغيرها من أمور حياته ﷺ ، وما كان عليه صحابته رضوان الله عليهم أجمعين يوم اندفعوا في فتوحاتهم ، ويوم خرجوا إلى العالم ينشرون رسالة الإسلام(٢).

حقاً إنها قوة عجيبة ، يصاحبها طمأنينة وسكينة، لا تهاب الموت ولا تألوا جهداً في تحقيق المراد والغايات.

إن المؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، إذا أصابته مصيبة ، أو حدث له حادث لا يسره، فإنه سرعان ما يمتثل لقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : 156] ، فيحظى بما امتدح الله به الصابرين فيها فيكون ممن قال فيهم : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[البقرة : 157] ، وهو إذا تذكر الله، فذكره في حال المصيبة، يرجو من الله أن يكون ممن اطمأن قلبه بذكر الله فلا جزع ولا سخط، وإنما رضا وسكون، كمـــا قال تعالى : ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] .

---

(١) انظر البيان في أركان الإيمان ، كتاب منهجي تعليمي ميسر ، مجد مكي ، ص 487.

(٢) انظر مسألة القضاء والقدر ، لعبد الحميد قنبس ، وخالد العك ، ص 117.



حقاً إنه من يذكر الله في أصعب الأحوال ، ثم يلزم نفسه بالصبر والاسترجاع ، إن ذلك من عزم الأمور ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: 43] . ﴿ إِنَّ ذَالِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ أي : لمن الأمور التي حث الله عليها وأكدها ، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة ، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزم والهمم، وذوو الألباب والبصائر»(١).

والعبد في حياته يصيبه أمور قد يرضاها، وقد لا يرضاها، والمؤمن بالقدر هو الذي يحسن التعامل معها ، ولا يستسلم لما يصيبه بل يواجه المصاعب برباطة جأش وشجاعة وروية، وكما قال بعضهم « الأمر أمران : أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه»(٢).

قال النبي ﷺ : (المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على من ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) (٣).

«والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس، والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم ، والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلبا لها ومحافظة

---

(١) تفسير السعدي (760/1).

(٢) الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي ، تأليف طريفة سعود إبراهيم الشويعر ، الناشر : دار البيان العربي ، جده ، ط 1408هـ - 1988م، ص 71.

(٣) سبق تخريجه ص 282.



عليها ونحو ذلك ...» (1) وفي كشف المشكل من حديث الصحيحين أن « الإشارة بالقوة ها هنا إلى العزم والحزم والاحتياط، لا إلى قوة البدن »(2).

إن المؤمن بقضاء الله وقدره، نفسه قوية ساكنة ، لا يعتريها الخوف من المجهول ولا من المستقبل؛ لأنه يستمد هذه القوة العجيبة من الله الذي خلقه ؛ ولأنه قد أدرك أن من كتب كل شيء في الكتاب المحفوظ ، ومن خلقه، هو الذي اختار له ما أصابه ، وأن ما أصابه هو بعلم الله تعالى، إذ لا يخفى عليه من أحوال خلقه شيء ، ولا يخرج شيء عن إرادته ، فيستسلم لحكمه إدراكاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 100] ، ويرضى بقدره ، فيتوكل عليه من غير تواكل ولا قنوط، لأن هذا التوكل «معنى حافز، وشحنة نفسية موجهة تغمر المؤمن بقوة المقاومة، وتملؤه بروح الإصرار والتحدي، وتقوي من عزيمته»(3).

وما أحسن قول الشافعي :

دع الأيام تفعل ما تشـــاء وطب نفساً إذا حكم القضـــاء

إذا نزل القضاء بأرض قـــوم فلا أرض تقيه ولا سمـــاء

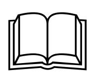
إن الله تعالى حين يأمر عباده المؤمنين بهذا الثبات والقوة ، فهو لم يتركهم يصارعون المواقف دون تأييد منه تعالى ورحمة ، بل منحهم السكينة ، وربط على قلوبهم ، فبحول الله وقوته، حصلوا على التمييز في مواجهة شتى الأمور ، قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ

---

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1392هـ (215/16).

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين ، المؤلف : أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي ، دار النشر ، دار الوطن، الرياض ، 1418هـ ، 1997م ، عدد الأجزاء : 4 ، تحقيق : علي حسين البواب (1023/1).

(3) الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي ، تأليف : طريفه سعود إبراهيم الشويعر ، الناشر : دار البيان العربي، جده، ط 1408هـ - 1988، ص 72.



ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفـــتح: 4].

وخير شاهد على هذه السكينة في قلوب المؤمنين، ما كان عليه سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم؛ عندما همَّ به العدو هو وصاحبه رضي الله عنه ، وخشي عليه أبو بكر فنراه يذكر صاحبه معية الله لهما مما زاد في ثباتهما وعدم خوفهما ، كما قال تعالى على لسان نبيه ﷺ : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : 40] ، ثم إنّ انشراح الصدر وطمأنية القلب ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله ، فنفس لا إيمان فيها مضطربة قلقة يتوالى عليها الهم والغم، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: 124].

والرسول ﷺ هو مربي الأمة وقدوتها ، قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : 21] .

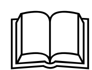
ومن تربيته للمؤمن أن أمره بالفأل الحسن، ونهاه عن الطيرة والتشاؤم، عن النبي ﷺ قال (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة) (١). ، والفأل : « يقال فيما يحسن ظاهره ويرجى وقوعه بالخير واليسر»(٢).

وهذا مما يزيد النفس سكوناً وطمأنينة ، ويبعد عنها الهم والخوف والقلق ، فيكون آمناً في حياته مستمداً الأمان من توحيده لله وحده كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم5424، كتاب الطب، باب الفأل ، ج5 ، ص 2171.

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، المؤلف : محمد بن أبي نصر فتوتح بن عبدالله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي ، دار النشر : مكتبة السنة ، القاهرة ، مصر ، 1415-1995م، الطبعة الأولى، تحقيق : الدكتور : زبيده محمد سعيد عبالعزيز (140/1).



يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : 82] ، ونتيجة لهذا الإيمان أيضاً ، انشراح الصدر، وسكون النفس وقوتها، إذ لا اجتماع لخوف من المستقبل، والإيمان بالله وتوحيده، الذي ينتج عنه الرضا بالقضاء ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: 125] .

وهذه السعادة والاطمئنان هي: التي عبّر عن ذلك بعض السلف بقوله : « لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه ؛ لجالدونا عليه بالسيوف»(١).

ثم إن رغبة المؤمن ورجاؤه في الحصول على الأجر من الله، يزيد في ثباته وقوة نفسه، ويشعره بشيء من الطمأنينة والسكينة، كما قال رسول الله ﷺ : (لا يصيب المؤمن هم، ولا حزن، ولا نصب، ولا وصب، ولا أذى، إلا كفر عنه) (٢) . وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة : 143] .

ثم إن الإيمان بالقضاء والقدر قد « ثبت من الناحية السيكولوجية ، أن الإيمان به، يخفف من قسوة شعور الإنسان بالألم ، أو السخط ، أو الضجر ، أو اليأس ، أو التبرم عندما تلحق به كارثة ما، ولذلك يتحمل المؤمن المصائب بصبر وجلد ، أما الملحد فإنه ينهار ، وقد ينتحر، ويسخط، ويتبرم، ويغضب، ويحزن، ويكفر ، وكلها مؤدية للأمراض النفسية والعقلية والجسمية»(٣).

---

(١) الإيمان والصحة النفسية ، عبدالله بن عبدالعزيز العيدان ، ص 49، دار الورقات العلمية للنشر، الرياض، ط 1، 1415-2004م.

(٢) سبق تخريجه ص 42.

(٣) الإيمان والصحة النفسية ، عبدالله بن عبدالعزيز العيدان، ص 63 ، 64.



ومن المعلوم أن ما يجري للعبد من حوادث ومصائب متنوعة ما بين فقد حبيب أو الإصابة بمرض شديد، أو فقر، ونحوه كما قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : 155] ، وهذه الحوادث ونحوها توجب الجزع والهلع، ولا يثبت أمامها إلا صاحب الإيمان، الذي استقر الإيمان في قلبه؛ إذ فيه الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء والقدر، لأن «المؤمن الموحد رابط الجأش ناعم البال، وضعيف العقيدة مشتت الفكر، موزع النفس : لأن الإنسان إذا تعلق قلبه بشيء واستحوذ عليه ، أو ألمت به ملمة فلم تنفرج ، تشتت فكره ، وذهب في طلب الغوث كل مذهب ، وهام في كل واد، فيطلب الغوث ممن لا يستيطع الغوث ولا يملك نفعاً ولا ضراً ، ومن هام في كل واد ، واتبع كل ناعق ، صرف الله عنه عنايته، وأخرجه من عباده الصادقين ، وأخطأ طريق التربية والهداية الربانية ، وظل يهيم في هذه الأودية ، ويتيه في مهامه الأوهام والأحلام إلى أن يتلف ويهلك.

وأما من توكل على الله ، ولم تتشعب به المذاهب، أعانه الله وفتح الله عليه طريق الهداية، وهدى قلبه ، فأذاقه حلاوة الإيمان ، وغشيته غاشية من السكينة ، ورزق من اجتماع الخاطر ، ورباطة الجأش ، وبرد اليقين ، وهدوء النفس ، ما لا سبيل لمن تشتت فكره، وتفرق هواه، ثم إنه لا يخطئه ما قدر له وقسم ، ولكن ضعيف العقيدة متشتت البال يعاني الحزن والقلق من غير جدوى، والمؤمن المتوكل ، الموحد ينعم بالهدوء ، والطمأنينة والسكنية»[1].

وهذا نبي الله هود في صراعه مع قومه (عاد) ؛ يجد من هذا التوكل حصناً حصيناً يلجأ إليه : ﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ

---

(١) رسالة التوحيد ، المؤلف : الشيخ إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي ، الطبعة : الأولى ، الناشر : وزارة الشؤون الاسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، تاريخ النشر : 1417هـ (98/1).



بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود : 53-56] .

إن المتأمل في هذه الآيات وغيرها ، مثل قوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : 18] ، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : 81] وتوجيه المؤمن؛ بأن يعتصم بالعروة الوثقى ، ويأوي إلى ركن شديد في قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ [البقرة : 256] . يدرك أن سر قوة المؤمن وطمأنينته جراء إيمانه بما قدر عليه منه، ماهو إلا لأنه وافق الفطرة البشرية التي خلق الله عليها الناس ، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : 30] ويؤكد هذا ما قاله الرسول ﷺ : (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه) [(1)]، كما أن الإقبال على الله تعالى، والإيمان بقضائه وقدره ، لا غنى للعبد منه ، كما أن النفس تحتاج ذلك أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب ، بل هو الغذاء الروحي الذي قال عنه ابن القيم رحمه الله : « في القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته».

وفيه حزن، لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته.

وفيه قلق، لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه.

وفيه نيران حسرات، لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه، وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

---

(١) سبق تخريجه ص 339.



وفيه طلب شديد، لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه.
وفيه فاقه، لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبداً»(1).

إن الذي يعتقد بأن الأجل محدود ، والرزق مكفول ، والأشياء بيد الله ، يصرفها كيف يشاء ، كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه ، وإعلاء كلمة أمته ، والقيام بما فرض الله عليه من ذلك ؟

لذا فالإيمان بالقضاء والقدر، يبعث في النفوس الشجاعة والإقدام، والثبات أمام العدو ولو في ساحات القتال ، لإيمانها بأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، فيدفعه ذلك إلى الإقدام بكل شجاعة ، قال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [يونس: 49]، وعلمه بهذا يزيده يقيناً بأن من بيده ملكوت كل شيء هو الذي يحييه وهو الذي يميته، كما قال تعالى : ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٦ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ [سورة الأحزاب : 16-17] .

ومن ثمار الإيمان بالقدر، تحرر العبد من الخوف إلا من الله جل وعلا ، فإذا علم المسلم أن لكل أجل كتاب ، ولكل أمر مستقر، وأن نواصي العباد بيده سبحانه ، لم يرهبه ظلم ظالم ، ولا تجبر جبار ، حتى أنه يمتلك سلاحاً فتاكاً أمام الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ فيزيد إيمانه وتزداد نفسه قوة وطمأنينة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : 99] . ثم إن الأسلوب القرآني

---

(1) مدارج السالكين لابن القيم (164/3).



العجيب الذي يتنوع في تقرير هذه العقيدة وإثباتها ، في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [الإسراء : 67-69] ، يجعل العقل السليم، الذي يعلم النافع من الضار، القادر ممن لا يقدر، لا يلجأ إلا لله الواحد الأحد، إذ القادر على العذاب هو من يقدر على النعمة ، والعافية فلا ملجأ منه إلا إليه سبحانه.

ومن أبرز الأمثلة على قوة النفس المؤمنة بالقضاء والقدر: الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه البطل الشجاع الذي خاض المعارك كلها، كيف كانت وفاته ؟ كانت وفاته على فراشه، وقال كلمته المشهورة : « لقيت كذا وكذا زحفا ، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء »[1] ، هذا هو الإيمان بالقضاء والقدر ، يؤتي الإنسان شجاعة في الحق ، ويجعله لا يخاف.

وهذا ما أبهر الغرب الذين عبروا عن دهشتهم ، ومنهم (ر.ن.س. بودلي) الذي أورد رأيه الكاتب (ديل كارنجي) في كتابه « دع القلق وابدأ الحياة» في مقالة بعنوان: «عشت في جنة الله» .. قال عن تجربته أثناء عيشه في غرب أفريقيا : « لقد تعلمت من عرب الصحراء التغلب على القلق – فهم بوصفهم – يؤمنون بالقضاء والقدر، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان، وأخذ الحياة مأخذاً سهلاً هيناً ، فهم لا يلقون أنفسهم بين براثن الهم والقلق على أمر ، إنهم يؤمنون بأن ما قدر يكون ، وأنه لا يصيب الفرد إلا ما كتب الله له ،

(١) صور من سير الصحابة ، تأليف : عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، ط 5 ، 1424هـ - 2003م، ص 547.



وليس معنى ذلك أنهم يتواكلون، أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي ، كلا .. إلى أن قال: «وخلاصة القول إنني بعد إنقضاء سبعة عشر عاماً على مغادرتي الصحراء، ما زلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله ، فأقابل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء ، والامتثال، والسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب، في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير»(١).

والمنهج الذي رسمه لنا القرآن الكريم، يتمثل في الابتعاد عن كل ما يحول دون قوة النفس وسكينتها ، من سفاسف الأمور التي نهى عنها الشارع في القرآن الكريم ومنها :

1- الحسد : والحسد أمر خطير ، وقد أمرنا الله تعالى بالاستعاذة بالله منه فقال: ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : 5] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء : 54].

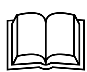
وقال رسول الله ﷺ موجهاً أمته : (لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال)(٢).

2- الحقد ، والغل ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : 10] .

ويقول تعالى واصفاً المؤمنين ، في جنة الخلد: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [الحجر:42]. وقد امتدح الله المؤمنين ، قائلاً عنهم : ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾

(١) الإيمان بالقضاء والقدر ، وأثره على القلق النفسي ، طريفة سعود إبراهيم الشويعر ، ص 74.

(٢) أخرجه البخاري برقم (5726)، كتاب الأدب، باب الهجرة، ج5 ، ص 2256.



[الشورى: 37]. ويقول الرسول ﷺ : (ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب) [١].

3- سوء الظن ، فالله سبحانه يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12] .

وغيرها مما نهى عنه القرآن الكريم، مما يضفي على الهم هما مثله ، ويشغل العبد بما لا ينفع ، بل إنها من المثبطات للعزيمة ، المشغلات عن المصلحة ، مع الإيمان واليقين بأن سعادة المؤمن الحقيقية في الآخرة وليست في الدنيا ، قال تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [سورة هود : 108] ، ويقول الرسول ﷺ : (الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر) [٢].

ثم إن السكينة والقوة ما هي إلا نتيجة استشعار مثل قوله تعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس : 107] .

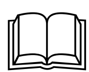
وامتثال ، قول تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران : 173] .

ورجاء قوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجده: 17] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم 5763، كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب، ج 5 ، ص 2267، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم 2609، ج4، ص 2014.

(٢) أخرجه مسلم، برقم (2956)، ج4 ، ص 2272.



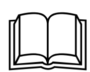
هذه العوامل وغيرها ، ما هي إلا من ثمار الإيمان الخالص بالقضاء والقدر، مما يساعد المؤمن على رباطة جأشه، وقوة تحمله ، ولنا في إخواننا المجاهدين في غزة [(1)] خاصة، وعموم بلاد المسلمين عامة أبرز مثال ، يجب ألا يغفل أو ينسى، والجميع عايش ما حدث لهم من العدو الغاصب لهذا العام (1430هـ) ، وما تعرضوا له من حصار شامل لكل أسباب الحياة، وقصف بشتى أنواع القنابل والأسلحة التي تأتي على كل شيء فلا تترك له أثراً ، ومع هذا كان إيمانهم بأن ما أصابهم ويصيبهم إنما هو مما كتبه الله عليهم ، وأن هذا قدر قدره الله تعالى مما زاد على قوتهم قوة، وسكينة، على الرغم من حجم الخطب وشدته ، غير مستعينين ولا متوكلين إلا على ربهم وحده لا شريك له متمثلين قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : 162] . فسبحان من رزقهم هذا الإيمان وهذه القوة ، كما قيل « الاعتقاد بالقضاء والقدر – إذا تجرد عن شناعة الجبر – يتبعه صفة الجرأة والإقدام ، وخلق الشجاعة والبسالة يبعث على اقتحام المهالك التي ترجف لها قلوب الأسود، وتنشق منها مرائر النمور.

هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات ، واحتمال المكاره ، ومقارعة الأهوال ، ويحليها بحلل الجود والسخاء ، ويدعوها إلى الخروج عن كل ما يعز عليها ، بل يحملها على بذل الأرواح ، والتخلي عن نضرة الحياة ، كل هذا في سبيل الحق الذي قد دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة»[(2)].

---

(١) لم تكن هذه اللفتة البسيطة إلا محاولة بسيطة لتخليد هذه العزة التي حققها إخواننا المجاهدين ، وإن كانت خالدة إلي أو بغيري فليكن لي في الأمر ولو أقل القليل غفر الله لنا ولجميع المسلمين.

(٢) مقال (مصادر القوة عند المؤمن ، بقلم : أ.د. يوسف القرضاوي ، المصدر : موقع إسلام أون لاين.

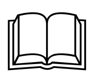


وقد خرجت من هذا المبحث بما يلي :

1- ورد في قوله تعالى على لسان الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء : 78-82] ، وأنبياء الله تعالى هم من يقتدى بهم ، وقد ضربوا لنا أوضح الأمثلة في القوة والطمأنينة المستمدة من إيمانهم العميق بقدر الله ، وامتثال مثل هذه الآية في الحياة، يساعد المؤمن على التحرر بإيمانه بالله تعالى، والخلوص من الخوف على الحياة والرزق والدواء ، فتتكون لديه – بإذن الله – القدرة على الصمود مع الطمأنينة والثبات على كل حال فلا تجده إلا شاكراً صابراً ، قد فوض أمره للواحد الأحد.

2- المنهج التربوي القرآني الذي يربط العبد بربه ، ويقوي علاقته مع خالقه، دون اللجوء إلى غيره ممن لا نفع منه ولا ضر ، مما يظهر الافتقار وكمال العبودية لله، كما في قوله : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام : 162] ، وغيرها من الآيات، فمن كان مع الله ولله، كان ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

3- ربط الآيات القرآنية القوة التي تحصل للعبد جراء إيمانه بالقدر، بقوة الله تعالى إذ لا مانح لقوة بحق إلا الله تعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: 52] وقوله تعالى : ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص : 10] ، وقوله تعالى : ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف: 14] وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال : 10] ، وقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] ، فمن استمد قوته من القوي، لا سبيل للخوف والقلق إليه.



4- في قوله تعالى : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : 156] دليل على أن كل شيء لله ما أخذ وما أعطى، وفيه الانسلاخ التام من الحول والقوة ، مع الافتقار الصادق لله وحده ، فنحن ملك لله، وعبيد له، يتصرف فينا كيف يشاء ، لا نملك لأنفسنا شيئاً ، فإذا أصابنا بشيء فهو إليه جل وعلا ، ولا يجوز لنا أن نعترض على شيء من ذلك ، إنا لله ملكاً وعبيداً.

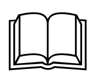
5- ومن ثمار الإيمان بالقدر، أنه يورث العبد قدرة على مواجهة المصائب والأحداث، فلا يستسلم وينهار ، ولا تضعف نفسه ، بل يسلم أمره لله قائلاً : (إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها) [1] ، وكما هو واضح من قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : 156].

6- بالنظر للآيات التي تثبت وحدانية الله تعالى في ملكه ، كما في قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التغابن : 1] ، والآيات التي تشهد أن الخالق وحده لا شريك له ، كما في قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف : 54] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان: 25] ، وقوله تعالى في «دليل الخلق والملك »[2] : ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان : 2-3] ، تثبت أن الملك ملك الله تعالى، وأن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة، برقم 918، ج2 ، ص 631.

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، د. محمد أحمد ملكاوي ، رسالة ماجستير ، بإشراف الشيخ عبدالله الغديان، ط1، 1405هـ - 1985م، ص 262.



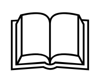
الخلق خلق الله تعالى وحده ، ولا يحدث شيء في حكمه إلا ما أراد سبحانه ، فإذا جمعنا لها الآيات التي تدل على أن الله تعالى هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين ، وهو تعالى لا يظلم أحداً، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء : 40] ، وغيرها من الآيات فإنها تسكب في القلب برد اليقين ، وتزيد النفس قوة وسكينة ، فتكون المحن منح.

وطريقة القرآن الكريم في تناول ثمرة قوة النفس والدفع إلى العمل، قامت على ما يلي:

1- وظفت الآيات الكريمة قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى استجلاب قوة النفس من الإيمان بقدر الله، ففي قصة هود لما كذبه قومه وهددوه لم يزده هذا إلا قوة في النفس، وثباتاً على العمل، والدعوة إلى الله، فقد حكى عنه القرآن أنه قال : ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: 56] ، والنبي ﷺ يظهر قوة نفسه وإيمانه وثباته متوكلاً على الله في قضائه وقدره وهو يطارد كما قال تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: 40] .

2- نصت الآيات الكريمة على نسبة إنزال السكينة، وتقوية القلوب إلى الله وحده، كما في قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح: 4] ، وقول هود لقومه: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود : 52] ، وهذه الطريقة تعلق القلوب بالله تعالى وبقضائه وقدره.

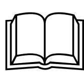
3- خاطبت الآيات الكريمة العقول ، وربطتها بما تعرفه من واقعها من أن القوة عند الحاجة إليها إنما تستمد من الله تعالى وحده ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: 67] . وهذه الطريقة تربي العقول على



الالتجاء إلى الله تعالى وحده لتستمد من قضائه وقدره وقدرته القوة التي تدفع إلى العمل.

4- عالجت الآيات الكريمة الأمور التي تورث الضعف، والخور، والفرار من المسئولية، وبينت آثارها السيئة ، كما في قوله تعالى : ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 16] .

وهذه الطريقة تربي القلوب على الاعتماد على الله تعالى ، والإيمان بقضائه وقدره ، وتدفع بالعباد إلى العمل والإقدام دون تردد.



الخاتمـــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .. أما بعد ...

فقد خرجت من هذا البحث بعدة نتائج وتوصيات .

أولاً : النتائج :

١ – أن مسائل القدر من أعظم المسائل العقدية التي لا بد من الرجوع إلى معرفتها وفهمها في ضوء كلام الخالق المقدر سبحانه وتعالى.

٢ – أن الرجوع بأصل الإيمان والقدر وغيره من أصول العقيدة وفروعها هو رجوع إلى المصدر المعصوم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

٣ – أن القرآن الكريم قد اعتنى غاية العناية، ببيان عقيدة القضاء والقدر ، وتثبيتها في القلوب.

٤ – أن طرائق القرآن الكريم في بيان عقيدة القدر ، وتثبيتها قد تنوعت في أساليبها ، وفي دلائلها بما تقوم معه الحجة على الخلق ، وبما تنقطع به الشبه والشكوك.

٥ – عمدت الآيات القرآنية في بيان عقيدة القدر ، وتثبيتها في القلوب إلى المؤكدات اللفظية في نسبة العلم، والكتابة، والمشيئة إلى الله تعالى .

٦ – استعملت الآيات القرآنية ضرب الأمثلة المحسوسة المشاهدة للخلق؛ لبيان عقيدة القضاء والقدر، وتعزيز الإيمان بهذا الأصل العظيم.

٧ – ربطت الآيات القرآنية مراتب القدر بعضها ببعض، بما لا يدع مجالاً لأحد أن يؤمن ببعض هذه المراتب دون بعض.

٨ – وظفت الآيات القرآنية قصص الأنبياء لتعزيز الإيمان بالقضاء والقدر ، ورسمت بذلك



القدوة التي يتعين على العباد الاقتداء بهم في الايمان والعمل ، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٩ - خاطبت الآيات القرآنية الكريمة الفطر السليمة ، والعقول الصحيحة ، فيما يتعلق بالقضاء والقدر . وهي بهذا تحيط الفطر والعقول بسياج يحميه من المؤثرات الخارجية.

١٠ -أبطلت الآيات الكريمة كل ما يؤثر على إيمان العبد بقضاء الله وقدره من التعلق بالأسباب الواهمة غير الصحيحة ، ومن التقليد للآباء والأجداد ونحو ذلك.

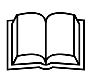
١١ -اعتنت الآيات الكريمة ببيان الحكم في كثير من أقدار الله تعالى وفي هذا تسلية للمؤمن وتثبيت لإيمانه.

ثانياً: التوصيات :

١ - الدعوة إلى العودة بالأمة إلى أخذ العقائد من المصدر المعصوم وهو كتاب الله الذي يجتمع على حجيته المؤمن والمخالف .

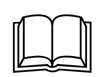
٢ - توجيه الجهود إلى استخراج ما في كتاب الله من الأدلة السمعية والأدلة العقلية لترسيخ العقائد وبيانها .

٣ - الإفادة من أساليب القرآن الكريم فيما يتعلق بالمسائل الاعتقادية ، سواء أسلوب بيان العقائد ، أو أسلوب إبطال الشبه ، أو أسلوب المحاورة مع المخالف للحق.



الفهارس العلمية الهامـــة

فهرس الآيات القرآنيـــــــــة



الصفحة	رقمها	الآيــــــــــة
53، 70	32	(إنك أنت العليم الحكيم)
52	33	(واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)
247	43	(وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة) [البقرة:43]ص242،
214، 382	45	واستعينوا بالصبر والصلاة)
276، 288، 332	58	قوله تعالى:(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)
288	59	(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)
42	77	{ أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ }
65	77	(يعلم ما يسرون وما يعلنون)
332	79	(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ)
333	86	(أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ)
331	108	(وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)
19، 217، 246	117	{ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ }
104	117	(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
154	128	(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)
150، 376، 434	143	َكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ }
150	148	﴿ ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيئ قدير ﴾
338	152	{ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون }
375، 382	153	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }
194، 375، 377، 384، 385، 430، 435، 443	155	(ولنبلونكم بشيئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين*الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون*أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه وأولئك هم المهتدون
286	165	{وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ، إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اُتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ الْأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْ النَّارِ}



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
341 ،331	175	(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)
382 ،385	177	{ وَ الصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ البَّأسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ }
335	181	{فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)
171، 175، 177، 304	185	(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)
206 ،205	186	{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ }
335	195	(وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)
52	197	{ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ)
276	197	(وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)[البقرة :197]ص270،
15	200	{ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـــــاسِكَكُمْ }
331	202	(أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)
197	212	(يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ)
222، 405، 411	216	قال تعالى :(وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }
52	220	(والله يعلم المفسد من المصلح)
162	223	(فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
259	223	وقال: (فأتوا حرثكم أنى شئتم) [البقرة: 223]ص253،
331	233	{ لمن أراد أن يتم الرضاعة }
65	235	(علم الله أنكم ستذكروهن)
18	236	{ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وعلى المقتر قدره }[البقرة:236]ص18
117، 126	243	{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـــكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ }
118	244	{ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }
384	249	(والله مع الصابرين)
88، 112، 156، 157	253	{ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد }
171، 254	253	(ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد)
331، 334	253	(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)
332	254	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ،
119	255	(الحي القيوم)





الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
{ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُـــحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنــتَ مَوْلاَنَا فَانــــــــــصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ }	286	244، 159، 162، 167، 259، 268، 284، 306، 323
سورة آل عمران		
(أَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ..)	7	28
(الصابرين والصادقين)	17	382
(قُلِ اللهُمَّ مَالكَ المُلكِ تُؤْتِي المُلكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ عَلى كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ الليْلِ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الليْل وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَتُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)	27	92، 93، 409
(قل إن تخفوا ما في أنفسكم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير)	29	53
(قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)	47	119، 217، 218
وقال(فمن حآجك فيه من بعد ما جآءك من العلم)	61	66
{يَا أَهْلَ الْكِتَاب لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ }	70	321
{ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم }[آل عمران86]ص333،	86	339





الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
374	148	{ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين }
354، 357، 420	154	{ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }
279، 294، 309، 310، 311	159	{ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين }
315	159	{ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر }
286، 292، 308	160	{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}
227، 300	165	{ أَوَلَمَّآ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّـــثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنـــــــــفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }
118، 354	168	{ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
300	172	(الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
187، 440	173	[الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)
120، 121، 122، 125، 412	185	{ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ }
102	190	{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ}
143	191	{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }
382	200	(اصبروا وصابروا)
		سورة النساء
165	13	وقال: (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)
65	17	وقال أيضا(وكان الله عليما حكيما)
264	19	(فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)
383	25	(وأن تصبروا خير لكم)

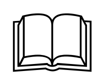


الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
(يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم)	26	171
: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)	27	172، 176، 177
{ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله }	34	146
إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها..)	40	341، 444
(أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)	54	439
(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها)	58	247
{ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا }	59	279، 394، 280
(ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا)	60	172
{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }	65	240، 243، 393
(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)	71	274
{ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ }	77	118، 122، 128



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
420	78	(أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
227	79	{ مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّـــئَـــةٍ فَمِن نَّـــــــفْسِكَ }
254	90	(ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم)[
424 ،135	100	(وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً)
332	123	مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ)
93	133	(إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلى ذَلكَ قَدِيراً)
231 ،228	140	{ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْــكِـــــــتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـــاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّـــثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِيـــنَ وَالْكَـــافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا }
197	147	(مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ)
163 ،159	165	(مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
181	166	لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه)ا
		سورة المائدة
177 ،172	6	وقال تعالى : (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)
300	11	{ واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون }
106	12	{ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }
257	13	(فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به)



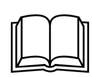






الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
{ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى }	91	105
{ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }	99	150
(وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ	100	107، 108
{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }	101	104، 107
{ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله }	111	255
(ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ)	112	88، 254
(أفغير الله أبتغي حكما)	114	241
(إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ)	116	332
(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاحرجا)	125	171، 177، 434





الصفحة	رقمها	الآيــــــــــة
		سورة الأعراف
425	10	(وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)
230	28	{ وَإِذَا فَعَلُوا فَــاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }
254	31	قوله تعالى :(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)[الأعراف:31].ص248،
305	31	{ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ }
305	32	قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }
219	34	(إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)
82	37	(أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب)
324	43	{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}
196، 218، 443	54	{ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَــالَمِيــنَ)
277	56	وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين)
271	57	(هو الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ)
92	89	(قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما)



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
169، 339	96	(ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)
320	146	{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ }
85	156	{ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـــذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـــا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـــاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ }
235	172	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى)
102	179	(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس)
43، 267، 401	188	{ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
		سورة الأنفال
300	2	(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادقم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)
442	10	وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم
382	15	(فلا تولوهم الأدبار)
323	17	(وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)
334	24	(اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ)





الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
192، 195، 33، 404	59	{ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا ءاتاهم الله وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا الله سَيُؤْتِينَا الله مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى الله راغبون }
243	62	{ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِيـــنَ }
403	72	{ومساكِنَ طَيِّبَةً فِي جنَّاتٍ عدْنٍ ورضوانٌ مِنَ اللهِ أكبَرُ}
397	100	وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
271، 287، 417	105	(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
سورة يونس		
199	9	(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربـــهم بإيـــمانـــهم)
238	18	{ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله]
14، 75	19	(وَمَا كَانَ النَّاسُ إلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلفُوا وَلَوْلا كَلمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلفُونَ
60	20	{ وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءايَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الغيب للَّهِ فانتظروا }
43	25	{ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }
267	25	(والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)
96	39	{كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}
284	41	{ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون }



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
{ إن الله لا يظلم الناس شيئا }	44	338
(قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً إلا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)	49	115، 437
{ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }	61	64، 83، 86، 87
(وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلهم)	65	390
(واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون)	71	295
{وَجَاوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ}	90	69
{ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا }	98	339
{ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ }	99	88، 91، 97، 261، 264
(وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون)	100	89، 255
{وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}	107	440



الآيــــــــــــة	رقمها	الصفحة
سورة هود		
{ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ }	5	63
(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين)	6	83، 399
{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }	6	131، 136
{وَهُوَ الَّذِي خَلَق السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ }	7	75
(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌوَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)	8	198، 213، 357
{مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ }	20	325
(فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين *قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين)	32	91
{وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ}	34	91
{ وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هو ربّكم وإليه ترجعون }	34	173، 177، 174



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
442	52	(ويزدكم قوة إلى قوتكم)
296، 436	53	(قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)
264	88	(وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)
69	98	{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ}
338	101	{ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم }
440	108	{ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ }
75	110	(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَاخْتُلفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مريب)
230	113	(وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)
43، 88، 89، 149، 253، 261	118	ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين *إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)
307، 308	123	(فاعبده وتوكل عليه)
		سورة يوسف
332	18	(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً)



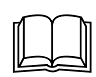
الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
(تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلا قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ)	47	285
{ وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }	56	254
{ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَاب وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَاب مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ }	67	292، 293
(أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)	90	193، 213
(ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)	99	92
(إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم)	100	432
{ قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني .. }	108	157
سورة الرعد		
{وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}	4	146
{ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ }	5	61
{ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسيئة قَبْلَ الحسنة }	6	61
(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10)	8	60، 61، 62، 73



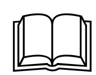
الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
61	8	{ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ }
173	11	: (وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ)
332	11	(إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)
104، 102، 106	16	{ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وهو الواحد القهار }
329	16	{اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}
384 ،375، 386	23	(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)
219 ،43 ،17	26	{ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ }
430 ،209، 442	28	(الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ. الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)
89	31	(أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا)
83	38	(لكل اجل كتاب)
348	39	{ يمحو الله ما يشاء ويثبت }
89	40	(فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)
66	43	(ومن عنده علم الكتاب)
		سورة إبراهيم
381 ،214	5	(أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
197، 221، 395	7	(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)
67	9	{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ }
332	22	(وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ)
346	24	(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء)
133	31	(قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَيُنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّا وَعَلانِيَةً)
137	32	(والله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار(22) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار(33) وآتاكم من كل ما أسلتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها)
64	38	{ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء }
153	40	(رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ..)
		سورة الحجر
64	24	{ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ }
95	39	{رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}
339	47	(ونزعنا ما في صدورهم من غل)



الصفحة	رقمها	الآيــــــــــة
312	94	(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)
		سورة النحل
204	6	{ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت}
104، 99، 110	17	{ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }
64	19	{ وَاللّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ }
99	20	(لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) ،
319	35	(لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء)
181	40	(إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)
209	40	(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون)
214	42	(الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون)
161	53	{ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }
151	69	{ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون)
134	71	{ وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ }
137	73	(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَـٰوٰتِ وَٱلأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ)
64	74	{فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ }



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
133	75	(وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا)
65	91	{ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ }
320	93	، (يضل من يشاء ويهدي من يشاء)
383 ،214	96	(ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)
165	97	: (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحييه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)
396 ،165	97	(**فلنحيينه حياة طيبة**)
437	99	(إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)
336 ،159	106	قال الله تعالى: { إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ }
198	120	(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)
383	126	(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)
188، 272، 282، 353	127	{ ... وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ، إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ }
		سورة الإسراء
16، 21	4	{ وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ فِي الْـكِتَابِ)
425	9	{إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً }



الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)	15	154
{كُلاًّ نُّمِدُّ هَــؤُلاء وَهَــؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً }	20	135
(وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَافَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً)	23	15، 21، 28، 216، 238، 239، 246
(وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً)	44	125
{قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّك كَانَ مَحْذُورًا}	56	286
(الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة)	57	276
(وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا)	67	438
{وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً}	81	436
[وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)	85	212، 263
سورة الكهف		
(لعلك باخع نفسك أن لايكونوا مؤمنين)	6	89
(وربطنا على قلوبهم)	14	442



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
(وَلا تَقُولنَّ لشَيْءٍ إنِّي فَاعِلٌ ذَلكَ غَداً إلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسيتَ وَقُل عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً)	24	359
(من أغفلنا قلبه عن ذكرنا)	28	264
(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)	29	256، 263، 334
(وَلَوْلا إذْ دَخَلتَ جَنَّتَكَ قُلتَ مَا شَاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلا بِاللهِ إنْ تَرَنِ أَنَا أَقَل مِنْكَ مَالاً وَوَلداً)	39	262
{ مَا لهذا الكتاب لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا }	49	82
{ولا يظلم ربك أحداً}	49	327، 444
{إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا }	67	621
(ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا)	69	92
سورة مريم		
(وهزي إليك بجذع النخلة ...)	25	275
"مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ)	35	217
{ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة – وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا – وهم لا يؤمنون	39	116
(وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا)	55	402
(أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً)	61	119



الآيـــــــــة	رقمها	الصفحة
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ)	65	272
وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءايَـٰتُنَا بيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً ،وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِءياً ،قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَـٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَدّاً حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً ،وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَواْ هُدًى وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً)	73	138
(إن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)	96	168
سورة طـــــــه		
وَإِن تَجْهَرْ بالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى }	7	65، 66
(لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى)	15	333
{ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى }	51	71
{ فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ }	72	15
{ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً }	98	65
{ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً }	110	65
(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فإنَّ لهُ معيشةً ضَنْكاً ونحشُرُهُ يومَ القيامةِ أعمى)	124	333، 409، 433



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
(ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى)	129	125
{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ...الآية}	130	340، 411
(وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)	131	412
سورة الأنبياء		
{ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }	4	65
(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق}	18	436
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)	23	76، 151، 154، 349
{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ }	34	116
وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون}	80	423
(رحمة من عندنا)	84	379
(يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب * كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين)[الأنبياء:104]،ص118،	104	124
سورة الحج		
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ }	5	125
فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت)	6	126



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
190، 359، 360	11	(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة)
126	18	(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير من حق عليه العذاب)
273	31	{وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَان سَحِيقٍ}
188	38	(إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور)
42، 74، 84، 87	70	(ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)
427	77	(يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربّكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)
		سورة المؤمنون
209	1	(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ)
347	3	(والذين هم عن اللغو معرضون ..)
62، 101، 111	12	{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِين ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرَارٍ مَكِين ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }
335	99	وقال :(قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)
		سورة النور
165	52	(ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتّقه فأولئك هم الفائزون)
154	54	{ قُلْ أَطِيعُوا اللَّه وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــة
199، 232	55	﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلف نهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتض ى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾
		سورة الفرقان
23، 61، 104، 443	2	{ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا }
443	3	(واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا)
292	58	{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ}
151	62	{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا}
		سورة الشعراء
264	3	(لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ــ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين)
442	78	(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)
292	217	{ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ }
		سورة النمل
321	13	{فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ــ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }

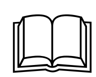


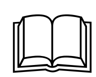
الآيــــــــــة	رقمها	الصفحة
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)	14	7
(قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)	40	197، 352
(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء)	62	277، 278
قال تعالى- { أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[النمل : 64]ص124،	64	130
(وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُون)	70	390
{ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ }.	74	65
(تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء)	88	126، 180، 426
(هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)	90	333
سورة القصص		
(لولا أن ربطنا على قلبها)	10	442
{ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ }	15	16
(قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ)	17	229
(قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ)	27	423
{ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ)	29	15
وقال تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون....)	52	353



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــة
194	54	(أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)
86، 255، 312	56	{ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء }
151، 253، 203، 267	68	(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)
275، 303، 306، 315، 418، 425	77	وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)
351	78	(إنما أوتيته على علم عندي)
404	79	(يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم)
384	80	(ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرين)
404	82	{ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ }
122	88	(كل شيء هالك إلا وجهه)
		سورة العنكبوت
65، 69، 380	2	(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الدين من قبلهم فليعلمن الله الدين صدقوا وليعلمن الكاذبين)
161	8	{ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا }
360	10	(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِن جَاء نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ . وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ)







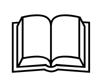


الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
396 ،253	13	{ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }
21 ،15	14	{ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ }
216	14	(فلما قضينا عليه الموت)
384 ،381	19	(إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)
133	24	(قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله) ،
334	32	(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ)
139	39	(...وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }
		سورة فاطر
181	1	(إن الله على كل سيء قدير)
400	2	(ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده)
99، 100، 103	3	(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)
89 ،19	8	{ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ }
151 ،144	27	{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }



الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِح	37	335
سورة يس		
(إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا)	8	264
(وكل شيء أحصيناه)	12	83
(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)	38	126، 219
(كل في فلك يسبحون)	40	126
(وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين	47	90، 319
{ وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ }	81	109
{ إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)	82	218
سورة الصافات		
عليه قوله تعالى :(والله خلقكم وما تعملون)	96	27، 99، 103، 110، 112، 328، 329، 343
(وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين، رب هب لي من الصالحين، فبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي، قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا إبراهيم، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم، وتركنا عليه في الآخرين، سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين...)	99	167، 401



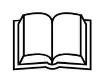


الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
156	55	واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم)
104 ،103	62	{ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }
21	69	(وقضي بينهم بالحق
216	69	(وقضي بينهم بالحق
253	74	{ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ }
		سورة غافر
333	17	(الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)
66 ،55	19	(يعلم خآئنة الأعين وما تخفي الصدور)
222	20	(وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)
171	31	(وما الله يريد ظلما للعباد)
69	45	فَوقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَـــرُواْ وَحَاقَ بِــئَالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ}
214	55	(فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار)
277 ،205	60	{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }
104 ،103	62	{ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّي تُؤْفَكُونَ }
		سورة فصلت
21 ،14	12	{ فَقَضَـــــاهُنَّ سَبْعَ سَمَـــاوَاتٍ }



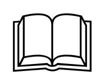


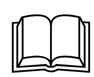
الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
158، 227، 378	30	وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)
384	32	(ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)
279	36	{ وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى رهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون
439	37	(وإذا ما غضبوا هم يغفرون)
274، 309	38	(وأمرهم شورى بينهم)
384، 431	43	(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)
227	48	{ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّـــئَـــةُ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَـــانَ كَفُورٌ }
146	49	[لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور (49) أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير)
		سورة الزخرف
80	4	(حم وَالكِتَابِ المُبِينِ إِنَّا جَعَلنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لعَلكُمْ تَعْقِلُون وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لدَيْنَا لعَليٌّ حَكِيمٌ)
90	20	(وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون)
399	32	(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا .. الآية)



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
169	36	(ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين)
99	87	(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ،
		سورة الدخان
80، 236	4	{ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أمر حَكِيمٍ }
		سورة الجاثية
161، 418	13	{ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ }
165، 166	21	(أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماهم ساء ما يحكمون)
66، 68	23	(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) الآية
361	24	(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بدلك من علم إن هم إلا يظنون)
333	28	(الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ.
87	29	(هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)
328	96	{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}
		سورة الأحقاف
160	26	(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة...)
334	31	(أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ)
25	33	"إنه على كل شيء قدير
186، 380، 382	35	{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ }



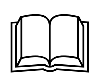




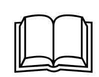
الآيـــــــــــة	رقمها	الصفحة
{ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى }	39	157
(وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى)	48	408
سورة القمر		
{ فَالْتَقَى الْمَآءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ }	12	17
"يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر *	48	25
{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَــاهُ بِقَدَرٍ }	49	17، 19، 23، 25، 27، 41، 60، 99، 411
{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ }	52	81، 78
(وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ)	53	81
سورة الرحمن		
{ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ }	29	80، 81، 236
{ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وِالإِكْرَامِ}	26	120، 122، 124
{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}	10	418
سورة الواقعة		
{ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً }	1	119



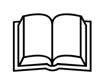
الصفحة	رقمها	الآيـــــــــة
284، 288	64	(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ)
114	83	(فلولا إذا بلغت الحلقوم)
119	83	{ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ }
		سورة الحديد
276، 284، 285	7	**(آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)**
412	20	(اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)
76، 78، 79، 83، 353، 237، 234، 219، 407	22	مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (24) }



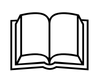
(فهرس الآيات القرآنية)



الآيـــــــــــــة	رقمها	الصفحة
(يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوٰلُكُمْ وَلاَ أَوْلَــٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُوْلَــٰئِكَ هُمُ ٱلْخَــٰسِرُونَ ،وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَــٰكُمْ مّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبّ لَوْلا أَخَّرْتَنِى إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مّنَ ٱلصَّــٰلِحِينَ ،وَلَن يُؤَخّرَ ٱللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)	9-11	115، 133
سورة التغابن		
(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)	1	443
(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِن)	2	148، 338
{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)	11	189، 371، 372، 407
{ ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِيــــنُ ، اللَّهُ لاَ إِلَــــــــهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }	12	407، 410
(فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا)	16	167، 259، 269، 306، 327
سورة الطلاق		
تعالى: (ومن ينق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)	2	139
(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَــٰلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلّ شَىْء قَدْراً)	3	18، 138، 190، 297، 291، 299
(إلا ما آتاها)	7	160



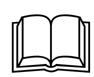
الآيــــــــــة	رقمها	الصفحة
(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)	12	51، 66، 97، 158
سورة التحريم		
(يا أيها الذين ءامنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ..)	8	254
سورة الملك		
{ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }	1	123
(الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ والْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً)	2	109، 116، 123، 124، 125، 197، 416
(كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سأَلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء..)	8	334
(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)	14	7، 69، 72، 98، 104، 181، 237، 242، 376
(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)	15	275، 416، 425
(أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ)	21	137
سورة القلم		
(فلا يستطيعون ، خاشعة أبصارهم)	42-43	324



الصفحة	رقمها	الآيـــــــــــة
		سورة الحاقة
277، 287	24	(كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية)
		سورةم المعارج
351	19-21	(إن الإنسان خلق هلوعا إدا مسه الشر جزوعا وإدا مسه الخير منوعا)
352	22	(إلا المصلون)
		سورة نوح
138	10	(فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ، يُرْسِلِ ٱلسَّمَاء عَلَيْكُمْ مُّدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً)
		سورة الجن
52	26-27	{ عالم الغيب فَلاَ يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارتضى مِن رَّسُولٍ }
		سورة الزمل
66، 167، 420، 269	20	(... عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }
90، 256، 334	19	{ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا }
		سورة المدثر
90، 334	37	(لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر)
332	38	(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)

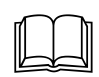


الصفحة	رقمها	الآيـــــــــة
334	42	(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)
326	50	{ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ }
334	55	(فَمَن شَاء ذَكَرَهُ)
		سورة الإنسان
189	1	(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيء مذكوراً)
155	2	(مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ...)
153، 154، 160، 197	3	{ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا }
93	28	وقوله: (نَحْنُ خلقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً)
90	29	[فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)
91	30	{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}
		سورة النبأ
259، 334	39	(فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا)
		سورة النازعات
69	25	{فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُوْلَىٰٓ}
		سورة عبس
312	8-10	(وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى)
160	20	(ثم السبيل يسره)
285، 288	24-28	(فَلْيَنْظُرْ الإنسَانُ إلى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ)





الصفحة	رقمها	الآيـــــــــة
		سورة الشمس
155، 156، 336	10-8	(فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)
		سورة الليل
150	4	. ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ [الليل : 4] . ص145،
158، 271، 288، 416	11-5	{ فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى }
		سورة الشرح
273	8-7	{فَإِذَا فَرَغْت فَانْصَبْ، وَإِلَى رَبِّك فَارْغَبْ}
		سورة العلق
359	7-6	{ كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى }
		سورة القدر
17، 18	1	وقال – سبحانه – : { إِنَّآ أَنزَلْنَـــاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ }
		سورة البينة
145، 313، 413	8	{ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ }
		سورة الزلزلة
157	8-7	{ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره }
		سورة العصر
427	3-1	والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

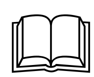




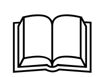
فهرس الأحاديث



الحديث	الصفحة
إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها	443
إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلك ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك ثُمَّ يَبْعَثُ الله مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ له اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ.	63، 129، 236
إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة	406، 42
إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، قال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة...الحديث.	74، 399
إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة " فقيل له : ما الواحدة ؟ قال : " ما أنا عليه اليوم وأصحابي	40
إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه	169
إن الرقى والتمائم والتولة شرك ص203،	210
إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء	208
إن الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان	370
إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللَّه لا يلقي لها بالا	166
إن عظم الجزاء من عظم البلاء	190، 300
إنك لن تدع شيئاً اتقاء لله إلاَّ أعطاك الله خيراً منه	242
إن الله عز وجل إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل أهل الجنة فيدخله الله الجنة	235
إن الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته	329

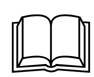


(فهرس الأحاديث)

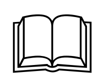


(فهرس الأحاديث)



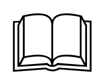


الصفحة	الحديث
42، 379، 434	لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ولا نصب ولا وصب ولا أذى الا كفر عنه
23	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره ،حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ،وما أخطأه لم يكن ليصيبه
8	(لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك)
348	لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه
380	لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على عبد ياليل
306	اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي
388	اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء
406	{ اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك
385	اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس
352	اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب ، اللهم ما زويت عني مما أحب فاجعله فراغا لي فيما تحب
355	لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ص348،ص349،
291، 298، 422	ــ لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)
440	ليس الشديد بالصرعة ، إنمـــا الشديد من يملك نفسه ،
369	ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية ص361،
385	ما أعطي أحد عطاء خيراً له وأوسع من الصبر
423	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده
423	ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم



الحديث	الصفحة
ما على الأرض رجل مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه	206
ما منكم من أحد ، وما من نفس منفوسة : إلاَّ كتب مكانها من الجَنَّة والنار ، وإلاَّ كتبت شقية ، أو سعيدة،	282، 416
ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته	229
ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلاَّ رفعه الله بها درجة ، وحط	221
ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلاَّ حط الله به	221
ما من مولود إلا وهو يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه	339، 436
ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة	370
ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا شيء	191
مايصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولاحزن حتى الهم	190، 379
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم أحد متى تقوم الساعة إلا الله	58، 63
من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنْسَأ له في أثره، فليصل رحمه، وفي لفظ من سره	139
من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وفرق عليه ضيعته و لم يأته من الدنيا الا ماكتب له	307
من حَلَفَ بغير الله فقد أشرك	105
من سأل الناس أموالهم تَكَثُّراً	427
من سرّه أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء	206
من سلم المسلمون من لسانه ويده	347





(فهرس الأحاديث)



فهرس الأعلام







فهرس المراجع والمصادر

١. أبجد العلوم ،المؤلف/صديق حسن القنوجي ،الناشر/دارالكتب العلمية ــ بيروت،1978 ،المحقق /عبد الجبار زكار.
٢. الإبانة عن أصول الديانة،المؤلف : علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن،الناشر : دار الأنصار – القاهرة،الطبعة الأولى ، 1397.
٣. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ، للإمام عبيد الله بن بطة العكبري ،تحقيق:سيد عمران،الناشر/ دار الحديث ــ القاهرةــ 1427ه÷ ــ 2006م.
٤. الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ،المؤلف : محمد منير بن عبده أغا النقلي الدمشقي الأزهرى (المتوفى : 1367هــ)،الناشر : دار ابن كثير دمشق- بيروت.
٥. إحياء علوم الدين ،للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ،وبذيله المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للإمام زين الدين أبي الفضل العراقي ،ضبط وتوثيق /أحمد عناية و أحمد زهوة ، الناشر /دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1425 ــ 2005 م.
٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ،المؤلف : محمد بن محمد العمادي أبو السعود،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٧. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ،لمعالي الشيخ /د.صالح بن فوزان الفوزان ،الناشر /مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض،الطبعة الأولى 1429هــ .
٨. الإرشاد شرح لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ،للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ،شرح فضيلة الشيخ /عبد الله بن عبد



الرحمن الجبرين،أعده وخرج أحاديثه محمد بن حمد المنيع .دار الأفهام للنشر والتوزيع الرياض ،الطبعة الثالثة 1424هـ ــ 2003م.

٩. الأسماء والصفات،المؤلف : البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر ،المحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي،الناشر : مكتبة السوادي – جدة،الطبعة : الأولى.

١٠. الإسلام والدستور،المؤلف : توفيق بن عبد العزيز السديري ،الطبعة : الأولى،الناشر : وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،تاريخ النشر : 1425هـ.

١١. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمدبن أحمد الأنصاري القرطبي ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ /عرفان بن سليم العشا حسونه الدمشقي ،المكتبة العصرية ــ صيدا بيروت 1427هـ 2006م.

١٢. الإصابة في تمييز الصحابة ،المؤلف/احمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،الناشر/دار الجيل ــ بيروت ،1412هـ ــ ط 1،المحقق/ علي محمد البجاوي

١٣. أصول الإيمان،المؤلف : الإمام محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق باسم فيصل الجوابرة،الطبعة : الخامسة،الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،تاريخ النشر : 1420هـ.

١٤. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد /نخبة من العلماء. .

١٥. أصول الدين الإسلامي ،المؤلف: د.قحطان الدوري ،د. رشدي عليان ،الناشر: دار الفكر ،ط2 ،1422هـ ــ 2002م.

١٦. الاعتصام ، تأليف أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي ، تحقيق /سليم بن عيد الهلالي ،طبعة مصححة ، الناشر / دار ابن القيم ،دار ابن عفان، ط2،1427هـ ــ 2006 م .



١٧. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد،للحافظ الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ،علق عليه سماحة الشيخ /عبد الرزاق عفيفي رحمه الله ،قدم له وعلق غليه فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود ،حققه وعلق عليه أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم أبو العينين ، الناشر :دار الفضيلة للنشر والتوزيع ــ الرياض،الطبعة الأولى 1320هــ ــ1999م.

١٨. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980م.

١٩. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار المعرفة – بيروت،الطبعة الثانية ، 1395 – 1975،تحقيق : محمد حامد الفقي.

٢٠. إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ،تأليف /ابن تيمية ،تحقيق /خالد عبد اللطيف السبع العلمي ،الناشر /دار الكتاب العربي بيروت ــ لبنان ،الطبعة الأولى 1417هــ ــ1996م .

٢١. الانتصار للصحب والآل من افتراءات السماوي الضال ،المؤلف : إبرهيم بن عامر الرحيلي الطبعة : الثانية .

٢٢. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد ،المؤلف : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت،ط2، 1987.

٢٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه" نهر الخير على أيسر التفاسير"، المؤلف : أبي بكر جابرالجزائري،الناشر /مكتبة أضواء المنار ،دار لينةللنشر والتوزيع،ط 1 1419،هــ ــ1999م.

٢٤. الإيمان ،تأليف /عبد المجيد الزنداني ،حزام البهلولي ،أحمد سلامة ،فيصل عبد العزيز ،



عبدالله الوظاف ،توحيد عبد الحميد ،المكتبة العصرية صيدا ــ بيروت ، 1425هــ ــ 2004 م.

٢٥. الإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه محمد نعيم ياسين. الناشر/مكتبة العلم ،

٢٦. الإيمان بالقدر، د /يوسف القرضاوي.

٢٧. الإيمان بالقضاء والقدر ،تأليف /محمد بن إبراهيم الحمد ،تقديم/عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، دارابن خزيمة للنشر والتوزيع ــ الرياض ، الطبعة الثالثة 1419هــ 1998م.

٢٨. الإيمان طريقنا إلى النصر ،تأليف /محمد نمر الخطيب،الطبعة الثانية 1390 هــ ــ 1970م.

٢٩. الإيمان من إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، للقاضي عياض. ،تحقيق:د.الحسين بن محمد شواط،الناشر: دار الوطن،ط1، 1417،

٣٠. الإيمان والصحة النفسية ،تأليف/ عبد الله بن عبد العزيز العيدان ،الناشر /دار الورقات العلمية للنشر والتوزيع ــ الرياض ،ط 1 ، 1425 هــ ــ2004م.20ــ بدع الإعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة الإرجاء ــ الغلو في الدين (التطرف)ــ التصوف ،تأليف /محمد حامد الناصر ،مكتبة السوادي للتوزيع ،ط 1، 1416هــ ــ 1995م.مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة،الطبعة الأولى ، 1416 – 1996،تحقيق : هشام عبد العزيز عطا وآخرون ،نسخة أخرى / بدائع الفوائد،المؤلف /ابن القيم ،مكتبة القاهرة ،ط2، 1392هــ ــ1972م

٣١. بضع رسائل في التوحيد والإيمان وما يتعلق بهما ،تأليف /الشيخ الإمام وقدوة العلماء الأعلام شيخ الإسلام مفتي الأنام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،دار الكتب العربية ويليه بضع رسائل أخرى في التوحيد والإيمان وما يتعلق بهما ،تأليف /بعض أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرهم من علماء نجد .



٣٢. البيان في أركان الإيمان ، تأليف/مجد مكي . ،الماشر:دار البشائر الإسلامية ،دار نور المكتبات ،ط1419، 1هـ ـ 1999م.قدم له :د.يوسف القرضاوي
٣٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، الذهبي، الناشر: دار الكتاب العربي، لبنان/ بيروت 1407هـ - 1987م. ط1،تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.
٣٤. تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ،محمد أبو زهرة ، القاهرة :دار الفكر العربي،1996.
٣٥. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ،المؤلف : طاهر بن محمد الإسفراييني،الناشر : عالم الكتب – بيروت،الطبعة الأولى ، 1983،تحقيق : كمال يوسف الحوت.
٣٦. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري ،تأليف / جمال الدين عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ،دار النشر / دار ابن خزيمة - الرياض - 1414هـ،الطبعة : الأولى ،تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد.
٣٧. التعديل والتجريح،المؤلف/سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي ،الناشر/دار اللواء للنشرـ الرياض،1406ـ 1986،ط1، المحقق/د.أبو لبابة حسين.
٣٨. تفسير أسماء الله الحسنى ،تأليف: الشيخ / عبد الرحمن السعدي ،دراسة وتحقيق: عبيد بن علي العبيد ،الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ.
٣٩. تفسير الجلالين،المؤلف : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ،وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي،الناشر : دار الحديث – القاهرة،الطبعة الأولى
٤٠. تفسير العلامة محمد العثيمين،المؤلف :محمد بن صالح العثيمين،الناشر :دار الثريا للنشر والتوزيع ـ الرياض.الطبعة :الأولى ـ 1425هـ ـ2004م.



٤١. تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم،المؤلف / محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي ،دار النشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر - 1415 – 1995،الطبعة: الأولى،تحقيق: الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز

٤٢. تفسير القرآن العظيم،المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ] ،المحقق : سامي بن محمد سلامة ،الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2،1420هـ - 1999 م

٤٣. تفسير اللباب في علوم الكتاب ،المؤلف : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى : 775هـ)

٤٤. تقريب التهذيب/أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،الناشر/دار الرشيد ـــ سوريا،1406هـ ـــ 1986م،ط1،المحقق/محمد عوامة.

٤٥. التكليف في ضوء القضاء والقدر ، تأليف /د.أحمد بن علي عبد العال الاستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب ،الناشر دار هجر للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى 1418هـ ـــ 1997م .

٤٦. تكملة الإكمال،المؤلف:محمد بن عبد القوي البغدادي أبو بكر الناشر/جامعة أم القرى،1410هـ ،ط1 ،المحقق/د.عبد القيوم عبد رب النبي

٤٧. تلبيس إبليس،المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الأولى ، 1405 – 1985،تحقيق : د. السيد الجميلي

٤٨. تلخيص كتاب الاستغاثة،المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،الناشر : مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ،الطبعة الأولى ، 1417،تحقيق : محمد علي عجال



٤٩. التمهيد لشرح كتاب التوحيد ،المؤلف : دروس ألقاها صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ،الطبعة : الأولى ،الناشر : دار التوحيد ،تاريخ النشر : 1424هـ - 2003م

٥٠. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع،لأبي الحسن الملطي، تحقيق/جمال المياديني،الناشر/رمادي للنشر ،الدمام، ط1 ،1414 ،1994م،

٥١. التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ،تأليف /الشيخ /عبد العزيز الناصر الرشيد رئيس محكمة التمييز بالرياض ،دار الرشيد الرياض ،دار العواصم الاسكندرية ،الدار الإسلامية المنصورة، الطبعة الثالثة 1421هـ ـ 2000م .

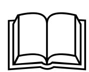
٥٢. التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة ،المؤلف : عبد الرحمن ناصر السعدي،الطبعة : الأولى،الناشر : دار طيبة – الرياض،تاريخ النشر : 1414هـ.

٥٣. تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ،المؤلف : أبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي،الناشر : دار الفكر المعاصر – بيروت ،الطبعة الأولى ، 1990،تحقيق د.محمد رضوان الداية

٥٤. تهذيب التهذيب،لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،الناشر/دار الفكر ،بيروت،1404ـ 1984م

٥٥. تهذيب الكمال،المؤلف : يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي،الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت،الطبعة الأولى ، 1400 – 1980،تحقيق : د. بشار عواد معروف

٥٦. التوحيد بين السائل والمجيب ،تأليف فضيلة الشيخ :د.إبراهيم بن صالح الخضيري القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض ،المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالشفاء ـ الرياض ـ الطبعة الأولى ،1421هـ ـ 2000م



٥٧. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ،المؤلف : أحمد بن إبراهيم بن توعية المرضى بأمور التداوي والرقى تأليف د/محمد بن عبد الله الصغير،فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر ،الطبعة الثانية 1422هـ ــ 2001 م .

٥٨. التيسير بشرح الجامع الصغير ،المؤلف / الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي،دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - 1408هـ - 1988م،الطبعة: الثالثة

٥٩. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ،المؤلف : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب،الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

٦٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي،المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،الناشر : مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الأولى 1420هـ -2000 م

٦١. تيسير الوصول إلى ثلاثة الأصول،عبد المحسن بن محمد القاسم،إمام وخطيب المسجد النبوي،الطبعة الأولى 1427هـ.

٦٢. الآثار الواردة عن السلف في القضاء والقدر من خلال تفسير الطبري ترتيبا ودراسة عقدية ،رسالة لنيل درجة الدكتوراة في العقيدة من كلية أصول الدين، مقدم من سعاد بنت محمد السويد ،المشرف على الرسالة د/يوسف عبد الغني الأستاذ بقسم العقيدة، 1423هـ

٦٣. الآثار المروية عن السلف في العقيدة في كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، جمع وتحقيق :توفيق طاس،مكتبة العلوم ــ المدينة المنورة ،ط1،

٦٤. جامع البيان في تأويل القرآن ،المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [224 - 310 هـ] ،المحقق : أحمد محمد



شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة،الطبعة : الأولى ، 1420 هـ - 2000 م

٦٥. جامع الرسائل(رسالة في تحقيق الشكر)،المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – مصر،تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم

٦٦. جامع العلوم والحكم،المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،الناشر : دار المعرفة – بيروت،الطبعة الأولى ، 1408هـ.

٦٧. الجامع الصحيح سنن الترمذي ،المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ،تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون،الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

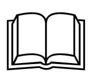
٦٨. الجامع الصحيح المختصر،المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي،الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ،الطبعة الثالثة ، 1407 – 1987،تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق،مع الكتاب : تعليق د. مصطفى ديب البغا

٦٩. الجامع لشعب الإيمان ،تأليف /الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي،الناشر/ مكتبة الرشد ،الرياض ،ط2 ،1425 هـ ،2004 م ،تحقيق/د.عبد العلي عبد الحميد حامد.

٧٠. جامع المتون ،جمع وترتيب /راشد بن عثمان بن أحمد الزهراني ،دار الصميعي للنشر والتوزيع الرياض ،الطبعة الأولى 1422هـ ـــ 2001م .

٧١. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،الناشر : دار العروبة – الكويت ،الطبعة الثانية ، 1407 – 1987،تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ،

٧٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت



٧٣. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ،المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار العاصمة – الرياض ،الطبعة الأولى ، 1414،تحقيق : د.علي حسن ناصر،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد

٧٤. الجواهر الحسان في تفسير القرآن،المؤلف : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي،الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت

٧٥. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

٧٦. حاشية الأصول الثلاثة ،المؤلف : محمد بن عبد الوهاب & حاشية عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي ،الطبعة : الأولى،الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،تاريخ النشر : 1416هـ

٧٧. حجج القرآن ،المؤلف : أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي ،الناشر : دار الرائد العربي - بيروت ،الطبعة الثانية ، 1982،تحقيق : أحمد عمر المحمصاني .

٧٨. الحطة في ذكر الصحاح الستة،المؤلف /أبو الطيب السيد صديقحسن القنوجي،الناشر/دار الكتب التعليمية_ بيروت،1405هـ ـ1985م،ط1.

٧٩. درء تعارض العقل والنقل ،المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،الناشر : دار الكنوز الأدبية - الرياض ، 1391،تحقيق : محمد رشاد سالم

٨٠. ديوان الإمام الشافعي ،الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،جمع /أ.نعيم زرزور،وتقديم: د.مفيد قميحة .

٨١. رسالة في أسس العقيدةالمؤلف : محمد بن عودة السعويالطبعة : الأولى ،الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،تاريخ النشر : 1425هـ.



٨٢. الرد على الجهمية ،المؤلف : عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد الدارمي،الناشر : دار إبن الأثير – الكويت ،الطبعة الثانية ، 1995،تحقيق : بدر بن عبدالله البدر.

٨٣. الرد على القائلين بوحدة الوجود ،المؤلف : علي بن سلطان محمد الهروي المكي الحنفي الناشر : دار المأمون للتراث – دمشق ،الطبعة الأولى ، 1995،تحقيق : علي رضا بن عبدالله بن علي رضا.

٨٤. الرسالة القشيرية ،لأبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري،تحقيق وإعداد /معروف مصطفى زريق ،المكتبة العصرية ،صيدا ـــ بيروت ،1328هـــ ـــ 2007م.

٨٥. رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر ،المؤلف : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي ،الناشر : دار حراء - مكة المكرمة،الطبعة الأولى ، 1410،تحقيق : أسعد محمد المغربي

٨٦. الرضا عن الله بقضائه ،المؤلف : عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي،الناشر : الدار السلفية – بومباي ،الطبعة الأولى ، 1410،تحقيق : ضياء الحسن السلفي.

٨٧. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت، 1395 – 1975.

٨٨. روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني ،المؤلف :محمود الألوسي أبو الفضل ،الناشر :دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت

٨٩. روضة المحبين ونزهة المشتاقين،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، 1412 – 1992.



٩٠. زاد المعاد في هدي خير العباد،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت،الطبعة الرابعة عشر ، 1407 –1986،تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط

٩١. زاد المسير في علم التفسير ،المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ،الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة ، 1404.

٩٢. الزهد والورع والعبادة ،المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،الناشر : مكتبة المنار – الأردن،الطبعة الأولى ، 1407/تحقيق : حماد سلامة ،محمد عويضة.

٩٣. الزهد وصفة الزاهدين،المؤلف : أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم أبو سعيد،الناشر : دار الصحابة للتراث – طنطا ،الطبعة الأولى ، 1408،تحقيق : مجدي فتحي السيد.

٩٤. سبل السلام،المؤلف : محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : 1182هـ)،الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة : الرابعة 1379هـ/ 1960م

٩٥. السببية وصلتها بالقدرة الإلهية عند الفلاسفة والمتكلمين في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ،إعداد الطالب /رعد بن صالح بن إبراهيم الذيب ،إشراف أ.د:شوقي إبراهيم علي عبد الله 1420هـ ــ 1421هـ ــ 1999 ــ 2000م.

٩٦. سلسلة أعمال القلوب،فضيلة الشيخ /محمد صالح المنجد،الناشر/دار الفجر للتراث ــ القاهرة ،الطبعة الأولى 1426هـ ــ 2005 م.

٩٧. السنة ،المؤلف/ أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر ،الناشر/ دار الراية،الرياض،1410،ط1 ،المحقق/د.عطية الزهراني.



٩٨. السنة ،للإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه /يحيى بن موسى الأزهري ، أشرف على تحقيقه وقدم له مصطفى بن العدوي ،دار ابن رجب، الطبعة الأولى 1427هــ ـــ2006م

٩٩. سنن أبي داود،المؤلف : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي،الناشر : دار الفكر ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٠٠. سنن البيهقي الكبرى،المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي،الناشر : مكتبة دار الباز - مكة المكرمة ، 1414 – 1994،تحقيق : محمد عبد القادر عطا.

١٠١. السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية،المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني،الناشر : دار المعرفة.

١٠٢. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى،تأليف/القاضي أبو الفضل عياض ،تحقيق/محمد أمين وآخرون،مكتبة الفارابي ومؤسسةعلوم القرءان ــــ دمشق.

١٠٣. شذرات من كتب مفقودة في التاريخ،المؤلف : استخرجها وحققها الدكتور إحسان عباس،الناشر : دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان ص.ب: 5787 – 113،ج1 - الطبعة : 1 ، 1988 ،الجزء : 2 - الطبعة : 3 ، 1988.

١٠٤. الشخصية الإسلامية (دراسة قرءانية).، تأليف /دكتورة /عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ،أستاذ الدراسات القرءانية بدار الحديث وكلية الشريعة جامعة القرويين : المغرب .،الناشر /دار العلم للملايين ،بيروت ــــ لبنان .الطبعة الرابعة ،كانون الثاني (يناير)1986م .

١٠٥. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، تأليف /سعيد بن وهف القحطاني،راجعه /الشيخ .د.عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ،توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان ــــ الرياض ،الطبعة 11 ، 1427هــ.



١٠٦. شرح أصول الإيمان، للعلامة، محمد بن صالح العثيمين..
١٠٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنةوإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ،للإمام العلامة الحافظ أبي القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ،الناشر/دار الحديث ــ القاهرة،1425هــ ــ2004م.
١٠٨. شرح ثلاثة الأصول ،لابن عثيمين،إعداد فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان .دار الثريا للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية 1426هــ ــ 2005 م .
١٠٩. شرح حديث لبيك اللهم لبيك ،المؤلف : عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي،الناشر : دار عالم الفوائد - مكة المكرمة ،الطبعة الأولى ، 1417،تحقيق : د. وليد عبد الرحمن محمد آل فريان
١١٠. شرح الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية ،شرح فضيلة الشيخ /عبد الرحمن بن ناصر البراك ،إعداد سليمان بن صالح الغصن ،كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى 1425هــ ــ2004م
١١١. شرح العقيدة الأصفهانية،المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، مكتبة الرشد،الرياض،**1415**، ط1، المحقق/ إبراهيم سعيداي
١١٢. شرح العقيدة الطحاوية، للإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي. ،الناشر /مؤسسة الرسالة ــ بيروت، ط2 ، 1424هــ ــ2003م ،تحقيق/د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ،شعيب الأرنؤوط..
١١٣. شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ،المؤلف : ابن أبي العز الحنفي ،المحقق : أحمد محمد شاكر،الناشر : وكالة الطباعة والترجمة ،في الرئاسة العامة لإدارات البحوث،العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
١١٤. شرح نهج البلاغة ،المؤلف : عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى : 656هــ)،المحقق : محمد أبو



الفضل ابراهيم،الناشر : دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه،

١١٥. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،الناشر : دار الفكر - بيروت ، 1398 – 1978 ، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.

١١٦. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية،المؤلف : مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي،الناشر : دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ط1 ، 1404،تحقيق :نجم عبد الرحمن خلف.

١١٧. الصافي عن الكدر فيما جاء عن سيد البشر في القضاء والقدر للعلامة :محمد بن رسول البرزخي ، ـــ (ت1103هـــ) تحقيق ودراسة رسالة علمية لنيل الشهادة العالمية الماجستير ،للباحث /محمد معصوم حسن ،إشراف د:محمد ربيع المدخلي 1415.هـــ.

١١٨. الصبر الجميل في ضوء الكتاب والسنة،تأليف /أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي ،دار ابن القيم للنشر والتوزيع،الدمام ـــ السعودية ،دار ابن عفان للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى 1421هـــ ـــ2000م.

١١٩. الصبر ضياء ،تأليف عبده بن أحمد الأقرع (أبو أحمد)،مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى 1428هـــ ـــ2007م .

١٢٠. صفة الصفوة المؤلف/ عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج،.الناشر دار المعرفة ـــ بيروت ،1399ـــ 1979،ط2 ،المحقق/ محمود فاخوري ،د .محمد رواس قلعة جي .

١٢١. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ،المؤلف : أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي إبن حجر الهيتمي ،الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة



الأولى ، 1997،تحقيق : عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط

١٢٢. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار العاصمة – الرياض ،الطبعة الثالثة ، 1418 –1998،تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله

١٢٣. طب القلوب عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني ،وابن قيم الجوزية ، المؤلف : عمر أحمد الراوي الناشر :دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان .

١٢٤. طبقات الحفاظ،المؤلف /عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل،الناشر/دار الكتب العلمية ،بيروت،1403، ط1....

١٢٥. الطبقات الكبرى،المؤلف : محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري،الناشر : دار صادر – بيروت.

١٢٦. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها،المؤلف : عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو محمد الأنصاري ،الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة الثانية : 1412 ــ1992،تحقيق : عبدالغفور عبدالحق حسين البلوشي.

١٢٧. طبقات المفسرين،المؤلف : أحمد بن محمد الأدنروي،الناشر : مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة،ط1، 1997،تحقيق : سليمان بن صالح الخزي .

١٢٨. طريق الإيمان أو الإيمان بالله عن طريق الفكر المستنير ،سميح عاطف الزين ،دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ،الطبعة الرابعة 1981.

١٢٩. طريق الإيمان إلى جنة الرحمن ،تأليف /محمود عبد الحميد الكفري ،دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى 2006م .

١٣٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار ابن القيم – الدمام ،الطبعة الثانية ، 1414 –1994،تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.



١٣١. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت،تحقيق : زكريا علي يوسف.

١٣٢. عقيدة المؤمن لأبي بكر جابر الجزائري ،المكتبة العصرية ،صيدا ــ بيروتالطبعة الثالثة 1425هــ ــ2005م الناشر :مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة.

١٣٣. عقيدة اليهود ومواقفهم في ضوء القرءان الكريم ،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات الإسلامية تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة من الطالبة/ ابتسام عبد الرحمن الفالح ،بإشراف أ/د:عبد العزيز الشهوانالأستاذ المشارك في قسم العقيدة ــ كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،1427هــ ــ2006م.

١٣٤. عقيدة التوحيد في القرءان الكريم،تأليف .د.محمد أحمد محمدعبد القادر خليل ملكاوي،رسالة قدمت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لنيل درجة الماجستير بإشراف الشيخ /عبد الله بن عبد الرحمن الغديان عضوهيئة كبار العلماء ،الطبعة الأولى 1405هــ ــ1985م.

١٣٥. العقيدة الواسطية ، لابن تيمية مع شرحها لابن عثيمين .

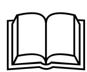
١٣٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود ، المؤلف : محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الثانية ، 1415

١٣٧. غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية الشمالية ،المؤلف : بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري،الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،الطبعة : الأولى، 1424هــ/ 2004م

128ــ الفتاوى الكبرى،المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هــ)،المحقق : محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا،الناشر : دار الكتب العلمية ،الطبعة : الطبعة الأولى 1408هــ - 1987م.د



١٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري،المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،الناشر : دار المعرفة - بيروت ، 1379،تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي.
١٣٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير
المؤلف : محمد بن علي الشوكاني.
١٤٠. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ،تأليف /عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب وعليه حاشية المستفيد على مواضع من فتح المجيد ،للشيخ :عبد الله بن إبراهيم القرعاوي ،الطبعة الأولى 1419هــ دار الطرفين ،دار العليان .
١٤١. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان تأليف /الإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية ،حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه فواز أحمد زمرلي ،دار الكتاب العربي ،بيروت ــ لبنان ،1427هــ ــ2006م.
١٤٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل ،تأليف /الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الأندلسي الظاهري ،وضع حواشيه ،أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،الطبعة الثانية 1420هــ ــ 1999م.
١٤٣. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم أنواعه،شروطه،أسبابه،مراحله وأهدافه،الدكتور : علي محمد محمد الصلابي،الناشر:مؤسسة اقرأ،ط1427،1هــ ــ 2006م.
١٤٤. الفوائد،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،الناشر : دار الكتب العلمية –بيروت،الطبعة الثانية ، 1393 – 1973
١٤٥. فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المؤلف : محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبط:أحمد عبد السلام، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ،الطبعة الاولى 1415 ه - 1994 م.



١٤٦. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ،تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ،ضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد بن رياض الأحمد السلفي الأثري،الناشر :المكتبة العصرية صيدا ــ بيروت ،الطبعة الأولى 1423هــ ــ 2003م .

١٤٧. القدر ،تصنيف /الإمام الحافظ أبي بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي المتوفى سنة(30هــ)،حققه وخرج أحاديثه /عبد الله بن حمد المنصور،الناشر / أضواء السلف ــ الرياض ، الطبعة الأولى 1418هــ ــ 1997م .

١٤٨. القدر عند ابن تيمية ،تأليف :راشد الغنوشي ،مركز الراية للتنمية الفكرية ،الطبعة الأولى 1426هــ ــ 2005 م.

١٤٩. القصيدة التائية في القدر ،لشيخ الإسلام ابن تيمية ،شرح وتحقيق محمد بن ابراهيم الحمد ، دار ابن خزيمة،الطبعة الأولى ،1424هــ ، 2003م .

١٥٠. القضاء والقدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية.، الناشر /دار الكتاب العربي ــ بيروت ، 1426هــ ــ 2005م تحقيق/د.أحمد عبد الرحيم السايح،د.السيد الجميلي.

١٥١. القضاء والقدر،أد. عمر سليمان الأشقر،الناشر/دار النفائس ــ الأردن ، ط13،1425هــ ــ 2005م،ــ

١٥٢. القضاء والقدر في الإسلام ،تأليف/ د. فاروق أحمد الدسوقي.الناشر: دار الإعتصام.

١٥٣. القضاء والقدر في ضوء نصوص الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه ، د/عبد الرحمن بن صالح المحمود.،الناشر /دار الوطن ،الرياض،1418هــ ــ 1997م،ط2.

١٥٤. القضاء والقدر ،أبو الوفاء محمد درويش ،تقديم الشيخ /العلامة محمد حامد الفقي ، دار القاسم للنشر ،الطبعة الأولى 1416هــ ــ 1995م.

١٥٥. القضاء والقدر للإمام الحافظ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي ،تحقيق



/محمد بن عبد الله آل عامر،الناشر/ مكتبة العبيكان ـــ الرياض ، الطبعة الأولى 1421هـــ ـــ2000م .

١٥٦. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر & ويليه كتاب مسائل الجاهلية ،المؤلف : محمد صديق حسن خان القنوجي & الإمام محمد بن عبد الوهاب ،الطبعة : الأولى،الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،تاريخ النشر : 1421هـــ.

١٥٧. الكبائر للإمام شمس الدين الذهبي ،المكتبة العصرية ،صيدا ـــ بيروت ، 1428هـــ 2007م .

١٥٨. الكبائر،المؤلف : الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،الطبعة : الثانية ،الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ،تاريخ النشر : 1420هـــ

١٥٩. كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها ،المؤلف : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى،المحقق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربينى ،ط1 / 1422 هـــ - 2002م.

١٦٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين،المؤلف / أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي،دار النشر / دار الوطن - الرياض - 1418هـــ - 1997م،تحقيق : علي حسين البواب.

١٦١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال،المؤلف : علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى : 975هـــ)،المحقق : بكري حياني - صفوة السقا،الناشر : مؤسسة الرسالة ،الطبعة : الطبعة الخامسة ، 1401هـــ/ 1981م

153ـــ لا تحزن ،تأليف الشيخ د.عائض بن عبد الله القرني ،الناشر /مكتبة الصحابة،الطبعة الثالثة 1423هـــ ـــ2002م.



١٦٢. لسان العرب،المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ،الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

١٦٣. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية ،تأليف العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي ، بتعليقات الشيخ عبد الرحمن أبا بطين ،والشيخ /سليمان بن سحمان ،المكتب الإسلامي ، دار الخاني ،الطبعة الثالثة 1411هـ ــ 1991م .

١٦٤. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم ،وضعه محمد فؤاد عبد الباقي وأعد فهارسه /سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران،دار الحديث القاهرة ،سنة الطبع 1426هـ ــ 2005م .

١٦٥. اللؤلؤ الوقاد في فتاوى الإعتقاد لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني ،جمعه ونسقه وخرج أحاديثه واعتنى به محمد بن رياض الأحمد ،المكتبة العصرية صيدا بيروت ،الطبعة الأولى 1428هـ ــ 2008م .

١٦٦. ما يجب أن يعرفه المسلم عن دينه،المؤلف : عبد الله عبد الغني الخياط ،الطبعة : الثالثة،الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،تاريخ النشر : 1413هـ.

١٦٧. مجلة جامعة الملك سعود ،المجلد السادس عشر ،العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (2)،ص ص1079ــ 1126(1424هـ /2004م)، بعنوان :"عقيدة اليهود في الصفات دراسة نقدية في ضوء القرءان والسنة " لـ :سليمان العيد أستاذ مشارك، قسم الثقافة الإسلامية ،كلية التربية ،جامعة الملك سعود ،الرياض ،المملكة العربية السعودية .



١٦٨. مجلة البيان ،المنتدى الإسلامي ،العدد الثالث.
١٦٩. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، العدد الثامن والأربعون 1421هـــ ـــ اسنة الثانية عشرة ـــ رجب ـــشعبان ـــ رمضان ـــ 1421هـــ نوفمبر (تشرين الثاني)ـــ ديسمبر (كانون الأول)ـــ يناير (كانون الثاني)2000ـــ 2001 م "عقيدة أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر .
١٧٠. مجموع الفتاوى،المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : 728هـــ)،المحقق : أنور الباز – عامر الجزار ،الناشر : دار الوفاء،الطبعة : الثالثة ، 1426 هـــ / 2005 م.
١٧١. مختار الصحاح،المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي،الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة طبعة جديدة ، 1415 – 1995،تحقيق : محمود خاطر.
١٧٢. 164ـــ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة الثانية ، 1393 – 1973،تحقيق : محمد حامد الفقي.
١٧٣. 165ـــ المدهش ، المؤلف : أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزيالناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الثانية ، 1985،تحقيق : د.مروان قبان.
١٧٤. مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المتزلة ،المؤلف : عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي ،الناشر : دار الجيل – بيروت ،الطبعة الأولى ، 1992،تحقيق : محمود محمد محمود حسن نصار.
١٧٥. مسألة القضاء والقدر (نشأها لدى الفلاسفة المتكلمين بحثها على مقتضى منهج السلف ،تأليف /عبد الحميد محمد قنبس ،خالد عبد الرحمن العك ،دار الكتاب العربي دمشق ـــ القاهرة ،الطبعة الأولى 2005 م .



١٧٦. المستدرك على الصحيحين ،المؤلف : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ، 1411 – 1990،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.

١٧٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني،الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة،الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها.

١٧٨. 170ــ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ،المؤلف : حافظ بن أحمد حكمي،الناشر : دار ابن القيم – الدمام ،ط1 ، 1410 –1990،تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

١٧٩. معالم التنزيل،المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ]،المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش،الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع،الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ - 1997 م.

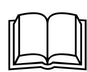
١٨٠. المعجم الأوسط ،لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني،الناشر:دار الحرمين ــ القاهرة،1415ــ تحقيق:طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن الحسيني.

١٨١. معجم المؤلفين، عمر رضا كحيلة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربـــي – بيروت.

١٨٢. المعجم الوسيط،المؤلف / إبراهيم مصطفى ــ أحمد الزيات ــ حامد عبد القادر ــ محمد النجار،تحقيق / مجمع اللغة العربية.

١٨٣. معجم مقاييس اللغة،المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،المحقق : عبد السلام محمد هارون الناشر : دار الفكر،الطبعة : 1399هـ - 1979م.

١٨٤. معرفة الثقات،المؤلف/أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي نزيل



طرابلس الغرب،الناشر/مكتبة الدار ـــ المدينة المنورة، 1405ـــ 1985،ط1،المحقق/عبد العليم عبد العظيم البستوي، ج 2 /ص 21 .

١٨٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

١٨٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ،تأليف/الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري،الناشر المكتبة العصرية،صيدا ـــ بيروت ،ط1426،1هـــ ـــ 2005م.

١٨٧. مقرر العقيدة لفئة المتخصصين في غير العلوم الشرعية (سلسلة مناهج دورات العلوم الشرعية)تأليف د.محمد بن عودة السعوي ،كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى، 1423هـــ ـــ 2002م .

١٨٨. الملل والنحل،المؤلف : محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر : دار المعرفة - بيروت ، 1404،تحقيق : محمد سيد كيلاني.

١٨٩. المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور،المؤلف/تقي الدين أبو إسحاقأبراهيم بن محمد الصيرفيني،الناشر/دار الفكر للطباعةـــ بيروت،1414هـــ ،المحقق/خالد حيدر

١٩٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة الطبعة الثانية ، 1392.

١٩١. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ،تأليف ابن تيمية ،وضع حواشيه وخرج آياته وأحاديثه عبد الله محمود محمد عمر ،دار الكتب العلمية بيروت ـــ لبنان ،الطبعة الأولى 1420هـــ ـــ 1999م . نسخة أخرى تحقيق، د. محمد رشاد سالم،الناشر : مؤسسة قرطبة ، الطبعة الأولى.

١٩٢. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . ،المؤلف : الندوة العالمية للشباب الإسلامي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر : دار الندوة العالمية .



١٩٣. 184ــ النبوات،المؤلف : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ،الناشر : المطبعة السلفية - القاهرة ، 1386.

١٩٤. نحو ثقافة إسلامية أصيلة، أـــ د /عمر سليمان الأشقر. الناشر: دار النفائس ، ط/1425،12هـــ ـــ2005م.

١٩٥. نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ،تأليف / الدكتور مصطفى سعيد الخن والدكتور ،مصطفى البغا،محيي الدين مستو ،علي الشربجي ،محمد أمين لطفي .مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة السادسة والعشرون ،1422هـــ ـــ2001م

١٩٦. النهاية في غريب الحديث والأثر ،المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، الناشر : المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـــ - 1979م،تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي

١٩٧. نواقض الإيمان القولية والعملية د/عبد العزيز العبد العبد اللطيف.الناشر /مدار الوطن للنشر،1415هـــ ،ط2 .

١٩٨. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار،لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني،الناشر/دار الجيل ـــ بيروت،1973

١٩٩. ل نحن مسيرون أم مخيرون أو مستقبلك بيدك ،تأليف /محمد علي الزعبي ،مطبعة الإنصاف ـــ بيروت 1968الطبعة الثانية .

٢٠٠. واقعنا المعاصر،تأليف /الأستاذ /محمد قطب،الطبعة الأولى،1407هـــ ـــ الناشر

٢٠١. الوابل الصيب من الكلم الطيب ،المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ،الطبعة الأولى ، ذ1405 – 1985،تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض.



٢٠٢. وسطية الإسلام في سماحة الدين وتسامحه،أ.د،محمد بن أحمد بن صالح الصالح ،دار عالم الكتب للطباعة والنشر ،ط1 1428 هـ 2007 م



فهرس الموضوعات



